

إِعْرَاقُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيْكَاةُ

تأليف: الأستاذ

محمي الدين اليزوشي

المجلد الثامن

الطبعة الأولى - الطبعة الثانية - الطبعة الثالثة

دار ابن كثير

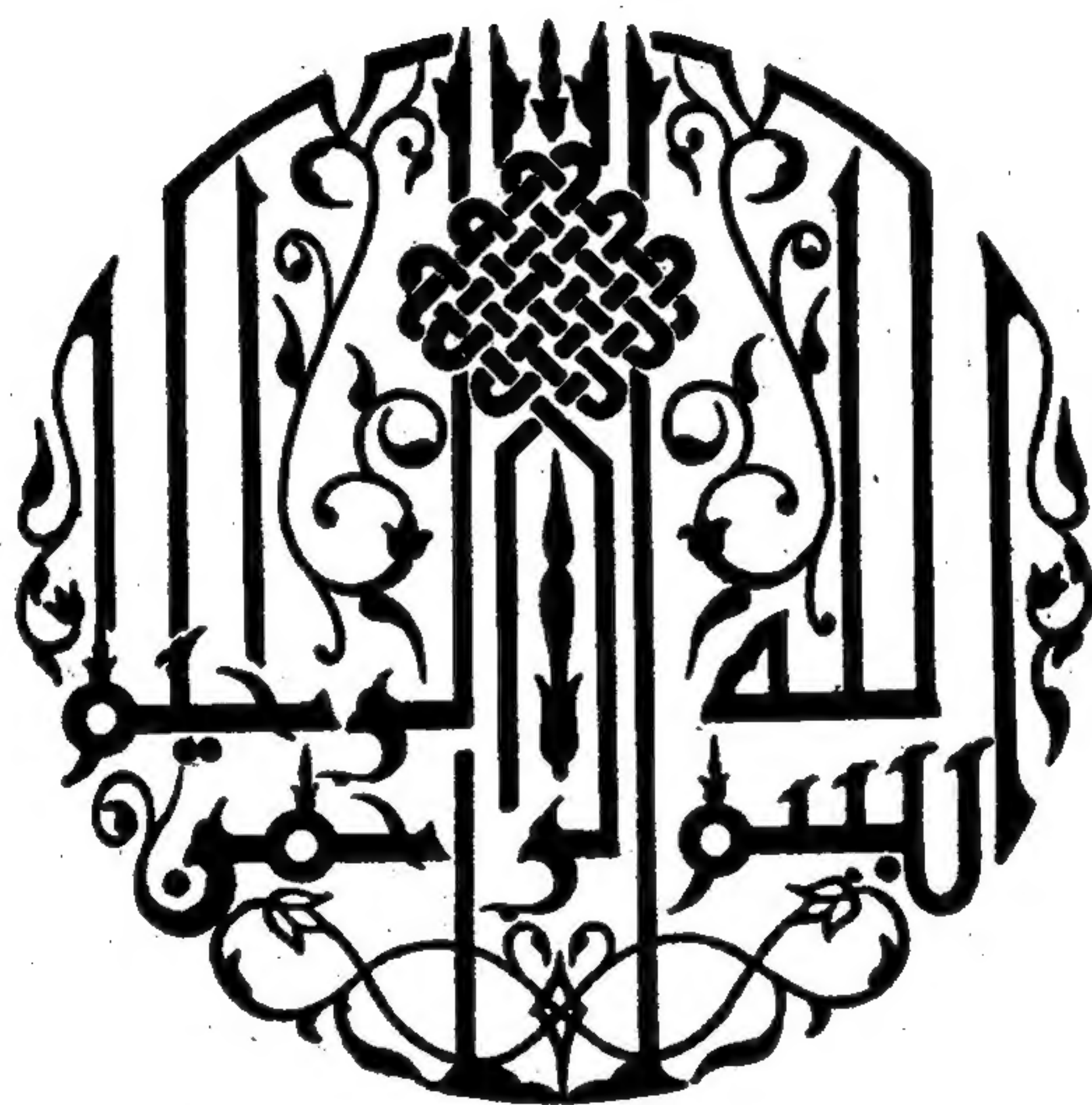
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

الجماعة

للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار الدراسات والبحوث الجامعية

دمشق - سورية



سورة الفاتحة
وَبِسْمِ اللَّهِ

جميع الحقوق محفوظة

دار الارشاد

حمص - سورية

الطبعة الثالثة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧

بيروت - ص.ب ٦٣١٨ / ١١٣

الإمامة للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - بزمكة - جانب الهجرة والجوازات

ص.ب ٢٧٧ - هاتف ٢٤٣٢٤٥ - بيروت - ص.ب ٥٤٨٨ / ١١٣



يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءُ
النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ
النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

اللفظة :

(ضعفين) : مثني ضعف بكسر الضاد ، يقال ضعف الشيء
مثله في المقدار أو مثله وزيادة غير محصورة فقولهم لك ضعفه يعني

لك مثلاه أو ثلاثة أمثاله أو أكثر ، وفي المصباح : « ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله وقال الخليل التضعيف أن يزداد على أصل الشيء فيجعل مثليه وأكثر وكذلك الأضعاف والمضاعفة ، وقال الأزهري : الضعف في كلام العرب المثل هذا هو الأصل ثم استعمل الضعف في المثل وما زاد وليس للزيادة حد يقال هذا ضعف هذا أي مثله وهذان ضعفاه أي مثلاه ، قال وجاز في كلام العرب أن يقال هذا ضعفه أي مثلاه وثلاثة أمثاله لأن الضعف زيادة غير محصورة فلو قال في الوصية أعطوه ضعف نصيب ولدي أعطي مثليه ولو قال ضعفه أعطي ثلاثة أمثاله . حتى لو حصل لابن مائة أعطي مئتين في الضعف وثلاثمائة في الضعفين وعلى هذا جرى عرف الناس واصطلاحهم والوصية تحمل على العرف لا على دقائق اللغة » هذا وللضعف بفتح الضاد والضعف بكسرها والضعف بضمها معان ظمها بعضهم بقوله :

في الرأي والعقل يكون الضَّعْف

والوهن في الجسم فذاك الضَّعْف

زيادة المثل كذا والضَّعْف

جمع ضعيف وهو شاكي الضر

(كأحد من النساء) أحد - كما يقول الزمخشري - في الأصل بمعنى واحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه وردّ عليه آخرون فقالوا : أما قوله أحد في الأصل بمعنى واحد وهو الواحد فصحيح وأما قوله وما وراءه فليس بصحيح لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول

واحد الآن واحداً يطلق على كل شيء اتصف بالوحدة واحد المستعمل في النفي العام مختص بمن يعقل وأيضاً فيفرق بينهما بأن المختص بالنفي جامد وهذا وصف وأيضاً المختص بالنفي مختص بالعقلاء وهذا لا يختص وأما معنى النفي فإنه ظاهر على ما قاله لزمخشري على المجموع .

وفي الالتقان : قال أبو حاتم : أحد اسم أكمل من الواحد ، ألا ترى أنك إذا قلت فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم له اثنان بخلاف قولك : لا يقوم له أحد وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في الدار أحد فيكون قد شمل عموم المخلوقين من الدواب والطيور والوحش والإنس فيعم الناس وغيرهم بخلاف قولك ليس في الدار واحد فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم قال : ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الواحد فيستعمل في الإثبات والنفي نحو « قل هو الله أحد » أي واحد و : « أبحسب أن لن يقدر عليه أحد » و « فما منكم من أحد » ولا فضل لأحد على أحد . وأحد يستعمل في المذكر والمؤنث قال تعالى : « لستن كأحد من النساء » بخلاف الواحد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدة . قلت : ولهذا وصف به في قوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين » بخلاف الواحد والأحد له جمع من لفظه وهو الأحدون والآحاد وليس للواحد جمع من لفظه فلا يقال واحدون بل اثنان وثلاثة والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب . بخلاف الواحد .

(وقرن في يوتكن) : من القرار أي الثبات وأصله افررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء الى القاف

وحذفت مع همزة الوصل • وفي القاموس : « وقر بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً وقروراً وقرأً وتقيرةً ثبت وسكن كاستقر » •

(تبرجن) : بترك إحدى التاءين وأصله تبرجن أي تتبخرن في مشيكن • وفي القاموس : « تبرجت المرأة : أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب » •

(الجاهلية) : حالة الجهل والوثنية في بلاد العرب قبل الاسلام أو الزمن الذي تقدمه وسياأتي المزيد من بحث الجاهلية الأولى في باب الفوائد •

الاعراب :

(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) كلام مستأنف مسوق لتقرير موقف الاسلام من أزواج النبي والمرأة عامة • وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولأزواجك متعلق بقل وستأتي أسماء أزواج النبي في باب الفوائد وإن شرطية وكنتن فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها والنون علامة التانيث والتخيير لسبر أغوار نفوسهن حتى إذا اخترن الدنيا فارقهن وجملة تردن خبر كان والنون فاعل والحياة الدنيا مفعول به وزينتها عطف على الحياة • (فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه أتى جملة طلبية وتعالين فعل أمر مبني على السكون والنون فاعل وأمتعن مجزوم لأنه جواب الطلب وأسرحكن عطف على أمتعن وسراحاً مفعول مطلق وجميلاً صفة وهذا أولى من القول بأن أمتعن جزم لأنه جواب الشرط وما بين الشرط وجزائه

معترض • (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) الواو عاطفة وإن شرطية وكنتن فعل ماض فاقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تردن خبرها والنون فاعل تردن والله مفعول به ورسوله عطف عليه والدار الآخرة عطف أيضاً والفاء رابطة وإن واسمها وجملة أعد للمحسنات خبرها ومنكن حال وأجراً مفعول به وعظيماً صفة •

(يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) يا حرف نداء ونساء النبي منادى مضاف ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويأت فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة ومنكن حال وبفاحشة متعلقان يأت ويضاعف جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون ولها متعلقان يضاعف والعذاب نائب فاعل ليضاعف وضعفين مفعول مطلق • (وكان ذلك على الله يسيراً) الواو حالية أو استئنافية وكان واسمها وعلى الله متعلقان بيسيراً ويسيراً خبر كان • (ومن يقنت منكن الله ورسوله وتعمل صالحاً توفها أجرها مرتين) عطف على ما تقدم وهو مماثل لما قبله في إعرابه وأجرها مفعول به ثان لتوفها ومرتين نصب على المفعولية المطلق أو الظرفية الزمانية • (وأعتدنا لها رزقاً كريماً) الواو عاطفة وأعتدنا فعل ماض وفاعل ولها متعلقان بأعتدنا ورزقاً مفعول به وكريماً صفة • (يا نساء النبي لستن كإحد من النساء إن اتقيتن) لستن : ليس والتاء اسمها والنون علامة جمع الإناث وكأحد خبر لستن ومن النساء صفة لأحد وإن شرطية واتقيتن فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف يدل عليه ما قبله أي فانكن أعظم ويكون قوله : (فلا تخضعن بالقول) مستأنفاً لتعليل هي المساواة ويجوز أن

تكون الاء رابطة وجملة لا تخضعن في محل جزم جواب الشرط وبالقول حال أو متعلقان بتخضعن .

(فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن مولاً معروفاً) الفاء للسببية ويطمع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي والذي فاعل يطمع وفي قلبه متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة صلة وقلن الواو عاطفة وقلن فعل أمر والنون فاعل وفولاً مفعول مطلق مبين للنوع ومعروفاً صفة . (وقرن في يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) عطف على ما تقدم وقرن فعل أمر وقد تقدم في باب اللغة وفي يوتكن متعلقان به ولا تبرجن نهي وتبرج الجاهلية مفعول مطلق والأولى نعت للجاهلية . (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) عطف على قرن في يوتكن . (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) إنما كافة ومكفوفة ويريد الله فعل مضارع وفاعل وليذهب اللام للتعليل ويذهب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وجملة إنما يريد تعليل لجميع ما تقدم والجار والمجرور أي ليذهب متعلقان يريد وعنكم متعلقان يذهب والرجس مفعول به وأهل البيت نصب على الاختصاص للمدح أي أخص أهل البيت ولك أن تجعله منادى محذوف الأداة أو على البدل من الكاف ، واعترضه المبرد بأنه لا يجوز البدل من المخاطب ، ويطهركم عطف على يذهب وتطهيراً مفعول مطلق .

الفوائد :

١ - أراجيف المفرضين عن تعدد أزواج النبي :
سيطول بنا القول في هذا الصدد لأنه أثار شكوكاً لدى

المفرضين وأصحاب الهوى من المستشرقين والمشهرين بالاسلام ، فقد
قلوا في معرض افتراءاتهم وأراجيفهم إن تعدد زوجات النبي مناف
لسمائل النبوة ومخالف لما ينبغي أن يتسم به أصحاب الدعوة وهداة
الأرواح ، وقال بعض المستشرقين ما نصه بالحرف : إن تسع زوجات
لدليل على فرط الميلول لجنسية ، ونسوا أو تناسوا أنه لا غضاضة على
العظيم أن يحب المرأة ويشعر بمنتها وما من فطرة هي أعمق في طبائع
الأحياء عامة من فطرة الجنسين والتقاء الذكر والأنثى ، نعم قد تكون
الغضاضة إذا طغى هذا الحب حتى أخرج العظيم عن سواء السبيل
وشغله عما هو معني به من هداية وليس أبعد به صلى الله عليه وسلم
عن الاستسلام لنزوات اللذة الجنسية من أنه أوشك أن يطلق نساءه
أو يخبرهن في الطلاق لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة ، حدث التاريخ
أن أبا بكر ذهب إليه يوماً يستأذن عليه فوجد الناس جلوساً لا يؤذن
لأحد منهم ثم دخل أبو بكر وعمر من بعده فوجد النبي جالساً حوله
فسأوه واجماً ساكناً فأراد أبو بكر أن يقول شيئاً يسري عنه فقال :
يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة !! سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت
عنقها فضحك النبي وقال : هن حولي ، كما ترى ، يسألني النفقة ،
فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ،
ويقولان : تسألن رسول الله ما ليس عنده ؟ فقلن : والله لا نسأل
رسول الله شيئاً ليس عنده ، ثم اعتزلهن الرسول شهراً
أو تسعة وعشرين يوماً نزلت بعدها الآية التي فيها التخيير وهي
« يا أيها النبي قل لأزواجك » الآية . فبدأ الرسول بعائشة فقال لها :
يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى
تستشيرني أبويك ، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ،
قالت : أفيك يا رسول الله استشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار
الآخرة ، ثم خيّر نساءه كلهن فأجبن كما أجابت عائشة وقنعن بما هن

فيه من معيشة كان كثير من زوجات المسلمين يظفرون بما هو أنعم منها فعلام يدل هذا ؟ لو شاء النبي لأغدق عليهن النعمة ولأغرقهن بتهاول الزينة وتعاجيب الحلي وأطايب اللذات ، وهل هذا الصدوف عن ذلك فعل مشسلم للذات الحسية المتهالك على حب النساء ؟ ولما بنى بأولى زوجاته - خديجة - لم تكن لذات الحسن هي التي سيطرت على هذا الزواج ولا الباعثة عليه لأنه نبي بها وهي في نحو الأربعين وهو في نحو الخامسة والعشرين ونيف على الخمسين وأوتي الفتح المبين وليس له من زوجة غيرها ولم تبدر عنه أية رغبة في الزواج بأخرى .

قالت له عائشة مرة : هل كانت خديجة إلا عجوزاً بذلك الله خيراً منها فقال لها مفضباً : لا والله ما أبدلني الله خيراً منها : آمنت بي إذ كفر الناس وصدقت إذ كذبني الناس وواستني بماله إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء .

ولو كانت لذات الحسن هي التي سيطرت على زواج النبي بعد وفاته خديجة لكان الأحجى بإرضاء هذه اللذات أن يجمع إليه تسعاً من الفتيات الأبنكار اللاتي اشتهرن بفتنة الجمال في مكة والمدينة وشبه الجزيرة العربية فيسرعن إليه راضيات فخورات وأولياء أمورهن أرضى منهن وأفخر بهذه المصاهرة التي لا تسو إليها مصاهرة ، بيد أن محمداً لم يتزوج بكرة قط غير عائشة ولم يكن زواجه بها مقصوداً في بداية الأمر حتى رغبته فيه خولة بنت حكيم التي عرضت عليه الزواج بعد وفاة خديجة .

قالت عائشة : لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون للنبي : أي رسول الله ألا تزوج ؟ قال : من ؟

قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً قال : فمن البكر ؟ قالت : بنت أحب الناس إليك عائشة بنت أبي بكر قال : فمن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك .

ثم كانت سودة هي أولى النساء اللاتي بنى بهن بعد وفاة خديجة وكان زوجها الأول - ابن عمها - قد توفي بعد رجوعه من الهجرة الى الحبشة وكانت هي من أسبق النساء الى الإسلام فأمنت وهجرت أهلها ونجا بها زوجها الى الحبشة فراراً من إغاثات المشركين له ولها فلما مات لم يبق لها إلا أن تعود الى أهلها فتصبأ وتؤذى أو تزوج بغير كفء فضمها النبي إليه حماية لها وتأليفاً لأعدائه من آلها وكان غير هذا الزواج أولى به لو نظر الى لذات حسن ومال الى متاع .

وكان للنبي زوجة أخرى اتسمت بالوضاءة والحدائة والغضاضة وهي زينب بنت جحش ابنة عمته التي زوجها زيداً بن حارثة بأمره وعلى غير رضى منها لأنها أثقت - وهي ما هي في الحسب والقراية الى رسول الله - من أن يتزوجها غلام عتيق ، هذه أيضاً لم يكن للذات الحسن سلطان في بناء النبي بها بعد تطلق زيد إياها وتعذر التوفيق بينهما وستأتي قصتها كاملة مدعومة بالتحليل التام لها .

أما سائر زوجاته فما من واحدة منهن إلا كان لزوجها بهن سبب من المصلحة العامة .

إجمال أسماء زوجاته :

قال ابن الكلبي : إن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة امرأة ودخل ثلاث عشرة فجمع بين إحدى عشر فتوفي عن تسع بها ولهن خديجة

بنت خويلد وكانت قبله تحت عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ومات عنها وتزوجها بعده أبو هالة بن زرارة بن النباش التميمي فولدت له هند ثم مات عنها وتزوجها بعده النبي فولدت له ثمانية : القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة . فأما الذكور فماتوا وهم صغار وأما الإناث فبلغن ونكحن وولدن ولم يتزوج على خديجة أحداً وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين ، ثم بعدها سودة بنت زمعة وقيل عائشة وكانت بنت ست سنين فدخل بها في المدينة وهي ابنة تسع ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة وماتت سنة ثمان وخمسين ، وأما سودة فكانت امرأة ثيباً وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس ومات عنها فخلف عليها رسول الله ودخل بها بمكة ، ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي وكان بديراً ومات بالمدينة في خلافة عثمان ، ثم تزوج بعدها أم سلمة ابنة أبي أمية المخزومية وكانت قبله تحت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي شهد بدرًا وأصابته جراحة يوم أحد فمات عنها فتزوجها رسول الله قبل الأحزاب ، ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة ويقال لها أم المساكين وتوفيت في حياته ولم يست غيرها وغير خديجة في حياته وكانت زينب قبله تحت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ، ثم تزوج جوربة ابنة الحارث بن أبي ضرار الخزاعية من بني المصطلق وكانت تحت مالك بن صفوان ، ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها فأرسل رسول الله إلى النجاشي فخطبها عليه وتزوجها وهي بالحبشة وساق النجاشي المهر لها عن رسول الله وماتت في خلافة أخيها معاوية ، ثم تزوج زينب بنت جحش (وستأتي قصتها) ثم تزوج عام

خير صفية بنت حيي بن أخطب ، ثم تزوج ميمونة ابنة الحارث الهلالية وكانت قبله تحت عمير بن عمرو الثقفي فمات عنها وخلف عليها أبو زهير بن عبد العزى ثم رسول الله وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد ، ثم تزوج امرأة من بني كليب يقال لها شاة بنت زفاعة وقيل سنان بنت الصلت وقيل ابنة الصلت بن حبيب توفيت قبل أن يدخل بها وقيل الشنباء دخل بها ومات ابنه إبراهيم فقالت لو كان نبياً ما مات ولده فطلقها ، ثم تزوج غزية بنت جابر الكلاية ، قال ابن الكلبي : غزية هي أم شريك فلما قدمت على النبي وأراد أن يخلو بها استعاذت منه فردها ، ثم تزوج العالية ابنة ظبيان فجمعها ثم فارقها ، ثم تزوج قتيلة ابنة قيس أخت الأشعث فتوفي عنها قبل أن يدخل بها فارتدت ، ثم تزوج فاطمة ابنة الضحاك وقيل تزوج خولة ابنة الهذيل بن هبيرة ، وليلى ابنة الحطيم عرضت نفسها عليه فتزوجها وفارقها .

قال ابن الكلبي : أما من خطب النبي من النساء ولم ينكحها فأم هانئ بنت أبي طالب خطبها ولم يتزوجها وضباعة ابنة عامر من بني قشير وصفية بنت بشامة الأعور العنبري وأم حبيبة ابنة عمه العباس فوجد العباس أخاً له من الرضاعة فتركها وجمرة ابنة الحارث ابن أبي حارثة خطبها فقال أبوها بها سوء ولم يكن بها وجع فرجع إليها فوجدتها قد برصت .

وأما سرارية فمارية ابنة شمعون القطبية ولدت له إبراهيم وريحانة ابنة زيد القرظية وقيل هي من بني النضير وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش واسمها نفيسة والرابعة أصابها في بعض السبي ولم يعرف اسمها .

وفي المواهب رواية أخرى تختلف فيه الاسماء بعض الاختلاف
ويطول بنا القول لو نقلناها فليرجع اليها من يشاء .

وكان إعزاز من ذلوا بعد عزة سنة النبي في معاملة جميع الناس
ولا سيما النساء اللاتي تنكسر قلوبهن في الذل بعد فقد الحماية
والأقربين ، ولهذا خير صفية الإسرائيلية سيدة بني قريظة بين أن
يلحقها بأهلها وأن يعتقها ويتزوج بها فاخترت الزواج منه .

هذا وتكشف لنا مراجعة الحياة الزوجية لمحمد عليه الصلاة
والسلام عن أسباب حفزته الى الزواج بهن واستجماع لهذا العدد
منهن ولا حرج على رجل قويم الفطرة أن يلتمس المتعة في زواجه ،
ولكن الواقع أن المتعة لم تكن قط مقدمة في الاعتبار عند نظر النبي
في اختيار واحدة من زوجاته قبل الدعوة أو بعدها أو بعد تجاوز
الكهولة وانما كان الاختيار كله على حسب حاجتهن إلى الإيواء
الشريف أو على حسب المصلحة الكبرى التي تقضي باتصال الرحم
بينه وبين سادات العرب وأساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه
لا استثناء في هذه الخصلة لزوجة واحدة بين جميع زوجاته حتى التي
بنى بها فتاة بكراً موسومة بالجمال وهي السيدة عائشة .

٢ - الجاهلية الأولى :

اختلف الناس في الجاهلية الأولى وأصح ما قيل أنها جاهليتان
أولى وأخيرة ؛ فالأولى هي القديمة ويقال لها الجاهلية الجهلاء وهي
تمتد الى أبعد الآماد والجاهلية الأخيرة تمتد من منتصف القرن الخامس
الميلادي ، وفي الجاهلية الأولى كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ
فتمشي في منتصف الطريق تعرض نفسها على الرجال فنهين عن ذلك .

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقُنُتِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ
وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ۚ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾ وَمَا كَانَ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ
مِنْ أَمْرِهِمْ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٢٦﴾ وَإِذَا
تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ
اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۚ فَلَمَّا
قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٧﴾

الاحزاب :

(واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) الواو عاطفة

واذكرن فعل أمر والنون فاعل وما مفعول به وجملة يتلى صلة ويتلى فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر يعود على ما وفي بيوتكن متعلقان يتلى ومن آيات الله حال والحكمة عطف على آيات الله . (إن الله كان لطيفاً خبيراً) ان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر يعود على الله ولطيفاً خبرها الأول وخبيراً خبرها الثاني . (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقاتين والقاتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً) كلام مستأنف مسوق لخطاب النساء بما يخاطب به الرجال من شئون الهداية والتعليم السامية فقد قالت أزواج النبي إن الله ذكر الرجال في كتابه ولم يذكر النساء بخير فنزلت . وان واسمها وما بعدها عطف على الاسم الى قوله والذاكرات وليس فيها ما يستدعي التنبيه سوى قوله فروجهم فهو مفعول به للحافظين وكذلك قوله والذاكرين الله فلفظ الجلالة مفعول به للذاكرين وجملة أعد خبر إن والله فاعل أعد ولهم متعلقان بأعد وأجرًا مفعول أعد وعظيماً صفة .

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الواو استئنافية والكلام مسوق للشروع في قصة عبد الله بن جحش وأخته زينب وزيد بن حارثة وسيأتي بحث مسهب عنها في باب الفوائد . وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولمؤمن خبر كان المقدم ولا مؤمنة عطف على لمؤمن وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وقضى الله ورسوله صلة والجواب محذوف يدل عليه النفي المتقدم ولك أن تجعل إذا للظرفية المحضة فتعلق بالاستقرار الذي

تعلق به خبر كان وأن يكون مصدر مؤول هو اسم كان ولهم خبر يكون المقدم والخيرة اسمها المؤخر وذكر يكون لأن المؤنث مجازي وقرىء بالتاء ومن أمرهم حال من الخيرة والخيرة مصدر تخير كالطيرة من تطير وجمع الضمير في أمرهم وفي لهم لوقوعهما في سياق النفي وقد تقدم أن النكرة إذا وقعت في سياق النفي دلت على العموم ليشمل كل مؤمن ومؤمنة كما غلب المذكر على المؤنث • (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ويعص فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة وفاعل يعص مستتر تقديره هو يعود على من ولفظ الجلالة مفعول به ورسوله عطف عليه والفاء رابطة للجواب لأنه اقترن بقد وصل فعل ماض وفاعله مستتر أيضاً وضلالاً مفعول مطلق ومبيناً صفة •

(وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله) عطف على ما سبق وإذا ظرف لما مضى متعلق باذكر مقدراً وجملة تقول في محل جر بإضافة الظرف إليها والذي متعلقان بتقول وجملة أنعم الله عليه صلة وأنعمت عليه عطف على الصلة وجملة أمسك مقول القول وعليك متعلقان بمحذوف حال كما قيل في اللام في سقياً لك وإما متعلقان بأمسك على حذف مضاف أي أمسك على نفسك وزوجك مفعول به واتق الله عطف على أمسك • (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) الواو واو الحال أو للعطف وفي نفسك متعلقان بتخفي وما مفعول به والله مبتدأ ومبديه خبر والجملة صلة ما • (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) الواو حالية أو عاطفة أيضاً وتخشى الناس فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والواو عاطفة أو حالية والله مبتدأ وأحق خبر وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع بدل اشتمال من

اسم الله وقد تقدم هذا الاعراب في سورة التوبة ونزيد هنا أنه يجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض متعلق بأحق واختار أبو البقاء وجهاً ثالثاً وهو أن يكون أن تخشوه مبتدأ وأحق خبره مقدم عليه والجملة خبر عن اسم الله .

(فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وقضى زيد فعل وفاعل ومنها متعلقان بقضى ووطراً مفعول به وزوجناكها فعل ماض وفاعل والكاف مفعول به أول والهاء مفعول به ثان والجملة لا محل لها . وقضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء . (لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) اللام حرف جر للتعليل وكى حرف مصدري ويكون فعل مضارع منصوب بكى والمصدر المؤول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بزوجناكها على أنه تعليل للتزويج وعلى المؤمنين خبر يكون المقدم وحرج اسمها المؤخر وفي أزواج أدعيائهم صفة لحرج . (وكان أمر الله مفعولاً) كان واسمها وخبرها والجملة معترضة أو معطوفة على ما تقدم .

الفوائد :

وعندناك يسط القول في قصة زواج زيد بن حارثة بزینب بنت جحش وبرا بالوعد ودحضا للأراجيف التي أثارها المتشككون والذين في قلوبهم مرض وهوى نقول : تقدم القول في ترجمة زيد بن حارثة وأن النبي صلى الله عليه وسلم زوجه زينب بنت جحش وكان قد خطبها عليه فكره عبدالله وزينب ذلك لظنهما قبل ذلك أن النبي خطبها لنفسه ثم

رضيا فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهما وخماراً وملحمة
وذرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر كما يروى ،
فمن الجدير بالملاحظة أن زينب كانت بنت عمّة النبي وريت تحت
ظله وشملها من عنايته ما يشغل البنت من والدها ولو كان للرجال
سلطان على قلبه صلى الله عليه وسلم كما يزعم المتشككون لكان أقوى
سلطانه عليه جمال البكر في روائه ونضرة جدته وقد كان يراها ولم
يكن بينه وبينها حجاب ولا يخفى عليه شيء من محاسنها الظاهرة بيد
أنه لم يرغبها لنفسه ورغبها لمولاه فكيف يستهويه جمالها ويصيبه
سهم حبها بعد أن صارت زوجاً لعد أعنقه وأنعم عليه بالحرية ؟

هذا ولم يعرف في الطبائع أن تغلب الشهوة على الانسان حتى
يعشق من هو قريب منه أو من عاشه في صغره ، فكيف يسوغ لنا
أن ندعي وجود هذه الشهوة في رجل عرف بالعفة والاستقامة طوال
عمره وصوت الله يهتف في أذنه : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به
أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » بل كيف يسمح لنفسه بالانزلاق
إلى هذه الوهدة السحيقة وهو يتهمياً لبث رسالة ونشر تعاليم دين
جديد يتغاير مع مألوف قومه ويهدم ما ألفوه من عادات وترسموه
من نظم وطقوس ؟

الواقع أنه ، صلى الله عليه وسلم ، لم يبال بإباء زينب الاقتران
بزيد ورغبتها عنه ، وقد كان يعلم حق العلم ، أن زواجاً يقوم على
التنافر أمر يفقد طبيعة الانسجام بين الزوجين التي لا بد منها ليسود
الوئام بينهما وتستقر الحياة الزوجية على أوطد الدعائم ، ولكنه أراد
تنفيذ أمر الله في محو عادة جاهلية رديئة درج عليها العرب آنذاك
وهي إعطاء الدعي جميع حقوق الابن واجراء جميع الاحكام المعتبرة للابن

عليه وله حتى في الميراث وحرمة النسب وقد تقدم قوله تعالى بهذا الصدد ناعياً على العرب ما كانوا يدينون به : « ما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » وليس أحد أجدر من النبي يختصه الله بهذا التكليف الذي يبطل تلك العادة ويحمل العرب على التقصي منها ، فعند بوحى منه تعالى الى خرق هذه العادة وإبطالها فأرغم زينب أن تتزوج يزيد وهو مولاه وصفيه تمهيداً لإقامة شرع جديد وتنفيذ حكم إلهي لا مزيد عن تنفيذه ، وبعد أن صارت زينب الى زيد لم يسلس قيادها ولم يلن إياؤها بل شمت عليه وتعالى ، وتعمدت إيلام قلب زوجها ، بالتعالي عليه في النسب والحرية فاشتكى زيد ذلك الى النبي المرة بعد المرة والنبي في خلقه السمع وسجاياه الطاهرة يهتد من آلام زيد ويقول له « أمسك عليك زوجك واتق الله » إلى أن أتى أمر الله وغلب على ذلك كله فسمح لزيد بطلاقها بعد أن استحال جو البيت جحيماً لا يطاق كما قال تعالى « لكيما يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً » وأكد ذلك كما يأتي ، بقوله : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » .

وعلى هذا النحو يمكن القول بصورة جازمة أن الله تعالى ذكر فيه بما وقع منه ليزيده تثبيتاً على الحق وليدفع عنه ما حاك في صدور ضعاف العقول فقال : « وإذا تقول للذي أنعم الله عليه » بالاسلام « وأنعمت عليه » بالعتق والحرية والاصطفاء بالولاية والمحبة وتزويجه بنت عمته وتعظه عندما كان يشكو اليك من إيذاء زوجه : « أمسك عليك زوجك واتق الله » واخشه في أمرها فإن الطلاق يشينها وقد

يؤذي قلبها وارع حق الله في نفسك أيضاً فربما لا تجد بعدها خيراً منها ، تقول ذلك وأنت تعلم أن الطلاق أمر لا بد منه لما ألهمك الله أن تستشعر أمره بنفسك لتكون أسوة حسنة لمن معك ولمن يأتي بعدك وإما غلبك في ذلك الحياء وخشية أن يقولوا : تزوج محمد مطلقة متبناه فأنت في هذا « تخفي في نفسك ما الله مبديه » من الحكم الذي ألهمك « وتخشى الناس والله » الذي أمرك بذلك كله « أحق أن تخشاه » فكان عليك أن تمضي في الأمر من أول وهلة تعجيلاً بتنفيذ كلمته وتقرير شرعه ثم زاده يياً بقوله : « فلما قضى زيد منها وطراً » أي حاجة بالزواج « زوجناكم لئلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً » لترتفع الوحشة من نفوس المؤمنين ولا يجدوا في أنفسهم حرجاً من أن يتزوجوا نساء كن من قبل زوجات لأدعيائهم « وكان أمر الله مفعولاً » .

هذا هو التعليل الصحيح ، والتفسير القويم ، لهذه القصة وأما ما رووه من أن النبي مرّ بيت زيد وهو غائب فرأى زينب فوق منها في قلبه شيء فقال : سبحان مقلب القلوب فسمعت زينب التسبيحة فنقلتها إلى زيد فوق في قلبه أن يطلقها إلى آخر هذا الهراء الذي يترفع النبي عنه فقد فنده المحققون من العلماء وقال الإمام أبو بكر بن العربي : انه لا يصح وإن الناقلين له المحتجين به على مزاعمهم في فهم الآية لم يقدرُوا مقام النبوة حق قدره ، ولم تصب عقولهم من معنى الصحة كنهها ، وأطال ابن العربي في ذلك إلى أن يقول : « فأما قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها فوقعت في قلبه فباطل فإنه كان معها في كل وقت وموضع ولم يكن حينئذ حجاب فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها

زوج وقد وهبته نفسها وكرهت غيره فلم يخطر ذلك بباله ، فكيف يتجدد هوى لم يكن ؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة وقد قال سبحانه « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » والنساء أفتن الزهراء وأشر الرياحين ؟ ولم يخالف هذا في المطلق فكيف في المنكوحات المحبوسات « إلى أن يقول : « فإن قيل لأي معنى قال له : أمسك عليك زوجك وقد أخبره الله أنها زوجته ؟ قلنا أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله به من رغبته فيها أو رغبة عنها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها ، فإن قيل كيف يأمره بإمسакها وقد علم أن الفراق لا بدء منه وهذا تناقض ؟ قلت : بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة كإقامة الحجة ومعرفة العاقبة ، ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عفلاً وحكماً وهذا من تقيس العلم فاقبلوه » .

قال الترمذي الحكيم في نواذر الأصول : « إنما عتب الله عليه من أجل أنه قد أعلمه بأنه ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد أمسك عليك زوجك وأخذتك خشية الناس أن يقولوا تزوج زوجة ابنه والله أحق أن تخشاه » . وقال النحاس : « قال بعض العلماء ليس هذا من النبي صلى الله عليه وسلم خطيئة ، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار وقد يكون الشيء ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتتن به الناس » وروي عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما شكها

زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية : اتق الله في قولك وأمست عليك زوجك وهذا هو الذي أخفى في نفسه وخشي رسول الله أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه لو أمره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله تعالى وأعلمه أن الله أحق بالخشية .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : « أما والله لولا ما أدخل الضعفاء والمذلسون من مثل هذه الرواية ما خطر ببال مطلع على الآية الكريمة شيء مما يرمون إليه فإن نص الآية ظاهر جلي لا يحتمل معناه التأويل ولا يذهب إلى النفس منه إلا أن العتاب كان على التمثل في الأمر والتريث به وإن الذي كان يخفيه في نفسه هو ذلك الأمر الإلهي الصادر إليه بأن يهدم تلك السعادة المتأصلة في قوس العرب وأن يتناول المعول لهدمها بنفسه كما قدر له أن يهدم أصنامهم بيده لأول مرة عند فتح مكة وكما هو شأنه في جميع ما نهى عنه من عاداتهم وهذا الذي كان يخفيه في نفسه كان الله مبدية بأمره الذي أوحاه إليه في كتابه وبتزويجه زوجة من كانوا يدعونه ابناً له ولم يكن يسعه من من ابتداء ما أبدى الله إلا حياء الكريم وثودة العظيم مع العلم بأنه سيفعل لا محالة لكن مع معاونة الزمان » .

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ

اللَّهُ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٢٦﴾
 مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
 وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٧﴾

الاعراب :

(ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) استئناف مسوق لنفي الحرج عنه صلى الله عليه وسلم في زواجه بزَيْنَب وهي امرأة زيد الذي تبناه وما نافية وكان فعل ماض ناقص وعلى النبي خبر كان المقدم ومن حرف جر زائد وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه اسم كان المؤخر وفيما صفة لخرج وجملة فرض الله صلة لما . (سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً) سنة الله اسم موضوع موضع المصدر لأن السنة بمعنى الطريقة والسيرة وتأتي أيضاً بمعنى الطبيعة والشرعة والوجه أو دائرته ، وهذا ما جنح إليه الرمخشري في إعرابه واختار غيره أن يكون نصباً على المصدر أو على فرع الخافض أي كسنة الله في الأنبياء الذين من قبل وسيأتي مزيد من القول في هذا الصدد في باب الفوائد ، وفي الذين متعلقان بمحذوف حال أي متبعة وجملة خلوا صلة الذين ومن قبل متعلقان بخلوا وكان أمر الله كان واسمها وقدراً خبرها ومقدوراً صفة لازمة للتأكيد كيوم أيوم وليل أليل وظل ظليل . (الذين يبلغون رسالات الله) الذين لك أن تجعلها صفة للأنبياء أي في الأنبياء الذين خلوا من قبل والذين يبلغون رسالات الله ولك أن تقطعها فتعربها خبراً لمبتدأ محذوف أي هم الذين وجملة يبلغون صلة ورسالات الله مفعول يبلغون .

(ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً)
ويخشونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به ولا نافية ويخشون فعل
مضارع وفاعل وإلا أداة حصر ولفظ الجلالة مفعول يخشون وكفى
فعل ماض والباء حرف جر زائد والله فاعل كفى محلاً وحسيباً تمييز
أو حال . (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) ما نافية وكان محمد
كان واسمها وأباً أحد خبرها ومن رجالكم صفة لأحد . (ولكن
رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الواو عاطفة ولكن
حرف استدراك مهمل لأنه خفف ، ورسول الله عطف على أباً أحد أو
نصب على تقدير كان لدلالة كان السابقة عليها أي ولكن كان رسول
الله ، وخاتم النبيين عطف على رسول الله ، والخاتم هو الطابع بفتح
التاء وكسرهما وكان واسمها وخبرها وبكل شيء متعلقان بعليماً .

البلاغة :

في قوله « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » الآية فن
التلخيص ، وفي محيط المحيط : التلخيص عند البلغاء هو التناسب وهو
عبارة عن إخراج الكلام مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم
ذكره وإنما قصد ذكر حكم داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح
بتعليمه ، وأوضح من هذا أن يقال أنه جواب عام عن نوع من أنواع
جنس تدعو الحاجة إلى بيانها كلها فيعدل المجيب عن الجواب الخاص
عما سئل عنه من تبين ذلك النوع إلى جواب عام يتضمن الإبانة على
الحكم المستول عنه وعن غيره مما تدعو الحاجة إلى بيانه فإن قوله :
« ما كان محمد ... الخ » جواب عن سؤال مقدر وهو قول قائل :
أليس محمداً أباً زيد بن حارثة ؟ فأتى الجواب يقول : ما كان محمد

أبا أحد من رجالكم ، وكان مقتضى الجواب أن يقول : ما كان محمد أبا زيد وكان يكفي أن يقول ذلك ولكنه عدل عنه ترشيحاً للإخبار بأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا يتم هذا الترشيح إلا بنفي أبوته لأحد من الرجال فإنه لا يكون خاتم النبيين إلا بشرط أن لا يكون له ولد قد بلغ فلا يرد أن له الطاهر والطيب والقاسم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ثم احتاط لذلك بقوله من رجالكم فأضافه الرجال إليهم لا إليه فالتف المعنى الخاص في المعنى العام وأفاد هي الأبوة الكلية لأحد من رجالهم وأطوى في ذلك هي الأبوة لزيد ثم إن هناك تليفاً آخر وهو قوله ولكن رسول الله فعدل عن لفظ نبي إلى لفظة رسول لزيادة المدح لأن كل رسول نبي ولا عكس على أحد القولين فهذا تلييف بعد تلييف .

الفوائد :

المفعول المطلق والمصدر :

المفعول المطلق هو الحاصل بالمصدر أي الأثر لا المصدر الذي هو التأثير فإطلاق المصدر على المفعول بضرب من المسامحة وعدم التمييز بين التأثير والأثر وإيضاح ذلك أن صيغ المصادر موضوعة للأثر الحاصل بتأثير الفاعل المسمى بلفظ المصدر كما أنها موضوعة لإيقاع ذلك الأثر وإلا يلزم التجوز في كل مفعول مطلق ولا سبيل إليه لوجود أمانة الحقيقة من تبادر معناه من غير حاجة إلى القرينة وفي عدم التمييز بين التأثير والأثر وإن صرح به ابن سينا ظهراً لأنها من مقولتين مختلفتين فالأول من مقولة الفعل والثاني من مقولة الأفعال وقال بعض المحققين : الاتحاد أمر موجود لكن لا ينافي الاختلاف بحسب

المفهوم فإن الضوء الحاصل من الشمس في البيت أمر موجود لكن
إذا نسب إلى الشمس يسمى اضائة وإذا نسب إلى البيت يسمى
استضاءة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ
أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) كلام مستأنف مسوق
ليبان أن الذكر ليس له حدود ينتهي إليها ويقف عندها إذ ما من عبادة
إلا ولها حدود معلومة ورسوم مرسومة ، ما عدا الذكر فانه يتجاوز
حدود الزمان والمكان . واذكروا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وذكراً
مفعول مطلق وكثيراً صفة . (وسبحوه بكرة وأصيلًا) فعل أمر

وفاعل ومفعول به وبكرة ظرف لأول النهار متعلق بسبحوه ، وأصيلاً
عطف على بكرة وهو ظرف لآخر النهار وسيأتي سر تخصيصهما
وتخصيص التسييح بالذكر في باب البلاغة . (هو الذي يصلي عليكم
وملائكته) تعليل لما تقدم من الأمر بالذكر والتسييح وهو مبتدأ
والذي خبره وجملة يصلي صلة الموصول وعليكم متعلقان يصلي
وملائكته عطف على الضمير المستكن في يصلي . (ليخرجكم من
الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً) اللام للتعليل ويخرجكم
فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر
والكاف مفعول به والجار والمجرور متعلقان بيخرجكم وكان الواو
اعتراضية وكان واسمها المستتر وبالمؤمنين متعلقان برحيماً ورحيماً
خبرها والاعتراض بمثابة التقرير لمضمون ما تقدم .

(تخيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً) استئناف
مسوق لبيان ما أعد لهم في الآجلة ، وتختهم مبتدأ والهاء مضاف
لتحية من إضافة المصدر الى مفعوله أي يحيون يوم لقائه بسلام
والظرف متعلق بمحذوف حال وجملة يلقونه في محل جر بإضافة
الظرف اليها وسلام خبر تحيته والواو استئنافية وأعد فعل ماض وفاعل
مستتر يعود على الله ولهم متعلقان بأعد وأجرأ مفعول به وكريماً صفة .
(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) ان واسمها وجملة
أرسلناك خبرها وشاهداً حال مقدرة وسيأتي ذكر الحال المقدرة وسرها
في باب الفوائد ومبشراً ونذيراً عطف على شاهداً . (وداعياً الى الله
بإذنه وسراجاً منيراً) وداعياً عطف أيضاً على شاهداً والى الله متعلقان
بداعياً وبإذنه حال وسيأتي سر هذه الاستعارة في باب البلاغة .
وسراجاً منيراً عطف أيضاً والكلام تشبيهه بليغ سيأتي حكمه في باب البلاغة
(وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) عطف على ما تقدم وبشر

فعل أمر والمؤمنين مفعول به وبأن متعلقان ببشر ولهم خبر أن ومن الله حال وفضلاً اسم إن المؤخر وكبيراً صفة لفضلاً .

(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) عطف على ما تقدم ولا ناهية وتطع فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والكافرين مفعول به والمنافقين عطف على الكافرين ودع أذاهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به من باب إضافة المصدر الى فاعله أو مفعوله فيكون المعنى على الأول دع أذيتهم إياك من غير مجازاة وعلى الثاني دع ما آذوك ولا تؤاخذهم حتى تؤمر بذلك وقد جاء الأمر بعد ذلك بالقتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) عطف على ما تقدم وعلى الله متعلقاً بتوكل وكفى فعل ماض والباء زائدة والله فاعل كفى محلاً ووكيلاً تمييز أو حال وقد تقدم نظيره .

البلاغة :

التخصيص :

خص البكرة والأصيل في قوله « وسبحوه بكرة وأصيلاً » بالذكر لإظهار فضلها والتنويه بهما لأن العبادة فيهما أكد على الإنسان كما خص التسبيح وهو من أنواع الذكر ليبين فضله على سائر الأذكار ، روى الترمذي في خطابه صلى الله عليه وسلم لجويرية أم المؤمنين : « ألا أعلمك كلمات تقولينها : سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » قال الجلال السيوطي في التعليق على هذا الحديث : « سئلت قديماً عن إعراب هذه الألفاظ ووجه النصب فيها فأجبت بأنها منصوبة على الظرف بتقدير قدر »

وقد نص سيبويه على أن من المصادر التي تنصب على الظرف قولهم زنة الجبال ووزن الجبل وقد صنف الجلال السيوطي كتاباً لطيفاً سماه « رفع السنة عن نصب الزنة » وقيل بل يعربان نصباً على المصدرية وعليها فقدره بعضهم أعد تسييحه بعدد خلقه وقدره آخرون : سبخته تسييحاً يساوي خلقه عند التعداد ، قال ابن حجر في المشكاة : « والأول أوضح » وأعربه آخرون نصباً بنزع الخافض . هذا وللنووي كتاب لطيف في الأذكار اسمه : « الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار » فارجع إليه .

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ يَمْسُوهُنَّ فَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْهُمْ وَسِرْحُونَهُنَّ
 مَرَّاحًا جَمِيلًا ﴿٥١﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ
 أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِكَ وَبَنَاتِ
 عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
 مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً
 لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَجْزِيَكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٢﴾
 * تَرْجَى مِنْ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمِنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ

عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأُ عَيْنَهُنَّ ۖ وَلَا يُخِزْنَ
وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ
أُتِيتَ بِأَمْثَلِ الثَّمَنِ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهَا نِسَاءٌ فَإِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْكَ ۚ وَأَنْتَ
تَعْلَمُ مَا كَانَ اللَّهُ عَلَيَّ كَلِمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴿٥٢﴾

الأعراب :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات) إذا ظرف مستقبل
وجملة نكحتم المؤمنات في محل جر بإضافة الظرف إليها وسيأتي معنى
نكحتم المؤمنات في باب البلاغة . (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) ثم حرف عطف وتراخ وطلقتموهن
فعل وفاعل ومفعول به والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع الضمة
ومن قبل متعلقان بطلقتموهن وأن تمسوهن المصدر المؤول مضاف
لقبل ولمراد بالمس الجماع والفاء رابطة لجواب إذا وما نافية ولكم
خبر مقدم وعليهن متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لعدة ومن
حرف جر زائد وعدة مجرور لفظاً مبتدأ محلاً وجملة تعتدونها صفة
لعدة وتعتدونها من العدد أي تستوفون عددها من قولك عد الدراهم
فاعتدها . (فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً) الفاء الفصيحة
ومتعوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به وسرحوهن عطف على متعوهن
وسراحاً جميلاً مفعول مطلق ، وأحكام التمتع مبسوبة في كتب الفقه
فليرجع إليها من شاء هناك . والسراح الجميل الذي لا ضرر فيه .

(يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن)
 كلام مستأنف مسوق لاختصاص النبي بالأطيب الأزكى بعد أن خيّر
 نساءه فاختره • وان واسمها وجملة أحللنا خبرها ولك متعلقان
 بأحللنا وأزواجك مفعول به واللاتي صفة وجملة آتيت صلة وأجورهن
 أي مهورهن مفعول به •

(وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وما عطف على أزواجك
 وجملة ملكت صلة ويمينك فاعل ملكت ومما حال مبينة لما ملكت
 وأفاء الله فعل وفاعل والفاء الغنيمة وعليك متعلقان بأفاء وسيأتي
 ما يزيد ذلك وضوحاً في باب الفوائد • (وبنات عمك وبنات عماتك
 وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) عطف على ما تقدم
 واللاتي صفة وجملة هاجرن صلة ومعك ظرف متعلق بهاجرن وخص
 هؤلاء بالذكر ترفيهاً لهن كما قال تعالى : « فيهما فاكهة ونخل ورمان »
 (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها)
 وامرأة معطوف على مفعول أحللنا أي وأحللنا لك امرأة وهبت نفسها
 لك بغير صداق اما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه ،
 وإن شرطية وهبت فعل الشرط ونفسها مفعول به وللنبي متعلقان
 بوهبت وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي أحللنا وإن شرطية
 مقيدة للأولى وأراد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والنبي فاعل
 وأن يستنكحها مصدر مؤول مفعول أراد • والاستنكاح مثل النكاح
 يقال نكحها واستنكحها قال النابغة :

وهم قتلوا الطائي بالحجر عنوة

أبا جابر واستنكحوا أم جابر

وهو في اللغة بمعنى الضم والجمع ومنه تناكحت الأشجار إذا تمايلت وانضم بعضها الى بعض . قال عمر بن أبي ربيعة :

واستنكح النوم الذين نخافهم

ورمى الكرى بوآبهم فتجدلا

والجملة الشرطية الثانية في محل نصب حال لأن الحال قيد فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها نكاحها كأنه قال : أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول وما به تتم . (خالصة لك من دون المؤمنين) مصدر مؤكد لفعل محذوف أي خلصت لك خالصة وقد ورد المصدر على هذه الزنة كالعاقبة والكاذبة ، وفاعل المصدر مستتر تقديره النكاح بلفظ الهبة وأل عوض عن الضمير المحذوف أي خالصة لك نكاحها وعلى هذا الوجه اقتصر الزمخشري ، واختار الزجاج وأبو البقاء أن تكون حالا من امرأة لأنها وضعت فتخصصت جرياً على القاعدة المشهورة وقيل حال من فاعل وهبت أي حال كونها خالصة لك دون غيرك ولا يبعد أن تكون نعت مصدر مقدر أي هبة خالصة ، ولك متعلقان بخالصة ومن دون المؤمنين حال . (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) الجملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وقد حرف تحقيق وعلمنا فعل وفاعل وما مفعول علمنا وجسلة فرضنا صلة وعليهم متعلقان بفرضنا وفي أزواجهم حال وما عطف على أزواجهم وجملة ملكت أيمانهم صلة ، ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يكون فرضه كما علم اختصاص رسوله بما تتوفر فيه المصلحة فاخصه بذلك .

(لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً) لكيلا متعلقان بأحلقنا أو بخالصة باعتبار ما فيه من معنى ثبوت الإحلال وحصوله له وعليك خبر يكون المقدم وحرج اسمها المؤخر وكان واسمها وخبرها • (ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء) كلام مستأنف للشروع في بيان حكم معاشرته لنسائه بعد بيان حلهن له • وترجي أي تؤخر فعل مضارع مرفوع وقرىء بالهمزة أي ترجىء والفاعل مستتر تقديره أنت ومن تشاء مفعول به ومنهن حال وتؤوي أي تضم عطف على ترجىء وإليك متعلقان بتؤوي ومن تشاء مفعوله أي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيراً في أزواجه • (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) الواو استئنافية ومن يجوز أن تكون موصولة فهي في محل رفع مبتدأ وجملة ابتغيت صلة والعائد محذوف والفاء رابطة لما تقدم من أن في الموصول رائية الشرط وجملة لا جناح عليك خبر من ويجوز أن تكون شرطية فهي في محل نصب مفعول مقدم لا ابتغيت وقوله فلا جناح عليك جوابها ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليك خبرها •

(ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) ذلك مبتدأ والاشارة الى التخيير والتفويض الى مشيئته صلى الله عليه وسلم وأدنى خبر وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي الى أن تقر وهو متعلق بأدنى وأعينهن فاعل تقر ولا يحزن عطف على تقر أي وأقرب الى قلة حزنهن وأقرب الى رضائهن جميعاً لتسويته بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء فلم يكن بينهن ثمة تفاضل وتمايز • (ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليماً حليماً) ويرضين عطف على ما تقدم وبما متعلقان يرضين وجملة آتيتهن صلة وكلهن تأكيد

للنون في يرضين والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وما مفعول يعلم وفي قلوبكم متعلقان بمحذوف صلة ما أي استقر في قلوبكم وكان واسمها وخبرها • (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) كلام مستأنف مسوق لتبيان ما يحل له ولا نافية ويحل فعل مضارع مرفوع وبك متعلقان بيحل والنساء فاعل ، ومن بعد حال وبني بعد على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى والمعنى من بعد التسع المجتمعات في عصمتك وهن نصابه كما أن الأربع نصاب أمته ، والواو عاطفة ولا نافية وأن تبدل مصدر مؤول معطوف على النساء ونائب فاعل تبدل مستتر تقديره أنت وبهن متعلقان بتبدل ومن حرف جر زائد وأزواج مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ، قال ابن زيد : هذا شيء كانت العرب تفعله يقول أحدهم : خذ زوجتي وأعطني زوجتك •

(ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً) الواو للحال والجملة حالية من الضمير في تبدل أي مفروضاً إعجابك بهن ، ولو شرطية وأعجبك حسنهن فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، قال ابن عطية : « وفي هذا اللفظ أعجبك حسنهن دليل على جواز أن ينظر الرجل الى من يريد زواجها » وإلا ما ملكت يمينك : في هذا الاستثناء وجهان أحدهما انه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان النصب على الاستثناء والرفع على البدلية وهو الأرجح والثاني انه مستثنى من أزواج فيجوز فيه النصب على الاستثناء والجر على البدلية منهن على اللفظ أو النصب على المحل وجملة ملكت يمينك صلة ما وكان واسمها وخبرها وعلى كل شيء متعلقان برقيباً •

البلاغة :

في قوله « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ... الخ » تسمية العقد نكاحاً مجاز مرسل علاقته الملابس من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إثمًا لأنها سبب في مقارفة الاسم .

وفي قوله تمسوهن كناية عن الوطء ومن آداب القرآن الكناية عن الوطء بلفظ الملامسة والمماساة والقربان والتغشي والإتيان .

وفي قوله « إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقد تقدم بحث الالتفات مفصلاً في أكثر من موضع ، والسر في الالتفات هنا أنه رجوع الى أصل الكلام فقد صدر الكلام بمخاطبة النبي بقوله : يا أيها النبي إنا أحلنا لك الخ ثم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله إن أراد النبي أن يستنكحها للإيذان بأنه مما خص به وأوثر وأن هذا الاختصاص تكرمة له من أجل النبوة . وهذا من أسرار البيان فتنبه له .

الفوائد :

في قوله « لا يحل لك النساء من بعد » قلنا في باب الاعراب أن الظرف بني على الضم لاتقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى ، وأراد من بعد التسع اللواتي اخترتك واللواتي توفي عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي بن أخطب

الخبيرية وميمونة بنت الحارث الهاللية وزينب بنت جحش الأسدية
وجورية بنت الحارث الصطلقية ، رضي الله عنهن والمعنى أن التسع
في حقه كالأربع في حقنا •

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ
إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا
فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٢﴾

اللفظة:

(إِنَاه) بكسر الهمزة وفتحها حلول الوقت والنضج وهو مصدر
أنى يأنى أي مصدر سماعي لأنه من باب رمى وقياس مصدره أنى
كرمي ولكنّه لم يسمع ولكن المسموع إنى بالكسر والقصر
بوزن رضا •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان ما يجب على الناس من رعاية حقوق نساء النبي . ولا ناهية وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا وبيوت النبي مفعول به على السعة . (إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه) إلا أداة حصر وأن يؤذن المصدر استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا حال كونكم مأذوناً لكم ، واختار الزمخشري أن يكون استثناء مفرغاً من أعم الظروف أي لا يدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم وليس اختياره بعيد . ويؤذن فعل مضارع مبني للمجهول ولكم متعلقان بيؤذن وكذلك قوله إلى طعام لتضمن يؤذن معنى الدعاء واختار السنين أيضاً أن يكون المصدر في موضع نصب بنزع الخافض أي إلا بسبب الإذن لكم وتكون الباء للسببية ، وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الظرف والحال معاً كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين ، وإناه أي نضجه فهو مفعول به لناظرين وهم قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه .

(ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين) (لحديث) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مخفف مهمل وإذا ظرف مستقبل وجملة دعيتم في محل جر بإضافة الظرف إليها ، فادخلوا الفاء رابطة وادخلوا فعل أمر وفاعل ، فإذا الفاء عاطفة وجملة طعمتم مضاف إليها الظرف ، فانتشروا جواب إذا ، ولا مستأنسين الواو عاطفة

ولا نافية ومستأنسين معطوف على غير ناظرين وقيل هو معضوف على حال مقدرة أي لا تدخلوها هاجسين ولا مستأنسين واختار الزمخشري وغيره انه مجرور عطفاً على ناظرين ، ولحديث متعلقان بمستأنسين فاللام لليلة أي مستأنسين لأجل أن يحدث بعضكم بعضاً ويجوز أن تكون لتقوية العامل أي ولا مستأنسين حديث أهل البيت وغيرهم .

(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) الجملة تعليل للنهي وإن حرف مشبه بالفعل وذلكم اسمها وجملة كان يؤذي النبي خبرها والاشارة الى المكث واللبث وجملة يؤذي النبي خبر كان ، فيستحيي عطف على يؤذي ومنكم متعلقان به ولا بد من تقدير مضاف أي من إخراجكم والواو حالية أو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يستحيي من الحق خبره والمراد بالحق الإخراج وسيأتي معنى هذا المثل في باب البلاغة . (وإذا سألتهم عن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة سألتهم في محل جر بإضافة الظرف اليها فاسألوهن الفاء رابطة واسألوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به ومتاعاً مفعول به ثان لسأل ومن وراء حجاب متعلقان باسألوهن . (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) اسم الاشارة مبتدأ أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء حجاب ، وأطهر خبر وقلوبكم متعلقان بأطهر وقلوبهن عطف على قلوبكم .

(وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) الواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولكم خبرها المقدم وان وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع اسمها المؤخر ورسول الله مفعول به ولا أن تنكحوا عطف على أن تؤذوا

وأزواجه مفعول به ومن بعده حال وأبدأ ظرف • (إن ذلكم كان عند الله عظيماً) إن واسمها والاشارة الى ما ذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده وجملة كان خبر إن واسم كان مستتر وعظيماً خبر وعند الله متعلق بسحذوف حال •

البلاغة :

المجاز في قوله « والله لا يستحيي من الحق » وعلاقة هذا المجاز السببية لأن من استحيى من شيء تركه عادة والكلام جار مجرى المثل ليكون تأديباً يتعظ به الثقلاء ، وما أجمل قول عائشة : « حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم » •

إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ يُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِيءِ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ أَلَّا يُخْبِرُوا بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الْغُلَامِ فَإِنَّ لَهُمْ فِيهِمْ غَلَابَةً كَذَبُوا بِكَلِمَتِهِمْ أَنْ يُخْبِرُوا بِهِ وَأُولَئِكَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليم)
إن شرطية وتبدوا فعل الشرط والواو فاعل وشيئاً مفعول به ، أو

تخفوه عطف على تبدوا وهو فعل وفاعل ومفعول به ، فإن الله الفاء
 رابطة لجواب الشرط وان واسمها وجملة كان خبرها وبكل شيء
 متعلقان بعليماً وعليماً خبر كان . (لا جناح عليهن في آباءهن) لا فافية
 للجنس وجناح اسم لا وعليهن خبرها وفي آباءهن حال أي لا إثم
 عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء (ولا أبناءهن ولا إخوانهن ولا أبناء
 إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن)
 عطف على ما تقدم ومعنى قوله ولا نسائهن أي ولا جناح على زوجات
 النبي في عدم الاحتجاب عن نسائهن أي النساء المسلمات .
 (واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً) الواو عاطفة واتقين فعل
 أمر معطوف على محذوف أي امتثلن ما أمرتن به ، واتقين الله على
 طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وسيأتي سر هذا الالتفات في باب
 البلاغة ، ونون النسوة ولفظ الجلالة مفعول به وإن واسمها وجملة
 كان واسمها المستتر وخبرها في محل رفع خبر ان .

(إن الله وملائكته يصلون على النبي) كلام مستأنف مسوق
 لتشريفه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً . وان واسمها وملائكته عطف
 على الله وجملة يصلون على النبي خبر إن . (يا أيها الذين آمنوا صلوا
 عليه وسلموا تسليماً) تسليماً مصدر مؤكد

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ
 عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا
 فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ
يَعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

اللفظة :

(جلابيبهن) : الجلابيب : الملاحف والواحد جلبات ،
قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً :

تشبي النسر إليه وهي لاهية
مشي العذارى عليهن الجلابيب

وقال أبو الطيب :

من الجآذر في زي الأعاريب
حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وفي القاموس وغيره : « الجلباب والجلباب بتشديد الباء الأولى
وهو القميص أو الثوب الواسع » وفي الكشاف : « الجلباب ثوب
واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه
ما ترسله على صدرها » .

الاعراب :

(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة)
إن واسمها وجملة يؤذون الله ورسوله صلة ومعنى إيذاء الله ورسوله

فعل ما يسخطهما وجملة لعنهم الله خبر إن وفي الدنيا والآخرة متعلقان بلعنهم • (وأعد لهم عذاباً مهيناً) عطف على جملة الخبر وعذاباً منفعول أعد ولهم متعلقان بأعد • (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الذين مبتدأ وجملة يؤذون المؤمنين والمؤمنات صلة وبغير متعلقان بيؤذون وما موصولة أو مصدرية وعلى كل فهي أو المصدر مضافان الى غير • (فقد احتملوا بهتافاً وإثماً مبيناً) الناء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وقد حرف تحقيق واحتملوا فعل وفاعل والجملة خبر الذين وبهتافاً مفعول احتملوا وإثماً عطف على بهتافاً ومبيناً صفة • (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) كلام مستأنف مسوق لأمر المستهدفات للأذى بفعل ما يبعد الأذى عنهن من التستر • ولأزواجك متعلقان بقل وما بعده عطف عليه •

(يدنين عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) جملة يدنين مقول القول محذوف يدل عليه جوابه أي قل لهن أرنيه ويحتمل أن يكون مجزوماً بجواب الأمر وجوزوا أن يكون يدنين بمعنى ليدنين فهو مجزوم بلام الأمر ويكون هذا هو المقول وقد تقدم في الرد بحث نظيره مفصلاً فارجع إليه • وعليهن حال ومن جلابيهن متعلقان بيدنين على أنه مفعوله ، قال الزمخشري : « فإن قلت : ما معنى من في جلابيهن قلت هو للتبويض إلا أن معنى التبويض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلبن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة مبتذلة في درع وخمار كالأمة والمأهنة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة » وقوله المأهنة مؤنث الماهن وهو الخادم • وذلك

مبتدأ وأدنى خبر وأن يعرفن المصدر المؤول نصب بنزع الخافض أي أقرب إلى أن يعرفن والفاء عاطفة ولا نافية ويعرفن فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهو معطوف على أن يعرفن .
(وكان الله غفورا رحيما) الواو عاطفة وكان واسمها وخبرها .

* لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُمْ بِهَا قَلِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾

اللفظة :

(المرجفون) : قال في الأساس : « وأرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم . وهذا من أراجيف الغواة والإرجاف مقدمة الكون ، وتقول : إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف » وجاء في غيره ما نصه : « أرجف : خاص في الأخبار السيئة والفتن قصد أن يهيج الناس ، وأرجف القوم بالشيء وفيه : خاضوا فيه ، وأرجفت الريح الشجر : حركته ، وأرجفت الأرض بالبناء للمجهول : زلزلت ، وأصل الإرجاف

التحريك مأخوذ من الرجفة وهي الزلزلة ووصفت به الأخبار الكاذبة
لكونها متزلزلة غير ثابتة » •

وسمي البحر رجّافاً لاضطرابه ، ومنه قول الشاعر :

المطعون اللحم كلّ عشيّة حتى تغيب الشمس في الرّجاف

(ملعونين) : قال في الأساس واللسان : « لعنه أهله : طرده وأبعده وهو لعين طريد وقد لعن الله إبليس : طرده من الجنة وأبعده من جوار الملائكة ، ولعنت الكلب والذئب : طردتهما ويقال للذئب : اللعين ولعنه وهو ملعّن : مكثّر لعنه ، وتلاعن القوم وتلعّنوا والتعنوا والتعن فلان : لعن نفسه ورجل لئعنة ولئعنة كضحكة وضحكة ، ولا تكن لئعافاً : طعافاً ، ولاعن امرأته ولاعن القاضي بينهما ، ووقع بينهما اللعان وتلاعنا والتعنا ، ومن المجاز : آيت اللعن وهي تحية الملوك في الجاهلية أي لا فعلت ما يستوجب به اللعن وفلان ملعّن القدر ، قال زهير :

ومرهق النيران يحمّد في اللأ واء غير ملعّن القدر

ونصب اللعين في مزرعته وهو الفزّاعة ، والشجرة الملعونة :
كل من ذاقها لعنها وكرهها » •

(ثققوا) : وجدوا وأدركوا وفي الأساس : « وطلبناه فثقفناه في مكان كذا أي أدركناه وثققت العلم أو الصناعة في أوحى مدة : إذا أسرعت أخذه وغلام ثقّف لقيّف وثقّف لقف وقد ثقّف ثقافة وثاقفه مثاقمة : لآعبه بالسلاح وهي محاولة أخذ الغيرة في المسابقة

وغيرها وفلان من أهل المثاقمة وهو ماقف : حسن الثَّقافة بالسيف
بالكسر ولقد ثاقموا فكان فلان أثقفهم ، وخلّ ثَقِيف وثَقِيف وفي
كتاب العين : ثَقِيف وقد ثَقَّف ثَقَافَة ومن المجاز : أدبّه وثَقَّمه
ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئاً وهل تهذبت وتثقت إلا على
يدك » وعبارة القاموس : « ثَقِف ككرم وفرح ثَقَفَا وثَقَفَا وثَقَافَة
صار حاذقاً خفيفاً فطناً فهو ثَقَّف كحَبَّر وكَتَف وأمير » •

الاعراب :

(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) اللام موطئة
للقسم وإن شرطية ولم حرف تقي وقلب وجزم وينته فعل مضارع
مجزوم بلم وهو بمثابة فعل الشرط والمنافقون فاعله والذين عطف على
المنافقون وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية
صلة الموصول • (والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم) والمرجفون
عطف أيضاً فاستوفى به الأوصاف الثلاثة لشيء واحد فقد كانوا
أقساماً ثلاثة فمنهم المنافقون وأهل الفجور مرضى القلوب والمرجفون
بأخبار السوء عن سرايا رسول الله أو هو عام في كل إرجاف وتأليف
لأخبار السوء • وفي المدينة متعلقان بالمرجفون واللام واقعة في جواب
القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم ونغرينك فعل
مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر
تقديره نحن والكاف مفعول به وبهم متعلقان بنغرينك •

(ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً) ثم حرف عطف للترتيب مع
التراخي وإنما أوتر حرف العطف الدال على التراخي لأن الجلاء عن

الأوطان كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه ، وفيه إشارة الى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعي يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد . ولا نافية ويجاورونك فعل مضارع معطوف على نغرينك فهو مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعله والكاف مفعوله وفيها متعلقان بمحذوف حال وإلا أداة حصر وقليلاً ظرف زمان متعلق بيجاورونك أو مصدر - أي إلا جواراً - أي زمناً قليلاً ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم . (ملعوفين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً) ملعوفين حال من مقدر حذف هو وعامله أي ثم يخرجون أو من فاعل يجاورونك وقد دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً كما في قوله « إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه » وقال الزمخشري : « ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلاً هو منصوب على الحال أيضاً ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعوفين » وأجاز الكسائي والفراء أن ينتصب عن أخذوا لأنهما يجيزان تقديم مفعول الجواب على أداة الشرط نحو : خيراً إن تأتيني تصب . وأينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بأخذوا أي بجوابه وثقفوا فعل ماض مبني للمجهول وهو في محل جزم فعل الشرط وأخذوا فعل ماض مبني للمجهول أيضاً وهو جواب الشرط وقتلوا فعل ماض مبني للمجهول وتقتيلاً مفعول مطلق .

(سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)
سنة الله في موضع نصب على المصدرية أي أنه مصدر مؤكد أي سن

الله في الذين ينافقون أن يقتلوا حيثما ثقفوا ، وفي الذين حال وجملتها
 خلوا صلة ومن قبل متعلقان بخلوا ولن الواو عاطفة ولك أن تجعلها
 حالية ولن حرف تهي ونصب واستقبال وتجد فعل مضارع منصوب
 بلن ولسنة الله متعلقان بتبديلاً وتبديلاً مفعول به . (يسألك الناس
 عن الساعة) كلام مستأنف مسوق لحكاية حال المستهزئين من المشركين
 واليهود الذين كانوا يسألون النبي عن الساعة استعجالاً بطريق
 الاستهزاء . ويسألك فعل مضارع ومفعول به مقدم والناس فاعل
 وعن الساعة متعلقان يسألك . (قل إنما علمها عند الله) إنما كافة
 ومكسوفة وعلمها مبتدأ وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر .
 (وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) الواو عاطفة وما اسم استفهام
 للانكار مبتدأ وجملة يدريك خبره ولعل واسمها وجملة تكون خبرها
 والجملة معلقة بالاستفهام فهي في محل نصب مفعول ثان وقريباً خبر
 تكون على أن الموصوف محذوف أي شيئاً قريباً ، وقل قريباً كثر
 استعماله استعمال الظروف فهو هنا ظرف في موضع الخبر ، وقد أشار
 الزمخشري الى الوجهين بقوله « قريباً شيئاً قريباً أو لأن الساعة في
 معنى اليوم أو في زمان قريب » .

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
 أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
 يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا

سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٧٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرَا ﴿٧٨﴾

اللفظة :

(سادتنا) : جمع تكسير على وزن فَعَلَة بفتحتين وهو شائع في وصف لمذكر عاقل صحيح اللام نحو كامل وكملة وساحر وسحرة وسافر وسفرة وبار وبررة ، قال الله تعالى : « وجاء السحرة » « بأيدي سفرة ، كرام بررة » فخرج بالوصف الاسم نحو واد وباز ، وبالتذكير نحو حائض وطالق ، وبالعقل نحو سابق ولاحق صفتي فرسين وبصحة اللام نحو قاض وغاز فلا يجمع شيء من ذلك على فعلة بفتحتين باطراد وشذ في غير فاعل نحو سيد وسادة فوزنها فعلة ، ويجوز أن يكون جمعاً لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وهو أقرب الى القياس كما رأيت ، على أن صاحب القاموس لم يلتزم بالقاعدة فقال : « والسائد السيد أو دونه والجمع سادة وسياید وقرأ ابن عامر ساداتنا فجمعه ثانياً بالألف والتاء وهو غير مقيس أيضاً » .

الاعراب :

(إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً) إن وأسمها وجملة لعن الكافرين خبرها وأعد عطف على لعن ولهم متعلقان بأعد وسعيراً مفعول به والسعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد ولذلك أعاد الضمير

عليها مؤتة • (خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً) حال من الكافرين وفيها متعلقان بخالدين وأبداً ظرف زمان متعلق بخالدين أيضاً وجسلة لا يجدون حال ثانية وولياً مفعول يجدون ولا نصيراً عطف على ولياً • (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) يوم ظرف زمان متعلق يقولون أو متعلق بمحذوف تقديره اذكر وعلقه أبو البقاء بقوله لا يجدون أو بنصيراً وجسلة تقلب في محل جر بإضافة الظرف اليها وهو فعل مضارع مبني للجهول ووجوههم نائب فاعل وفي النار متعلقان بتقلب وجسلة يقولون إما مستأنفة وإما حالية من ضمير وجوههم أو من نفس الوجوه وسيأتي في باب البلاغة سر تخصيص الوجوه ومعن تقلبها ، ويا حرف تنبيه أو حرف نداء والمنادى محذوف وليت واسمها وجسلة أطعنا الله خبرها وأطعنا الرسول عطف على أطعنا الله •

(وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) كلام مستأنف مسوق لامتهاد العذر لأنفسهم ولك أن تعطفه على يقولون على طريق العدول عن المضارع الى الماضي للدلالة على أن قولهم هذا ليس مستمراً كقولهم السابق بل هو ضرب من الاعتذار غير الوارد وغير المقبول • وربنا منادى مضاف وإن واسمها وجسلة أطعنا سادتنا وكبراءنا خبرها ، فأضلونا عطف على أطعنا وأضلونا فعل ماض وفاعل ومفعول به أول والسبيلا مفعول به ثان يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت ؛ جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والاشارة الى أن الكلام قد انقطع وأن وما بعده مستأنف • (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) آتهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به أول وضعفين مفعول به ثان ومن

العذاب صفة لضعفين والعنهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ولعناً
مفعول مطلق وكبيراً نعت لللعناً .

البلاغة :

في قوله « يوم تقلب وجوههم في النار » تخصيص الوجوه
بالذكر لإنافة الوجه على جميع الأعضاء وهو مثابة المقابلة ، ومعنى
تقليبها تصريفها في الجهات المختلفة كاللحم يشوى في النار أو توضع
في ماء القدر وهو يغلي فيتراعى بها الغليان الى كل جانب .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا
الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٧٣﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٤﴾

اللفظة :

(وجيهاً) : الوجيه : سيد القوم ذو الجاه والوجاهة يقال وجه الرجل يوجهه وجاهة فهو وجيه .

(سديداً) : صواباً ، يقال سدّ سدّاً من باب ضرب صار سديداً والسداد بفتح السين : القصد الى الحق والقول بالعدل أما السداد بالكسر فكل شيء سدّدت به شيئاً وذلك مثل سداد القارورة وسداد الثغر ، وجاء في أخبار النحويين أن النضر بن شميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعليّ قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين بهذه الخلقان ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحرّ مروح شديد فأبترد بهذه الخلقان . قال : لا ولكنك قشف ، ثم أجرينا الحديث فأجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل الزوجة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز فأورده بفتح السين . قال : فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا نضر كيف قلت سداد ؟ قلت : لأن السداد هنا لحن . قال : أو تلحنني ؟ قلت : إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه . قال فما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد

بالفتح القصد في الدين والسييل وبالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداة قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون : قبح الله من لا أدب له وأطرق ملياً ثم قال : ما مالك يا نضر ؟ قلت : أريضة لي بمر و أتمزّزها ، قال : أفلا تفيدك مالا معها ؟ قلت : إني الى ذلك لمحتاج ، قال : فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال : كيف تقول إذا أمرت أن يترب ؟ : أترب ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مترب ، قال : فمن الطين ؟ قلت : طنه ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مطين ، قال : هذه أحسن من الأولى ثم قال : يا غلام أتربه وطنه • ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه : تبلغ معه الى الفضل ابن سهل • قال : فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم ثم أمر لي الفضل بثلاثين ألف فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني ؛ هذا وقد ظم بعضهم هذا الفرق بين الفتح والكسر مع ذكر الضم بقوله :

والاستقامة هي السّد وبلغة من عيش السّداد
وجمع سُدّة أتى سّداد وهي زكام مانع للنشر

وقال في القاموس : السّداد : داء في الأنف يمنع تنشم الريح •

(أشفقن) : خفن •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) لا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين خبرها على أن الكاف اسم بمعنى مثل والذين مضاف إليه ويجوز أن تكون جارة والجار والمجرور خبر تكونوا وجملة آذوا موسى صلة قيل انهم قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة وسيأتي حديث مسلم بهذا الصدد في باب الفوائد • (فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وحيهاً) الفاء عاطفة وبرأه الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومما : يجوز أن تكون ما موصولة أو مصدرية أي من الذي قالوه أو من قولهم وعلى كل هو متعلق ببرأة والواو عاطفة وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو يعود على موسى وعند الله متعلق بوجيهاً ووجيهاً خبر كان • (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعوله وقولوا فعل أمر وفاعل وقولاً مفعول مطلق وسديداً نعت •

(يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) جزم يصلح جواباً للطلب ولكم متعلقان يصلح وأعمالكم مفعول به وجملة ويغفر لكم ذنوبكم عطف على الجملة السابقة • (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويطع الله فعل الشرط ، فقد الفاء رابطة للجواب لاقتراحه بقـد وفاز فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على من وفوزاً مفعول مطلق وعظيماً نعت والجملة في محل جزم جواب الشرط • (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) كلام مستأنف مسوق للتنويه بشأن

الأمانة وتفخيم أمرها وسيأتي مزيد بسط فيها في باب البلاغة ،
وان واسمها وجملة عرضنا خبرها والأمانة مفعول عرضنا وعلى
السموات متعلقان بعرضنا وما بعده عطف على السموات • (فأين أن
يحملنها وأشفقن منها) الفاء عاطفة وأين فعل ماض وفاعل وأن وما في
حيزها مفعول أين وأشفقن عطف على أين ومنها متعلقان بأشفقن •
(وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الواو عاطفة وحملها فعل
ماض ومفعول به مقدم والانسان فاعل مؤخر وإن واسمها وجملة كان
خبرها وظلوماً خبرها الأول وجهولاً خبرها الثاني •

(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) اللام
متعلقة بحملها وقيل بعرضنا فاللام للتعليل على طريق المجاز لأن
التعذيب نتيجة حمل الأمانة ويعذب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة
بعد اللام والله فاعل والمنافقين مفعول به وما بعده عطف عليه •
(ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً) ويتوب
الله عطف على يعذب الله وعلى المؤمنين متعلقان ببيتوب والمؤمنات عطف
على المؤمنين وكان واسمها وخبرها •

البلاغة :

التمثيل :

في قوله « إنا عرضنا الأمانة على السموات السخ » فن التمثيل
والمراد بالأمانة الطاعة عامة ولا مجال لتخصيصها ، وعرضها على
السموات والأرض والجبال تمثيل فهي استعارة تمثيلية وقد سبق القول
فيها ، ولكن عبد القاهر جعل فرقاً بين الاستعارة والتمثيل فهو يفرق

أول ما يفرق بينهما بأن الاستعارة تكون في لفظ ينقل عن أصله اللغوي ويجري على ما لم يوضع له من أجل شبه ما نقل إليه وما نقل عنه فإذا قلت رأيت أسداً تريد به الرجل الشجاع كانت الاستعارة في كلمة الأسد ، أما التمثيل فهو التشبيه المنتزع من مجموع أمور لا تحصل إلا بجملة من الكلام أو أكثر وقد تجد الألفاظ في الجمل التي يعقد منها جارية على أصولها وحقائقها في اللغة ، هذا ويقوم التمثيل هنا على ما هو متخيل في الذهن فإن عرض الأمانة على الجهاد وإبائه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فالمشبه به إذن غير معقول ولكنك تتخيل حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، والأمانة التي هي الطاعات كأنها راكبة للمؤمن وهو حاملها ألا تراهم يقولون : ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملاً لها ، ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصراً يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل على حد قول القطامي وقيل ذي الرمة .

أخوك الذي لا تملك الحس نفسه

وترفض عند المحفظات الكتائف

أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ، وحس له حساً رقاً وعطف والحس أيضاً العقل والتدبير والنظر في العواقب والارفضاض من الترشرش والتناثر . واحفظه إحفاظاً فالمحفظات المغضبات والكتائف جمع كتيبة وهي الضغينة والسخيمة والحق . يقول : هو أخوك الذي لا تملك نفسه

الرحمة بل يبذلها لك أو لا تقدر نفسه على التدبر بالتأني كي يسرع إليك بغتة وترتعد وتذهب ضفائنه من جهتك عند الأمور المفضية لك لأنها تغضبه أيضاً .

الفوائد :

هذه الآيات نزلت في شأن زيد وزينب وما راج فيه من حالة الناس وما أرجف به بعض المرجفين ، وقيل في أذى موسى أقوال شتى ، روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا : والله ما منع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ، قال : فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر فقر الحجر بثوبه قال فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول ثوبي حجر ، ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل الى سوءة موسى فقالوا : والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظروا إليه قال : فأخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضرباً . قال أبو هريرة : والله إن به ندباً ستة أو سبعة من ضرب موسى ، وفي القاموس : « الندبة أثر الجرح الباقي على الجلد والجمع ندب مثل شجرة وشجر وأنداب وندوب » والأدرة بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وراء مفتوحة مرض تنتفخ منه الخصيتان وتكبران جداً لانصباب مادة أوريج غليظ فيهما ورجل آدر بالمد كآدم به أدره .

سُورَةُ سَبَا

مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا الرِّبْعُ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
 الْآخِرَةِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
 مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ
 الْغَيْبِ ۚ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا
 أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ۖ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لَيَجْزِيَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
 رَبِّكَ ۖ أَلَيْسَ ۖ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
 هُوَ الْحَقُّ ۖ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾

اللفظة :

(يعزب) : في المصباح : « وعزب الشيء من بابي قتل وضرب غاب وخفي » وفي الأساس : « يقال : عزب عنه حلمه وأعزب حلمه كقولك أضل بعيره وأعزب الله عقلك وروض عازب وعزيب ومال عَزَبَ وجَشَرَ » ولا يكون الكلأ العازب إلا بفلاة حيث لا زرع ، وفلان معزاب ومعزابة لمن عزب بابه ، ويقال عزب ظهر المرأة إذا أغابت ، ومن المستعار قول النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همه

تضاعف فيه الحزن من كل جانب

ولك أن تقول امرأة عَزَبَة والمعزابة الذي طالت عزوبته وتمادت ويقال ليس لفلان امرأة تعذبه أي تذهب بعزوبته « وفي القاموس : « العَزَب محرّكة من لا أهل له كالمعزابة والعزيب ولا تقل أعزب أو قليل جمعه أعزاب وهي عَزَبَة وعَزَب والاسم العزبة والعزوبة بضمين والفعل كنصر وتعزّب ترك النكاح والعزوب الغيبة يعزّب ويعزّب والذهاب » ومن غريب أمر العين والزاي أنهما إذا كاتتا فاء وعيناً للكلمة دلت على معنى الذهاب والبعد والافتراق والغلبة وفي الحديث : من قرأ القرآن في أربعين ليلة فقد عزّب أي أبعد السهد بأوله . وعز الرجل صار عزيزاً أي أبعد عن غيره بصفاته حتى سما عليهم وعز الشيء قلّ فكاد لا يوجد وعز عليّ أن أسوءك أي اشتد وغلب وتقول للرجل : أتجنّبي ؟ فيقول لعزّماً ولشدّماً واستعزّ به المرض أي غلب واشتد . وتعزز لحم الناقة اشتد وصلب « فعزّزنا بثالث »

أي قوينا وعزّز بهم أي شدد عليهم ولم يرخص ومنه حديث عمر رضي الله عنه : أن قوماً اشتركوا في صيد فقالوا له : أعلى كلّ واحد منا جزاء أم جزاء واحد ؟ فقال : إنه لمعزّز بكم إذن بل عليكم جزاء واحد . وعزف عن الشيء عافه وزهد فيه والعزف صوت الرياح وصوت الدف تقول : فلان ألهاه ضرب المعازف عن ضروب المعازف ، وسلكت مفازة فيها للجن عزيف . وعزله يعزله من باب ضرب عن كذا نجاه عنه وعزل فلاناً عن منصبه : نجاه عنه وصرفه وتقول : مالي أراك في معزل عن أصحابك ؟ وأنا بمعزل عن هذا الأمر واعتزلت الباطل وتعزلته قال الأحوص :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

وأعوذ بالله من الأعزل على الأعزل أي من الرجل الذي لا سلاح معه على الفرس المعوج العسيب فهو يميل ذنبه إلى شق قال امرؤ القيس :

ضليع إذا استدبرته سدّ فرجه

بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

واعترم الفرس في عنانه إذا مرّ جامطاً لا يشني ، قال :

سبوح إذا اعتزمت في العنان مرّوح مملسة كالحجر

وعزمت على الأمر واعتزمت عليه ولا يكون ذلك إلا عن شدة وغلبة وهو عزّهة عن الله والنساء إذا لم يردهنّ وابتعدنّ عنهنّ ، قال :

إذا كنت عزيمة عن الله والصبا

فكن حجراً من يابس الصخر جليداً

وعزا الشيء أو فلاناً إلى فلان نسبة ورفعاً إليه ، وإن فلاناً ليعزى إلى الخير ويعتزى إليه وهذا الحديث يعزى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيتهم حوله عزين أي جماعات • وهذا من أسرار لغتنا الشريفة •

(رجز) : بكسر الراء وضمة العذاب أو سيئه والإثم والذنب والقدر •

الاعراب :

(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) الحمد مبتدأ والله خبره والذي نعت وله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات صلة وما في الأرض عطف على ما في السموات • (وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير) الواو عاطفة وله خبر مقدم والحمد مبتدأ مؤخر وفي الآخرة حال وهو مبتدأ والحكيم خبر أول والخبير خبر ثان • (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) لك أن تجعلها جملة خبرية فتكون خبراً ثالثاً لهو كأنها تفصيل لبعض ما يحيط به علمه تعالى من الأمور المتعلقة بمصالح العباد الدينية والدنيوية ولك أن تجعلها حالاً مؤكدة ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم • ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى وما مفعول به وجملة يلج صلة وفي الأرض متعلقان بيلج وما يخرج عطف على ما يلج في الأرض • (وما ينزل من السماء

وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) عطف على ما تقدم وضمن العروج معنى الاستقرار فعدّاه بفي دون إلى • (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) الواو استئنافية وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة ولا نافية وتأتينا الساعة فعل مضارع ومفعول به وفاعل وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبلى حرف جواب لاثبات النفي أي ليس الأمر إلا إتيانها وربى : الواو حرف قسم وجبر وربى مجرور بواو القسم ، أكد إيجاب النفي بما هو الغاية في التأكيد والتشديد وهو القسم بالله عز وجل واللام جواب للقسم وتأتینکم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف مفعول به وهو تأكيد ثالث •

(عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) عالم صفة لربى أو بدل ويجوز أن يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره جملة لا يعزب وقد قرئ بهما وجملة لا يعزب إما خبر أو حال وعنه متعلقان بيعزب ومثقال ذرة فاعل وفي السموات حال ولا في الأرض عطف على في السموات • (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) الواو عاطفة ولا نافية وأصغر من ذلك مبتدأ ومن ذلك خبر ولا أكبر عطف على ولا أصغر وإلا أداة حصر وفي كتاب مبين خبر أصغر ولك أن تنسق الكلام فتعطف ولا أصغر على مثقال ويكون في كتاب في محل نصب على الحال والأول أولى • (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) ليجزي اللام للتعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بتأتينكم كأنه علة وبيان لما يقتضيه إتيانها أو بقوله لا يعزب فكأنه قال يحصي ذلك ليجزي والذين مفعول به وجملة آمنوا

صلة الذين وعملوا الصالحات عطف على آمنوا وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك ورزق عطف على مغفرة وكريم صفة .

(والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم) الواو إما عاطفة فيكون الذين منسوقاً على ما قبله أي ويجزي الذين سعوا ويجوز أن تكون استئنافية فيكون الذين مبتدأ وجملة سعوا صلة وفي آياتنا متعلقان بسعوا على تقدير مضاف أي في إبطال آياتنا بالطعن فيها أو وصفها بالسحر والشعر وغير ذلك ومعاجزين حال ، قال الراغب : « أصل معنى العجز التأخر لكون المتأخر خلف عجز السابق أو عنده ثم تعورف فيما هو معروف ظاهراً فالمراد هنا بالمعاجزة التأخر المسبوق بتقدم السابق ومعنى المفاعلة غير مقصود هنا إذ المقصود السبق وعدم قدرة غيرهم عليهم لطلبتهم وذلك كله بناء على مزاعمهم الفاسدة وأهوائهم المتخيلة . وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية مستأنفة على الوجه الأول أو خبر الذين على الوجه الثاني ومن رجز صفة لعذاب وأليم صفة ثانية . (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) ويرى في موضع الرفع على أنه مستأنف أو في موضع النصب فهو منسوق على يجزي والذين فاعل يرى وجملة أوتوا العلم صلة والذي مفعول يرى الأول لأنها قلبية وجملة أنزل صلة واليك متعلقان بأنزل ومن ربك حال أو متعلقان بأنزل أيضاً وهو ضمير فصل لا محل له والحق هو المفعول الثاني ليرى .

(ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) ويهدي عطف على الحق وساغ العطف لأن الفعل في تأويل الاسم كأنه قيل وهادياً ولك أن

تجعل الواو حالية والجملة في محل نصب على الحال ويجوز أن تكون مستأنفة وفاعل يهدي ضمير مستتر يعود على الذي أنزل إليك وإلى صراط متعلقان يهدي والعزير مضاف الى صراط والحميد نعت .

البلاغة :

١ - في قوله « الحمد لله » التعبير بالجملة الاسمية يفيد الاستمرار والثبوت ، والحمد لغة الوصف بالجميل الاختياري على قصد التعظيم ، والوصف لا يكون إلا باللسان فيكون مورده خاصاً ، وهذا الوصف يجوز أن يكون بإزاء نعمة وغيرها فيكون متعلقه عاماً ، والشكر اللغوي على العكس لكونه فعلاً ينبىء عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الشاكر فيكون مورده اللسان والجنان والأركان ومتعلقه النعمة الواصلة الى الشاكر فكل منهما أعم وأخص من الآخر بوجه ، ففي الفضائل حمد فقط وفي أفعال القلب والجوارح شكر فقط وفي فعل اللسان بإزاء الانعام حمد وشكر .

٢ - شكر المنعم واجب أم لا :

قال الأشاعرة : شكر المنعم ليس بواجب أصلاً ومثلوها بتشيل فقالوا : ليس مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقاً وغرباً ، ويعم البلاد وهباً ونهباً ، فتصدق عليه بلقمة خبز فطفق يذكره في الجامع ويشكره عليها بتحريك أناملته دائماً لأجله فإنه يعد استهزاء بالملك فكذا هنا بل اللقمة بالنسبة الى الملك وما يملكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة الى الله ، وشكر العبد أقل قدراً في جنب الله من شكر الفقير بتحريك أصابعه . وقالت المعتزلة : التمثيل

المناسب للحال أن يقال : إذا كان في زاوية الخمول وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان مشلول اليدين والرجلين فاقد السمع والبصر بل جميع الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة فأخرجه الملك من تلك الهاوية وتلطف عليه بإطلاق لسانه وإزالة شلل أعضائه ووهب له الحواس لجلب المنافع ودفع المضار ورفع رتبته على كثير من أتباعه وخدمه ثم إن ذلك الرجل بعد وصول تلك النعم الجليلة اليه وفيضان تلك التكريمات عليه طوى عن شكر ذلك الملك كشحاً وضرب عنه صفحاً ولم يظهر منه ما ينبىء عن الاعتناء بشيء من غير فرق بين وجودها وعدمها فلا ريب أنه مذموم بكل لسان ، مستحق للإهانة والخذلان .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ
 إِنَّا كُنَّا لَمِنَ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿١٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ إِن تَنشَأُ تُحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ
 نُسِفَتْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿١٩﴾

الاعراب :

(وقال الذين كفروا : هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق
 كل ممزق) الواو استئنافية وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة
 أي قال بعضهم لبعض وهل حرف استفهام وندلكم فعل مضارع وفاعل

مستتر ومفعول به وعلى رجل متعلقان بـندلكم والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي سر تنكيره في باب البلاغة ، وجملة ينبئكم صفة لرجل وإذا ظرف مستقبل متعلق بمحذوف تقديره تبعثون أو تحشرون خلقاً جديداً ولا يجوز تعليقه بينبئكم لأن التنبئة لم تقع ذلك الوقت ولا بمزقتم لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا بجديد لأن إن ولام الابتداء يمنعان من ذلك لأن لهما الصدر ، وأيضاً فالصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف ولا يسوغ أن يقال قدرها خالية من معنى الشرط فتغني عن جوابها وتكون معمولة لما قبلها وهو قال أو ندلكم أو ينبئكم لأن هذه الأفعال لم تقع وقت التمزيق فلا تكون إذا ظرفاً لها إذ لا يقال لهم بعد تمزيقهم وإنما وقعت حال حياتهم ، وكان الرجل من الكفار يقول لأصحابه استهزاءً بالنبي صلى الله عليه وسلم : هل أدلكم على رجل ... الخ • ومزقتم فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وكل ممزق مفعول مطلق لأن كلاً بحسب ما تضاف إليه وقد أضيفت إلى ممزق وهو مصدر ميمي بمعنى تمزيق ، وأجاز الزمخشري أن يكون اسم مكان قال : « فإن قلت قد جعلت الممزق مصدراً كيى الكتاب :

ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيايهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكاناً ؟ قلت نعم ومعناه ما حصل في بطون الطير وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الريح فطرحته في كل مطرح » وعلى هذا يكون كل ظرف مكان • (إنكم لفي خلق جديد) إن وما بعدها سلت مسد مفعولي ينبئكم وإنما كسرت همزتها للدخول اللام المرحلة في خبرها وأن واسمها واللام المرحلة

المؤكددة وفي خلق خبر إن وجديد صفة خلق وهو فعيل بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول . (أفترى على الله كذباً أم به جنة) الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل في التوصل للنطق بالساكن وعلى الله متعلقان بافترى وكذباً مفعول افترى وأم حرف عطف معادل لهمزة الاستفهام وبه خبر مقدم وجنة مبتدأ مؤخر أي جنون . (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) بل حرف عطف واضراب والذين مبتدأ وجملة لا يؤمنون صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمنون وفي العذاب خبر المبتدأ والضلال عطف على العذاب والبعيد نعت للضلال وسيأتي معنى هذا النعت في باب البلاغة .

(أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) كلام مستأنف مسوق لتحويل ما اجترءوا عليه وقالوه والهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف يقدر بحسب المقام أي أعموا فلم يروا أو أن الهمزة مقدمة على حرف العطف وقد تقدم تقرير هذا ، ولم حرف تهي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وإلى ما متعلقان يروا والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وأيديهم مضاف إليه وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم ومن السماء حال والأرض عطف على السماء .

(إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء) إن شرطية ونشأ فعل الشرط ونخسف جوابه وبهم متعلقان بنخسف والأرض مفعول به وأو حرف عطف ونسقط عطف على نخسف وعليهم متعلقان بنسقط وكسفاً مفعول به ومن السماء صفة لكسفاً .

(إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المرحقة وآية اسمها المؤخر ولكل عبد صفة لآية ومنيب صفة لعبد .

البلاغة :

المجاز العقلي في قوله « والضلال البعيد » لأن البعد وصف الضال إذا بعد عن الجادة المستقيمة وكلما أوغل في البعد عنها أوغل في الضلال .

* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يٰجِبَالُ اَوْبِيْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۚ وَاَلْنَا لَهُ الْحَدِيْدَ ﴿١٠﴾ اَنْ اَعْمَلَ سَبِيْعَتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ ۚ وَاَعْمَلُوْا صٰلِحًا ۚ اِنِّىْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿١١﴾ وَلِسَلِيْمَنَ الرِّیْحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَّرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۚ وَاَسَلْنَا لَهُ عِیْنَ الْقَطْرِ ۚ وَمِنْ اِلْحَنٍ مَّنْ یَّعْمَلُ بَیْنَ یَدَیْهِ بِاِذْنِ رَبِّهٖ ۚ وَمَنْ یَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ اَمْرِنا نُنٰذِرْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِیْرِ ﴿١٢﴾ یَعْمَلُوْنَ لَهُ مَا یَشَآءُ مِنْ مَّحْرِیْبٍ وَتَمَثِّیْلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُوْرٍ رَّاسِبَتٍ ۚ اَعْمَلُوْا ؕ اِلٰى دَاوُدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِیْلٌ مِّنْ عِبَادِی الشُّكُوْرُ ﴿١٣﴾

اللفظة :

(أوتّي) : فعل أمر من التأويب والأوب أي رجمي معه
التسييح أو راجمي معه في التسييح لأنه إذا رجمه فقد رجع فيه .

(سابغات) : دروعاً واسعة ضافية .

(وقد ورد في السرد) : السرد نسج الدرع قال في الأساس :
« سرد النعل وغيرها خرزها ، قال الشماخ يصف حمرا :

شككنا بأحساء الذئاب على هوى

كما تابعت سرد العنان الخوارز

أي تتابعن على هوى الماء . وثقب الجلد بالمسرد والسرداد وهو
الأشفي الذي في طرفه خرق وسرد الدرع إذا شك طرفي كل حلقتين
وسمرهما ودرع مسرودة ولبوس مسرّد » وقال أبو الطيب
يصف قميصه :

مفرشي صهوة الحصان ولكن

قميصي مسرودة من حديد

المسرودة المنسوجة من الحديد وهي الدروع . ومعنى التقدير
في السرد أي لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتفصم الحلق
والمراد جعل السرد على قدر الحاجة ، وذهب الخطيب في تفسيره منهباً
طريفاً قال : « قوله تعالى : وقدر في السرد أي انك غير مأمور به أمر
إيجاب وإنما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الأيام

والليالي للعبادة فقدّر في ذلك العمل ولا تشتغل جميع أوقاتك بالكسب بل حصل فيه القوت فحسب » ولكن سياق الحديث يبعد هذا التأويل لأنه في صدد الحديث عن الدروع ونسجها واحكامها وتقدير صنعها • وفي المختار : « سرد الدرع أي نسجها وهو ادخال الحلق بعضها في بعض يقال سرد الدرع سرداً من باب نصر » •

(غدوها) : سيرها غدوة وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس ، يقال : غدا يغدو غدواً ذهب غدوة ويستعمل بمعنى صار فيرفع المبتدأ وينصب الخبر •

(رواحها) : سيرها في الرواح أي العشي •

(القطر) : بكسر القاف النحاس المذاب وسيأتي سر تسميته بعين القطر في باب البلاغة •

(محارب) : المحارب : المساكن والابنية الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محارب لأنه يذب عنها ويحارب عليها ثم نقل الى الطاق التي يقف الامام فيها وهي مما أحدث في المساجد والمفرد محراب •

(تماثيل) : جمع تمثال وهو الصورة المصوّرة أو هو ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة ، روي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما •

(جفان) : جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة •

(كالجواب) جمع جابية وهي الحوض الكبير وسي جابية لأن الماء يجبي فيه أي يجمع ، قال الأعشى يسدح المخلق :

نقى الـذم عن آل المخلق جفنة

كجائية السيح العراقي تفهق

الجفنة قصعة الثريد والجبابة الحوض يجبي الماء أي يجمعه الى الحوض والسيح الماء الكثير الجاري وفهق يفهق كفرح يفرح اتسح وامتلا حتى يتصبب ، قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل .

(قدور راسيات) : القدور جمع قدر بكسر القاف وهو إفاء يطبخ فيه ، وراسيات ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها .

الاعراب :

(ولقد آتينا داود منا فضلا) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا داود فعل ماض وفاعل ومفعول به ومنا متعلقان بآتينا أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لفضلا وفضلا مفعول به ثان . (يا جبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد) جملة النداء معمول قول محذوف أي وقلنا ، وأجاز الزمخشري أن تكون بدلا من فضلا ويا حرف فداء وجبال منادى نكرة مقصودة وأوّبي فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل ومعه ظرف مكان متعلق بأوّبي والطير عطف على محل جبال وهو النصب وقرىء بالرفع عطفاً على اللفظ وسيأتي حكم المنسوق على المنادى في باب الفوائد ، وألنا عطف على آتينا وألنا فعل ماض وفاعل وله

متعلقان بآلنا والحديد مفعول به • (أن اعمل سابغات وقدر في السرد) أن مصدرية مؤولة بما بعدها بمصدر منصوب بنزع الخافض أي لأن اعمل واختار أبو البقاء أن تكون مفسرة وتبعه الجلال وهذا مردود لأن شرط أن المفسرة أن يتقدم عليها ما هو بمعنى القول دون حروفه وقدر بعضهم فعلاً فيه معنى القول فقال : التقدير أمرناه أن اعمل ، وسابغات صفة لمفعول به محذوف أي دروعاً سابغات ، والسابغات الكوامل الواسعات ، وقدر فعل أمر وفي السرد متعلقان بقدر •

(واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير) واعملوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وصالحاً مفعول به أو صفة لمفعول مطلق محذوف أي عملوا عملاً صالحاً وإن واسمها وبما تعملون متعلقان ببصير وبصير خبر إن • (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) الواو عاطفة ولسليمان متعلقان بالفعل المحذوف أي وسخرنا لسليمان الريح فالريح مفعول للفعل المحذوف وذلك على قراءة نصب وعلى قراءة الرفع هي مبتدأ مؤخر ولسليمان خبر مقدم وجملة غدوها شهر المؤلفة من المبتدأ والخبر حال من الريح وقيل هي مستأنفة وجملة ورواحها شهر عطف عليها • (وأسلنا له عين القطر) عطف على سخرنا المقدره وأسلنا فعل ماضٍ وفاعل وله متعلقان بأسلنا وعين القطر مفعول به • (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) لك أن تعلق من الجن بفعل مقدر تقديره وسخرنا له فتكون من مفعولاً به للفعل المقدر ولك أن تجعل الجار والمجرور خبراً مقدماً فتكون مبتدأ مؤخراً وجملة يعمل صلة وبين يديه الظرف متعلق بيعمل وإذن ربه متعلقان بمحذوف حال • (ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

النواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويزغ فعل الشرط ومنهم حال وعن أمرنا متعلقان بيزغ ونذقه فعل الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ ومن عذاب السعير متعلقان بنذقه .

(يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) الجملة بدل من يعمل لتفصيل ما ذكر من عملهم وله متعلقان يعملون وما مفعول به وجملة يشاء صلة ومن محاريب في موضع الحال من مفعول يشاء المحذوف أي يشاؤه ومنعت محاريب من الصرف لأنها جمع على صيغة منتهى الجموع وتماثيل عطف على محاريب وجفان عطف أيضاً وكالجواب صفة لجفان وحذفت ياء الجواب في خط القرآن وقدور راسيات عطف أيضاً . (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) كلام مستأنف مسوق للمنة على آل داود واعملوا فعل أمر وفاعل وآل داود منادى محذوف منه حرف النداء وشكراً مفعول لأجله أي لأجل الشكر وقيل مصدر من معنى اعملوا كأنه قيل اشكروا شكراً أو على الحال أي شاكرين وأجاز الزمخشري أن ينتصب باعملوا مفعولاً به ومعناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أتم شكراً على طريق المشاكلة والواو حالية وقليل خبر مقدم والشكور مبتدأ مؤخر ومن عبادي صفة لقليل .

الفوائد :

لتابع المنادى أقسام أربعة :

- ١ - ما يجب نصبه مراعاة لمحل المنادى وهو ما اجتمع فيه أمران أحدهما أن يكون التابع نعتاً أو يياً أو توكيداً ، والثاني أن يكون التابع مضافاً مجرداً من ال .

٢ - ما يجب رفعه مراعاة للفظ المنادى وهو تابع أي وتابع اسم الإشارة .

٣ - ما يجوز رفعه ونصبه وهو نوعان أحدهما النعت المضاف المقرون بـأل ، والثاني ما كان مفرداً من نعت أو بيان أو تأكيد أو كان معطوفاً مقروناً بـأل ومنه الآية التي نحن بصدددها .

٤ - ما يعطي تابِعاً ما يستحقه اذا كان منادى مستقلاً وهو البدل والمنسوق المجرد من أل فيضم ان كان مفرداً وينصب ان كان مضافاً .

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

اللفظة :

(منسأته) : المنسأة مفعلة اسم آلة وهي العصا لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر كالمكنسة والمكسحة والمقعصة وقرأ نافع وأبو عمرو وجماعة منسأته بألف .

الاعراب :

(فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وجملة قضينا مضاف إليها الظرف على الوجه الأول ونا فاعل

وعليه متعلقان بقضينا والموت مفعول به وما نافية ودلهم فعل ماض ومفعول به وعلى موته متعلقان بدلهم وإلا أداة حصر ودابة الأرض فاعل دلهم والجملة لا محل لها لأنها جواب لما على الوجهين ودابة الأرض هي الدويبة التي يقال لها السرقة فأضيفت إليه يقال أرضت الخشب أرضاً إذا أكلتها الأرضة وجملة تأكل منسأته حال من دابة الأرض . (فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) الفاء عاطفة ولما تقدم القول فيها قريباً وخرّ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على سليمان وجملة تبينت الجن جواب لما لا محل لها وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولو شرطية وجملة كانوا خبر أن وأن وما في حيزها بدل اشتمال من الجن على حد قولك تبين زيد جهله ، وقدره أبو البقاء بدلاً من محذوف أي تبين أمر الجن وهو أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ، وأجاز أيضاً أن يكون موضع أن وصلتها النصب أي تبينت الجن جهلها ولا مانع من هذين التقديرين ، وجملة يعلمون الغيب خبر كانوا وجملة ما لبثوا لا محل لها لأنها جواب لو وفي العذاب متعلقان بلبثوا والمهين صفة للعذاب .

الفوائد :

أفاض المفسرون في الحديث عن قصة وفاة سليمان مما يخرج بنا عن نطاق كتابنا ولكننا نورد بعضاً مما قيل في دابة الأرض لعلاقته باللغة ، ويتلخص مما أوردوه أن فيها وجهين : أظهرهما ما قدمناه في باب البلاغة من أنها الدويبة التي تأكل الخشب وفي القاموس والتاج : « والدابة ما دبّ من الحيوان وغلب على ما يركب ويقع على المذكر ، ودابة الأرض من أشرط الساعة أو أولها تخرج بمكة من جبل الصفا

ينصدع لها والناس سائرون الى منى و من الطائف أو بثلاثة أمكنة ثلاث مرات معها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام تضرب المؤمن بالعصا وتطبع وجه الكافر بالخاتم فينتقش فيه هذا كافر» والثاني أن الأرض مصدر قولك أرضت الدابة الخشبة تأرضها أرضاً بفتح عين المصدر وقد قرأ بها ابن عباس والعباس ابن الفضل وقد تقدم البحث في حركة عين فعل الثلاثي فجدد به عهداً .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَبِيلَ الْعَرِمِ ۖ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ ۚ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۚ وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۚ سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ ۖ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ۖ فَعَلَّيْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

اللفظة :

(العرم) : لم نجد كلمة اختلف فيها المفسرون كهذه الكلمة

ولذلك ، سنورد ما نختاره من أقوال ثم نعمد الى الترجيح بينها ؛
ونبدأ بما ذكره صاحب القاموس قال في مادة عرام : « عرام الجيش
حدثهم وشدتهم وكثرتهم ومن العظم والشجر العرقاق وما سقط من
قشر العوسج ومن الرجل الشراسة والأذى ، عرم كنصر وضرب
وكرم وعلم عرامة وعراماً بالضم فهو عارم وعرم اشتد والصبي علينا
أشِر ومَرَح أو بطر أو فسد ويوم عارم نهاية في البرد وعرم العظم
نزع ما عليه من لحم كتعرمه والصبي أمه رضعها والابل الشجر نالت
منه وفلاًفاً أصابه بعرام وعرم العظم كفرح فتر والعرم محرمة والعرمة
بالضم سواد مختلط ببياض في أي شيء كان أو هو تنقيط بهما من
غير أن تتسع كل نقطة وبياض بمرمة الشاة وهو أعرم وهي عرماء
وبيض القطا عرْم والعرماء الحية الرقشاء والأعرم المتلون والأبرش
والقطيع من ضأن ومعزى والأقلف والجمع عرمان وجمع الجسع
عرامين والعرمة محرمة رائحة الطبخ والكثدس المدوس لم يذَرَّ
ومجتمع الرمل وأرض صلبة تتاخم الدّهناء ويقابلها عارض اليمامة
وكفرحه سد يعترض به الوادي والجمع عَرِم أو هو جمع بلا واحد أو
هو الأحباس تبنى في الأودية والجرذ الذكر والمطر الشديد وواد
وبكل فسر قوله تعالى : سيل العرم » واختار الجلال أن يكون العرم
جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته وهذا
ما نعبّر عنه اليوم بالسدود وهو أولى ما تفسر به الآية وقد يحدث
تصدع السدود وانهارها بأسباب مختلفة .

(ذواتا) : مثني ذوات أو ذات ولفظ ذوات مفرد لأن أصله
ذوية فالواو عين الكلمة والياء لامها لأنه مؤنث ذو وذو أصله ذوى
فلما تحركت الياء وافتتح ما قبلها قلبت ألفاً فصار ذوات ثم حذفت

الواو تخفيفاً فعندما يراد تشيته يجوز أن ينظر للفظه فيقال ذاتان ويجوز أن ينظر الى أصله فيقال ذواتان .

هذا وذات مؤنث ذو ومثناها ذواتان والجمع ذوات ويعرب المؤنث والمثنى والجمع إعراب نظيره من الأسماء المفردة والمثناة والمجموعة ، يقال لقيته ذات يوم أو ذات ليلة أو ذات مرة أي يوماً ما ومرة ما ، وكان ذلك ذات العويم أي السنة الماضية وجلس ذات اليمين أي عن اليمين ولقيته أول ذات يدين أي باديء بدء وذات الصدر الفكر أو السر وذات اليمين أي جهتها وذات اليمين : الحال يقال أصلحوا ذات بينكم أي حالكم التي تجتمعون عليها وذات شفة كلمة يقال : كلمته فمارد علي ذات شفة وذات اليد ما تملكه يقال : قلت ذات يده أي ما ملكت يده ويقال ألقى الدجاجة ذات بطنها أي باضت أو سلحت وذات الجنب عند الأطباء : التهاب يحدث في غلاف الرئة فيحدث منه سعال وحمى ونخس في الجنب وذات الرئة وذات الصدر وذات الكبد علل فيها ، والذات أيضاً : ما يصلح لأن يعلم ويخبر عنه وذات الشيء : نفسه وعينه وجوهره واسم الذات عند النحاة ما علق على ذات كالرجل والأسد ويقابله اسم المعنى كالعلم والشجاعة ، والذوات عند المولدين : أكابر القوم .

(أكل خمط) : الأكل بضميتين وبضم فسكون الثمر أو ما يؤكل والخمط المر والحامض يقال خمر خمطة : حامضة ولبن خامض : قارص متغير وفي المختار : «الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل» وعن أبي عبيدة : «كل شجر ذي شوك» وقال الزجاج : «كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله» .

(أثل) : الأثلة : السمرة وقيل شجر من العضاء طويلة

مستقيمة الخشبة تعمل منها القصاع والأقداح فوقعت مجازاً في قولهم:
نحت أثله إذا تنقّصه ، وفلان لا تنحت أثله ، قال الأعشى :

أست منتهياً عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطّئت الإبل

وفلان أثلة مال أي أصل مال ثم قالوا أثّلت مالا وتأثّلته
وشرف مؤثّل وأثيل .

(سدر) : السدر : شجر النبق يطيب أكله ولذا يفرس في
البساتين وقيل ان السدر صنفان صنف يؤكل ثمره ويستفح بورقه في
غسل الأيدي وصنف له ثمرة غضة لا تؤكل أصلاً وهو الضال .

الاعراب :

(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) اللام جواب للقسم المحذوف
وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولسبأ خبرها المقدم وفي
مسكنهم حال من سبأ أي حال كونهم في مسكنهم وآية اسم كان
المؤخر وقد تقدم القول مفصلاً في سبأ في سورة النمل فجدد به عهداً .
(جنتان عن يمين وشمال) جنتان بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف
تقديره الآية جنتان وعن يمين وشمال صفة لجنتان ويبدو أن في بمعنى
عند فإن المساكن محفوفة بالجنتين لا مطروفة لهما . (كلوا من رزق
ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) الجملة مقول قول محذوف
أي وقيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال وكلوا فعل أمر وفاعل
والمراد بهذا الأمر الإباحة ومن رزق ربكم متعلقان بكلوا وبلدة خبر
لمبتدأ محذوف يعني هذه البلدة بلدة طيبة وطيبة صفة ورب غفور
عطف على ما تقدم أي وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور .
(فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) الفاء عاطفة وأعرضوا فعل ماض

وفاعل ومتعلقه محذوف أي عن شكره فأرسلنا عطف على فأعرضوا
وعليهم متعلقان بأرسلنا وسيل العزم مفعول به •

(وبدلناهم بجنتهم جنّتين ذواتي أكمل خبط وأثل وشيء من سدر
قليل) وبدلناهم الواو عاطفة وبدلناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به
وبجنتهم متعلقان ببدلناهم وجنتين مفعول به ثان وذواتي صفة وأكل
مضاف إليه وخبط صفة كأنه قيل أكل بشع وقرىء بالإضافة وعبرة
أبي البقاء : « أكل خبط : يقرأ بالتنوين والتقدير أكل أكل خبط
فحذف المضاف لأن الخبط شجر والأكل ثمره وقيل التقدير أكل ذي
خبط وقيل هو بدل منه وجعل خبط أكلاً لمجاورته إياه وكونه سبباً
له ويقرأ بالإضافة وهو ظاهر » وأثل عطف على أكل وشيء عطف
أيضاً ومن سدر صفة لشيء وقليل صفة ثانية • (ذلك جزيناهم بما
كفروا وهل نجازي إلا الكفور) ذلك مفعول ثان لجزيناهم مقدم عليه
لأنه ينصب مفعولين أي جزيناهم ذلك التبديل وجزيناهم فعل ماض
وفاعل ومفعول به أول وبما متعلقان بجزيناهم والباء للسببية وما
مصدرية أي بسبب صبرهم وهل حرف استفهام بمنى النفي ونجازي
فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا أداة حصر والكفور
مفعول به •

(وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) الواو
عاطفة وجعلنا فعل وفاعل وبينهم الظرف متعلق بمحذوف مفعول به
ثان لجعلنا وبين القرى عطف على بينهم والتي صفة للقرى وجملة باركنا
فيها صلة للموصول وقرى مفعول به أول وظاهرة نعت والجملة
معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة فقد ذكر أولاً ما أسبغ

عليهم من نعمة الجنتين ثم تبدلها بما سلف ذكره ثم جعل بلادهم متفاصلة متشتتة بعد أن كانت متواصلة ملمومة الشمل . (وقدردنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين) وقدردنا الواو عاطفة وقدردنا فعل ماض وفاعل وفيها متعلقان بقدرنا أو بالسير والسير مفعول به وجملة سيروا في محل نصب مقول قول محذوف وفيها متعلقان بسيروا وليالي وأياماً ظرفان متعلقان بسيروا أيضاً وآمنين حال ولم يتوجه معنا إعراب القرطبي لليالي وأياماً فقد قال أنها منصوبان على الحال وسيأتي سر تنكيرهما في باب البلاغة . (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث) الفاء عاطفة وقالوا فعل وفاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وباعد فعل أمر وبين ظرف متعلق بباعد وأسفارنا مضاف إليه وظلموا عطف على فقالوا وأنفسهم مفعول وذلك لأنهم بطروا وبشموا من طيب العيش وبلهنة الحال فطلبوا الكد والتعب والتنقل في البلاد ، فجعلناهم عطف على ظلموا أنفسهم وأحاديث مفعول به ثان لجعلناهم .

(ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) ومزقناهم عطف أيضاً وكل ممزق نائب مفعول مطلق أي فرقناهم تفریقاً لا التام بعده . قال الشعبي « فلحقت الأنصار يثرب وغسان بالشام والأزد بعمان وخزاعة بتهامة فكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول تفرقوا أيادي سبأ وقد تقدم معنى هذا المثل وإعرابه في النمل فجدد به عهداً . وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولكل صبار صفة لآيات وشكور صفة لصبار .

البلاغة :

١ - المشاكلة :

في قوله « جنتين » فن المشاكلة وقد تقدم أنه ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته فقد سمي البديل جنتين للمشاكلة وفيه نوع من التهكم بهم ، قال أبو تمام :

والسدر الأم من شرقت بلثوم
إلا إذا أشرقت به بكريم

أي اقتصرت عليه بكريم فقال أشرقت مشاكلة .

٢ - التنكير :

وفي تنكير ليالي وأياماً إلماح إلى قصر أسفارهم فقد كانت قصيرة لأنهم يرتعون في بحبوحة من العيش ورغد منه لا يحتاجون إلى مواصلة الكد وتجشم عناء الأسفار للحصول على ما يرفه عيشتهم .

٣ - التذييل :

وفي قوله : « ذلك جزيناهم » الآية فن التذييل وقد تقدم بحثه أيضاً وهو قسمان الأول ما جرى مجرى المثل وقد تقدم بحثه أيضاً ، والثاني ما لم يخرج مخرج المثل وهبوا أن تكون الجملة الثانية متوقعة على الأولى في إفادة المراد أي وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص ، ومضمون الجملة الأولى أن آل سبأ جزاهم الله تعالى بكفرهم ومضمون الثانية أن ذلك العقاب المخصوص لا يقع إلا للكفور وفرق بين قولنا

جزيته بسبب كذا وبين قولنا ولا يجزى ذلك الجزاء إلا من كان بذلك السبب ولتغايرهما يصح أن يجعل الثاني علة للأول ولكن اختلاف مفهومهما لا ينافي تأكيد أحدهما بالآخر للزوم معنى .

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ
 مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)
 الواو عاطفة على ما تقدم أو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف
 وقد حرف تحقيق وصدق فعل ماض وعليهم متعلقان بصدق وإبليس
 فاعله وظنه مفعوله كأنه ظن فيهم أمراً وواعده نفسه فصدقه وقرىء
 صدق بالتخفيف على المعنى نفسه فيكون ظنه منصوباً بنزع الخافض
 ويصح أن يكون مفعولاً به أيضاً ، وقرىء بنصب إبليس على المفعولية
 ورفع ظنه على الفاعلية وقرىء برفعهما معاً على أن يكون ظنه بدل اشتمال
 من إبليس ، فاتبعوه الفاء عاطفة واتبعوه فعل ماض وفاعل ومفعول به ،

ويجوز أن يكون الكلام خاصاً فالضمير يعود على أهل سبأ وأن يكون عاماً فالضمير يعود على بني آدم ، وإلا أداة استثناء وفريقاً مستثنى يجوز أن يكون منقطعاً ويجوز أن يكون متصلاً ومن المؤمنين صفة لفريقاً • (وما كان له عليهم من سلطان) الواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وله خبرها المقدم وعليهم حال لأنه كان في الأصل نعت لسلطان ومن حرف جر زائد وسلطان مجرور لفظاً اسم ليس المؤخر محلاً •

(إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) إلا أداة حصر واللام للتعليل وقيل للعاقبة والاستثناء مفرغ من أعم العلل فهو في محل نصب مفعول لأجله ونعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، ومن يجوز أن تكون استفهامية فتسد مسد مفعولي العلم وتكون في محل رفع مبتدأ وجملة يؤمن بالآخرة خبر ، ويجوز أن تكون موصولة في محل نصب مفعول نعلم وهذا أرجح وجملة يؤمن صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمن ومن جار ومجرور متعلقان بنعلم لأنه متضمن معنى نميز وهو مبتدأ ومنها حال لأنه كان في الأصل صفة لشك وفي شك خبر والجملة صلة • (وربك على كل شيء حفيظ) وربك مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بحفيظ وحفيظ خبر ربك • (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) قل فعل أمر مبني على السكون وحرك بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين وجملة ادعوا الذين مقول القول وجملة زعمتم صلة ومن دون الله صفة للمفعول الثاني المحذوف والمفعول الأول محذوف أيضاً تقديره زعمتهم آلهة فحذف الأول لطول الموصول بصلته وحذف الثاني لقيام صفته ، أعني من دون الله مقامه • وهذا من أعجب الكلام وأوكيده ونحن ننقل لك عبارة الزمخشري بنصها في هذا

الصدد قال : « فإن قلت أين مفعولا زعم ؟ قلت : أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفاً فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلتزم كلاماً ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفاً تقديره : زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله : أهذا الذي بعث الله رسولا استخفافاً لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً فيأذن مفعولا زعم محذوفان جميعاً بسببين مختلفين » •

(لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) الجملة حال من الذين زعمتموهم آلهة ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لبيان حالهم ولا نافية ويملكون فعل مضارع وفاعل ومثقال ذرة مفعول به وفي السموات والأرض متعلقان يملكون أو بمحذوف حال • (وما لهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير) الواو عاطفة وما نافية ولهم خبر مقدم وفيها حال ومن حرف جر زائد وشرك مجروراً لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر أو اسم ما على رأي من يجيز تقدم خبرها على اسمها والواو عاطفة أيضاً وما نافية وله خبر مقدم ومنهم حال ومن ظهير مبتدأ مؤخر كما تقدم •

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ

مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ
 ﴿٢٢﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٣﴾
 قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْفَظُ بِهِمْ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

اللفظة :

(فزع عن قلوبهم) : بالبناء للمجهول وفزع عنه بالتشديد أذهب
 عنه الفزع والفزع بفتحين : الذعر والمخافة والإغاثة ، وفي الأساس :
 « وفزع عن قلبه : كشف الفزع عنه » فالتضعيف هنا للسلب كما يقال :
 قرئت البعير أي أزلت قراده .

الاعراب :

(ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الكلام مستأنف مسوق
 لبيان المصير الذي لا تنفع فيه شفاعة الشافعين إلا لمن سبق القلم بالإذن
 له . ولا نافية وتنفع الشفاعة فعل مضارع وفاعل وعنده ظرف متعلق
 بتنفع أو بمحذوف حال وإلا أداة حصر ولمن متعلقان بالشفاعة إذ يقال
 شفعت له أو بتنفع ، وللمزخشري بحث لطيف في متعلق هذه اللام نوره
 بنصه قال : « تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول :
 الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول : القيام لزيد فاحتمل

قوله : ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له أي لشفيعه أو هي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمره أي لأجله وكأنه قيل : إلامن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه « وأذن فعل ماض مبني للمعلوم والفاعل مستتر يعود على الله وله متعلقان بأذن وقرىء أذن بالبناء للمجهول .

(حتى إذا فزع عن قلوبهم) حتى حرف غاية وجر والغاية لمحذوف يفهم من سياق الكلام كأنه قيل يتربصون ويتوقعون حائرين مشدوهين وجلين تتفارسهم المخاوف وتتقاذفهم الشكوك أيؤذن لهم أم لا حتى إذا فزع . وفزع بالبناء للمجهول ونائب الفاعل هو الجار والمجرور أي عن قلوبهم وقرىء بالبناء للمعلوم فيتعلق الجار والمجرور به أي فزع الله عن قلوبهم . (قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) قالوا جواب إذا وما اسم استفهام وذا اسم موصول خبر والجملة مقول قال مقدم عليه وقال ربكم فعل وفاعل والجملة مقول قالوا الأولى وقالوا فعل وفاعل والحق منصوب بقول مقدر أي قال ربنا القول الحق ولك أن تعرب القول مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به والحق صفة وهو مبتدأ والعلي خبر أول والكبير خبر ثان وهو تنمة كلام الشفعاء . (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) قل فعل أمر والفاعل مستتر يعود على الرسول تبكيتاً للمشركين وإلزاماً لهم بالاعتراف بالعجز ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة يرزقكم خبر ومن السموات متعلقان بيرزقكم والأرض عطف على السموات وقل فعل أمر والله مبتدأ خبره محذوف أي الله يرزقنا أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الله .

(وإنا أو إياكم لعلی هدی أو فی ضلال مبین) الواو عاطفة وإن واسمها أو إياكم ضمير منفصل معطوف على اسم إن واللام المرحلة وعلى هدى خبر إن وأو حرف عطف على بابها عند البصريين وليست للشك وسيأتي المزيد من بحث هذا التركيب في باب البلاغة أو في ضلال عطف على قوله لعلی هدی ومبين صفة • (قل : لا تسألون عما أجرنا ولا نسأل عما تعملون) لا نافية وتسالون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وعما متعلقان بتسالون وما موصولة أو مصدرية وأجرنا فعل وفاعل ولا نسأل عما تعملون عطف على لا تسألون عما أجرنا وسيأتي المزيد من بحثه أيضاً في باب البلاغة • (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم) جملة يجمع مقول القول وبيننا ظرف متعلق بيجمع وربنا فاعل يجمع ثم يفتح بيننا عطف على ما تقدم وبالحق حال وهو مبتدأ والفتح خبر أول والعليم خبر ثان • (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أروني فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به أول لأن الرؤية علمية متعدية قبل النقل إلى اثنين فلما جيء بهمة النقل تعدت لثلاثة ، والذين اسم موصول مفعول به ثان لأروني وجملة ألحقتم صلة والعائد محذوف أي ألحقتموهم وهو المفعول الثاني وبه متعلقان بالحقتم وشركاء مفعول به ثالث لأروني ويجوز أن تكون الرؤية بصرية متعدية قبل النقل إلى واحد فلما جيء بهمة النقل تعدت لاثنتين أولهما ياء المتكلم والثاني الموصول وشركاء نصب على الحال من العائد المحذوف أي بصروني الملحقين به حال كونهم شركاء وسيأتي معنى الأمر هنا في باب البلاغة •

(كلا بل هو الله العزيز الحكيم) كلا حرف ردع وزجر وبل حرف اضراب وهو ضمير الشأن مبتدأ والله مبتدأ ثان والعزيز الحكيم خبراه

والجملة خبر هو ، ولك أن تجعل هو ضميراً عائداً على الله وتعربه مبتداً
خبره الله والعزیز الحكيم صفتان •

البلاغة :

حفلت هذه الآيات بضروب من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ - الفرائد :

في قوله « حتى إذا فزع عن قلوبهم » فن طريف يسمى فن الفرائد وهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تنزل منزلة الفريدة من حب العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها بحيث لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسداً وقد مرت نماذج منها ، وفي لفظة فزع عن قلوبهم من غرابة الفصاحة مالا مزيد عليه • ومن شواهد هذا الفن في الشعر قول أبي تمام :

ومعترك للشوق أهدي به الهوى

إلى ذي الهوى نجل العيون ربائباً

فالفريدة في لفظة معترك وقد اقتبسها الشيخ عمر بن الفارض فقال :

ما بين معترك الأحداق والمهج

أنا القليل بلا إثم ولا حرج

٢ - الاستدراج :

في قوله : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » وهو فن يعتبر من البلاغة محورها الذي تدور عليه لأنه يستدرج الخصم ويضطره الى الإذعان والتسليم والعزوف عن المكابرة واللجاج فإنه لما ألزمهم الحجة خاطبهم بالكلام المنصف الذي يقول من سمعه للمخاطب به قد أنصفك صاحبك ونحوه قول الرجل لصاحبه :

مني ومنك وإن أهدنا لكاذب ، ومنه قول الشاعر حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء

وهو من قصيدة طويلة يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه والهمزة للاستفهام التوبيخي والواو حال أي لا ينبغي ذلك وشر وخير من قبيل أفعل التفضيل واختصا بحذف همزتهما تخفيفاً لكثرة استعمالهما لكن المراد بهما هنا أصل الوصف لا الزيادة فيه والشر أبو سفيان والجملة دعائية دعا عليه بأن يكون فداء لرسول الله وأبرزه في صورة الابهام لأجل الإنصاف في الكلام ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا : هذا أنصف بيت قالته العرب .

٣ - المخالفة في الحروف :

وفي هذه الآية مخالفة بين حرفي الجر فإنه إنما خولف بينهما في الدخول على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء وصاحب الباطل كأنه

منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجه ، وهذا معنى دقيق قلتما يراعى مثله في الكلام وكثيراً ما سمعنا إذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور فيقول له : أنت على ضلالك القديم كما أعهدك فيأتي بعلى في موضع في ، وإن كان هذا جائزاً إلا أن استعمال « في » هنا أولى لما أشرنا إليه والاستعارة التصريحية واضحة وقد تقدمت في غير هذا الموضع .

٤ - معنى الأمر :

قوله « أروني » أمرهم بإراءته الأصنام مع كونها بمرأى منه إظهار لخطئهم وإطلاعهم على بطلان رأيهم .

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾

قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنُ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ

الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ

الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذِ

جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونََنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ
 أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الواو استئنافية وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر وكافة حال من الكاف في أرسلناك أو من الناس أي للناس كافة على رأي من يجيز تقدم الحال على الجار والمجرور ، أو صفة لمصدر محذوف أي إرسالة كافة للناس وسيأتي المزيد من بحث « كافة » في باب الفوائد وهو بحث ممتع . وللناس صفة لكافة أو بكافة وبشيراً ونذيراً حالان من الكاف ولكن حرف مشبه بالفعل وأكثر الناس اسمها وجملة لا يعلمون خبرها . (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع وفاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية وهذا الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله . (قل لكم ميعاد يوم لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) لكم خبر مقدم وميعاد يوم مبتدأ مؤخر وهو مصدر مضاف الى الظرف وجملة لا تتأخرون صفة ليوم أو لميعاد وعنه متعلقان بتستأخرون وساعة ظرف متعلق بتستأخرون أيضاً ولا تستقدمون عطف على لا تتأخرون .

(وقال الذين كفروا : لن تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه)
قال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة ولن حرف تقي ونصب
واستقبال وتؤمن فعل مضارع منصوب بلن والجملة مقول القول
وبهذا متعلقان بتؤمن والقرآن بدل و لا بالذي عطف على بهذا القرآن
وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة للذي ويديه مضاف الى الظرف والمراد
بما بين يدي القرآن ما تقدمه من كتب الله عز وجل . (ولو ترى إذ
الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) لو شرطية
وترى فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت وهو فعل
الشرط والجواب محذوف أي لرأيت العجب العجاب أو لرأيت حالاً
مذهلة وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى والظالمون مبتدأ
وموقوفون خبر أي محبوسون جمع موقوف اسم مفعول من وقف
الثلاثي المتعدي فقد جاء في المصباح ما يلي : « وقفت الدابة تقف وقفاً
ووقوفاً سكنت ووقفتها أنا يتعدى ولا يتعدى ووقفت الرجل عن
الشيء وقفاً منعه عنه » وعند ربهم ظرف متعلق بموقوفون وجملة
يرجع حال من ضمير موقوفون وبعضهم فاعل والى بعض متعلقان
يرجع والقول مفعول به ليرجع لأنه يتعدى (يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا) جملة يقول مفسرة ليرجع فلا محل لها والذين
فاعل يقول وجملة استضعفوا صلة وللذين متعلقان يقول وجملة
استكبروا صلة .

(لولا أأنتم لكننا مؤمنين) لولا حرف امتناع لوجود وأأنتم مبتدأ
محذوف الخبر وجوباً أي موجودون واللام رابطة لجواب لولا وجملة
كنا مؤمنين لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وكان واسمها
ومؤمنين خبرها . (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) قال

الذين فعل وفاعل وجملة استكبروا صلة وللذين متعلقان يقال وجملة استضعفوا صلة وهو بالبناء للمجهول والجملة مستأنفة . (نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) الهمزة للاستفهام الإنكاري كأنهم أنكروا أن يكونوا هم الذين ارتكبوا جريمة صدهم عن الإيمان ، ونحن مبتدأ وجملة صددناكم خبر وعن الهدى متعلقان بصددناكم وبعد ظرف متعلق بمحذوف حال لوقوعه بعد المعرفة وإذ ظرف أضيف الى مثله توسعاً في الظروف وقيل : إذ بمعنى أن المصدرية وهو مفهوم تفسير الزمخشري وجملة جاءكم في محل جر بإضافة الظرف اليها وبل حرف اضراب وعطف وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها ومجرمين خبرها . (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) تقدم إعرابها وأثبتت حرف العطف هنا بينما حذفها في الجملة الآتية لأنه كلام آخر للمستضعفين (بل مكر الليل والنهار) بل حرف اضراب ومكر الليل مبتدأ خبره محذوف أي مكر الليل والنهار صدنا أو خبر لمبتدأ محذوف أي سبب كفرنا مكر الليل والنهار ، وإضافة المكر الى الليل والنهار من باب الاسناد المجازي وقد تقدمت له ظائر فهو مصدر مضاف لمرفوعه وقال الزمخشري : « ومعنى مكر الليل والنهار مكرهم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي » وأصل المكر في كلام العرب : الخديعة والحيلة .

(إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) الظرف متعلق بمكر وجملة تأمرونا في محل جر بإضافة الظرف اليها وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض متعلق بتأمرونا ونجعل عطف على نكفر وله حال لأنه كان في الأصل صفة لأنداداً وأنداداً مفعول به ويجوز

أن يكون الجار والمجرور مفعول نجعل الثاني وأنداداً مفعول نجعل الأول . (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) الواو حالية أو استئنافية وأسروا فعل وفاعل والندامة مفعول به والضمير راجع الى الفريقين أي أضمر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الكفر وأخفوها عن غيرهم أو أخفاها كل منهم عن الآخر مخافة الشماتة ولما ظرفية حينية متعلقة بأسروا وجملة رأوا في محل جر بإضافة الظرف اليها والعذاب مفعول به . (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) الواو عاطفة وجعلنا فعل وفاعل والأغلال مفعول جعلنا الأول وفي أعناق الذين كفروا مفعوله الثاني والكلام من باب القلب والأصل وجعلنا أعناق الذين كفروا في الأغلال . (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) الجملة حال من الذين كفروا وهل حرف استفهام والاستفهام بمعنى النفي ويجزون فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعل وإلا أداة حصر وما مفعول يجزون الثاني وجملة كانوا صلة وجملة يعملون خبر كانوا .

الفوائد :

الأصل في الحال أن تتأخر عن صاحبها ، وقد تتقدم عليه جوازا نحو : جاء راكباً علي ، ومنه قول طرفة بن العبد :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهبي

وقد تتقدم عليه وجوباً في موضعين :

١ - أن يكون صاحبها فكرة غير مستوفية للشروط نحو :

لعلي مهذباً غلام وقول الشاعر :

لمية موحشاً طلل يلوح كأنه خلل
وقول الآخر :

وفي الجسم مني ينأ لو علمته
شحوب وإن تستشهدي العين تشهد

٢ - أن يكون محصوراً فيها نحو : ما جاء ناجحاً إلا علي
وإنما جاء ناجحاً علي تقول ذلك إذا أردت أن تحصر المجيء بحالة
النجاح في علي .

وتأخر عنه وجوباً في ثلاثة مواضع :

١ - أن تكون هي المحصورة نحو ما جاء خالد إلا ناجحاً
وإنما جاء خالد ناجحاً تقول ذلك إذا أردت أن تحصر مجيء خالد في
حالة النجاح ومنه قوله تعالى « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
ومنذرين » .

٢ - أن يكون صاحبها مجروراً بالاضافة نحو يعجبني وقوف
علي خطيباً ، وسرني عمك مخلصاً ، أما المجرور بحرف جر أصلي فقد
منع الجهور تقديم الحال عليه فلا يقال مررت راكباً بعلي وأخذت
عائراً بيد خليل . وأجاز الفارسي وابن كيسان وابن جني وغيرهم
التقديم ، قال ابن مالك والتقديم هو الصحيح لوروده في النصيح
كقوله تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس » فكافة حال من المجرور
وهو الناس وقد تقدم على صاحبه المجرور ، ونحو قول الشاعر :

تسليت طراً عنكم بعد بينكم
بذكراكم حتى كأنكم عندي

وقال المانعون والحق أن هذا البيت ضرورة أو طراً حال من عنكم محذوفة مدلولاً عليها بعنكم المذكورة وإن كافة في الآية حال من الكاف في أرسلناك وأن التاء للمبالغة لا للتأنيث قاله الزجاج وردّه ابن مالك بأن إلحاق التاء للمبالغة مقصور على السماع ولا يتأتى غالباً إلا في أبنية المبالغة كعلاقة ، وكافة خلاف ذلك .

هذا ولزيادة الفائدة نورد أقوالاً لبعض الأعلام في صدد إعراب كافة قال الزمخشري « ومن جعله حالاً من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم نرى من يرتكب مثل هذا الخطأ ثم لا يكتفي به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى فيرتكب الخطأين معاً » .

وقال أبو علي : « وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه فتقديمها على صاحبها وحده أجوز » .

وقال الفيروزبادي صاحب القاموس : « وجاء الناس كافة أي كلهم ولا يقال جاءت كافة لأنه لا يدخلها أل ووهم الجوهري ، ولا تضاف » . واستدرك عليه شارحه فقال في تاج العروس ما ملخصه : « عبارة الجوهري : كافة الجميع من الناس يقال لقيتهم كافة أي كلهم . وهذا كما ترى لا وهم فيه لأن النكرة ، إذا أريد لفظها جاز تعريفها وما ذكره المصنف هو الذي أطبق عليه الجمهور وأورده

النووي في التهذيب وعاب على الفقهاء استعماله بآل أو الاضافة قال شيخنا : ويدل على أن الجوهرى لم يرد ما قصده المصنف أنه إنما مثل بما هو موافق للجمهور على أن قولهم ذلك رده الشهاب في شرح الدرة وصحح أنه يقال وإن كان قليلاً « هذا وقد أطال الشهاب الخفاجي في تصحيح ادخال آل على كافة وإضافتها وقال شارح اللباب : أنه استعمل مجروراً واستدل له بقول عمر بن الخطاب : « قد جعلت لآل بني كاهلة على كافة بيت المسلمين لكل عام متي مثقال ذهباً إبريراً » •

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَءَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢٤﴾

الاعراب :

(وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم • وما أرسلنا فعل وفاعل وفي قرية

متعلقان بأرسلنا ومن حرف جر زائد ونذير مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به وإلا أداة حصر وجملة قال مترفوها حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي ومترفوها فاعل قال أي المتنصون فيها . (إنما بما أرسلتم به كفرون) الجملة مقول قولهم ، وإن واسمها وبما متعلقان بكافرون وما موصولة وجملة أرسلتم صلة وأرسلتم بالبناء للمجهول والتاء فائب فاعل وبه متعلقان بأرسلتم وكافرون خبر إن والتقدير إنا كفرون بالذي أرسلتم به . (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل ونحن مبتدأ وأكثر خبر وأموالاً تمييز وأولاداً عطف على أموالاً وما حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد ومعذبين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما . (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) إن واسمها وجملة يبسط الرزق خبرها ولن متعلقان ببسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على يبسط ومعناه يضيقه ، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الواو حالية ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها ومفعول يعلمون محذوف أي وجه الحكمة في ذلك فهو يبسط الرزق للعاصي بطريق الاستدراج والإيماء ويقدره على المطيع بطريق الاختبار والابتلاء .

(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى) الواو عاطفة أو استئنافية وما حجازية وأموالكم اسمها ولا أولادكم عطف على أموالكم والباء حرف جر زائد والتي مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس ووصف الأموال والأولاد بالتي لأن جمع التكسير العاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة وجملة تقرّبكم صلة وعندنا ظرف متعلق بمحذوف حال وزلفى مصدر من معنى العامل فهو مفعول

مطلق على المعنى أي تقريبكم قربة • (إلا من آمن وعمل صالحاً) إلا بمعنى لكن فالاستثناء منقطع لأن الخطاب للكفار ومن آمن ليس منتظماً في سلوكهم ومن مستثنى ويجوز أن يكون متصلاً مستثنى من المفعول في تقريبكم ويجوز أن يعرب مبتدأ وما بعده الخبر وجملة آمن صلة وعمل عطف على آمن وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق أي عملاً صالحاً • (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) الفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ والإشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن أفراد الفعلين باعتبار لفظها ، ولهم خبر مقدم وجزاء الضعف مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة ، والإضافة إما من إضافة المصدر إلى مفعوله أو من إضافة الموصوف إلى صفته والمعنى على الأول أن يجازيهم الله الضعف وعلى الثاني لهم الجزاء المضاعف وبما متعلقان بجزاء وما موصولة أو مصدرية • (وهم في الغرفات آمنون) الواو عاطفة وهم مبتدأ وفي الغرفات حال أو متعلقان بآمنون وآمنون خبر هم •

البلاغة :

في قوله « وما أموالكم ولا أولادكم الآية » التفات من الغيبة إلى الخطاب والسرّ فيه المبالغة في تحقيق الخبر وأن ذلك الذي تسرون به وتحبرون من كثرة الأولاد والأموال لن يجديكم فتيلاً ، ولن يقربكم منّا ما دتم مصرّين على ما أتمتم فيه مسترسلين في تلبية دواعي الغي والضلال ، وفي ذلك إشارة ضمنية إلى إيقاق الأموال في سبيل الله وأوجه الخير وتهذيب الأولاد وتأهيلهم لما يصلح دينهم ودنياهم • والزلفى القربى والزلفة القرابة •

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ
 ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَقْدِرُ لَهُ،
 وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
 جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُوا لَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ
 أَنْتَ وَلَبِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ
 ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ
 ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

الاعراب :

(والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون)
 الواو عاطفة على ما تقدم والذين مبتدأ وجملة يسعون صلة وفي آياتنا
 متعلقان يسعون ، والسعي فيها بإبطال أحكامها ، ومعاجزين حال أي
 مقدرين عجزين وقد تقدمت في مكان آخر وجملة أولئك خبر الذين
 وأولئك مبتدأ وفي العذاب متعلقان بحضرون ومحضرون خبر أولئك .
 (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) تقدم إعرابها
 وإنما أعادها لأنها سيقت هنا في شخص واحد بدليل قوله له وما سبق
 في شخصين فلا تكرر ، وهبه كان تكراراً فهو للتأكيد . (وما أنفقتم

من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) يجوز في ما أن تكون شرطية وهو أظهر في محل نصب مفعول مقدم لأتقتم وأتقتم فعل الشرط ومن شيء حال والفاء رابطة للجواب ، ويجوز أن تكون موصولة في موضع رفع بالابتداء ودخلت الفاء على الخبر لما في الموصول من رائحة الشرط وهو مبتدأ وجملة يخلفه خبر والجملة الاسمية إما في محل جزم على أنها جواب الشرط وإما في محل رفع على أنها خبر والواو عاطفة وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر .
 رفع على أنها خبر والواو عاطفة وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر .
 (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهولاء إياكم كانوا يعبدون)
 الواو استئنافية ويوم ظرف متعلق باذكر مضمراً وجملة يحشرهم في محل جر بإضافة الظرف إليها وجميعاً حال وثم حرف عطف ويقول فعل مضارع مرفوع عطفاً على يحشرهم وللملائكة متعلقان يقول والهمزة للاستفهام التقريري وهولاء مبتدأ وإياكم ضمير منفصل في محل نصب مفعول مقدم ليعبدون وجملة كانوا خبر المبتدأ والواو اسم كانوا وجملة يعبدون خبرها .

(قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) قالوا فعل ماض وفاعل وسبحانك مفعول مطلق وأنت مبتدأ ولينا خبر ومن دونهم حال .
 (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) بل حرف اضراب وكانوا كان واسمها وجملة يعبدون خبرها والجن مفعول به وأراد بالجن الشياطين التي كانت في اعتقادهم تتقمص الأصنام التي يعبدونها وأكثرهم مبتدأ وبهم متعلقان بمؤمنون ومؤمنون خبر والجملة بدل من جملة يعبدون الجن . (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضراً) الفاء استئنافية واليوم ظرف متعلق بيملك ولا نافية ويملك فعل مضارع مرفوع وبعضكم فاعل وليعض متعلقان بنفعاً ونفعاً مفعول

به ولا ضراً عطف على نفعا • (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) الواو عاطفة ونقول فعل مضارع معطوف على لا يملك وللذين متعلقان بنقول وجملة ظللوا صلة وذوقوا فعل أمر وفاعل والجملة مقول القول وعذاب النار مفعول به والتي صفة للنار وجملة كنتم صلة والتاء اسم كان وبها متعلقان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتم •

وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ
يُصَدِّكَرَ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾
وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ
﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِئْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا
رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

اللفظة :

(معشار) : قال في القاموس : « والعشير جزء من عشرة
كالمعشار والعشر » وتابعه من نقل عنه كالمجد وغيره وقال في الكشف :
« والمعشار كالمربع وهما العشر والربع » وعبارة البحر : « المعشار
مفعال من العشر ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير

المربع ومعناها العشر والرابع وقال قوم المعشار عشر العشر « وقال الماوردي : « المعشار هنا هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف » قال : وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل .

الاعراب :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى في محل جر بإضافة الظرف إليها وهو مبني للمجهول وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال من آياتنا والتالي هو النبي صلى الله عليه وسلم وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وما نافية وهذا مبتدأ والاشارة الى التالي وهو النبي وإلا أداة حصر ورجل خبر هذا وجملة يريد صفة لرجل وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول يريد وعما متعلقان بيصدكم وجملة كان صلة واسم كان مستتر تقديره هو وجملة يعبد خبرها وآباؤكم فاعل والمسألة من باب التنازع وأعمل الثاني لقربه ولو أعمل الأول لقال يعبدونه . (وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل وما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وإفك خبر ومفترى صفة وسيأتي سر هذا التكرير في باب البلاغة .

(وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر مبين) الواو عاطفة وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة وللحق متعلقان

بقال ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وسحر خبر هذا ومبين صفة . (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الواو عاطفة ويجوز جعلها حالية كما سيأتي في حلّ المعنى وما نافية وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به ومن حرف جر زائد وكتب مجرور لفظاً في محل نصب مفعول ثانٍ لآتيناهم وجملة يدرسونها صفة لكتب . (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) عطف على ما تقدم وإعرابها مماثل للجملة قبلها والمعنى : انتفاء العذر عن هؤلاء المشركين لأنهم لم يؤتوا كتباً يدرسونها ولم ترسل إليهم رسل بالنذر بخلاف أهل الكتاب فإنهم قد يتشبهون بما آتاهم وبما هم عاكهون عليه فلا يريدون تركه وإن كان تشبههم باطلاً أما هؤلاء فليس لهم أدنى عذر وليس لها أي مبرر في جنوحهم إلى التنطع ولجوتهم إلى التكذيب . (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم) الواو عاطفة وكذب الذين فعل وفاعل ومن قبلهم متعلقان بالصلة والواو حالية وما نافية وبلغوا فعل وفاعل ومعشار مفعول به وما اسم موصول مضاف إليه وجملة آتيناهم صلة .

(فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) الفاء عاطفة وكذبوا فعل وفاعل ورسلي مفعول به والفاء عاطفة وكيف اسم استفهام خبر مقدم لكان ونكيري اسمها واختار البيضاوي أن تكون جملة فكيف كان نكير معطوفة على محذوف قدره بقوله : « فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكارى بالتدمير فكيف كان نكيري لهم أي عليهم فليحذر هؤلاء من مثله » ولا مانع من ذلك .

البلاغة :

في هذه الآيات تكرار يدل على الغضب والإنكار ، فقد تكرر الفعل وهو قولهم وصرح باسمهم وهو « الذين كفروا » وجاء باللام المؤذنة بالقوة وصرح بقوله « لما جاءهم » للعجب من مبادعتهم بالكفر وذلك للدلالة على مدى السخط عليهم والزراية بأقذارهم والتعجب من ارتكاس عقولهم ونبوها عن الحق وطمسها لمعالمه ، ثم أضفى على ذلك ما هو أبلغ في الدلالة على رسوخهم في الكفر وتماديهم في الباطل وهو أن من قبلهم من أصحاب الكتاب لم يؤتوا مثلما أوتوا ، بل لم يبلغ ما أوتوه معشار ما أتاها وهو جزء من عشرة بل من مائة على رأي بعضهم بل جزء من ألف على رأي آخرين . وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، وما ورد فيه التكرار على جهة اوعيد والتهديد قول الأعشى ليزيد بن مهر الشيباني :

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا

أبا ثابت أقصر وعرضك سالم

وذرنا وقوماً إن هم عمدوا لنا

أبا ثابت واقعد فإنك طاعم

وسياتي المزيد من بحث التكرار .

* قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ ٥ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ وَفَرَادَى ثُمَّ
تَتَفَكَّرُوا ٦ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ٧ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ
عَذَابٍ شَدِيدٍ ٨ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ٩ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٠ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَمُ الْغُيُوبِ ١١ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٢

الاعراب :

(قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ وَفَرَادَى) قُلْ فعل
أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وإنما كافة ومكفوفة وأعظم فعل مضارع
وفاعل مستتر ومفعول به وبواحدة متعلقان بأعظم وأن وما في حيزها
مصدر مؤول في محل جر عطف بيان لواحدة أو بدل منها أو رفع على
تقدير هي أن تقوموا أو نصب على تقدير أعني ، ومثني وفرادى نصب
على الحال وسيأتي السر في تقديم مثني على فرادى في باب البلاغة .
(ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) ثُمَّ حرف عطف للترتيب والتراخي
وسيأتي سر العطف بـ ثُمَّ في باب البلاغة ، وتَتَفَكَّرُوا معطوف على أَنْ
تَقُومُوا وما نافية وبصاحبكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وجنة
مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ والجملة مستأنفة ويجوز أن
تتضمن تَتَفَكَّرُوا معنى تعلموا فتكون من أفعال القلوب وما استفهامية

علقت تعلموا عن العمل فهي مبتدأ خبره بصاحبكم ومن جنة حال أي جنون .

(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) إن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ونذير خبر هو ولكم متعلقان بنذير وبين ظرف متعلق بمحذوف حال أو صفة لنذير ويدي مضاف اليه وشديد صفة . (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم) ما شرطية في محل نصب مفعول ثانٍ مقدم لسألتكم وسألتكم فعل وفاعل ومفعول به أول وهو في محل جزم فعل الشرط ومن أجر حال والفاء رابطة لجواب الشرط وهو مبتدأ ولكم خبر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، هذا ويحتمل أن تكون ما موصولة مبتدأ وجملة سألتكم صلة والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط وجملة هو لكم خبر . (إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) إن نافية وأجري مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى الله خبر وهو مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بشهيد وشهيد خبر هو . (قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب) إن واسمها وجملة يقذف خبرها وبالحق متعلقان يقذف وعلام الغيوب خبر ثانٍ لأن أو خبر لمبتدأ محذوف واختار الزمخشري أن يكون مرفوعاً على محل إن واسمها أو على المستكن في يقذف على أنه بدل منه ، وقال ابن هشام : « فقدّر علام نعتاً للضمير المستتر في يقذف » وتعقبه الدسوقي قائلاً : « وحمله الجمهور على البدل منه » (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) جملة جاء الحق مقول القول والواو عاطفة وما نافية ويبدىء الباطل فعل مضارع وفاعل وما يعيد عطف على ما يبدىء .

البلاغة :

١ - الطباق :

في قوله « مشى وفرادى » طباق بديع أتى به احترازاً من القيام جماعة لأن في الاجتماع تشويشاً للخواطر ، وحثولاً دون التأمل والاستغراق في التفكير ، أما قيامهم مشى وفرادى فيتيح لهم أن يفكروا ويعملوا الروية فإن تبين الحق للثنين جناح كل فرد الى أعمال رأيه ، وكثيراً ما يؤدي التعصب الى طمس الحقائق وضياع الفوائد إذ يصبح الفرد كالبيغاء ينقاد للآخرين على حد قول شوقي :

يا له من بيغاء عقله في أذنيه

٢ - الكناية :

في قوله « وما يبدىء الباطل وما يعيد » كناية عن هلاكه والتطويع به لأنه إذا هلك لم يعد له إبداء أو إعادة ، ومنه قول عبيد :

أقفر من أهله عبيد فالיום لا يبدي ولا يعيد

فقد كان المنذر بن ماء السماء يخرج في يوم من كل سنة فينعم على كل من يلقاه وفي آخر فيقتل أول من يلقاه فصادفه فيه عبيد فقيل له امدحه بشعر لعله يعفو عنك فقال : حال الجريض دون القريض . ف ضرب مثلاً وقال هذا البيت بعد ذلك تحسراً ، وروي أن المنذر قال له : أنشدني أقفر من أهله ملحوب ، فقال أقفر من أهله عبيد الخ أي لا قدرة لي على إبداء شعر جديد ولا على إعادة شعر قديم وفي قوله يبدىء ويعيد أيضاً طباق .

الفوائد :

قال النحاة : ويعطف على أسماء الأحرف المشبهة بالفعل بالنصب قبل مجيء الخبر وبعده كقول رؤبة :

إن الريح الجود والخريف يدا أبي العباس والصيوا

فعطف الخريف بالنصب على الريح وقبل مجيء الخبر وهو يدا أبي العباس وعطف الصيوا جمع صيف على الريح بالنصب بعد مجيء الخبر ، والجود بفتح الجيم وسكون الواو وبالذال المطر الغزير ويروى الجون بالنون بدل الدال والمراد به السحاب الأسود . والمراد بالريش والخريف والصيوا أمطارهن والمراد بأبي العباس السفاح أول الخلفاء من بني العباس ، وهذا من عكس التشبيه مبالغة لأن الغرض تشبيه يديه بالأمطار الواقعة في الريح والخريف والصيف ، ويعطف بالرفع على محل هذه أسماء هذه الأحرف بشرطين : استكمال الخبر وكون العامل إن أو أن أو لكن مما لا يغير معنى الجملة نحو إن الله بريء من المشركين ورسوله فعطف رسوله على محل الجلالة بعد استكمال الخبر وهو بريء ، والمحققون على أن الرفع في ذلك ونحوه على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الناسخ عليه .

قال اللقاني : « قال الرضي : والوصف وعطف البيان كالمنسوق عند الجرمي والزجاج والفراء في جواز الحمل على المحل ولم يذكر غيرهم في ذلك منعاً ولا إجازة والأصل الجواز إذ لا فارق ولم يذكروا البدل والقياس كونه كسائر التوابع في جواز الرفع » وفي شرح المفصل لابن الحاجب : « أجاز الزجاج جعل ارتفاع علام الغيوب في

قوله تعالى : قل إن ربي الآية على أنه صفة لربي بالتأويل الذي في العطف قال : ويمكن حمله على غير ما ذكره بأن يكون علام الغيوب فاعلاً يقذف ولا ضمير فيه فاستغنى عن العائد بظاهر موافق للأول في المعنى « وارجع الى المطولات » .

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٢﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ؎ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ؎ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٤﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٥﴾

اللفظة :

(التناوش) : قال الزمخشري : « والتناوش والتناول اخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب : ناش بعضهم بعضاً » وفي المصباح : « ناشه نوشاً من باب قال تناوله والتناوش التناول يهمز ولا يهمز وتناوشوا بالرماح تطاعنوا بها » وقال ابن السكيت : « يقال للرجل

إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه ولحيته ناشه ينوشه فوشاً ومنه المناوشة
في القتال إذا تدانى الفريقان •

الاعراب :

(قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي) إن شرطية وضللت فعل
ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة
وأضل فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا وعلى نفسي
متعلقان بأضل وهي في قوة بنفسي فيصح مقابلتها مع ما بعدها •
(وإن اهتديت فيما يوحى إلي ربي إنه سميع قريب) عطف على ما سبق
وما من قوله فيما يوحى إلي ربي يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون
موصولة فعلى الأول يكون التقدير بسبب إichاء ربي إليّ وعلى الثاني
يكون التقدير : بسبب الذي يوحى إليه ربي ، وجملة يوحى لا محل
لها على كل حال وإلي متعلقان بيوحي وربى فاعل يوحى وإن واسمها
وسميع خبرها الأول وقريب خبرها الثاني • (ولو ترى إذ فزعوا
فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) كلام مستأنف مسوق لتقرير
حال الكفار عند نزول الموت واضطرارهم إلى الإخلاء للحق والرجوع
إليه • ولو شرطية وترى فعل مضارع وفعل مستتر تقديره أنت
والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق
بترى وجملة فزعوا بالبناء للمجهول في محل جر بإضافة الظرف إليها
وجواب لو محذوف كما حذف مفعول ترى والتقدير : ولو ترى
حالهم وقت فزعهم لرأيت أمراً عظيماً مذهلاً والفاء عاطفة أو استئنافية
ولا نافية للجنس وفوت اسمها المبني على الفتح والخبر محذوف أي
لهم والمعنى لا يفوتوننا ولا ينجيهم منا هرب أو ملجأ وقد كثر حذف

خبر لا النافية للجنس أو العاملة عمل ليس ، حتى قيل أنه لا يذكر ، وصيغ الماضي الواردة في إذ ، وأخذوا أريد بها الاستقبال وأخذوا الواو عاطفة وأخذوا فعل ماضي مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومعناه الاستقبال أيضاً ومن مكان متعلقان بأخذوا وقريب صفة ومعنى من مكان قريب أي من ظهر الأرض الى بطنها إذا ماتوا •

(وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) وقالوا عطف على ما تقدم وجملة آمنا مقول قولهم وبه متعلقان بآمنا وأنى اسم استفهام معناه من أين أو كيف في محل نصب خبر مقدم والتناوش مبتدأ مؤخر ولهم متعلقان بمحذوف حال ومن مكان متعلقان بالتناوش وبعيد صفة أي عن محله وهو الدنيا • (وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) الواو حالية وقد حرف تحقيق وكفروا فعل وفاعل وبه متعلقان بكفروا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ويقذفون معطوف على قد كفروا على أنها حكاية حال ماضية أي وكانوا يتكلمون ويرجمون بالظن ومن مكان بعيد متعلقان به والبعد المكاني هنا معناه البعد المعنوي أي وهمهم الفاسد وظنهم الكاذب الذي هو بعيد عن الحقيقة والواقع كل البعد وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة • (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل) الواو عاطفة وحيل فعل ماض مبني للمجهول ومعناه الاستقبال أيضاً لأن ما يفعله الله في المستقبل بمثابة ما قد حصل والظرف نائب فاعل ولم يرفع لأنه أضيف إلى غير متمكن وهو الضمير ، وفعل حال لازم لا يبنى للمجهول إلا مع الظرف أو الجار والمجرور وقيل نائب الفاعل هو ضمير المصدر المفهوم من الفعل كأنه قيل وحيل هو أي الحول والظرف متعلق بحيل ، وبين عطف على الظرف الأول

وما موصولة أو مصدرية والتقدير وبين الذي يشتهونه أو وبين مشتاهم ، ويشتهون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة لا محل لها على كل حال والكاف نعت لمصدر محذوف أي فعل بهم فعلاً كما فعل بأشياعهم أي أتباعهم ، وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره أو أشباههم لأن من أشبه الثاني تبعه ، وبأشياعهم متعلقان بفعل ومن قبل حال • (إنهم كانوا في شك مريب) إن واسمها وجملة كانوا خبرها وكان واسمها وفي شك خبرها ومريب صفة •

البلاغة :

في قوله « وأنى لهم التناوش من مكان بعيد » استعارة تمثيلية وقد تقدم تعريف هذه الاستعارة ونقول في اجرائها هنا أنه شبه طلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين إيمانهم بالدنيا بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من مقياس ذراع تناولاً سهلاً لا تعب فيه فقد كانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب ، وهذا رجم بالظن ، وقذف بالباطل لأنهم لم يشاهدوا منه شعراً ولا سحراً ولا كذباً ، ولو أنهم رجعوا إلى قرارة نفوسهم يسألونها عن حقيقة ما يرجفون ويرجمون لكذبتهم وأدائتهم •

الفوائد :

تقدم في موضع آخر من هذا الكتاب أنه ينوب عن الفاعل واحد من أربعة : وهي المفعول به نحو وغيض الماء ، والثاني المجرور نحو

ولما سقط في أيديهم ، والثالث مصدر متصرف مختص بالصفة نحو
فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وقد ينوب عن المصدر ضميره نحو
قول طرفة بن العبد :

فيالك من ذي حاجة حيل دونها

وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله .

فيكون المعنى حيل هو أي الحول المعهود وليس النائب الظرف
لأنه غير متصرف عند جمهور البصريين ، وعن الأخفش أنه يجوز مع
فتحه ، قال أبو علي وتلميذه ابن جني فتحة اعراب ، وقال غيرهما
فتحة بناء ، وعلى ذلك توجه الآية التي نحن بصدددها ، أما الرابع فهو
ظرف مختص نحو صيم رمضان .

سُورَةُ فَاطِرٍ
مَكِّيَّةٌ وَأَنبِئَانَهَا جَنَسٌ وَإِنْ يَجْعَلُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا
أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا
يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا
النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

اللفظة :

(فاطر السموات) خالقها على غير مثال وأصل الفطر الشق
مطلقاً وقيل الشق طولاً وبابه نصر كما في المختار وعن مجاهد عن
ابن عباس : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم

إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وابتدعتها ،
وقد جمع بعضهم معنى هذه المادة على اختلافه فقال :

الابتدا والابتداع فطر والصّدع والغز وأما الفِطر
فترك صوم بعض كم فطر وما بدا من عنب في الشجر

(توفكون) : تصرفون من الأفك بالفتح وهو الصرف يقال :
ما أفكك عن كذا أي ما صرفك عنه وقيل هو من الإفك بالكسر وهو
الكذب وفي المختار : « والأفك بالفتح مصدر أفكه أي قلبه وصرفه
عن الشيء وبابه ضرب ومنه قوله تعالى : « قالوا أجئنا لتأفكنا عما
وجدنا عليه آباءنا » .

الاعراب :

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) الحمد مبتدأ والله خبره
وفاطر السموات صفة له والأرض عطف على السموات وأل في الحمد
جنسية استغراقية أي جنس الحمد ، والاضافة في فاطر السموات
محضة لأنه للماضي . (جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى
وثلاث ورباع) جاعل الملائكة صفة ثانية والإضافة هنا محضة أيضاً
واعتبرها بعضهم غير محضة لأنها حكاية حال ولهذا ساغ اعمال اسم
الفاعل لأنه لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي ، ولهذا جعل بعضهم رسلاً
منصوبة بفعل مضمر ، وجوز الكسائي عمله على كل حال . ورسلاً
مفعول ثان لجاعل وإذا كانت جاعل بمعنى خالق كانت رسلاً حالاً
مقدرة وأولي أجنحة نعت لرسلاً ومثنى وثلاث ورباع صفات للأجنحة

وقد منعت من الصرف للوصف والعدل عن المكرر أي اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد تقدم الكلام في هذه الصفات في سورة النساء وأعربها الكازروني في حاشيته بدلاً من أجنحة • (يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) كلام مستأنف مقرر لما قبله وفي الخلق متعلقان بيزيد وما مفعول به وجملة يشاء صلة وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر إن والجملة تعليلية لا محل لها •

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) ما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليفتح ويفتح فعل الشرط والله فاعل وللناس متعلقان يفتح ومن رحمة حال والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وممسك اسمها ولها خبرها والجملة في محل جز جواب الشرط • (وما يمسك فلا يرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) الواو عاطفة (وما) اسم شرط جازم في محل نصب أيضاً مفعول مقدم ليمسك ويمسك فعل الشرط والفاء رابطة ولا نافية للجنس ومرسل اسمها وله خبرها وفي قوله أولاً فلا ممسك لها حمل التأنيث على معنى ما لا نال المراد الرحمة وفي الثاني حمل على اللفظ ، ومن بعده حال أي بعد إمساكه وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان • (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) يا حرف نداء وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والناس بدل واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ومضاف إليه وعليكم متعلقان بنعمة لأنها بمعنى الإنعام وإذا كانت بمعنى المنعم به تعلق الجار والمجرور بمحذوف على أنه حال •

(هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) هل حرف استفهام ومن حرف جر زائد وخالق مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً وغير الله صفة لخالق على المحل أو على اللفظ أو منصوب على الاستثناء وقرىء بها جميعاً وخبر خالق محذوف أي لكم ويجوز أن تكون جملة يرزقكم نصباً على الحال أو رفعاً صفة لخالق على المحل أو جراً صفة لخالق على اللفظ ويجوز أن تكون خبراً لخالق ، ومن السماء متعلقان بيرزقكم والأرض عطف وسيأتي المزيد من إعراب هذه الآية وما قيل فيها في باب الفوائد ومعنى الاستفهام التقرير والتوبيخ . (لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام وقد تقدم إعراب لا إله إلا الله مفصلاً ، فأنى الفاء استئنافية وأنى اسم استفهام في محل نصب حال وتؤفكون فعل مضارع مبني للسجھول والواو نائب فاعل .

الفوائد :

١ - معنى « نزيد في الخلق ما نشاء » :

اشتملت هذه الآيات على فوائد كثيرة أولها معنى الزيادة في الخلق ، ونرى أن خير ما قيل فيها ما أورده الزمخشري في كشفه فبعد أن أورد ما قاله العلماء فيها قال : « والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأنّ في مزاوله الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف » وهذا

الكلام على وجازته وبلاغته جامع مانع وفيه تعليل مرض لما تراه من تفاوت في مخلوقات الله •

واستعار الفتح للإطلاق والارسال كأنما هي أبواب موصدة لا يفتح مغالقتها إلا الله من صنوف النعم وضروب الآلاء كالرزق والمطر والصحة والأمن في الأوطان وغير ذلك مما لا يحصى عدده •

وفي تنكير الرحمة ما يدل على الاشاعة والابهام لتندرج في مطاويها ضروب النعم كما تقدم •

٢ - إعراب هل من خالق :

منع بعضهم أن تكون جملة يرزقكم خبراً لخالق لأن هل لا تدخل على مبتدأ مخبر عنه بفعل على الأصح •

٣ - مواضع زيادة « من » :

قلنا في مكان آخر أن « من » الجارة تزداد قبل النكرة إذا سبقت بنفي أو نهي أو استفهام ونضيف هنا أن ذلك يطرد في تسعة أوجه :

١ - في الابتداء •

٢ - في الفاعل •

٣ - في اسم كان •

٤ - في مفعول ما يتعدى لواحد •

٥ - في أول مفعولي ظننت •

- ٦ - في أول مفاعيل علمت •
- ٧ - في أول مفعولي أعطيت •
- ٨ - في ثاني مفعولي أعطيت •
- ٩ - في مفعول ما لم يسم فاعله •

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
 الْأُمُورُ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٧﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْهُدٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا
 يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ
 شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾

الاعراب :

(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم بأن له فيمن تقدمه من الأنبياء أسوة حسنة • وإن حرف شرط جازم ويكذبوك فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط وجملة قد كذبت في محل جزم جواب الشرط وهي من وضع السبب موضع المسبب وهو التأسى والتقدير فتأس بتكذيب الرسل من

قبلك ، ورسـل نائب فاعـل ومن قبـلك صفة لرسـل وبهذا التقدير يجـاب
عن الاعتراض بأن من حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له .
(وإلى الله ترجع الأمور) الواو عاطفة وإلى الله متعلقان بترجع والأمر
نائب فاعـل . (يا أيها الناس إن وعد الله حق) يا أيها الناس : تقدم
إعرابها كثيراً وإن واسمها وخبرها . (فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتغرنكم فعل
مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل
جزم بلا الناهية والكاف مفعول به والحياة فاعـل والدنيا صفة
ولا يغرنكم بالله الغرور عطف على ما تقدم والغرور بفتح الغين صيغة
مبالغة كالصبور والشكور والمراد بها الشيطان لأن ذلك ديدنه .

(إن الشيطان لكم عدواً فاتخذوه عدواً) إن واسمها ولكم
متعلقان بعدو أو حال منه وعدو خبر إن والفاء الفصيحة واتخذوه فعل
أمر وفاعل ومفعول به أول وعدواً مفعول به ثان .

(إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) إنما كافة
ومكفوفة ويدعو فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وحزبه مفعول
به واللام للتعليل ويكونوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً
بعد لام التعليل ويجوز أن تكون اللام هي لام الصيرورة أو العاقبة ،
والواو اسم يكونوا ومن أصحاب السعير خبرها . (الذين كفروا لهم
عذاب شديد) الذين مبتدأ وجملة كفروا صلة ولهم خبر مقدم وعذاب
مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين وشديد صفة ويجوز أن
يكون اسم الموصول بدلاً من الواو في ليكونوا أو صفة لحزبه
فيكون موضعه نصب كما يجوز أن يكون محله الجر على أنه بدل

من أصحاب أو انه نعت الأصحاب • (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) الذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة خبر الذين وأجر عطف على مغفرة وكبير صفة •

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

الاعراب :

(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من التباين بين عاقبتَي الفريقين بيان تباين حالهما المؤدي إلى تينك العاقبتين • والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف وقد تقدمت قطائرها ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ خبره محذوف دل عليه سياق الكلام والتقدير كمن هداه الله ، وأعربه بدر الدين بن مالك اسم شرط وجواب الشرط محذوف تقديره : ذهبت نفسك عليهم حسرة ، وجملة زين صلة من وله متعلقان بزين وسوء عمله فائب فاعل ، فرآه الفاء عاطفة ورآه عطف على زين والهاء مفعول رأى الأول وحسناً مفعول رأى الثاني لأنها قلبية والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط وان واسمها وجملة يضل خبرها ومن يشاء مفعول يضل وجملة ويهدي من يشاء عطف على جملة يضل من يشاء • (فلا تذهب نفسك

عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون) الفاء الفصيحة ولا فاهية وتذهب فعل مضارع مجزوم بلا وتفسك فاعل وعليهم متعلقان بتذهب كما تقول هلك عليه حباً ومات عليه حزناً ، ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلتة ، وحسرات مفعول لأجله والمعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وقال المبرد انها تميز وقال الزمخشري : « يجوز أن يكون حالاً كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير :

مشق الهواجر لحمهن مع السرى

حتى ذهبن كلا كلاً وصدورا

يصف نوقاً بالهزال يقال فرس مشوق أي طويل مهزول وجارية مشوقة القوام والهاجرة شدة الحر والسرى بالضم سير الليل والكلال والكلكال الصدر أي صرن من شدة الحر كأنهن عظام فقط لا لحم عليهن وعطف الصدور على الكلال للتعسير وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب البلاغة .

وان واسمها وخبرها وبما يصنعون متعلقان بعليم .

البلاغة :

في قوله : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » فن الإيغال وهو الاتيان بكلام يعتبر بمثابة التتمة لكلام سبقه احتياطاً ، فقد أقسم الله تعالى بحياة الرسول أكثر من مرة ان الذين أعرضوا عنه وخالفوه قد تجاوزوا كل حدّ بإعراضهم ودللوا على أنهم مفرطون في الغباوة

موجلون في الضلال كما قال تعالى في أكثر من موضع « لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون » وقوله أيضاً « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » وقوله « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » وذهب النفس حيرة وأسفاً تعبير مرموق رمله الشعراء كثيراً فقال شاعر قديم :

فعلى إثرهم تساقط نفسي حشرات وذكرهم لي سقام

لما أصابه الحزن بعد ذهاب الأحاب وتمكن من نفسه وسيطر بدمه ، تخيل أنها تتناثر وتنزل من جسمه حال كونها حشرات متتابعة ، وجعل النفس حشرات لامتزاجها بها فكأنها هي ، أو تتساقط بعدهم لأجل الحشرات والأحزان ، وذكرهم أي تذكرهم سقام لي وهو بالفتح مصدر كالسقم . وقال ابن الرومي مقتبساً هذه اللفظة البديعة في رثاء ابنه محمد وهو أوسط أولاده :

وظل على الأيدي تساقط نفسه

ويذوي كما يذوي القضيب من الزند

وإنما يحمل المريض على الأيدي إذا كان صغيراً وقد مات ابنه محمد منزوفاً وهو فيما بين الرابعة والخامسة .

أقول روى التاريخ أن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام لما زين له سوء عمله فرآه صواباً أو جميلاً فهم في الضلال ، وأطلق أمر النهي واعتنق طاعة الهوى حتى رأى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً كأنما ران عليه وسلبه عقله ولبه وتميزه وقد رمق أبو نواس سماء هذا المعنى فقال :

اسقني حتى تراني حسناً عندي القبيح

يقول لساقى الخمر : اسقني حتى أسكر فيحسن عندي القبيح ،
وحسناً هو المفعول الثاني لتراني والقبيح فاعل حسناً لأنه صفة مشبهة .

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسِقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١١﴾

اللغة :

(بلد) : في المصباح : « البلد يذكر ويؤنث » والبلدة البلد
وتطلق البلد والبلدة على كل موضع من الأرض عامراً كان أو خلاء ،
وفي التنزيل : « الى بلد ميت » أي الى أرض ليس بها نبات ولا مرعى
فيخرج ذلك بالمطر فترعاه أنعامهم فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى
وأطلق الحياة على وجودهما •

(الكلم) : اسم جنس لأنه يدل على الماهية من حيث هي هي
وليس بجمع خلافاً لصاحب القاموس ولغيره من النحاة لأنه يجوز
تذكير ضميره والجمع يغلب عليه التأنيث ولا اسم جمع لأن له واحداً
من لفظه والغالب على اسم الجمع خلاف ذلك وواحدة كلمة والكلمة

فيها ثلاث لغات : كَلِمَة بفتح الكاف وكسر اللام وكَلِمَة بكسر الكاف وسكون اللام وكَلِمَة بفتح الكاف وسكون اللام .

(يبور) : يهلك ويفسد يقال : بار يبور بُوراً وبواراً : هلك وبارت السوق أو السلعة كسدت وبار العمل : بطل وبارت الأرض : لم تزرع وبُور الأرض تركها أو صيرها بائرة وأباره : أهلكه وتبُور نفسه رثاها وفاح من البوار ، والبائر : ما بار من الأرض والجمع بُور يقال : حائر بائر أي لا يطيع مرشداً ولا يتجه لشيء والبُور أيضاً : الفاسد الهالك الذي لا خير فيه يقال امرأة بور وقوم بور ، والبور من الأرض : ما لم يزرع والبوار الهلاك والفساد ودار البوار : جهنم .

الاعراب :

(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً) الله مبتداً والذي خبره وجملة أرسل الرياح صلة الموصول والرياح مفعول به والفاء عاطفة وتثير فعل مضارع وسيأتي سر عطف المضارع على الماضي وكيف جاء مخالفاً لما قبله وما بعده في باب البلاغة وسحاباً مفعول به . (فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) فسقناه عطف أيضاً على طريق الالتفات وسقناه فعل وفاعل ومفعول به والى بلد متعلقان بسقناه وميت صفة ، فأحيينا به الأرض عطف أيضاً والظرف متعلق بمحذوف حال وكذلك خبر مقدم والنشور مبتداً مؤخر وسيأتي سر هذا التشبيه في باب البلاغة . (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً) من اسم شرط جازم في محل رفع مبتداً وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على ما وجمله يريد خبرها والعزة مفعول به والفاء

رابطة لجواب الشرط والله خبر مقدم والعزة مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وساغ قيام هذه الجملة مقام الجواب لدلالاتها عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه وتقديره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار ، تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ، ومعنى فله العزة جميعاً أن العزة كلها مختصة بالله ، وقال آخرون : « ومن شرطية مبتدأ وجواب الشرط محذوف تقديره فليعطه وقوله فله العزة تعليل للجواب المحذوف » وقدر البيضاوي جواب الشرط المحذوف بقوله « فليطعه » والله خبر مقدم والعزة مبتدأ مؤخر وجميعاً حال وجملة الشرط وجوابه خبر من .

(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) الجملة نصب على الحال وإليه متعلقان يصعد ويصعد الكلم فعل مضارع وفاعل والطيب صفة للكلم والعمل مبتدأ ، ويجوز رفعه على العطف والصالح صفة وجملة يرفعه خبر العمل وفاعل يرفعه ضمير مستتر يعود على العمل أي العمل الصالح يرفع الكلم وقيل انفاعل ضمير الله فتعود الهاء على العمل ، وعن ابن المقفع « قول بلا عمل كثر يد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر »

(والذين يسكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الكلم الخبيث والعمل السيئ بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وأهلها . والذين مبتدأ وجملة يسكرون صلة الذين والسيئات صفة مفعول مطلق وتقديره المكرات السيئات ولا يجوز نصبه على أنه مفعول به لأن مكر فعل غير متعد والمكرات بفتحات جمع مكرة بسكون الكاف وهي المرة من المكر الذي هو الحيلة والخديعة وقال بعضهم يجوز تضمين يسكرون

السيئات معنى يكسبون السيئات فيجوز نصبها على أنها مفعول به ،
ومكر مبتدأ وأولئك مضاف إليه ووضع اسم الإشارة موضع الضمير
للإيدان بتمييزهم بالشر والفساد عن سائر المفسدين أي هم لا غيرهم ،
وهو ضمير فصل لا محل له وجملة يبور خبر مكر ويجوز أن يكون
هو مبتدأ وجملة يبور الخبر والجملة الاسمية خبر مكر وقد اختلف
في وقوع ضمير الفصل قبل الخبر فمنعه قوم وأجازه آخرون ونحن
أميل الى الجواز .

البلاغة :

١ - الالتفات :

في قوله « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الخ »
اللتفاتان : الأول في الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي فقد قال
« فتثير » مستقبلاً وما قبله وما بعده ماض لحكاية الحال الماضية
واستحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة
وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو
تهم المخاطب وغير ذلك كما قال تأبط شراً :

فمن ينكر وجود الغول إني أخبر عن يقين بل عيان
بأنني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً للسدين وللجران

والغول أنثى الشياطين والعيان المشاهدة بالعين والهوي الهبوط
والمراد سرعة العدو والسهب بالفتح الفضاء المستوي البعيد الأطراف

والصحيفة الكتاب والصحصحان بالفتح المستوي من الأرض والجبران ككتاب مقدم عظم العنق من الحلق الى اللبة وجمعه جرنه ككتبه وأجره كأفئدة يقول : من ينكر وجود الغول فقد كذب فإني أخبر عن يقين أو المعنى فيا من تنكر وجود الغول إني أخبر إخباراً ناشئاً عن يقين وهو ما كان بدليل قاطع بله عيان ومشاهدة بالعين .

وعلى هذا الأسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوام في غزوة بدر فإنه قال : لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لأمة كاملة لا يرى منه إلا عيناه وهو يقول : أنا أبو ذات الكتوس ، وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه فوق وأطأ برجلي على خده حتى خرجت العنزة متعققة . فقوله فأطعن بها في عينه وأطأ برجلي معدول به عن لفظ الماضي الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلثم ، ألا ترى أنه قال أولاً لقيت عبيدة بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه ولو عطف كلامه على أوله لقال فطعنت بها في عينه .

والالتفات الثاني في قوله : « فسقناه الى بلد ميت فأحيينا الخ » ولو جرى على نمط الكلام لقال فسقى وأحيا ولكنه عدل بهما عن لفظ الغيبة الى لفظ التكلم وهو أدخل في الاختصاص وأدل عليه وإنما عبر بالماضيين بعد المضارع للدلالة على التحقق .

٢ - التشبيه :

وفي قوله « كذلك النشور » تشبيه مرسل لوجود الأداة أي كمثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية أو في كيفية الإحياء .

٣ - المجاز الاسنادي :

وفي قوله « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » مجاز في المسند ومجاز في الاسناد فالصعود مجاز عن العلم لأن الصعود صفة من صفات الاجرام والكلم معلوم فأسند الفعل للمفعول به .

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلِّهِ وَمَا يِعْمَرْ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازٍ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

اللفة :

(فرات) : شديد العذوبة وفي القاموس « وفرت الماء ككرم فروته عذب » .

(أجاج) : شديد الملوحة وفي القاموس « وأجّ الماء أجوجاً بالضم يأجج كيسم ويضرب وينصر إذا اشتدت ملوحته » وتقول هجير " أجاج للشمس فيه مثجاج وهو لعاب الشمس وماء أجاج يحرق بملوحته .

(قطمير) : القطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها وقيل هي النكتة في ظهرها ، ومعلوم أن في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة : الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقيرو هو ما في ظهرها والثفروق وهو بين القمع والنواة وقال الجوهري : « ويقال هو النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة » .

الاعراب :

(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً) كلام مستأنف مسوق لإيراد تقرير آخر أو دليل آخر على صحة البعث والنشور . والله مبتدأ وجملة خلقكم خبر ومن تراب متعلقان بخلقكم ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ومن نطفة عطف على من تراب ، ثم جعلكم أزواجاً عطف على خلقكم من تراب وأزواجاً مفعول ثان لجعل أي أصنافاً ذكوراً وإناثاً . (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا

بعلمه) الواو عاطفة وما نافية وتحمل فعل مضارع مرفوع ومن حرف جر زائد وأثنى مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ولا تضع عطف على وما تحمل وإلا أداة حصر وبعلمه في موضع نصب على الحال أي معلومة له . (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) الواو عاطفة وما نافية ويعمر فعل مضارع مبني للمجهول ومن حرف جر زائد ومعمر نائب فاعل ولا ينقص عطف على وما يعمر ومن عمر متعلقان بينقص وإلا أداة حصر وفي كتاب في محل نصب على الحال وسيأتي معنى هذا الكلام المتسامح في باب البلاغة . (إن ذلك على الله يسير) إن واسمها وعلى الله متعلقان يسير ويسير خبر إن وفي المصباح : « ويسر الشيء مثل قرب قلّ فهو يسير ويسر الأمر يسير يسراً من باب تعب ويسر يسراً من باب قرب فهو يسير أي سهل ويسره الله فتيسر واستيسر بمعنى » .

(وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل للمؤمن والكافر وما نافية ويستوي فعل مضارع مرفوع والبحران فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى وهذا مبتدأ وعذب خبر وفرات خبر ثان أو صفة وسائغ شرابه يجوز أن يكون سائغ صفة ثالثة وشرابه فاعل لسائغ لأنه صفة مشبهة أي سهل انحداره ويجوز أن يكون سائغ خبر مقدم وشرابه مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية وجملة هذا عذب الخ في محل نصب حال من البحران وهذا ملح أجاج عطف على هذا عذب فرات وسيأتي مزيد بسط عن هذا المثل في باب البلاغة .

(ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها) الواو إما عاطفة والجملة بمثابة التثمة والتكميل للتمثيل وإما استئنافية

فتكون الجملة مستأنفة استطرادية وسيأتي تفصيل كل من المعنيين في باب البلاغة ، ومن كل متعلقان بتأكلون ومنها صفة للسحذوف بعد كل أي كل واحد منهما وتأكلون فعل مضارع وفاعل ولحماً مفعول به وطرياً صفة وتستخرجون عطف على تأكلون وحلية مفعول به وجملة تلبسونها نعت لحلية وتلبسونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به . (وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) الواو عاطفة وترى الفلك فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت والفلك مفعول به وفيه متعلقان بمواخر أو ترى ومواخر حال لأن الرؤية بصرية ولتبتغوا اللام للتعليل وتبتغوا فعل مضارع منصوب بأن مضمره بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بمواخر ومن فضله متعلقان بتبتغوا ولعل واسمها وجملة تشكرون خبرها .

(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) لك أن تجعلها كلاماً مستأنفاً ولك أن تجعلها في محل نصب على الحال من فاعل خلقكم أي الله تعالى والليل مفعول به ليولج وفي النهار متعلقان بيولج ويولج النهار في الليل عطف على الجملة التي سبقته . (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) الواو عاطفة وسيأتي سر تغاير المتعاطفين في باب البلاغة ، وسخر الشمس فعل وفاعل مستتر يعود على الله ومفعول به والقمر عطف على الشمس وكل مبتدأ أي كل واحد منهما وجملة يجري خبر ولأجل متعلق بيجري ومسمى نعت لأجل . (ذاكم الله ربكم له الملك) ذاكم مبتدأ وأخبر عنه بأخبار ثلاثة وهي الله وربكم وجملة له الملك ، وله خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر . (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الواو حالية أو استئنافية والذين مبتدأ وجملة تدعون صلة ومن دونه حال وما نافية

ويملكون فعل مضارع وفاعل وجملة ما يملكون خبر الذين ومن حرف جر زائد وقطير مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به .

(إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)
كلام مستأنف مسوق لتقرير المضمون المتقدم وإن حرف شرط جازم
وتدعوهم فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون وهو فعل مضارع
وفاعل ومفعول به ولا نافية ويسمعوا جواب الشرط ودعاءكم مفعول
به والواو حالية أو عاطفة ولو حرف شرط وسمعوا فعل ماض والواو
فاعل وما نافية واستجابوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب
شرط غير جازم . (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) الظرف متعلق
بيكفرون وبشرككم متعلقان بيكفرون والكاف مضافة الى المصدر من
إضافة المصدر الى فاعله أي يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم .
(ولا ينبئك مثل خبير) الأحسن أن يكون الخطاب عاماً أي أيها
السامع كائناً من كنت ، ولا نافية وينبئك فعل مضارع والكاف مفعوله
ومثل خبير فاعله أي عالم ببواطن الأمور .

البلاغة :

١ - الكلام المتسامح :

في قوله « وما يعمر من معمر الخ » فن الكلام المتسامح الذي
يثق فيه المتكلم بأفهام السامعين وأذواقهم ، لأنه لا يلتبس عليهم ،
ولا يعزب عنهم إدراك منظوياته واكتناه مراميها ، فظاهر الكلام يوهم
أن المتعاطفين مما يتعاوران كل إنسان وإن التعمير وخلافه يتعاقبان
عليه وذلك محال في حد ذاته ، بيد أنه من البدائنه التي تدرك لأول

وهلة ، وعليه كلام الناس المستفيض يقولون : لا يثيب عبداً ولا يعاقبه إلا بحق وما تنعمت بلداً ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي ، وفيه — كما يقول الزمخشري — تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب ، وصورته أن يكتب في اللوح : إن حج فلان فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهي الستون •

٢ — التمثيل :

وفي قوله « وما يستوي البحرين الخ » ويسميه بعضهم الاستعارة التمثيلية وهو تركيب استعمل في غير موضعه لعلاقة المشابهة وليس فيه ذكر للمشبه ولا لأداة التشبيه وهذا مثال يوضحه وهو قولهم : « أنت تضرب في حديد بارد » فقد شبهت حال من يلح في الحصول على شيء يتعذر تحقيقه بحال من يضرب حديداً بارداً بجامع أن كلاهما منهما يكون عملاً لا يرجى من ورائه أثر ، وليس في هذا التركيب ذكر للمشبه ولا لأداة التشبيه فهو إذن استعارة تمثيلية لأنه تركيب استعمل في غير ما وضع له ، والمشابهة ظاهرة بين المعنيين المجازي والحقيقي وهذا النوع يكثر في الأمثال السائرة النثرية والشعرية كقولهم « إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً » يضرب لمن يتناول عليك أو للقوي يقع فيمن هو أقوى منه وأعنف والمخاطب لم يكن ريحاً ولم يلاق إعصاراً •

ولعبد القاهر الجرجاني فصل ممتع في التمثيل تلخصه فيما يلي قال : « وهل يشك في أنه يعمل عمل السحر حتى يختصر بعد ما بين

المشرق والمغرب » وقال : « وهو يريك للمعاني المشّلة في الأوهام
شبهاً في الأشخاص الماثلة وينطق لك الأخرس ويعطيك اليان من
الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ويريك التّام عين الأضداد ، ويجعل
الشيء البعيد قريباً » •

وأورد عبد القاهر في كتاب أسرار البلاغة مثالا شعرياً رائعاً
قال : « وتأمل كذلك بيت أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعاً عن البيت الذي يليه برغم أن البيت واضح المعنى ثم
أتبعه بالبيت التالي وهو :

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

واقتر هل نشر المعنى تمام حطه وأظهر المكنون من حسنه
وزينته واستحق التقديم كلكه إلا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل
والتصوير » •

هذا وليس كل تشبيه يحول الى استعارة كما يوهم الكلام
المتقدم وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه
ويسهل متناوله ويكون في الحال دليل عليه حتى يمكن المخاطب إذا
أطلقت له الاسم أن يعرف ما أردت فإذا لم يكن سبيل الى معرفة
المقصود من الشبه فيه إلا بعد ذكر الجمل التي يعقد بها التمثيل فإن
الاستعارة لا تدخله لأن وجه الشبه إذا كان غامضاً لم يجز أن تقتصر

الاسم وتنقله إلى غير ما هو أهله من غير أن يكون معك شاهد ينبيء
عن الشبه ومثّل عبد القاهر لذلك بيت للنابغة الذبياني قال : « فلو
حاولت أن تحول قول الشاعر :

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أن المتأى عنك واسع

الى استعارة وإن تعامل الليل معاملة الأسد في قولك : « رأيت
أسداً » لم تجد له مذهباً في الكلام ، لأنك لا تخلو من أحد أمرين :
إما أن تحذف الصفة وتقتصر على ذكر الليل مجرداً فتقول : إن فررت
أظلني الليل ، وهذا محال لأنه ليس في الليل دليل على النكته التي
قصدتها الشاعر من أنه لا يفوته وإن أبعد في الهرب لسعة ملكه وطول
يده ، وإن لم تحذف الصفة وجدت طريق الاستعارة فيه يؤدي الى
تعسف إذ لو قلت : إن فررت منك وجدت ليلاً يدركني وإن ظننت
أن المتأى واسع والمهرب بعيد ، قلت مالا تقبله الطباع لأن العرف لم
يجر بأن تجعل الممدوح هكذا » .

ونعود الى ذكر الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقد مثل الله
للمؤمن والكافر بالبحرين ثم فضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد
شارك البحر العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك بما
ينفع الناس والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى : « ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة » ثم قال : « وإن
من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وإن منها لما يهبط من خشية الله » ويقال أيضاً إن المؤمن والكافر وإن

اشتركا في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لا يتساويان في الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية .

٣ - الاستطراد :

وعلى ذكر الاستطراد نقول لقد تقدمت الإشارة إليه في هذا الكتاب ونزيده هنا بسطاً فنقول انه أن يبني الشاعر أو الكاتب كلاماً كثيراً على كلام من غير ذلك النوع يقطع عليه الكلام وهو مراده دون جميع ما تقدم ويعود الى كلامه الاول ، وجلّ ما يأتي تشبيهاً فقد استطرّد في الآية الى ذكر البحرين المالح والعذب وما علق بهما من نعمته وعطائه فمن كل منهما تأكلون لحماً طرياً وهو السمك وتستخرجون حلية تلبسونها فالخاتم يجعل في الإصبع والسوار في المعصم والقلادة في العنق والخلخال في الرجل وترى الفلك في كل منهما مواخر أي شواق للماء بجريها بها ، يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره .

* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ
 (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
 (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ
 شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا
 الصَّلَاةَ ۚ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

اللفظة :

(حملها) : الحمل بالكسر ما يحمل والجمع أحمال وحُمولة
والحمل أيضاً : واحد الحُمول وهي الهودج أو الإبل التي عليها
الهودج وفي المصباح : « الحمل بالكسر ما يحمل على الظهر ونحوه
والجمع أحمال وحمول وحملت المتاع حملاً من باب ضرب فأنا حامل
والأثنى حاملة بالتاء لأنها صفة مشتركة » وفي المختار : « قال ابن
السكيت : الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة ، والحمل
بالكسر ما كان على ظهر أو رأس ، قال الأزهري : وهذا هو الصواب
وهو قول الأصمعي وقال : امرأة حامل أو حاملة إذا كانت حبل فمن
قال حامل قال : هذا نعت لا يكون إلا للإناث ومن قال حاملة بناء على
ما حملت فهي حاملة وذكر ابن دريد أن حمل الشجرة فيه لغتان الفتح
والكسر » وقد نظم بعضهم ضابطاً لهذه المادة العجيبة فقال :

ما كان في بطن فذاك حَمْلٌ	وإن على ظهر ورأس حِمْلٌ
والكفلاء والديات حَمْلٌ	جمع حِمَال وحِمِل فادر
كثير حَمْل اسمه الحِمَال	وحامل الديات والحِمَال
مصدر حَمَلْتك والحِمَال	جمع لحامل لأي وقر

الاعراب :

(يا أيها الناس أتمم الفقراء الى الله) يا أيها الناس تقدم إعرابها
كثيراً وأتمم مبتدأ والفقراء خبر والى الله متعلقان بالفقراء لأنه جمع
فقير وفقير صفة مشبهة • (والله هو الغني الحميد) الله مبتدأ وهو

مبتدأ ثان أو ضمير فصل والغني الحميد خبران للمبتدأ أو لهو والجملة الاسمية خبر الله • (إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد) إن شرطية ويشأ فعل الشرط ويذهبكم جواب الشرط وجزاؤه ويأت عطف على يذهبكم وبخلق متعلقان بيأت وجديد نعت • (وما ذلك على الله بعزيز) الواو عاطفة وما نافية حجازية وذلك اسم ما وعلى الله متعلقان بعزيز والباء حرف جر زائد وعزيز مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما • (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا نافية وتزر فعل مضارع ووازره فاعل أو هو وصف لفاعل محذوف والتقدير نفس وزارة ووزر مفعول به وأخرى مضاف إليه وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة • (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) إن شرطية وتدع فعل الشرط ومثقلة وصف لفاعل محذوف أي نفس مثقلة بالذنوب وإلى حملها متعلقان بتدع والمفعول به محذوف للعلم به ولا نافية ويحمل بالبناء للمجهول جواب الشرط ومنه متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشيء والواو حالية ولو شرطية وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره المدعو وذا قربى خبر أي ذا قرابة •

(إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) إنما كافة ومكفوفة وتنذر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت والذين مفعول به وجملة يخشون صلة وربهم مفعول به وبالغيب حال من الفاعل أو من المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وأقاموا الصلاة فعل ماض وفاعل ومفعول • (ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير) الواو اعتراضية

ويجوز أن تكون استثنائية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتزكى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وإنا كافة ومكفوفة وتزكى فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو ولنفسه متعلقان يتزكى على أنه تعليل له وإلى الله خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر .

البلاغة :

١ - في قوله « أتمم الفقراء إلى الله » تعريف الفقراء ، والسر فيه المبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم هم الموسومون بالفقراء وإن افتقار غيرهم بالنسبة لفقرهم لا يعتبر افتقاراً أو كأنهم قد أصبحوا وقد بلغوا من الفاقة غايتها ، ومن العوز نهايته جنس الفقراء وهذا من روائع علم البيان .

٢ - وفي قوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » جناس الاشتقاق بين تزر ووازره ووزر ، والوزر كما في المصباح الاثم والوزر الثقل أيضاً ومنه يقال وزر يزر من باب وعد إذا حمل الاثم . وهنا يرد سؤال كيف يتفق هذا القول مع قوله تعالى : « وليحملن أثقالاً مع أثقالهن » فإن هذه الآية في الضالين المضلين فهم يحملون أثقال ضلالهم وأثقال إضلالهم لغيرهم أما الآية التي نحن بصددنا فهي مقتصرة على الذين يحملون أوزار وأثقال أنفسهم ، وعن ابن عباس : يلقي الأب والأم الابن فيقولان له يا بني احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبي ما علي .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾
وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ
يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ
إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا
فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾

اللفظة :

(الحرور) : عبارة الزمخشري : « الحرور السموم إلا أن
السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالنهار خاصة »
وفي المصباح « الحر » بالفتح خلاف البرد يقال حر اليوم والطعام يحر
من باب تعب وحر حروراً من بابي ضرب وقعد لغة والاسم الحرارة
فهو حار وحرّت النار تحر من باب تعب توقدت وأسعرت والحر
بالفتح : أرض ذات حجارة سود والجمع حِرار مثل كلبة وكلاب
والحرور وزان رسول الريح الحارة ، قال الفراء : تكون ليلاً ونهاراً
وقال أبو عبيدة أخبرنا رؤية أن الحرور بالنهار والسموم بالليل وقال
أبو عمرو بن العلاء : الحرور والسموم بالليل والنهار والحرور مؤنثة «
وعبارة القاموس : « والحرور : الريح الحارة بالليل وقد تكون
بالنهار وحر الشمس والحر الدائم والنار » •

الاعراب :

(وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل للمؤمن والكافر والتنافي بينهما في الذات والوصف والمستقر في الآخر . وما نافية ويستوي فعل مضارع لا يكتفي بفاعل واحد ولذلك يجب أن يعطف عليه أو يتعدد والأعمى فاعل والبصير عطف عليه وما بعده عطف أيضاً ولا زائدة للتأكيد . (وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء) الواو عاطفة وما نافية ويستوي الأحياء فعل مضارع وفاعل ولا للأموات عطف عليه وإن واسمها وجملة يسمع خبرها ومن موصول مفعول به وجملة يشاء صلة . (وما أنت بمسمع من في القبور) الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنت اسمها وبمسمع الباء حرف جر زائد ومسمع مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ومن مفعول مسمع لأنه اسم فاعل وفي القبور متعلقان بمحذوف صلة من . (إن أنت إلا نذير) إن نافية وأنت مبتدأ وإلا أداة حصر ونذير خبر أنت .

(إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) إن واسمها وجملة أرسلناك خبرها وبالحق متعلقان بأرسلناك وقيل في محل نصب على الحال من الفاعل أي محقين أو من المفعول أي محققاً أو نعت لمصدر محذوف أي إرسالاً ملتبساً بالحق وبشيراً حال ونذيراً عطف على بشير . (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) الواو عاطفة وإن نافية ومن حرف جر زائد وأمة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ وإلا أداة حصر وجملة خلا خبر إن أي سلف وفيها متعلقان بخلا ونذير فاعل .

البلاغة :

التمثيل والطباق :

في قوله « الأعمى والبصير » مثل للمؤمن والكافر « والظلمات والنور » مثل للحق والباطل وكذلك « الظل والحرور » و « الأحياء والأموات » مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر وقد تقدم البحث مستوفياً في التمثيل ولا يخفى الطباق الموجود في كل ما ذكر .

الفوائد :

الواو في النفي :

قال الزمخشري : « فإن قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي ؟ قلت : إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي » .

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْأَنْعَامُ

مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ
 اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

اللفظة :

(جدد) : بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهي طريق في
 الجبل أو غيره أو هي الخطة والطريقة من قولك جدت الشيء أي
 قطعت ، قال لييد بن ربيعة : « أو مذهب جدد على ألواحه » وقال
 أبو الفضل : « هي ما يخالف من الطرائق لون ما يليها ومنه جدة
 الحمار للخط الذي في ظهره » والمراد في الجبال ما هو ذو جدد
 يخالف لونها لون الجبل .

(غرايب) : جمع غريب وهو الأسود المتناهي في السواد يقال
 أسود غريب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه
 ومنه الغراب وفي القاموس « وأسود غريب حالك فأما غرايب سود
 فالسود بدل لأن توكيد الألوان لا يتقدم » وسيأتي المزيد من هذا
 البحث في باب الاعراب .

الاعراب :

(وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) الواو عاطفة وإن
 شرطية ويكذبوك فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقد الفاء رابطة
 لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وكذب الذين فعل وفاعل ومن قبلهم

متعلقان بسحذوف صلة وجملة فقد كذب في محل جزم جواب الشرط والأولى أن يكون الجواب محذوفاً تقديره فاصبر كما صبروا وقوله فقد كذب دليل عليه (جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير) جملة جاءتهم حال وهو فعل ماض ومفعول به ورسلهم فاعل وبالبينات متعلقان بجاءتهم وما بعده عطف عليه والمنير صفة لكتاب والمراد بالزبر صحف إبراهيم وبالكتاب المنير التوراة والانجيل . (ثم أخذت الذين كهروا فكيف كان نكير) ثم حرف عطف وأخذت الذين كهروا فعل وفاعل ومفعول به والفاء استئنافية وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر لكان مقدم عليها ونكيري اسمها وحذفت الياء في الرسم لمراعاة الفاصلة والنكير بمعنى الإنكار أي إنكاري عليهم بالعقوبة والاهلاك ، والاستفهام هنا معناه التقرير أي انه وقع موقعه وصادف أهله .

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما تقدم من ذكر اختلاف أحوال الناس وأنه أمر مطرد في جميع الكائنات . والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نهي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره أنت وإن واسمها سلت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة أنزل من السماء خبرها وماء مفعول أنزل . (فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها) الفاء عاطفة وأخرجنا عطف على أنزل على طريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم وبه متعلقان بأخرجنا وثمرات مفعول أخرجنا ومختلفاً صفة لثمرات وهو نعت سببي وألوانها فاعل به ولذلك لم يؤنث لأنه أسند إلى جمع تكسير يجوز فيه التذكير والتأنيث وسيأتي سر هذا الالتفات في باب البلاغة . (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود) ومن

الجبـال الواو استثنائية ومن الجبال الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجدد مبتدأ مؤخر وسيرد سر هذه الجملة الاسمية في باب البلاغة ، وبيض صفة لجدد وحر عطف على بـيض ومختلف صفة لجدد أيضاً وألوانها فاعل بمختلف ، وقد تقدم نظيره ولذلك لا يجوز أن تعرب مبتدأ مؤخرأ وخبراً مقدماً لأن المطابقة واجبة حينذاك ، وغرايب عطف على جدد وسود بدل من غرايب وجعله الزمخشري معطوفاً على بـيض أو جدد ، قال « كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد » ثم قال « ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بـيض وحر وسود حتى يثول الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانها كما قال ثمرات مختلفاً ألوانها » ولم يذكر بعد غرايب سود مختلف ألوانها كما ذكر ذلك بعد بـيض وحر لأن الغريب هو البالغ في السواد فصار لوناً واحداً غير متفاوت بخلاف ما تقدم .

(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) الواو عاطفة ومن الناس خبر مقدم والدواب والأنعام معطوفان على الناس ومختلف ألوانه نعت لمحذوف هو المبتدأ أي صنف مختلف ألوانه من الناس وكذلك نعت لمصدر محذوف لمختلف أي اختلاف كذلك . (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) الجملة تعليل للرؤية لأن الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه . وإنما كافة ومكفوفة ويخشى الله فعل مضارع ومنعول به مقدم ومن عباده حال والعلماء فاعل ، وسيأتي سر هذا الحصر في باب البلاغة ، وان واسمها وخبرها .

البلاغة :

انطوت هذه الآيات على فنون رفيعة من البيان نورد منها :

١ - الالتفات في قوله « فأخرجنا » فقد التفت عن الغيبة الى التكلم لأن المنه بالاخراج أبلغ من إنزال الماء ، ولإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة .

٢ - التدبيج في قوله « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود » وقد تقدم أن التدبيج هو أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون ، وقد أراد الله تعالى بذلك الكناية عن المشتبه من الطرق لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً وهي أوضح الطرق وأبينها يأمن فيها المتعسف ولا يخاف اجتيازها الموغل في الاسفار والممن في اقتراش صعيد المغاور ، ولهذا قيل ركب بهم المحجة البيضاء ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء كأنها في خفائها والتباس معالمها ضد البيضاء في الظهور والوضوح ، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة بينهما ، فالطرف الأعلى في الظهور البياض والطرف الأدنى في الخفاء السواد والأحمر بينهما على وضوح الألوان والتراكيب ، وكانت ألوان الجبال لا تخرج ، في الغالب ، عن هذه الألوان الثلاثة ، والهداية بكل علم نصب للهداية منقسمة هذه القسمة ، أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم فحصل فيها التدبيج مع صحة التقسيم وهي مسرودة على نمط متعارف ، مسوقة للاعتداد بالنعم على ما هدت اليه

من السعي في طلب المصالح والمنافع وتجنب المعاطب والمهالك الدنيوية والأخرية .

٣ - العدول الى الاسمية :

وذلك في قوله « ومن الجبال » فإن إيراد هذه الجملة والجملة التي بعدها وهي « ومن الناس » اسميتين مع مشاركتهما للجملة الفعلية قبلهما في الاستشهاد بمضمون كل من هذه الجمل على تباين الناس في الأحوال ، كما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار ، وأما إخراج الثمرات المختلفة فأمر حادث متجدد فعبر عنه بما يدل على الحدوث .

٤ - التقديم والتأخير والحصر :

في قوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » لحصر الخشية بالعلماء كأنه قيل : إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم ، أما إذا قدمت الفاعل فإن المعنى ينقلب الى أنهم لا يخشون إلا الله وهما معنيان مختلفان كما يبدو للمتأمل .

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

الاعراب :

(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة) إن واسمها وجملة يتلون صلة وكتاب الله مفعول يتلون وأقاموا الصلاة فعل ماض وفاعل ومفعول به وهي عطف على الصلة داخلة في حيزها • (وأتفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) عطف أيضاً وأتفقوا فعل وفاعل ومما متعلقان بأتفقوا وجملة رزقناهم صلة وسراً وعلانية منصوبان بنزع الخافض أي في السر والعلانية وفي ذلك إلماع الى الإتيان كيفما تهيأ ولك أن تنصبهما على الحال أي مسرين ومعلنين وقيل هو إلماع الى الصدقة المطلقة والأحسن فيها أن تكون سراً والزكاة وهي لا تكون إلا علانية • (يرجون تجارة لن تبور) جملة يرجون خبر إن وتجارة مفعول به ولن حرف قهي ونصب واستقبال وتبور فعل مضارع منصوب بلن وجملة لن تبور صفة لتجارة •

(ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) اللام للعاقبة والصيرورة أو للتعليل ويوفيهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بلن تبور على معنى أنها لن تكسد لأجل أن يوفيهم أجور أعمالهم الصالحة ، وقيل إن اللام متعلقة بمحذوف دل عليه السياق أي فعلوا ذلك ليوفيهم والهاء مفعول يوفيهم الأول وأجورهم مفعول به ثان ويزيدهم عطف على يوفيهم وان واسمها وغفور خبرها الأول وشكور خبرها الثاني وجملة إن تعليل لما تقدم من التوفية والزيادة ، وأجاز الزمخشري جعل جملة يرجون في محل نصب على الحال أي وأتفقوا راجين ، وخبر إن قوله إنه غفور شكور • (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق) الذي مبتدأ

وجملة أوحينا صلة واليك متعلقان بأوحينا ومن الكتاب حال وهو مبتدأ أو ضمير فصل والحق خبر هو والجملة الاسمية خبر الذي أو الحق خبر الذي • (مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير) مصدقاً حال مؤكدة أي وموافقاً لما تقدمه من الكتب ولما متعلقان بمصدقاً والظرف متعلق بمحذوف صلة ما ويديه مضاف إليه أي من الكتب التي تقدمته وإن واسمها وعباده متعلقان بخير واللام المرحلة وخير وبصير خبران لأن أي عالم بما ظهر وما بطن منهم •

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۖ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

اللفظة :

(نصب) : تعب وفي القاموس : « نصب كفرح أعيا » وفي المختار : « ونصب تعب وبابه طرب » •

(لغوب) : إعياء من التعب وفي القاموس : « لغب لغباً ولغوباً كمنع وسمع وكرم أعيا أشد الإعياء » وفي المختار : « اللغوب بضمين التعب والإعياء وبابه دخل ولغب بالكسر لغوباً لغة ضعيفة » فظاهر ما ورد في كتب اللغة أنهما متفقان في المعنى ولكن الزمخشري فرق بينهما تفريقاً دقيقاً فقال : « فإن قلت : ما الفرق بين النصب واللغوب ؟ قلت : النصب والتعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب تتيجه وما يحدث منه من الكلال والفترة » .

الاعراب :

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأورثنا الكتاب فعل وفاعل ومفعول به ثان وإفما قدم المفعول الثاني قصد التشريف والتعظيم للكتاب وسيأتي معناه في باب البلاغة والذين هو المفعول الأول وجملة اصطفينا صلة الذين ومن عبادنا حال . (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الفاء تفرعية لأنه قسم عبادة الذين أورثهم الكتاب كما سيأتي ومنهم خبر مقدم وظالم مبتدأ مؤخر ولنفسه متعلقان بظالم وهؤلاء هم القسم الأول ومنهم مقتصد عطف على ما قبله وهم القسم الثاني ومنهم سابق بالخيرات عطف أيضاً وهم القسم الثالث وإذن الله حال أو متعلقان بسابق وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد . (ذلك هو الفضل الكبير) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان أو ضمير فصل والفضل الكبير خبر هو والجملة خبر ذلك ، أو خبر ذلك .

(جنات عدن يدخلونها) جنات عدن مبتدأ وجملة يدخلونها خبر وأعربها الزمخشري بدلاً من الفضل وليس ثمة مانع ولكن الزمخشري تسلل من هذا الاعراب الى تثبيت عقيدته الاعتزالية كما سيأتي في باب الفوائد لطرافته • (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير) الجملة خبر ثان وقد تقدم إعرابها في سورة الحج فقد وردت هناك بلفظها فجدد به عهداً • ومن العجيب أن الزمخشري الذي أعرب لؤلؤاً منصوبة بفعل محذوف في سورة الحج أي ويؤتون قد أعربها هنا عطفاً على محل من أساور فقال : « ولؤلؤاً معطوف على محل من أساور ومن داخلة للتبويض أي يحلون بعض أساور من ذهب » ولباسهم مبتدأ وفيها حال وحرير خبره (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) الواو عاطفة وقالوا فعل ماض أراد به المضارع وعدل الى الماضي للدلالة على التحقيق ، والحمد مبتدأ والله خبر والذي نعت وجملة أذهب عنا صلة والحزن مفعول به لأذهب الذي تعدى بالهمز وعنا متعلقان بأذهب • (إن ربنا لغفور شكور) ان واسسها واللام المزحلقة وغفور خبر أول لإن وشكور خبر ثان (الذي أحلنا دار المقامة من فضله) بدل من الذي المتقدمة وجملة أحلنا صلة وهو فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به أول ودار المقامة مفعول به ثان أي أنزلنا دار المقامة ومن فضله متعلقان بأحلنا ومن للابتداء أو للتعليل • (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) جملة لا يمسنا حال من مفعول أحلنا الأول ويجوز أن تكون حالا من المفعول الثاني والأول أرجح ويمسنا فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وفيها متعلقان بيمسنا ونصب فاعل ولا يمسنا فيها لغوب عطف على ما تقدم •

البلاغة :

١ - في قوله « ثم أحدثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » استعارة مكنية تبعية ، شبه إعطاء الكتاب إياهم من غير كد أو تعب في وصوله إليهم بتوريث الوارث .

٢ - وفي هذه الآية أيضاً فن « الجمع مع التقسيم » وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حكم ثم يقسم ما جمعه أو يقسم أولاً ثم يجمع ، فالأول كآية المذكورة وقوله تعالى « يوم تأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد » إلى آخر الآية .

الفوائد :

١ - الترتيب على مقامات الناس :

قال الزمخشري : « فإن قلت : لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق ؟ قلت : للإيدان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقين أقل من القليل » وأوضح الخازن هذا المعنى بعبارة أكثر بسطاً فقال : « فإن قلت : لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق ؟ قلت : قيل : رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال الناس ثلاثة : معصية وغفلة وتوبة ، فإذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين فإذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عداد السابقين » .

٢ - بين المعتزلة وأهل السنة :

قال الزمخشري : « فإن قلت كيف جعلت جنات عدن بدلاً من

الفضل الكبير ؟ قلت : لأن الإشارة بالفضل الى السبق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيل الثواب ، فأقام السبب مقام المسبب ، وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد وليسلك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع » وهذا الكلام جار على مذهب المعتزلة أما أهل السنة فيجوزون الغفران بمجرد الفضل ، قال ابن المنير في الرد على الزمخشري : « وقد صدرت هذه الآية بذنر المصطفين من عباد الله ثم قسمتهم الى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين وانه لمنهم ، وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفاؤه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فما بال المصنف (أي الزمخشري) يطنب في التسوية بين الموحّد المصطفى والكافر المجترىء . »

قبسة عن المعتزلة :

هذا والمعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الانسان وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد وان القرآن محدث مخلوق ليس بتقديم وأن الله تعالى ليس بمرئي يوم القيامة وأن المؤمن إذا ارتكب الكبيرة كان في منزلة بين المنزلتين يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن ولا كافر وأن من دخل النار لم يخرج منها وأن الايمان قول وعمل واعتقاد وأن إعجاز القرآن في الصرف عنه لا أنه

في نفسه معجز ولو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه
وأن المعلوم شيء وأن الحسن والقبح عقليان وأن الله تعالى حي لذاته
لا بحياة وعالم لذاته لا بعلم وقادر لذاته لا بقدرة •

ومن مشهوري المعتزلة وأعيانهم الجاحظ وأبو الهذيل العلاف
وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وأحمد بن حابط وبشر بن المعتز
ومعمر بن عباد السلمي ، وأبو موسى عيسى الملقب بالمزداد ويعرف
براهب المعتزلة وثمامة بن أشرس وهشام بن عمر الفوطي وأبو الحسن
ابن أبي عمر والخياط وأستاذ الكعبي وأبو علي الجبائي أستاذ الشيخ
أبي الحسن الأشعري أولاً وابنه أبو هاشم عبد السلام ، هؤلاء هم
رءوس مذهب الاعتزال وغالب الشافعية أشاعرة والغالب في الحنفية
معتزلة والغالب في المالكية قدرية والغالب في الحنابلة خشوية ومن
المعتزلة أبو القاسم صاحب اسماعيل بن عباد والزمخشري والقراء
النحوي والسيرافي •

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ
عَنَّهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٢٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا
أُخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ
مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ نَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٨﴾

اللفة :

(يضطرخون) : يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
بجهد ومشقة ، قال الأعشى :

قصدت الى عنس لأحج رحلها
وقد حان من تلك الديار رحيلها
فأنت كـما أن الأسير وصرخت
كصرخة حبل أسلمتها قبيلها

أي أنت كآفين الأسير في الأول ورفعت برفع صوتها ثانياً
كصرخة حبل عند الطلق تركتها قبيلها التي تخدمها عند الولادة والقبيل
والقبول والقابلة التي تقوم بمصلحة المرأة عند الولادة وتلقى الولد
عند خروجه . والفعل المبدوءة بأحد أحرف الاطباق وهي الصاد
والضاد والطاء والظاء إذا صيغ منها على وزن افتعل وما يتصرف منه
أبدلت تاء الافتعال طاء مثال ذلك الأفعال : صلح ، ضرب ، طرد ، ظلم
إذا بنينا منها صيغة افتعل قلنا : على القياس : اصتلح ، اضرب ، اطررد ،
اظلم ، ولتخفيف اللفظ أبدلت التاء طاء والمجانسة بينهما ظاهرة
فنقلت الى اصطلح ، اضطرب ، اطررد ، اظلم ، ويجوز في نحو اظلم
وجهان آخران اظلم واطلم .

الاعراب :

(والذين كهروا لهم نار جهنم) عطف على قوله « إن الذين
يتلون كتاب الله » والذين مبتدأ وجملة كهروا صلة ولهم خبر مقدم

ونار جهنم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين . (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) الجملة خبر ثان للذين أو حال منهم ولا نافية ويقضى فعل مضارع مبني للمجهول أي لا يحكم عليهم بالموت وعليهم متعلقان يقضى والفاء السببية ويموتوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ولا يخفف عطف على لا يقضى وعنهم يجوز أن يقوم مقام الفاعل ومن عذابها متعلقان يخفف ويجوز العكس . (كذلك نجزي كل كفور) كذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي فعل مضارع وفاعل مستتر وكل كفور مفعول به . (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) الواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة يصطرخون خبر وفيها متعلقان يصطرخون وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وجملة النداء وما بعدها مقول قول محذوف في محل نصب على الحال أي قائلين ربنا ، وأخرجنا فعل أمر معناه الدعاء والفاعل مستتر ونا مفعول ونعمل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر والفاعل مستتر تقديره نحن وصالحاً غير الذي يجوز أن يكونا صفتين لمصدر محذوف أو لمفعول به محذوف ويجوز أن يكون صالحاً نعتاً للمصدر وغير الذي هو المفعول وجملة كنا صلة الموصول وكان واسمها وجملة نعمل خبر كنا .

(أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) الجملة مقول قول محذوف أي فيقال لهم أولم نعمركم ، والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو للعطف على مقدر أي ألم نمهلكم وتوخركم عمراً يتذكر فيه من تذكر أي وقتاً يتيح لكم التفكير لو خطر لكم أن تتفكروا ، ولم حرف نهي وقلب وجزم ونعمركم فعل مضارع مجزوم

بلم وفاعله مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وما فكرة مقصودة
بمعنى وقتاً فهي في محل نصب على الظرفية الزمانية أو على المصدرية
أي تعميراً وجملة يتذكر صفة لما وفيه متعلقان يتذكر ومن فاعل
وجملة تذكر صلة • (وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)
الواو عاطفة وجملة جاءكم النذير عطف على أولم نعمركم لأن لفظه
لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ،
فذوقوا الفاء الفصيحة لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير
ومجيء النذير ، والفاء في فما للتعليل وما نافية وللظالمين خبر مقدم
ومن حرف جر زائد ونصير مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً ويجوز
أن تكون ما حجازية عند من يجيز تقديم خبرها على اسمها •
(إن الله عالم غيب السموات والأرض) ان واسمها وعالم خبرها
وما بعده مضاف إليه • (إنه عليم بذات الصدور) ان واسمها وعليم
خبرها وبذات الصدور متعلقان بعليم وقد تقدم القول مسهباً في ذات •

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتٰبًا
فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

اللفظة :

(خلائف) : جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضاً وعبارة الزمخشري : « يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء » هذا ولم نجد مادة توزعت على كثير من المعاني كهذه المادة ومن يرجع اليها في معاجم اللغة ير العجب ، ولذلك جمع بعضهم معانيها في هذه الأبيات :

عديم خير حدّ سيف خلف
والاستقفا والقَرْن أما الخُلف
فاسم لعشب الصيف ثم الخُلف
للوعد ليس من صفات الحر
ذهاب شهوة الطعام خلفه
ورقعة ونبت صيف خلفه
كذا اختلاف الوحش ثم الخلفه
إسم الى العيب وذاك يزري
الولد الصالح هُذاك خلفه
وجمع خلفه لرقعة خلفه
وخلفه بالضم جمعها خُلفه
لعنب وذاك أسل الخمر

الاعراب :

(هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) كلام مستأنف مسوق لبيان أحوال الكافرين الذين غمطوا نعمة الله عليهم بعد أن استخلفهم في الأرض ، وهو مبتدأ والذي خبره وجملة جعلكم صلة وجعلكم فعل وفاعل ومفعول به أول وخلائف مفعول به ثان وفي الأرض متعلقان بخلائف أو بمحذوف صفة له . (فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وعليه خبر مقدم وكفره مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط والواو عاطفة ولا نافية ويزيد الكافرين كفرهم فعل مضارع ومفعول به مقدم وكفرهم فاعل مؤخر وعند ربهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال وإلا أداة حصر ومقتاً مفعول به ثان أو تمييز . (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً) عطف على الجملة السابقة وكررت للتوكيد ولزيادة التقرير على رسوخ الكفر في نفوسهم واقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين وهما المقت والخسار (قل رأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) رأيتم تقدم القول فيها أنها بمعنى أخبروني والرؤية هنا تتعدى لاثنتين كما سيأتي وقيل الاستفهام هنا حقيقي ولم تضمن الكلمة معنى أخبروني ، ورأيتم فعل وفاعل وشركاءكم مفعول به أول لرأيتم والذين صفة وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال .

(أروني ماذا خلقوا من الأرض) أروني فعل أمر وفاعل ومفعول به والمراد بالأمر التعجيز والجملة معترضة وأعربها الزمخشري بدلاً من رأيتم ورد عليه أبو حيان بما لا يتسع له المجال . وجملة ماذا خلقوا في محل نصب مفعول به ثان إما لرأيتم وإما لأروني فالمسألة من

باب التنازع أو أن جملة أروني اعتراضية وماذا يجوز فيها الوجهان المعروفان لها أو إن جملة أروني بدل من جملة أرايتم كأنه قيل أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا ومن الأرض متعلقان بخلقوا • (أم لهم شرك في السموات) أم حرف عطف وهي منقطعة فهي بسعنى بل ويكون قد أضرب عن الاستفهام الأول وشرع في استفهام الآخر والاستفهام إنكاري ولهم خبر مقدم وشرك مبتدأ مؤخر وفي السموات متعلقان بشرك أي شركة • (أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه) عطف على ما تقدم وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وكتاباً مفعول به ثان والفاء حرف عطف وهم مبتدأ وعلى بينة خبر ومنه صفة لبينة • (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً) إن نافية ويعد الظالمون فعل مضارع وفاعل وبعضهم بدل من الظالمون بدل بعض من كل وبعضاً مفعول يعد وإلا أداة حصر وغروراً منصوب بنزع الخافض أو نعت لمصدر محذوف أي إلا وعداً باطلاً وذلك بقولهم إن الأصنام تشفع لنا عند الله •

* إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

الاعراب :

(إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) إن واسمها وجملة
 يمسك السموات والأرض خبرها ، وأن تزولا أن وما في حيزها في
 محل نصب مفعول لأجله أي مخافة أن تزولا وقيل ضمن يمسك معنى
 يمنع فتكون أن وما في حيزها في محل نصب مفعول به ثان أو على
 نزع الخافض أي عن أن تزولا والجار والمجرور متعلقان بيمسك قاله
 الزجاج وقيل أن وما في حيزها في محل نصب بدل اشتمال من السموات
 أي يمسك زوالهما • (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده)
 الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وزالتا فعل ماض في محل
 جزم فعل الشرط وإن نافية وأمسكهما فعل ماض ومفعول به ومن
 حرف جر زائد وأحد مجرور لفظاً فاعل أمسكهما محلاً ومن بعده
 حال أو صفة لأحد ، فعلى الأول يكون المعنى من بعد إمساكه وعلى
 الثاني يكون المعنى سواء أي من أحد غيره ، وجملة إن أمسكهما
 لا محل لها لأنها جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه
 المذكور على حد قوله في الخلاصة :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم

جواب ما أخرت فهو ملتزم

(إنه كان حليماً غفوراً) ان واسمها وجملة كان خبرها وحليماً
 خبر كان وغفوراً خبر ثان • (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم
 نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) أقسموا فعل وفاعل وبالله
 متعلقان بأقسموا وجهد أيمانهم منصوب على المصدرية أو على الحال

أي جاهدين ، قال الفراء : « الجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك أي ابلغ غايتك والجهد بالضم الطاقة وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة واللام واقعة في جواب القسم وان شرطية وجاءهم نذير فعل ومفعول به وفاعل واللام جواب القسم أيضاً ، ويكونن فعل مضارع مرفوع لعدم اتصاله المباشر بنون التوكيد وأصله ليكونون حذف إحدى النونات كراهة توالي الأمثال فلما التقى ساكنان حذفت الواو وبقيت الضمة دليلاً عليها فهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة اسمها وأهدى خبرها ومن إحدى الأمم متعلقان بأهدى أي من كل واحدة منها .

(فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وجاءهم نذير فعل ومفعول به وفاعل وجملة ما زادهم جواب لما لا محل لها ، قال الشهاب الحلبي : « وفيه دليل على أنها - أي لما - حرف لا ظرف إذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها » وإلا أداة حصر ونفورا مفعول به ثان أو تمييز . (استكباراً في الأرض ومكر السيئ) استكباراً مفعول لأجله أي لأجل الاستكبار أو بدل من نفوراً أو حال أي حال كونهم مستكبرين وفي الأرض متعلقان باستكباراً ومكر السيئ عطف على استكباراً أو على نفوراً وهو من إضافة الموصوف الى صفته والأصل المكر السيئ أو أن هناك موصوفاً محذوفاً أي مكر العمل السيئ . (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) الواو حالية ولا نافية ويحق المكر فعل مضارع وفاعل والسيئ صفته وإلا أداة حصر وبأهله متعلقان بيقق . (فهل ينظرون إلا سنة الأولين قلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) الفاء عاطفة وهل حرف استفهام وينظرون فعل مضارع

وفاعل أي ينتظرون وإلا أداة حصر وسنة الأولين مفعول به وسنة مصدر أضيف إلى مفعوله تارة كما هنا ولفاعله أخرى كقوله : فلن تجد لسنة الله لأنه تعالى سنّها بهم فصحت إضافتها إلى الفاعل والمفعول ولن حرف تهي ونصب واستقبال وتجد فعل مضارع منصوب بـ لن ولسنة الله متعلقان بتبديلاً وتبديلاً مفعول تجد .

البلاغة :

١ - ائتلاف اللفظ مع المعنى :

في قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » فن ائتلاف اللفظ مع المعنى أي أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضاً ليس فيها لفظة نافرة عن إخوانها غير لائقة بمكانها أو موصوفة بحسن الجوار بحيث إذا كان المعنى غريباً قحاً كانت ألفاظه غريبة محضة وبالعكس ، ولما كانت جميع الألفاظ المجاورة للقسم في هذه الآية كلها من المستعمل المتداول لم تأت فيها لفظة غريبة تقتصر إلى مجاورة ما يشاكلها في الغرابة ، وقد تقدم هذا البحث بتفصيل واف في سورة يوسف .

٢ - إرسال المثل :

وفي قوله « ولا يحق المكر السيء إلا بأهله » فن إرسال المثل وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن مع إيراد أمثال كثيرة وخاصة في شعر أبي الطيب وهو هنا واضح لأن المكر لا يقع إلا على أهله ، وفي أمثالهم : « من حفر مغواة وقع فيها » قال في الصحاح : وقع الناس في أغوية أي في داهية والمغويات بفتح الواو المشددة جمع المغواة وهي حفرة

كالزبية ، يقال من حفر مغويات وقع فيها • قال كعب لابن عباس : في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، فقال له ابن عباس : إنا وجدنا هذا في كتاب الله : « ولا يحق المكر السيء إلا بأهله » •

٣ — الاسناد المجازي :

وفي قوله : « ما زادهم إلا نفورا » إسناد مجازي لأن إسناد الزيادة للنذير مجاز مرسل لأنه سبب في ذلك •

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يَوَّاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا
تَرَكَ عَلَى ظُهُرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ
أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

الاعراب :

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) كلام مسوق للاستشهاد على جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين ، والهمزة للاستفهام الانكاري والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي ألزموا مساكنهم ولم يسيروا ، ولم حرف نهي وقلب

وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وفي الأرض متعلقان يسيروا ، فينظروا الفاء عاطفة وينظروا عطف على يسيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة اسمها المؤخر والجملة في محل نصب مفعول ينظروا والذين مضاف إليه ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صفة الذين • (وكانوا أشد منهم قوة) الواو للحال وكانوا كان واسمها وأشد خبرها ومنهم متعلقان بأشد وقوة تمييز والجملة في محل نصب على الحال • (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها واللام لام الجحود ويعجزه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود والهاء مفعول به ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً مرفوع على أنه فاعل شيء وفي السموات صفة لشيء ولا في الأرض عطف على في السموات •

(إنه كان عليمًا قديرًا) ان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وليمًا وقديرًا خبراها • (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) الواو عاطفة ولو شرطية ويؤاخذ الله الناس فعل مضارع وفاعل ومفعول به وبما متعلقان بيؤاخذ وما موصولة أو مصدرية أي بالذي كسبوه أو بكسبهم وعلى كل فجملة كسبوا لا محل لها وجملة ما ترك لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعلى ظهرها متعلقان بترك ومن حرف جر زائد ودابة مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول ترك • (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) الواو عاطفة ولكن مخففة مهلة فهي للاستدراك ويؤخرهم فعل مضارع ومفعول به وفاعل مستتر والى أجل متعلقان بيؤخرهم ومسمى نعت لأجل ، فإذا الفاء

عاطفة وإذا ظرف مستقبل وجملة جاء أجلهم في محل جر بإضافة الظرف اليها وجواب إذا العامل فيها محذوف تقديره فيجازيهم والفاء رابطة وإن واسمها وجملة كان خبرها وبعباده متعلقان ببصيراً وبصيراً لخبر كان .

البلاغة :

في قوله « ما ترك على ظهرها الـخ » استعارة مكنية فقد شبه الأرض بالدابة التي يركب الإنسان عليها ثم حذف المشبه به وهو الدابة وأبقى لها شيئاً من لوازمها وهو الظهر ، ولزاده في حاشيته على البيضاوي سؤال لطيف نوره بنصه قال : « فإن قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الظهر مقابل الوجه فهو من قبيل إطلاق الضدين على شيء واحد قلت صح ذلك باعتبارين فإنه يقال لظاهرها ظهر الأرض من حيث أن الأرض كالدابة الحاملة للأثقال ويقال له وجه الأرض لكون الظاهر منها كالوجه للحيوان وإن غيره كالباطن هو الباطن منها » .

سُورَةُ يَسَّ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ ① وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ
③ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ④ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ⑤ لِيُنذِرَ
قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ⑥ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى
أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑦ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ
إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ⑧ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ
خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ⑨

اللفظة :

(الحكيم) : ذو الحكمة يقال قصيدة حكيمة أي ذات حكمة ،
والحكمة تقدم القول فيها وحكم الرجل من باب كرم أي صار حكيماً
ومنه قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الشمد

وأحكمته التجارب جعلته حكيماً ، وقال آخر :

وقصيدة تأتي الملوكة حكيمة

قد قلتها ليقال من ذا قالها

وعبارة الكرخي : « فعيل بمعنى مفعول كقولهم عقدت العسل
فهو عقيد بمعنى معقد وليس بمعنى مفعول كشيطان رجيم بمعنى
مرجوم وليس هو في الآية كذلك لأنه إنما يقال محكوم به ونحو ذلك
ولا بمعنى فاعل أي حاكم لأن الحاكم الحقيقي هو الله تعالى فظهر
بذلك أن القرآن الحكيم محكوم فيه لا حاكم وإن الحاكم المطلق هو
الله تعالى أو على معنى النسب أي ذي الحكم لأنه دليل فاطق بالحكمة
بطريق الاستعارة والمتصف بها على الاسناد المجازي » •

(الأذقان) : جمع ذقن بفتح الذال والقاف وبكسر الذال وفتح
القاف مجتمع اللحين من أسفلهما •

(مقمchon) : المقمح هو الذي يرفع رأسه ويغضّ بصره ، يقال
قمح البعير فهو قامح إذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه أو لبرودة
الماء أو لكراهة طعمه وفي المختار : « الاقماح : رفع الرأس وغض
البصر يقال أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه » وفي
القاموس : « وأقمح الغل الأسير ترك رأسه مرفوعاً لضيقه » •

(سداً) السد والسد بفتح السين وضمها : الحاجز بين الشيئين
والجبل والجمع أسداد قال علي بن أبي طالب « وضرب على قلبه
بالأسداد » أي سدت عليه الطرق وعميت عليه المذاهب .

(فأغشيناهم) : أي فأغشنا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها
غشاوة عن أن تطمح الى مرئي وسيأتي المزيد من هذه الصور في بابي
ابلاغة والاعراب .

الاعراب :

(يس والقرآن الحكيم) يس تقدم القول في فواتح السور معنى
وإعراباً . والواو حرف قسم وجر والقرآن مقسم به والحكيم صفة
والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم . (إنك لمن المرسلين)
وان واسمها واللام المرحلة ومن المرسلين خبرها . (على صراط مستقيم)
على صراط خبر ثان لأن وقيل حال من الضمير المستكن في الجار
والمجرور وأجاز الزمخشري أن يتعلق بالمرسلين ومستقيم صفة لصراط
أي الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة ولا بأس بهذا الإعراب .
(تنزيل العزيز الرحيم) تنزيل مفعول مطلق لفعل محذوف أي نزل
القرآن تنزيلاً وأضيف لفاعله أو منصوب بفعل محذوف تقديره أعني
أو أمدح وقرئ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، وعبارة
الزمخشري : « قرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدلية من القرآن » .

(لتندر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) اللام للتعليل وتنذر
فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور

متعلقان بتنزيل أو بمعنى قوله من المرسلين أي مرسل لتندر ، وقوماً
مفعول به وما نافية لأن قريشاً لم يبعث اليهم نبي قبل محمد صلى الله
عليه وسلم وأنذر فعل ماض مبني للمجهول وآباؤهم نائب فاعل
فالجمله على هذا صفة لقوماً أي قوماً لم ينذروا ويجوز أن تكون
موصولة أو نكرة موصوفة أو مصدرية فتعرب هي وصفتها أو صلتها
مفعولاً ثانياً لتندر على الأولين ومفعولاً مطلقاً على الثالث وسنورد
لك التأويلات الثلاثة :

الموصولة : لتندر قوماً الذي أنذره آباؤهم •

النكرة : لتندر قوماً عذاباً أنذره آباؤهم •

المصدرية : لتندر قوماً إنذار آباؤهم •

الزائدة : وأورد أبو البقاء وجهاً رابعاً وهو أن تكون زائدة
وتكون جملة أنذر صفة لقوماً •

فهم الفاء تعليلية للنفي إذا جعلت ما نافية أي لم ينذروا فهم
غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم أو تعليلية للارسال كما
تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فإنه غافل وهم مبتدأ وغافلون خبر •
(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) اللام جواب للقسم
المحذوف وقد حرف تحقيق وحق القول فعل وفاعل وعلى أكثرهم
متعلقان بحق والفاء تعليلية أيضاً وهم مبتدأ وجملة لا يؤمنون خبر
والمعنى والله لقد ثبت وتحقق عليهم القول بسبب اصرارهم على الكفر
والإنكار • (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون)
كلام مستأنف مسوق لتمثيل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى

ارعوائهم عن غيهم وان واسمها وجملة جعلنا خبرها وجعلنا فعل وفاعل وفي أعناقهم في محل نصب مفعول جعلنا الثاني وأغلالاً مفعول جعلنا الأول فهي الفاء للعطف والتعقيب أو للعطف والتعليل وسيرد الفرق بين المعنيين ، وهي مبتدأ والى الأذقان متعلقان بمحذوف خبر أي مجموعة أو مرفوعة ، وسيأتي المزيد من أسرار هذا التعبير في باب البلاغة ، فهم الفاء كالفاء الأولى وسماها بعضهم فاء النتيجة وهم مبتدأ ومقمحون خبر •

(وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) الواو عاطفة وجعلنا فعل وفاعل ومن بين أيديهم في موضع نصب مفعول جعلنا الثاني وسداً مفعول جعلنا الأول ومن خلفهم سداً عطف على من بين أيديهم سداً • (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) الفاء عاطفة وأغشيناهم فعل وفاعل ومفعول به والفاء تعليلية وهم مبتدأ وجملة لا يبصرون خبر هم •

البلاغة :

في قوله « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً » الآية فنون شتى نوردها فيما يلي :

١ - الاستعارة التمثيلية :

تقدم القول كثيراً في الاستعارة التمثيلية وهي هنا تمثيل لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد بأن جعلهم كالمفلولين المقموحين في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يشنون أعناقهم نحوه ، لأن

الأغلال واصله الى الأذقان ملزوزة اليها فلا تخليهم يطأطئون فهم دائماً مقمحون رافعون رءوسهم غاضون أبصارهم ، أي شبهت حالتهم وهيئتهم في عدم إتاحة الايمان لهم بهيئة من غلت يده وعنقه فلم يستطع أن يتعاطى ما يريدون ، والجامع مطلق المانع . بقي هناك مبحث هام وهو هل يعود الضمير وهو قوله فهي الى الأذقان على الأغلال أو على الأيدي ، وقد رجح الزمخشري عودة الضمير على الأغلال قال : « فالأغلال واصله الى الأذقان ملزوزة اليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادر من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا » واستطرد الزمخشري داعماً رأيه في عودة الضمير على الأغلال فقال : « فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق ، وبذلك يسمى جامعة ، كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي ؟ قلت : الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله : فهم مقمحون ، ألا ترى كيف جعل الأقماح نتيجة قوله فهي الى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهراً على أن هذا الاضرار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطل الذي يخفو عنه وترك للحق الأبلغ الى الباطل اللجلج » ولعل الزمخشري قد بلغ الذروة في هذا التقرير الفريد ودل على اطلاعه وتمكنه من علم البيان ، على أن الوجه الثاني وهو عودة الضمير على الأيدي لا يخلو من وجاهة وسمو بيان وفيها مبالغة في تصوير الهول تتلاءم مع سياق الكلام فإن اليد وإن لم يجر لها ذكر في العبارة فإن الغل يدل عليها بل ويستلزمها ، ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في العنق يوجب الاقماح ، أضف الى ذلك أن اليد متى كانت مرسله مخللة كان للمغللول بعض التفرح

باطلاقها ، ولعله يتحيل بها ويستعين على فكك الغل وليس الأمر كذلك إذا كانت مغلوطة فيضاف الى ما تقدم من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبهاً بغل الأيدي لأن اليد - كما قلنا - آلة الحيلة والوسيلة الى الخلاص .

٢ - استعارة تمثيلية ثانية :

وفي قوله « وجعلنا من بين أيديهم سداً الآية » استعارة تمثيلية ثانية فقد شبههم بمن أحاط بهم سدان هائلان فغطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في أنهم محبوسون في وهدة الجهالة ممنوعون من النظر في الآيات والدلائل أو كأنهم وقد حرموا نعمة التفكير في القرون الخالية والأمم الماضية والتأمل في المغاب الآتية والعواقب المستقبلية قد أحيطوا بسد من أمامهم وسد من ورائهم فهم في ظلمة داكنة لا تختلج العين من جانبها بقبس ولا تتوسم بصيصاً من أمل .

٣ - القلب :

وفي قوله « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً » القلب وهو من فنون كلام العرب إذ حقيقته جعلنا أعناقهم في الأغلال ، وقال ثعلب : في قوله تعالى : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » ان المعنى اسلكوا فيه سلسلة أي ادخلوا في عنقه سلسلة .

٤ - التنكير :

وفي تنكير أغلالاً مبالغة في تعظيمها وتهويل أمرها .

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
 مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ
 ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ
 أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) كلام
 مستأنف مسوق لبيان شأنهم بطريق التوبيخ بعد بيانه بطريق التمثيل
 ولك أن تعطفه على ما قبله فتكون الواو عاطفة ، وسواء خبر مقدم
 وعليهم متعلقان بسواء والهمزة للاستفهام وهي همزة التسوية وقد
 تقدم بحثها مفصلاً في سورة البقرة المماثلة وهي مع الفعل بعدها في
 تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أي مستو عندك إنذارك إياهم وعدمه ،
 وأم حرف عطف معادل للهمزة ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنذرهم
 فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر والهاء مفعول به وجملة
 لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله أو حال مؤكدة له أو بدل منه .
 (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) إنما كافة ومكفوفة
 وتنذر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت ومن مفعول به وجملة
 اتبع الذكر صلة وجملة خشي الرحمن عطف على اتبع الذكر وبالغيب
 حال من الفاعل أو من المفعول به ، وتتساءل : ما وجه ذكر الانذار
 الثاني في معرض المخالفة للأول مع أن الأول إثبات والوجه هو أن

البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان ففقتى بقوله إنما تنذر على معنى انما تحصل البغية بالانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم الذين اتبعوا الذكر وهو القرآن والخاصون ربهم فالمحصور إنما هو الانذار النافع فلا ينافيه وجود غيره لمن لم ينتفع به .

(فبشره بمغفرة وأجر كريم) الفاء الفصيحة وبشره فعل أمر وفاعل ومفعول به وبمغفرة متعلقان ببشره وأجر عطف على بمغفرة وكريم صفة لأجر . (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) إن واسمها ونحن مبتدأ أو ضمير فصل وجملة نحيي الموتى خبر نحن والجملة خبر إن أو الجملة خبر إنا ونكتب عطف على نحيي وما مفعول به وجملة قدموا صلة ما وآثارهم عطف على ما والمراد بها ما استن بعدهم وفي الحديث : « من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من وزرهم شيء » .

(وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) نصب كل شيء بفعل محذوف يفسره ما بعده فهو نصب على الاشتغال وأحصيناه فعل وفاعل ومفعول به والجملة مفسرة لا محل لها وفي إمام متعلقان بأحصيناه ومبين نعت إمام أي في كتاب مبين .

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ

أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ

١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 تَكْذِبُونَ ١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا
 الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ١٧) قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْلٍ لَمَّا تَنْتَهُوا النَّزْجَ مَنَكُمُ
 وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ
 قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ١٩)

اللفظة :

(القرية) : القرية بفتح القاف وكسرها : الضيعة والمصر الجامع
 وجمع الناس والجمع قرى وقرى بضم القاف وكسرها والنسبة اليها
 قَرَوِيٍّ وقرَوي والمراد بها هنا افطاكية وسيأتي شيء عنها في
 باب الفوائد .

(فعزنا) : قوينا .

(طائرکم) : تقدم ذكره في هذا الكتاب وفي المختار : « وطائر
 الانسان عمله الذي قلده والطير أيضاً الاسم من التطير ومنه قولهم :
 لا طير إلا طير الله كما يقال لا أمر إلا أمر الله وقال ابن السكيت :
 يقال : طائر الله لا طائرک ولا تقل طير الله وتطير من الشيء وبالشيء
 والاسم الطيرة بوزن عبة وهي ما يتشاءم به من الفأل الرديء .

الاعراب :

(واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) كلام مستأنف مسوق لأمر النبي بأن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية ، واضرب فعل أمر بمعنى اجعل ولهم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لمثلاً وتقدمت عليه ومثلاً مفعول به ثان لا ضرب وأصحاب مفعول به أول ، ومن المفيد أن نورد عبارة أبي السعود في تفسيره وهي : « ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى : ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى : « وضربنا لكم الأمثال » فالمعنى على الأول اجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل أي طبق حالهم بحالهم ، على أن مثلاً مفعول ثان لا ضرب وأصحاب القرية مفعوله الأول آخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه ، وعلى الثاني اذكر ويّسّن لهم قصة هي في الغرابة كالمثل « وعلى هذا تكون اضرب بمعنى اذكر ومثلاً مفعول به وأصحاب بدل على حذف مضاف أي مثل أصحاب والأول أولى ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن ومحلّه بدل اشتمال من أصحاب القرية وجملة جاءها المرسلون في محل جر بإضافة الظرف إليها .

(إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) إذ ظرف بدل من إذ الأولى أي بدل مفصل من مجمل وهو يدخل في نطاق البدل المطابق أو بدل الكل من الكل وجملة أرسلنا في محل جر بالإضافة إليهم متعلقان بأرسلنا واثنين مفعول به لأرسلنا والفاء عاطفة وكذبوهما فعل ماض

وفاعل ومفعول به • (فعزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون) الفاء عاطفة وعزنا فعل ماض وفاعل ، بثالث متعلقان بعزنا ، فقالوا عطف على فعزنا وان واسمها وإليكم متعلقان بمرسلون ومرسلون خبر إن والجملة مقول القول ومفعول عزنا محذوف وسيأتي سر حذفه في باب البلاغة • (قالوا : ما أقيم إلا بشر مثلنا) قالوا فعل وفاعل وما نافية وأقيم مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر أقيم ومثلنا صفة لبشر والخطاب للثلاثة وجملة ما أقيم مقول القول • (وما أنزل الرحمن من شيء إن أقيم إلا تكذبون) الواو عاطفة وما نافية وأنزل الرحمن فعل وفاعل ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً على أنه مفعول أنزل وإن نافية وأقيم مبتدأ وإلا أداة حصر وجملة تكذبون خبر •

(قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) ربنا مبتدأ وجملة يعلم خبر وفاعل يعلم مستتر تقديره هو وإن واسمها وكسرت همزتها لمجيء اللام في خبرها وإليكم متعلقان بمرسلون واللام المرحلة ومرسلون خبر إنا وجملة إنا إليكم لمرسلون سدت مسد مفعولي يعلم وسيأتي بحث تأكيد الخبر في باب البلاغة • (وما علينا إلا البلاغ المبين) الواو عاطفة وما نافية وعلينا خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر والمبين صفة • (قالوا : إنا تطيرنا بكم) قالوا فعل وفاعل وان واسمها وكسرت همزتها لوقوعها بعد القول وجملة تطيرنا خبرها وبكم متعلقان بتطيرنا وسبب تطيرهم أنهم توقعوا الشر وأوجسوه بعد أن كذبوهم وقد ترامت إليهم مصائر الأقوام الهالكة بسبب تكذيبها الأنبياء • (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ولیمسنكم منّا عذاب أليم) لئن اللام موطنه للقسم وإن شرطية ولم حرف نهي وقلب وجزم وتنتهوا فعل

مضارع مجزوم بلم والواو فاعل واللام واقعة في جواب القسم و ترجمنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به والجملة لا محل لها وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم وفاقاً للقاعدة المشهورة ولئيمسكنكم عطف على لترجمنكم ومثلاً متعلقان بئيمسكنكم وعذاب فاعل وأليم صفته

• (قالوا طأثركم معكم أئن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون) طأثركم مبتدأ ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وإن شرطية وذكركم فعل ماض مبني للمجهول وهو في محل جزم فعل الشرط وجواب الشرط محذوف والقاعدة عند سيبويه أنه إذا اجتمع شرط واستفهام يجاب الاستفهام ويحذف جواب الشرط وذهب غيره إلى إجابة الشرط ، والتقدير عند سيبويه تتطرون وعند الآخرين تطيروا بالجزم وبل حرف عطف واضراب أي ليس الأمر كذلك وأنتم مبتدأ وقوم خبر ومسرفون صفة •

البلاغة :

١ - الحذف :

في قوله « فعزونا بثالث » فن الإيجاز بالحذف فقد حذف مفعول عزونا والتقدير فعزوناها بثالث وإنما جنح إلى هذا الحذف لانصباب الغرض على المعزز به الثالث وإذا كان الغرض هو المراد وكان الكلام منصبتاً عليه كان ما سواه مطروحاً ، ونظيره قولك حكم

الحاكم اليوم بالحق والغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه وإنما اهتمامك كله هو مراعاة جانب الحق ، وستأتي أسماء الثلاثة في باب الفوائد .

٢ - التأكيد :

وفي هذه الآيات يبدو التأكيد بأروع صورته للخبر فقد قال أولاً « إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما » فأورد الكلام ابتدائي الخبر ثم قال إنا إليكم مرسلون فأكدّه بمؤكدتين وهو إن واسمية الجملة فأورد الكلام طلبياً ثم قال إنا إليكم مرسلون فترقى في التأكيد بثلاثة وهي إن واللام واسمية الجملة فأورد الكلام إنكاري الخبر جواباً عن إنكارهم ، قيل وفي قوله ربنا يعلم تأكيد رابع وهو اجراء الكلام مجرى القسم في التأكيد به وفي أنه يجب بما يجب به القسم . وفي هذه الآية ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام فإن ذكر الرسالة مهد لذكر البلاغ والبيان .

الفوائد :

ذكرنا في باب اللغة أن القرية انطاكية بفتح الهمزة وكسرهما وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة ، روى التاريخ ما ملخصه : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية وهما يحيى وبولس بفتح الباء الموحدة ، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال لهما الشيخ من أتما ؟ فقالا رسولا عيسى فقال أمعكما آية فقالا نشفي المرضى ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض فمسحاه فقام

على الفور فأمن حبيب وفشا الخبر في المدينة فشفي على أيديهما خلق كثير ورقى حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك . فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ، ثم بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما فدخل شمعون البلد متكرراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به فقال له شمعون ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه ؟ فقال : لا ، حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما ؟ قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال : صفاه وأوجزا . قالا : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال وما آيتكما ؟ قالا ما يتمنى الملك . فدعا بسلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره وأخذا بندقتين فوضعاهما في حديقته فكاتتا مغلقتين ينظر بهما ، فقال له شمعون : أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف . قال : ليس لي عنك سر ، إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع . وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبونه أنه منهم ، ثم قال : إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به ، فدعوا بسلام مات من سبعة أيام فقام وقال : إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أتم فيه فأمنوا ، وقال : فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة . قال الملك : ومن هم ؟ قال : شمعون وهذان . فتعجب الملك ، فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه أخبره بالحال أنه رسول عيسى ودعاه فأمن الملك وآمن معه قوم وكهر آخرون وقيل بل كهر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين .

قال وهب : اسمها يوحنا وبولس وقيل صادق ومصدق
والثالث شمعون .

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ
﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ
الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ
الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا
لِنِي ضَلَلٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ
الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَلَّتْ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) الواو عاطفة أو استئنافية
وجاء فعل ماض ومن أقصى المدينة متعلقان بجاء وأراد بالمدينة القرية
الآفة الذكر أي انطاكية ورجل فاعل وجملة يسعى صفة والرجل هو
حبيب النجار وستأتي لمحة عنه في باب الفوائد . (قال يا قوم اتبعوا

(المرسلين) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وقد تقدم بحثه واتبعوا فعل أمر وفاعل والمرسلين مفعول به أي الذين هم رسل عيسى عليه السلام . (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) اتبعوا تأكيد للأول وهو فعل أمر وفاعل ومن مفعول به وجملة لا يسألكم صلة والكاف مفعول به أول وأجراً مفعول به ثان والواو واو الحال وهم مبتدأ ومهتدون خبر والجملة نصب على الحال ، وأجاز بعضهم أن تكون مَن بدلاً من المرسلين ولا أدري ما هو مسوغه بعد وجود عامله وكأنهم تصوروا حذف مفعول اتبعوا ولا أرى داعياً إليه ، وسيأتي المزيد من بحث هذا الكلام في باب البلاغة . (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) الواو عاطفة وما اسم استفهام مبتدأ ولي خبره وجملة لا أعبد حالية والفاعل مستتر تقديره أنا والذي مفعوله وجملة فطرني صلة وإليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

(أأخذ من دونه آلهة) الهمزة للاستفهام الإنكاري ويجوز أن يكون معنى الاستفهام النفي واتخذ فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ومن دونه مفعول به ثان وآلهة مفعول به أول . (إن يردن الرحمن بضرٍ لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون) إن شرطية ويردن فعل الشرط والنون للوقاية والياء المحذوفة لاتباع خط المصحف مفعول به والرحمن فاعل وبضر متعلقان بيردن ولا نافية وتغن جواب الشرط وعني متعلقان بتغن وشفاعتهم فاعل وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به وقد تقدم ذكرها كثيراً ولا ينقدون عطف على لا تغن وحذفت الياء أيضاً مراعاة لسنة المصحف وجملة الشرط استئنافية ويجوز أن تكون صفة لآلهة . (إني إذن لفي ضلال مبين) إن واسمها وإذن حرف جواب

وجزاء لا عمل لها واللام لام المرحلة وفي ضلال خبر إن ومبين صفة
وسياتي بحث هام عن إذن في باب الفوائد .

(إني آمنت بربكم فاسمعون) إن واسمها وجملة آمنت خبرها
وبربكم متعلقان بآمنت والفاء الفصيحة واسمعون فعل أمر مبني على
حذف النون والواو فاعل والياء المحذوفة مفعول به ، ومعنى اسمعون
اسمعوا قولي واتبعوا المرسلين وفيه دليل على تصلبه لمبدئه وصدق
إيمانه وقيل اسمعوا إيماني تشهدوا لي به . (قيل ادخل الجنة قال
يا ليت قومي يعلمون) قيل فعل ماض مبني للمجهول ومتعلقه محذوف
أي قيل له عند قتله ورؤيته ما أعد له جزاء على صدق إيمانه وقال فعل
ماض ويا حرف تنبيه أو حرف نداء والمنادى محذوف وليت
واسمها وجملة يعلمون خبرها . (بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)
بما متعلقان يعلمون وما مصدرية أو موصولة أي بغفران ربي أو
بالذي غفره لي ربي من الذنوب وقال الفراء هي استفهامية ورُد عليه
بأنها لو كانت كذلك لحذفت ألفها كما هي القاعدة ، وقيل ان حذف
الألف أكثرى لا كلي وهبه كذلك لا يسوغ حمل القرآن على
الضعيف من الوجوه ، وجعلني فعل ماض والنون للوقاية والياء مفعول
به أول ومن المكرمين مفعول به ثان .

(وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين)
كلام مستأنف مسوق لاحتقار أمرهم أي لا حاجة إلى إرسال جود
لهم فأقل شيء كاف لإبادتهم واستئصال شأفتهم ، وما نافية وأنزلنا
فعل وفاعل وعليهم متعلقان بأنزلنا ومن بعده متعلقان بمحذوف حال
ومن حرف جر زائد وجند مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول
به ومن السماء صفة لجند والواو عاطفة وما نافية وكان واسمها

ومنزّلين خبرها • (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) إن قافية وكانت فعل ماض ناقص واسمها مضر والتقدير ما كانت الصيحة إلا صيحة واحدة والفاء عاطفة وإذا فجائية وهم مبتدأ وخامدون خبر •

البلاغة :

١ - الالتفات في قوله « ومالي لا أعبد الذي فطرني » وفائدته أن انتقاله من مخاطبتهم ومناصحتهم إلى التكلم تليّفاً بهم من جهة ووعيداً لهم من جهة ثانية ، فقد صرف الكلام أولاً إلى نفسه وأراهم أنه لا يختار لهم إلا ما يختاره لنفسه ، ثم التفت إلى مخاطبتهم ثانياً مقررّاً مهدداً بالعواقب التي تنتظرهم ، ثم عاد أخيراً إلى التلطف في النصيحة لأن ذلك أدخل في إحاض النصيح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، وقد وضع قوله : « ومالي لا أعبد الذي فطرني » مكان قوله : وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ، ألا ترى إلى قوله « وإليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال : « إني آمنت بربكم فاسمعون » فأنظر أيها المتأمل إلى هذه النكت الدقيقة التي تمر عليها في القرآن الكريم وأنت تظن أنك فهمت فحواها واستنبطت رموزها •

٢ - ائتلاف الفاصلة :

وفي قوله : « قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين » فن ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام ، فإن ذكر الجنة مهد لفاصلتها وفي ذلك تنبيه عظيم على

وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمير فيه ، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته ولمن ترصدوا له وتربصوا به الدوائر ونصبوا له الغوائل والمهالك ، هذا من جهة ثم إن في تمنيه أن يعلموا ليروعوا إلى أنفسهم بعد أن ينجلي الرين عن صدورهم وتنجاب الغواشي عن عيونهم فيبدو الصبح لذي عينين ، وتتبدد حنادس الشك والمين ، وفي ذلك اقتصار له وقوز لدعوته وما بعد ذلك غبطة لمستزيد .

٣ - التشبيه البليغ في قوله « فإذا هم خامدون » شبيهم بالنار الخاملة التي صارت رماداً على حد قول لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه

يحور رماداً إذ هو ساطع

أي ليس حال المرء وحياته وبهجته ثم موته وفناؤه بعد ذلك إلا مثل حال شهاب النار وضوئه يصير رماداً بعد إضاءته . وبعد هذا البيت :

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بدّ يوماً أن ترد الودائع

شبه مال الشخص وأقاربه بالودائع تشبيهاً بليغاً بجامع أنه لا بد من أخذ كل منها .

٤ - في قوله : « قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » وإنما ختم بقوله « وهم مهتدون » مع تمام الكلام بدونه لزيادة الحث على الاتباع ففيه إطناب .

الفوائد :

بحث هام عن إذن :

تحدثنا في هذا الكتاب عن إذن ونضيف الى ما تقدم ما قاله الرضي ففيه جلاء لموقعها من الآية ، قال : « إنها اسم وأصلها إذ ، حذفت الجملة المضاف إليها وعوض عنها التنوين وفتح ليكون في صورة ظرف منصوب وقصد جعله صالحاً لجميع الأزمنة بعد ما كان مختصاً بالماضي وضمن معنى الشرط غالباً وإنما قلنا غالباً لأنه لا معنى للشرط في نحو « قال فعلتها إذن وأنا من الضالين » ثم قال الرضي : وإذا كان بمعنى الشرط في الماضي جاز اجراؤه مجرى لو في قرن جوابه باللام نحو « إذن لأذقنك » أي لو ركنت شيئاً قليلاً لأذقنك ، وإذا كان بمعنى الشرط في المستقبل جاز قرن جوابه بالفاء كقول النابغة :

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه

إذن فلا رفعت سوطي الي يدي

أي إن أتيت ، وقد تستعمل بعد لو وإن توكيداً لهما نحو لو زرتني لأكرمتك وإن جئتي إذن أزورك » ثم قال : ولما احتملت إذن التي يليها المضارع معنى الجزاء فالمضارع مستقبل واحتملت معنى مجرد الزمان ، فالمضارع حال وقصد التنصيص على معنى الجزاء في إذن نصب المضارع بأن المقدرة لأنها تخلصه للاستقبال فتحمل إذن على الغالب فيها من الجزاء لاتقاء الحالية المانعة من الجزاء بسبب النصب بأن » وقد أطال الرضي في البحث فحسبنا ما اقتبسناه من كلامه ليضاف الى ما تقدم عنها .

يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
 ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾
 وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(يا حسرة على العباد) في هذا النداء وجهان أولهما أنه منادى شبيه بالمضاف ولذلك نصب وإنما كان شبيهاً بالمضاف لأنه اتصل به شيء من تمام معناه وهو على العباد ولك أن تجعله منادى نكرة مقصودة كأنما المنادى حسرة معينة وإنما نصبت لأنها وصفت بالجار والمجرور وقد تقدم معنا أن المنادى النكرة المقصودة إذا وصف نصب والوجه الثاني أن المنادى محذوف وحسرة مصدر أي أتحسر حسرة واختلف المفسرون في المتحسر ولا داعي للاختلاف فالحسرة جدرة بهم والمستهزئون بالرسول أحرىء بأن يتحسر عليهم المتحسرون أو يتحسروا على أنفسهم . والنداء هنا مجازي أي يا حسرة احضري فهذا أو انك . (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) كلام مستأنف مسوق لتعليل التحسر عليهم وما نافية ويأتيهم فعل مضارع ومفعول به ومن حرف جر زائد ورسول مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل وإلا أداة حصر وجملة كانوا استثناء من أعم الأحوال فهي جملة في محل نصب على الحال من الهاء في يأتيهم وكان واسمها وبه جار ومجرور متعلقان بـ يستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا .

(ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون) الهمزة للاستفهام التقريري أي لقد علموا ذلك جيداً ولم حرف تقي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وقد علقت يروا عن العمل لأن الرؤية هنا قلبية علمية وكم خبرية في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا والجملة في محل نصب مفعول يروا ويجوز أن تكون كم استفهامية وقبلهم ظرف متعلق بأهلكنا ومن القرون حال وأن وما في حيزها بدل من معنى كم أهلكنا والتقدير : ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم ويجوز أن يكون المصدر المؤول معمولاً لفعل محذوف دل عليه السياق والمعنى تقديره وقضينا وحكمنا أنهم إليهم لا يرجعون وإن واسمها واليهم متعلقان يرجعون ولا نافية وجملة يرجعون خبر إن وللمخشري فيها كلام لطيف نوره في باب الفوائد • (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) الواو عاطفة وإن نافية وكل مبتدأ ولما بمعنى إلا وجميع خبر كل ولدينا ظرف متعلق بجميع أو بمحضرون ومحضرون خبر ثان وسيأتي مزيد من إعراب هذه الآية وقراءاتها •

الفوائد :

١ - كلام الزمخشري في الآية :

للمعربين كلام طويل في إعراب قوله تعالى : « ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون » وقد أوردنا لك ما رأيناه أمثل الأوجه في إعرابها ونرى من المفيد أن نورد لك الكلام الذي أوردته الزمخشري بهذا الصدد قال : « ألم يروا : ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها سواء كانت

للاستفهام أو لمضمر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا إن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه وانهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم » •

هذا وقد قرئء بتخفيف « لما » فتكون إن مخففة من الثقيلة وإن مهمله عن العمل وكل مبتدأ وما بعده خبره ولزمت اللام في الخبر فرقا بين المخففة والنافية وما مزيدة •

٢ - مناقشة لطيفة :

اعلم أن الزمخشري أورد سؤالا في الآية فقال : كيف أخبر عن كل بجميع مع أن الفارسي نص على أنه لا يجوز : إن الذاهبة جارية صاحبها ، واستشكلوا قوله تعالى « فإن كاتتا اثنتين » لأنه أخبر عن ضمير الاثنين بالاثنتين فلا فائدة فيه ، وانتقد بعض الناس على الفارسي وقال إن الجارية مضافة والإضافة تكون بأدنى ملابسة فلا تدل إضافة الجارية إليه على أنها ملكه بل قد تكون جارته فأضافها باعتبار الجوار فقط ثم قل صاحبها فأفاد أنها ملكه ، وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن كلا لا يقتضي الجمعية بخلاف جميع وهذا قد نص عليه ابن عصفور فإنه فرق بين أجمع وجميع بأن أجمع لا يقتضي الجمعية بخلاف جميع لكن إنما ادعى ذلك في حالة النصب نحو جاء الزيدون جميعاً أما في الرفع فلا فرق بين جاء الزيدون أجمعون أو جميع فما قاله الزمخشري مشكل لأن جميعاً لا يفيد الجمعية إلا إذا انتصب على الحال فيبقى السؤال وارداً ، وأجاب عنه الفخر الرازي بجواب حسن وهو أنه إذا كان في الخبر زيادة صفة أو إضافة تقييد صح أن يوثى بلفظ المبتدأ أو معناه كقولك الرجل رجل صالح •

وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ
 (٢٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٢٤)
 لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٢٥) سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ
 الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)

الاعراب :

(وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا) كلام مستأنف مسوق لإيراد آية على البعث والتوحيد . وآية خبر مقدم ولهم صفة والأرض مبتدأ مؤخر وجملة أحييناها يجوز فيها أن تكون حالية وأن تكون صفة وسيأتي السر في وصفيتها في باب الفوائد . (وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) عطف على أحييناها وأخرجنا فعل وفاعل ومنها متعلقان بأخرجنا وحبا مفعول به والفاء استئنافية ومنه متعلقان بيأكلون . (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون) وجعلنا فعل وفاعل والجملة عطف على أحييناها وفيها متعلقان بجعلنا أو بمحذوف مفعول به ثان لجعلنا وجنات مفعول به ومن نخيل صفة لجنات وأعناب عطف على نخيل وفجّرنا عطف أيضاً وفيها متعلقان بفجّرنا ومن العيون صفة لمفعول فجّرنا المحذوف أي ينابيع كائنة من العيون ، وقدره أبو البقاء بقوله : ما ينتفعون به من العيون فمن للتبعية . (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) ليأكلوا تعليل لما تقدم ومن ثمره جار ومجرور متعلقان بيأكلوا وما

موصولية أو نكرة موصوفة عطف على من ثمره وجملة عملته أيديهم صلة أو صفة ولك أن تجعلها مصدرية أي ومن عمل أيديهم فهو بسعنى ما تقدم ، وإعرابه : قال الزمخشري : « ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرُونَ عليه » والهمزة للاستفهام الإنكاري لأنه لا شيء أقبح من إنكار النعمة وغمط الصنيع والفاء تقدم أنها في مثل هذا المقام عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي أيرون هذه النعم ويستمتعون بها فلا يشكرونها ولا نافية ويشكرون فعل مضارع وفاعل والمفعول به محذوف كما أشرنا . (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض) سبحان مفعول مطلق لفعل محذوف وقد تقدم القول فيه والجملة مستأنفة مسوقة لتزييه تعالى عما لا يليق به والذي مضاف إليه وجملة خلق صلة والأزواج مفعول به وكلها تأكيد ومما متعلقان بمحذوف حال وجملة تنبت الأرض صلة .

(ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) عطف على قوله مما تنبت الأرض وبهذا استمر في الأمور الثلاثة التي لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات وهي أعلى التوالي :

- ١ - ما تنبت الأرض من الحبوب وأصناف الشجر .
- ٢ - ما يتوالده الناس من ذكر وأثى .
- ٣ - من أزواج لم يطلع الله عباده عليها بعد ولم يكتنوها حقيقتها .

البلاغة :

في قوله : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها » الآية فن التناسب

بين المعاني أو صحة التفسير وهو أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه ، فإما أن يكون مجملاً يحتاج إلى تفصيل أو موجهاً يفتقر إلى توجيه أو محتملاً يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه ، ووقوع التفسير في الكلام على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط أو بعد ما فيه معنى الشرط وطوراً بعد الجار والمجرور وآونة بعد المبتدأ الذي التفسير خبره ، وقد أتت صحة التفسير في هذه الآية مقترنة بصحة التقسيم واندماج فيهما الترتيب والتهذيب فكان فيها أربعة فنون ؛ فقد قدم سبحانه النبات كما ذكرنا في الإعراب وانتقل على طريق البلاغة إلى الأعلى فثنى بأشرف الحيوان وهو الإنسان ليستلزم ذكره بقية الحيوان ثم ثلث بقوله : « ومما لا يعلمون » فانتقل من الخصوص إلى العموم ليندرج تحت العموم فسبحان منزل القرآن .

الفوائد :

ذكر الزمخشري أن الشمر يجمع على ثمر بفتحين وثمر بضمين وثمر بضمه فسكون ولم يذكر غيره الاثنين الأولين .

وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَالْقَمَرَ
قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٢٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا
أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٠﴾

اللفظة :

(نسلخ) : تفصل يقال سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله،
وسلخ الحية . وفي معاجم اللغة : سلخ يسلخ من باب نصر وفتح سلخاً
الخروف كشط جلده وسلخت المرأة درعها : نزعتة وسلخت الحية
انكشفت عن سلختها وسلخها أي قشرها فاستعير السلخ لإزالة الضوء
وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله .

(العرجون) : بضم العين ويقال له أيضاً العرجد والعرجد
بتشديد الدال أصل العذق الذي يعوج ويبقى على النخل يابساً بعد
أن تقطع عنه الشماريخ ، والجمع عراجين . وقال الزجاج : هو فعلون
من الانعراج وهو الانعطاف . وسيأتي سر تشبيه القمر به في
باب البلاغة .

الأعراب :

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) الواو عاطفة
وآية خبر مقدم ولهم صفة والليل مبتدأ مؤخر وجملة نسلخ حالية
ومنه متعلقان بنسلخ والنهار مفعول والفاء عاطفة وإذا فجائية وهم
مبتدأ ومظلمون خبر ومعنى مظلمون أي داخلون في الظلام . يقال
أظلمنا كما يقال أعتما وأدجينا وأظهرنا وكذلك أصبحنا وأضحينا
وأمسينا .

(والشمس تجري لمستقر لها) الشمس مبتدأ وجملة تجري خبر
ولمستقر متعلقان بتجري وسيرد في باب الفوائد معنى المستقر ولها

متعلقان بمحذوف صفة . (ذلك تقدير العزيز العليم) ذلك مبتدأ
والإشارة الى جريها وتقدير خبره والعزيز مضاف اليه والعليم صفة
ثانية . (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) الواو عاطفة
والقمر مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده أي فهو منصوب على
الاشتغال وجملة قدرناه من الفعل والفاعل والمفعول به مفسرة وقرىء
بالرفع على أنه معطوف على المبتدأ المقدم أو على أنه مبتدأ خبره قدرناه
ومنازل فيه أوجه : أحدها أنه حال على حذف مضاف أي ذا منازل
لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل وثانيها أنه مفعول ثانٍ لقدرناه
أي صيرناه منازل والثالث أنه ظرف أي قدرنا سيره في منازل وقد
جنح الى هذا الوجه الزمخشري والجلال ، وحتى حرف غاية وجر وعاد
فعل ماضٍ وفاعله هو أي القمر في آخر منازله ولك أن تجعل عاد
ناقصة فيكون الاسم مستتراً والكاف اسم بمعنى مثل خبر عاد وإن
اعتبرتها تامة كانت في محل نصب على الحال والقديم صفة للعرجون
وسياأتي سر هذا التشبيه في باب البلاغة .

(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) لا نافية والشمس مبتدأ
وجملة ينبغي خير ولها متعلقان ينبغي وأن وما في حيزها فاعل ينبغي
والقمر مفعول ومعنى ادراك الشمس للقمر الإخلال بالسير المقدر
والنظام المتبع لئلا يختل تكوين الكون ونظامه . (ولا الليل سابق النهار)
عطف على ما تقدم والليل مبتدأ وسابق خبر والنهار مضاف اليه وسياأتي
المزيد من معناه . (وكل في فلك يسبحون) كل مبتدأ ساغ الابتداء
به لما فيه من معنى العموم ولأن التنوين عوض عن كلمة مضافة أي كل
واحد من الشمس والقمر والنجوم والكواكب ، وفي فلك متعلقان
يسبحون وجملة يسبحون خبر والواو فاعل لأنه نزلها منزلة العقلاء
وسياأتي السر في ذلك في باب البلاغة .

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على العديد من فنون البلاغة :

١ - الاستعارة :

فأولها الاستعارة المكنية في قوله « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » فقد شبه تبرؤ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ وذلك انه لما كانت هوائي الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ وكان ذلك أولى من أن يقال فخرج مثلاً لأن السلخ لا يتأتى إلى بجهد ومشقة لفرط التحامه باللحم والعظام ، والجامع بينهما الإزالة والتعرية فكما أن الشاة تتعري حين يسلمها اهابها كذلك الليل إذا انسلى عنه النهار زال ضوءه وبدت ظلمته الحالكة تغمر الكون بسوادها .

٢ - التوشيح :

وفي قوله : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » الآية فن التوشيح وهو أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية إن كان شعراً أو السجع إن كان نثراً بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه من جنس معنى القافية أو السجعة بلفظه أو من لوازم لفظه فإن من كان حافظاً للسورة متفطناً إلى أن مقاطع آيها النون المردفة وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة تكون مظلّمون لأن من انسلى النهار عن ليله أظلم أي دخل في الظلمات ما دامت تلك الحال .

٣ - التشبيه المرسل :

وذلك في قوله « حتى عاد كالعرجون القديم » فقد مثل الهلال بأصل عذق النخلة والعذق بكسر العين وهو الكباسة والكباسة عنقود النخل وهو تشبيه بديع للهلال فإن العرجون إذا قدم دق وانحنى واصفر وهي وجوه الشبه بين الهلال والعرجون فهو يشبهه في رأي العين في الدقة لا في المقدار والاستقواس والاصفرار .

٤ - الاستعارة أيضاً :

واستعار الادراك للشمس والسبق لليل والنهار ليبين ما هو مقرر في علم الجغرافيا من دورات الشمس والقمر والأرض وتكون الليل والنهار ، وجعل الشمس غير مدركة والقمر غير سابق لأن الشمس ثابتة لا تدور إلا دورة لم تعرف مدتها حول شيء مجهول لنا بالكلية ولها أيضاً دورة على محورها كالأرض تقطعها في خمسة وعشرين يوماً أو هي بالضبط خمسة وعشرون يوماً وست ساعات وست عشرة دقيقة وثمانية ثوان ، أما القمر فله حركتان : إحداها حول محوره وثانيتهما حول الأرض وكل منهما يتجه من المغرب إلى المشرق ويقطع مداره حول الأرض في تسعة وعشرين يوماً ونصف تقريباً وهذا هو المسمى بالشهر القمري فكانت الشمس جديدة بأن توصف بالادراك لتباطؤ سيرها والقمر خالق بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره .

٥ - التغليب :

وغلب العقلاء لأنه نزل الشمس والقمر والنجوم والكواكب

منزلتهم والسر فيه انه لما وصفهم بالسباحة وهي من أوصاف العقلاء،
سأغ له ذلك .

وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ
مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ
ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

اللفظة :

(المشحون) : شحن السفينة ملاءها وأتم جهازها كله « في الفلك
المشحون » وبينهما شحناء : عداوة وهو مشاحن لأخيه ويقال للشيء
الشديد الحموضة انه ليشحن الذباب أي يطرده وبابه فتح إذا كان
بمعنى الملاء وإذا كان بمعنى الطرد فهو من باب فتح ونصر ، يقال :
شحنت الكلاب أي أبعدت الطرد ولم تصد شيئاً وإذا كان بمعنى
الحقد فهو من باب تعب .

(صريخ) : مغيث ويطلق أيضاً على الصارخ أي المستغيث فهو
من الأضداد ويكون مصدراً بمعنى الإغاثة وكل منهما مراد هنا وفي
الأساس : « وصرخ يصرخ صراخاً وصریخاً وهو صارخ وصریخ وقد
نقع الصریخ قال :

قوم إذا نفع الصريخ رأيته من بين ملجم مهره أو سافع
والصراخ : صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه
للإغاثة .

قال سلامة :

إنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنايب
أي كان الغياث له وتقول : جاء فلان صارخاً وصريخاً
ومستصرخاً : مستغيثاً وأقبل صارخاً وصارخةً وصريخاً ومُصرخاً :
مغيثاً قال :

وكانوا مهلكي الأبناء لولا تداركهم بصارخة شفيق
وفي المثل : « عبد صريخه أمة » أي مغيثه وأصرخته أغثته ،
واستصرخني استغاثني وتصارخوا واصطرخوا : تصايحوا .

(الذرية) : سيأتي بحثها في باب الإعراب .

الاعراب :

(وآية لهم أننا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) اختلف في عود
الضمير ونرى أن الأصوب أن يكون عاماً وأن يكون بمثابة امتنان
عليهم بأصناف من النعم منها حملهم في السفن فتكون الألف واللام
في الفلك للجنس لا لسفينة نوح خاصة . وآية خبر مقدم ولهم صفة
وأنا أن وما في حيزها مبتدأ مؤخر وأن واسمها وجملة حملنا خبرها

وحملنا فعل وفاعل وذريتهم مفعول به وفي الفلك متعلقان بحملنا
والمشحون صفة وقد أطلقت الذرية على الأصول وهي تطلق أيضاً على
الفروع لأن لفظ الذرية مشترك بين الضدين لأن الذرية من الذرة أي
الخلق والفروع مخلوقون من الأصول والأصول خلقت منها الفروع
وقال البغوي : « واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد »
وفي القاموس : « ذراً كجعل خلق والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة
لنسل الثقلين » واستدرك في التاج فقال : « وقد يطلق على الآباء
والأصول قال الله تعالى : أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون والجمع
ذراري كسراري » فليس في الآية إشكال كما زعم القرطبي وسيأتي
نص عبارته في باب الفوائد .

(وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) الواو عاطفة وخلقنا فعل
وفاعل ولهم متعلقان بخلقنا ومن مثله في محل نصب على الحال من
المفعول المؤخر وهو ما وجمله يركبون صلة ما والضمير في مثله يعود
على الفلك فيما أن يراد بالمثل ما اصطنعوه بعد ذلك من وسائل
الركوب أو أنه مقتصر على الإبل لأنهم كانوا يسمونها سفائن الصحراء
وهناك أقوال يرجع إليها في المطولات . (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم ولا هم ينقذون) الواو عاطفة وإن شرطية ونشأ فعل الشرط وفاعله
مستتر تقديره نحن ونغرقهم جواب الشرط والفاء عاطفة واختار ابن
عطية أن تكون استئنافية وفي ذلك قطع للكلام ، ولا نافية للجنس
وصريخ اسمها مبني على الفتح ولهم خبرها والواو عاطفة ولا نافية وهم
مبتدأ وجمله ينقذون خبر وينقذون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون
والواو نائب فاعل . (إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين) إلا أداة حصر
ورحمة مفعول لأجله فهو استثناء مفرغ من أعم العلل وقيل هو

استثناء منقطع وقيل هو مفعول مطلق، لفعل محذوف وقيل منصوب بنزع الخافض ومتاعاً عطف على رحمة وإلى حين صفة وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة .

(وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون)
كلام مستأنف مسوق لبيان إعراضهم عن هذه الآيات الآتية الذكر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف إليها ولهم متعلقان بقيل وجملة اتقوا مفعول القول واتقوا فعل أمر وفاعل وما مفعول به والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وأيديكم مضاف إليه وما خلفكم عطف على ما بين أيديكم ولعلكم لعل واسمها وجملة ترحمون خبرها وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله الآتي والتقدير أعرضوا وأشاحوا . (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) الواو عاطفة وما فافية وتأتيهم فعل مضارع ومفعول به ومن حرف جز زائد وآية مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ومن آيات ربهم صفة ومعنى من التبعض وإلا أداة حصر وجملة كانوا عنها معرضين في محل نصب حال وكان واسمها وعنهما متعلقان بمعرضين ومعرضين خبرها .

البلاغة :

في قوله : « وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم » إلى قوله : « ومتاعاً إلى حين » سلامة الاختراع وهي الاتيان بمعنى لم يسبق إليه فإن نجاتهم من الغرق برحمة منه تعالى هي في حد ذاتها متاع يستمتعون به ولكنه على كل حال إلى أجل مقدر يموتون فيه لامندوحة لهم عنه ، فهم إن نجوا من الغرق فلن ينجوا مما يشبهه أو يدانيه ، والموت

لا تفاوت فيه • وقد رmq أبو الطيب ، كعادته ، سماء هذا المعنى فقال
من قصيدة قالها بمصر يذكر بها حماء التي كانت تغشاه :

وإن أسلم فما أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام

يقول : فإن أسلم من مرض لم أبق خالداً ولكن سلمت من
الموت بهذا المرض إلى الموت بمرض آخر وهذا معنى بديع تداوله
الشعراء ، فقال آخر :

إذا بئ من داء به خال أنه تجاذبه الداء الذي هو قاتله

وقد دندن أبو الطيب لتصوير المتاع المستعجل بيئين ولم يسم
إلى الآية فقال :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام

فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى اقتباهك والمنام

أراد بثالث الحالين الموت يقول ما دمت حياً تمتع من حالتي
النوم والسهاد فإنك لا تنام في القبر ، والموت غير اليقظة والرقاد فلا
تحسب الموت نوماً •

الفوائد :

عبارة القرطبي في تفسير الآية :

وعذاك أن تنقل لك عبارة القرطبي وبرأ بهذا الوعد نوردها
لك : « هذه الآية من أشكل ما في هذه السورة لأنهم هم المحمولون

ف قيل : المعنى وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون فالضميران مختلفان ، ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي ابن سليمان انه سمعه يقوله وقيل الضميران جميعاً لأهل مكة على أن يكون المراد بذرياتهم أولادهم وضعفاءهم فالفلك على القول الأول سفينة نوح وعلى الثاني يكون اسماً للجنس أخبر تعالى بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحمل فيها من يضعف عن المشي والركوب من الذرية والضعفاء فيكون الضميران على هذا متفقين ، وقيل الذرية والآباء والأجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام فالآباء ذرية والأبناء ذرية بدليل هذه الآية قاله أبو عثمان وسمي الآباء ذرية لأنه ذراً منهم الأبناء ، وقول رابع أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ذكره الماوردي « والقول الصحيح والوجيه ما أسلفناه .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا
 صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا
 إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

اللفة :

(يخلصون) : بفتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وأصله يختصمون فلما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين وهناك قراءات أخرى يرجع إليها في المطولات .

الاعراب :

(وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) عطف على ما تقدم وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل في محل جر بالإضافة وجملة أنفقوا مفعول القول ومما جار ومجرور متعلقان بأنفقوا وجملة رزقكم الله صلة . (قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) جملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والذين فاعل وجملة كفروا صلة وللذين متعلقان بقال وجملة آمنوا صلة والهمزة للاستفهام ومعناه الاستهزاء : كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أي فقره الله ونطعمه نحن ؟ وقيل نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله : أعطونا مما زعمتم من أموالكم إنها لله يعنون قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » فحرموهم وقالوا : لو شاء الله لأطعمكم استهزاء منهم بالمؤمنين أي فلا نطعمكم حتى ترجعوا إلى ديننا . ونطعم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ومن مفعول به ولو شرطية ويشاء الله فعل مضارع وفاعل وجملة أطعمه لا محل لها وجملة لو يشاء الله أطعمه لا محل لها لأنها صلة من .

(إن أقم إلا في ضلال مبین) إما أن يكون تنمة كلام المشركين وإما أن يكون من قول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم وإما أن يكون من قول الله تعالى لهم ، وروى القرطبي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال : يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ؟ قال : نعم ، قال : فما باله لم يطعمهم ؟ قال : ابتلى قوماً بالفقر وقوماً بالغنى وأمر الفقراء بالصبر وأمر الأغنياء بالإعطاء ، فقال أبو جهل : والله يا أبا بكر إن أنت إلا في ضلال أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت فنزلت الآية • (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) كلام مستأنف لبيان ضرب آخر من تعسفهم وركوبهم متن الضلالة ويقولون فعل مضارع وفاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل من اسم الإشارة وإن شرطية وكنتم صادقين كان واسمها وخبرها وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي فمتى هذا الوعد ؟

(ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) ما نافية وينظرون فعل مضارع وفاعل ومعناه ينتظرون : جعلهم منتظرين وقوعها مع أنهم كانوا قاطعين بعدمها محاكاة لكلامهم • وإلا أداة حصر وصيحة مفعول به وواحدة صفة وجملة تأخذهم صفة ثانية أو حالية والواو حالية وهم ضمير منفصل مبتدأ وجملة يخصمون خبر والجملة نصب على الحال والمعنى أنها تبغتهم وهم سادرون في الغفلة سترسلون في الخصومات حول المتاجر والمعاملات • (فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) الفاء عاطفة ولا نافية ويستطيعون فعل

مضارع وفاعل وتوصية مفعول به والواو عاطفة ولا نافية وإلى أهلهم جار ومجرور متعلقان يرجعون والجملة معطوفة على فلا يستطيعون •

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾
 قَالُوا يُوَيْلَنَّا مَنِ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ
 الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا
 مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

اللفظة :

(الصور) : هو القرن أو ما يسمى اليوم البوق وهو شيء مجوف مستطيل ينفخ فيه ويזمر ويجمع على أبواق وبيقان وبوقات • قال أبو الفتح بن جني : عاب على أبي الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق على بوقات في قوله :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِّلدَوْلَةِ

ففي الناس بوقات لها وطبول

والقياس يعضده إذ له ظائر كثيرة مثل حمام وحمامات وسرادق وسرادقات وجواب وجوابات وهو كثير في جميع ما لا يعقل من المذكر •

(الأجداث) : القبور جمع جدث كفرس وأفراس وقرىء من الأجداف بالفاء وهي لغة في الأجداث يقال جدث وجدف •

(ينسلون) : يعدون بكسر السين وضمها يقال نسل الذئب ينسل من باب ضرب يضرب وقيل ينسل بالضم أيضاً وهو الاسراع في المشي وفي القاموس : « نسل ينسل وينسل بكسر السين وضمها نَسَلاً ونَسَلاً ونَسَلاً في مشيه أسرع » •

ومنه قول امرئ القيس :

فإن تك ساءتك مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

الاعراب :

(وتنفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) كلام مستأنف مسوق لتقرير البعث يوم القيامة • وتنفخ فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وفي الصور متعلقان بنفخ والفاء حرف عطف وإذا الفجائية وهم مبتدأ ومن الأجداث متعلقان بينسلون وإلى ربهم متعلقان بينسلون أيضاً وجملة ينسلون خبرهم • (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) قالوا فعل وفاعل ويا حرف تنبيه أو حرف انداء والمنادي محذوف وويلنا مصدر لا فعل له من لفظه ونا مضاف إليه ويجوز أن يكون منادى مضافاً من النداء المجازي أي يا ويل احضر فهذا أوانك ، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة بعثنا خبر ومن مرقدنا متعلقان ببعثنا ويجوز في المرقد أن يكون مصدراً ميمياً أي من رقادنا ويجوز أن يكون اسم مكان

وقد أقيم المفرد مقام الجمع • (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)
 هذا مبتدأ وما اسم موصول بخبر وجملة وعد الرحمن فعل وفاعل
 ومفعول وعد محذوف أي وعدنا وصدق المرسلون فعل وفاعل
 والمفعول محذوف وعلى هذا الاعراب يكون الوقوف على مرقداً تاماً ،
 ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع مدخولها خبر هذا ، وأجاز
 الزمخشري وغيره أن يكون اسم الإشارة نعتاً لمرقداً فيوقف عليه
 وما وعد مبتدأ محذوف الخبر أو خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير على
 الأول حق وعلى الثاني هذا أو بعثنا •

(إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون)
 إن نافية وكانت فعل ماض فاقص واسمها مستتر تقديره الصيحة وإلا
 أداة حصر وصيحة خبر كانت والفاء حرف عطف وإذا الفجائية وهم
 مبتدأ وجميع خبر ولدينا ظرف متعلق بمحضرون ومحضرون خبر ثان
 أو صفة لجميع • (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم
 تعملون) الفاء استئنافية واليوم ظرف متعلق بتظلم ولا نافية وتظلم
 فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وشيئاً مفعول مطلق
 ولا تجزون عطف على لا تظلم على طريق الالتفات وإلا أداة حصر وما
 مفعول به ثان لتجزون وجملة كنتم صلة وجملة تعملون خبر كنتم •

البلاغة :

في قوله : « قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقداً » استعارة
 تصريحية أصلية فقد استعار الرقاد للموت والجامع بينهما عدم ظهور
 الفعل لأن كلاهما من النائم والميت لا يظهر فيه فعل والمراد الفعل
 الاختياري المعتد به فلا يرد أن النائم يصدر منه فعل وإنما قلنا أنها

أصلية لأن المرقد مصدر ميمي كما تقدم وأما إذا جعلناه اسم مكان فتكون الاستعارة تبعية •

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِعُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

اللفظة :

(شغل) : بسكون الغين وضمها وقد قرىء بهما معاً وفي القاموس : « الشغل بالضم وبضمتين وبالفتح وبفتحتين ضد الفراغ وجمعه أشغال وشغول وشغله كمنعه شغلاً ويضم ، وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة واشتغل به وشغل كعني ويقال منه ما أشغله وهو شاذ لأنه لا يتعجب من المجهول » وأنكر شارح القاموس أشغل وقال : لا يعرف نقله عن أحد من أئمة اللغة •

(فاكهون) : فاعمون أو متلذذون في النعمة من الفكاهة بالضم وهي التمتع والتلذذ مأخوذ من الفاكهة • قال الجوهري في صحاحه : الفكاهة بالضم : المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه

إذا كان طيب العيش فرحاً ذا نشاط من التنعم فإذا فسرنا قوله «فاكهون» بأنهم ناعمون كانت من الفكاهة بالفتح وفي القاموس: «الفاكهة: الثمر كله وقول مخرج التمر والعنب والرمان منها مستدلاً بقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان باطل مردود وقد بينت ذلك مبسوطاً في اللامع المعلم العجائب، والفاكهاني بائعها وكخجل: آكلها والفاكه صاحبها وفكهم تفكيهاً أتاها بها والفاكهة: النخلة المعجبة واسم والحلواء وفكهم بملح الكلام تفكيهاً أطرفهم بها والاسم: الفكاهة والفكاهة بالضم وفكه كفرح فكهاً وفكاهة فهو فكه وفاكه طيب النفس ضحك أو يحدث صجبه فيضحكهم ومنه تعجب كتفكه والتفاكه التمازح» •

(الأرائك) : جمع أريكة وهي السرير في الحجرة وقيل الفرش الكائن في الحجرة بفتحيتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء وقيل مع كسرهما والمراد بها نحو قبة تعلق على السرير وتزين به العروس •

(يدعون) مضارع ادعى بوزن افتعل من دعا يدعو وقد اشرب معنى التمني، قال أبو عبيدة: «العرب تقول: ادع علي ما شئت أي تمن وفلان في خير ما يدعي أن يتمنى» وقال الزجاج: «هو من الدعاء أي ما يدعو به يأتهم، وقيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه» وقال الزمخشري: «يدعون يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال ليلى:

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل°

أرسلته فأتاه رزقه فاشتوى ليلة ربح واجتمل»

أي ورب غلام أرسلته أمه إلينا برسالة وهي هنا السؤال فبذلنا ما سأل من الطعام عقب سؤاله وبين ذلك بقوله : أرسلته فأتاه رزقه وفيه دلالة على أنه لم يكن عندهم طعام حين أتاهم الغلام أي فأتاه رزقه من الصيد فاشتوى لنفسه من اللحم في ليلة ريح مظلمة يقل فيها الجود واجتمل أي أذاب الشحم ، وفي الصحاح : حميت الشحم واجتملته إذا أذبتة .

الاعراب :

(إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) كلام مستأنف مسوق لتقرير أحوال أهل الجنة إغاية للكفار وتقريعاً لهم وزيادة في ندامتهم وحسرتهم . وإن واسمها واليوم ظرف متعلق بمحذوف حال وفي شغل خبر إن الثاني وفاكهون خبرها الأول ويجوز العكس ، ويجوز أن يتعلق في شغل بفاكهون أو في محل نصب على الحال ، وسيأتي معنى الشغل والفكاهة في باب البلاغة . (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) هم مبتدأ وأزواجهم عطف على هم وفي ظلال خبر أي لا تصيبهم الشمس لانعدامها بالكلية وعلى الأرائك متعلقان بتكئون ومتكئون خبر ثان لهم ، ويجوز أن يتعلق قوله في ظلال بمحذوف حال . (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) لهم خبر مقدم وفيها متعلقان بمحذوف حال وفاكهة مبتدأ مؤخر ولهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على الجملة السابقة ويجوز في ما أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة أو مصدرية وجملة يدعون لا محل لها أو صفة .

(سلام قولاً من رب رحيم) اختلفت أقوال المعربين في إعراب هذه الآية وأوصل بعضهم القول فيها إلى ستة أوجه ، وفري أن ثبت نص عبارة الشهاب السمين لوجهاتها قال : « قوله سلام : العامة على رفعه وفيه أوجه أحدها أنه خبر ما يدعون . الثاني أنه بدل من ما ، قاله الزمخشري ، قال الشيخ : وإذا كان بدلاً كان ما يدعون خصوصاً والظاهر أنه عموم في كل ما يدعونه وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه . الثالث أنه صفة لما وهذا إذا جعلتها نكرة موصوفة أما إذا جعلتها بمعنى الذي أو مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفاً وتنكيراً . الرابع أنه خبر ابتداء مضمّر أي هو سلام . الخامس أنه مبتدأ خبره الناصب نقولاً أي سلام يقال لهم قولاً وقيل تقديره سلام عليكم . السادس أنه مبتدأ وخبره من رب » وقولاً مصدر مؤكد لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر وقال الزمخشري « والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه » وجعله السيوطي الجلال منصوباً بنزع الخافض وقال آخرون هو مصدر منصوب بفعل محذوف وهو مع عامله صفة لسلام أي يقول لهم وجملة سلام قولاً من رب رحيم في محل نصب معموله لقول محذوف ومن رب صفة لقولاً ورحيم صفة لرب .

(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وهذه الجملة معموله لقول محذوف أيضاً أي ويقول لهم الله . وامتازوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل أي وانفردوا عن المؤمنين ، واليوم ظرف متعلق بامتازوا وأيها منادى نكرة مقصودة محذوف منه حرف النداء والهاء للتنبيه والمجرمون بدل . (ألم أعهد إليكم يا بني آدم) جملة منتظمة في سلك المقول لهم جارية مجرى التقرير والتوبيخ والتبكي والإلزام.

والهمزة للاستفهام المتضمن هذه المعاني ولم حرف نهي وقلب وجزم
وأعهد فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا وإليكم
متعلق بأعهد ويا حرف نداء وبني منادى مضاف وآدم مضاف إليه .
(أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) أن مفسرة لأنها وقعت
بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتعبدوا فعل مضارع
مجزوم بلا الناهية والواو فاعل والشيطان مفعول به ويجوز أن تكون أن
مصدرية فتكون هي ومدخولها في محل نصب بنزع الخافض ، أي ألم
أعهد إليكم بترك عبادة الشيطان . وان واسمها ولكم متعلقان بعدو أو
بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة له وتقدمت وعدو خبر إن
ومبين صفة والجملة تعليلية للنهي لا محل لها . (وأن اعبدوني هذا
صراط مستقيم) عطف على أن لا تعبدوا واعبدوني فعل أمر وفاعل
ومفعول به وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة والجملة تعليلية
للأمر وسيأتي سر تقديم النهي على الأمر في باب البلاغة .

البلاغة :

في هذه الآيات ضروب من أفانين البلاغة نشير إليها فيما يلي :

١ - تنوين شغل وفيه تنويه بأن ما هم فيه من شغل أعلى من
أن ترقى إليه رتبة البيان أو يستطيع وضعه اللسان كما أن في إبهامه
إيجازاً انطوى تحته ما لا يعد ويحصى من ضروب الملاذ التي يستمتعون
بها في الجنان ، وأن ما عداها يعتبر كلا شيء كما أن فيه تصويراً لما
أعده الله لعباده المتقين من ضروب المتعة وأفانين اللذة من اقتضاض
أبكار ، وسماع أوتار ، وتزاور في العشايا والأسحار ، وقد أكد به أنهم
فاكهون ناعمون لا يشغل بالهم ما يشغل بال أهل الدنيا من تصاريق

الحياة ومشاكل السنين ولا ينقص صفوهم هم طارىء أو غم نازل ،
وان كل ما تمتد إليه الأعين وتسافر نحوه الظنون من صنوف الملاذ
حاضر لديهم ينالونه وهم متكئون على الأرائك متمددون تحت الظلال
مما ورد وصفه مجسداً . وذلك كله على طريق الكناية ؛ وقد تقدم
القول فيها مطولاً .

٢ - تنوين صراط وفيه تفخيم كما تقدم وإيجاز يشير إلى ما عهد
إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ومن
نماذج هذا التنوين في الشعر قول كثير عزة :

لئن كان يهدي برد أنيابها العـلا

لأفقر مني انني لفقير

وقيل هذا البيت من أبيات المجنون وقوله :

دعوت إلهي دعوة ما جهلتها وربى بما تخفي الصدور بصير

وبعد :

فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت

فهل يأتيني بالطلاق بشير

وقوله لئن كان يهدي بيان للدعوة التي دعاها عن قصد وحضور
قلب وما بينهما اعتراض للتأكيد وإفادة أن الدعوة كانت في السر أي
لئن كان يعطي برد أسنانها العليا وخصها بالذكر لأنها أول ما يبدو عند
التبسم لأحوج مني إني لبليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال

شرائطه في ، ويجوز أن « برد أنيابها » كناية عن ذاتها كلها و « إني لفقير » خبر مؤكد يدل على شدة الاحتياج وعظم الفاقة وأي فاقة أشد على العاشق من احتياجه إلى من يعشق يداوي أوصابه • وإن في قوله « أن قد تزوجت » مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهي على تقدير حرف الجر أي أتعجب من كثرة الأخبار المخبرة بزواجها وهل استفهام بمعنى التمني أو التعجب مجازاً مرسلًا لعلاقة مطلق الطلب أي أتمنى ذلك أو أتعجب من عدمه •

٣ - تقديم النهي على الأمر في قوله « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وإن اعبدوني هذا صراط مستقيم » وذلك لأن حق التخلية التقديم على التحلية كما هو مقرر في علم التوحيد وليتصل به قوله « هذا صراط مستقيم » •

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

اللفظة :

(جبال) : بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل ، وجبال
بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام ، وجبال بضم الجيم وسكون
الباء ، وجبال بكسر الجيم وسكون الباء وهذه اللغات في الجبل بمعنى
الخلق أو طائفة منه أقلها عشرة آلاف والكثير لا يتناهى .

(اصلوها) : ذوقوا حرّها .

(مكاتئهم) : المكاة والمكان واحد كالمقامة والمقام والمعنى
لمسختهم مسخاً يجندهم مكانهم لا يقدرّون على مبارحته .

الاعراب :

(ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) كلام
مستأنف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقرير واللام جواب للقسم
المحذوف وقد حرف تحقيق وأضل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره
هو ومنكم جار ومجرور متعلقان بأضل وجبلاً مفعول به وكثيراً صفة
والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم
وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلم والواو اسمها وجملة تعقلون
خبرها . (هذه جهنم التي كنتم توعدون) كلام مستأنف مسوق
لمجابتههم بالمصير الهائل الذي يصيرون اليه بعد أن بلغ الغاية في
توبيخهم وتقريعهم . واسم الإشارة مبتدأ وجهنم خبره والتي صفة
وجملة كنتم صلة والتاء اسم كان وجملة توعدون خبرها .

(أصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أصلوها فعل أمر وفاعل ومفعول به واليوم ظرف متعلق بأصلوها وبما متعلقان بأصلوها أيضاً والباء للسببية وما مصدرية أي بسبب كفركم وكنتم تكفرون كان واسمها وخبرها وجملة كنتم تكفرون لا محل لها . (اليوم نختم على أفواههم) اليوم ظرف زمان متعلق بنختم ونختم فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وعلى أفواههم متعلقان بنختم أيضاً . (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وتكلمنا أيديهم فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وسيأتي سر تكليم الأيدي، وتشهد أرجلهم عطف على تكلمنا أيديهم وبما متعلقان بتكلمنا وما مصدرية أو موصولة وكانوا كان واسمها وجملة يكسبون خبرها . (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الواو عاطفة ولو شرطية ونشاء فعل مضارع وفاعل والمفعول به محذوف أي لو نشاء طمسها واللام واقعة في جواب لو وجملة طمسنا لا محل لها وعلى أعينهم متعلقان بطمسنا والطمس شق العين حتى تعود ممسوحة وفي المصباح « طمس الشيء طمساً من باب ضرب محوته » .

(فاستبقوا الصراط فأني يبصرون) الفاء عاطفة واستبقوا فعل وفاعل والجملة عطف على لطمسنا والصراط قال الزمخشري: « لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل ، والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقاً لا مسبوقاً إليه أو ينتصب على الظرف ، والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيح الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيراً كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدرُوا وتعابوا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلاً عن غيره أو لو شاء

لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقيين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراً لم يستطيعوا أو لو شاء الأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقاً » وقال السمين : « والصراط ظرف مكان مختص عند الجمهور فلذلك تأولوا وصول الفعل إليه إما بأنه مفعول به مجازاً جعله مسبوقاً له وتضمنين استبقوا معنى بادروا وإما على حذف الجار أي إلى الصراط » والفاء عاطفة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال ويبصرون فعل مضارع وفاعل والاستفهام هنا معناه النفي أي لا يبصرون .

(ولو نشاء لمسخناهم على مكاتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون) عطف على ما ولو شرطية ونشاء فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ومفعول نشاء محذوف أيضاً أي لو نشاء مسخهم واللام واقعة في جواب لو وجملة مسخناهم لا محل لها وعلى مكاتهم حال أي لمسخناهم على حالتهم فهم ممسوخون في محالهم وفي منازلهم، فما الفاء عاطفة وما نافية واستطاعوا فعل وفاعل ومضياً مفعول به ولا يرجعون عطف أيضاً أي فما يبرحون مكاتهم ولا يستطيعون الفرار منها باقبال ولا بادبار .

وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَاهُمْ

مِمَّا عَمِلْتَ أَيْدِينَا أَنْعَمَّا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا
 رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا
 يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾
 لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنكَ
 قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

اللفة :

(نمره) : نطيل أجله ، وعمره الله بالتشديد أبقاه وقد تقدم
 ذكر هذه المادة بتفصيل واف .

(نكسه) نقلبه أي فنجعله على عكس ما خلقناه فيتناقص حتى
 يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبي . وفي القاموس وغيره « نكسه
 تنكيساً بالتشديد بمعنى فكسه ونكسه ينكسه من باب نصر نكساً
 قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره » وفي المصباح :
 « نكسته نكساً من باب قتل قلبته ومنه قيل ولد منكوس إذا خرج
 رجلاه قبل رأسه لأنه مقلوب مخالف للعادة ، ونكس المريض نكساً
 بالبناء للسجھول عاوده المرض كأنه قلب إلى المرض » وقد جمع بعضهم
 معاني هذه المادة فقال :

قلب على رأس فهذا نكس°

والرجل الفسل الضعيف فكس°

رجسوع داء بعسد برء فكس

والناكس المسرخي لرأس فادر

ومن ريب أمر النون مع الكاف أنهما إذا وقعتا فاء وعينا للكلمة دلت على أثر في الشيء ويكون مصحوباً بالايلام والايجاع فنكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنكسها قال :

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده

ولكن نكء القرع بالقرح أوجس

ونكب عنه عدل ونكب الإناء أراق ما فيه والنكبة المصيبة وأثرها بليغ ومنه الريح النكباء وهي التي تهب بين الصبا والشمال خاصة . ونكت الأرض بقضيه أو بأصبعه ومرّ الفرس ينكت إذا نبا عن الأرض في عدوه ونكت العظم أخرج مخه وفلان نكّات في الأعراض أي طعان فما يستعمله العامة قريب من الصحيح . ونكت الحبل والسواك والساف في أصول الأظفار وقد اتكت بنفسه أي انتقض واختل وهذه نكاثه الحبل : لما اتكتت من طرفه ونكاثه السواك لما تشعث من رأسه ، ومن مجازة نكت العهد والبيعة نقضهما وهو نكاث للعهد . ونكح المرأة واستنكحها . قال النابغة :

وهم قتلوا الطائي بالحجر عنوة

أبا جابر واستنكحوا أم جابر

واستنكح النوم عيونهم . قال عمر بن أبي ربيعة :

واستنكح النوم الذين تخافهم

ورمى الكرى بوابهم فتجبدلاً

ونكد فلاناً حاجته منه إياها أو لم يعطه إلا القليل منها ونكد الغراب استقصى في شحيحة ونكد العيش بكر الكاف اشتد وعسر ونكد عيشه بالتشديد أي جعله نكداً وعطاء منكود ومنكد أي قليل غير مهناً . قال :

وأعط ما أعطته طيباً لا خير في المنكود والناكد

ونكد عطاءه بالمن . وأفكر الشيء ونكره واستنكره وقيل نكر بالكسر أبلغ من أنكره وهذا غريب وقيل : نكر بالقلب وأنكر بالعين ، قال الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلع

ونكزت الحية تنكر بأفهامها ونكر البحر غاض . ونكش البثر نزعها أو أخرج ما فيها من الطين فما تستعمله العامة لا غبار عليه . ونكص على عقبيه معروف ويقال : فلان حظه ناقص ، وجده ناكص . ونكف منه بكسر الكاف واستنكف : امتنع واقبض أنفاً وحمية . ونكل عن اليمين وعن العدو نكولاً ونكلته عن كذا فطمته ونكلت به بالتشديد أصبته بنازلة أو جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله والقعاب النكال . ونكهته تشممت ريح فيه ونكه الشارب في وجهه ولا يخفى ما يحدثه من أثر وقد يأتي بمعنى الطيب يقال هو طيب النكهة وقد

استعملها أبو الشمقمق في المعنيين بقوله يهجو داود بن بكر وكان
والي الأهواز :

وله لحية تيس وله منقار نسر
وله نكهة ليث خالطت نكهة صقر

ونكيت في العدو نكاية إذا أكثر الجراح ، تقول : فلان قليل
النكاية طويل الشكاية ، قال :

قليل النكاية أعداءه يراعي الفرار يراخي الأجل

الاعراب :

(ومن نعمره تنكسه في الخلق أفلا يعقلون) كلام مستأنف
مسوق لاستعراض حال الانسان كيف يستحيل إلى ضعف بعد قوة
وإلى نقص بعد تمام • ومن اسم شرط جازم ونعمره فعل الشرط
والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به وتنكسه جواب الشرط
والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به وفي الخلق متعلقان
بتنكسه أو بمحذوف حال والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة
على محذوف يقتضيه السياق ولا نافية ويعقلون فعل مضارع مرفوع
وفاعله • (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) كلام مستأنف مسوق
للرد على من زعموا أن القرآن شعر • وما نافية وعلمناه فعل ماض
وفاعل ومفعول به والشعر مفعول به ثان وما عطف وينبغي فعل
مضارع معطوف على علمناه وله متعلقان ينبغي وسيأتي مزيد بيان
حول هذا الموضوع ..

(إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) إن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر وذكر خبر وقرآن عطف على ذكر ومبين صفة • (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) اللام للتعليل وينذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تدل عليه قرينة الكلام أي أنزل عليه لينذر ومن مفعول به وجملة كان صلة واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وحياً خبرها ويحق عطف على لينذر والقول فاعل والمراد به العذاب وعلى الكافرين متعلقان بيقق • (أولم يروا أنا خلقنا لهم ما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون) الهمزة للاستفهام التقريري وقد تقدم أن في هذا التركيب وجهين صحيحين أولهما أن أصل التركيب وألم يروا ولكن لما كان الاستفهام له الصدارة قدمت الهمزة على الواو ، والوجه الثاني أن يكون الكلام على حاله والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق وقد جرينا على هذا الوجه في أكثر ما قدمناه والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا وقد أعدناه هنا لطول العهد به • ولم حرف نهي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل والرؤية علمية وأنا وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا وأن واسمها وجملة خلقنا خبرها وخلقنا فعل وفاعل ولهم متعلقان بخلقنا أي لأجلهم وانتفاعهم ومما متعلقان بمحذوف حال وجملة عملت صلة والعائد محذوف أي عملته وأيدينا فاعل وأنعاماً مفعول خلقنا والفاء عاطفة وهم مبتدأ ولها متعلقان بمالكون ومالكون خبر هم وهي كالابل والبقر والغنم والخيول والحمير •

(وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وذللناها فعل ماض وفاعل ومفعول ولهم متعلقان بذللناها والفاء للتفريع ومنها خبر مقدم

وركوبهم مبتدأ مؤخر وفيها متعلقان يأكلون ويأكلون فعل مضارع مرفوع وفاعل • (ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) الواو عاطفة ولهم خبر مقدم وفيها حال ومنافع مبتدأ مؤخر ومشارب عطف على منافع وهو جمع مشرب مصدر ميمي واسم مكان والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة كما تقدم ولا نافية ويشكرون فعل مضارع وفاعل • (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) الواو عاطفة على مقدر يستدعيه السياق أي ما فعلوا الشكر • واتخذوا فعل أمر وفاعل ومن دون الله في موضع المفعول الثاني لاتخذوا وآلهة مفعوله الأول ولعل واسمها وجملة ينصرون خبرها والواو نائب فاعل وجملة الرجاء حالية أي حال كونهم راجين النصر من آلهتهم • (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) لا نافية ويستطيعون فعل مضارع وفاعل ، أسند ضمير العقلاء إلى آلهتهم تنزيلاً لها منزلة العقلاء ونصرهم مفعول به والواو للحال وهم مبتدأ ولهم حال من جند لأنه كان في الأصل صفة له وقدمت عليه وجند خبرهم ومحضرون خبر ثان لهم أو نعت لجند •

(أفلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) الفاء الفصيحة أي ان علمت ما تقدم وأيقنت أنهم يعلّقون أطماعهم الفارغة على ما يستوجب الخسران ويستدعي تقويض الأحلام وتبديد الأوهام فلا يحزنك قولهم • ولا ناهية ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به وقولهم فاعل ثم علل النهي فقال : إنا بكسر الهمزة ولو فتحت لفسد المعنى ، وان واسمها وجملة نعلم خبرها والفاعل مستتر تقديره نحن وما مفعول به وهي موصولة أو مصدرية وجملة

يسرون لا محل لها على كل حال أي الذي يسرونه أو اسرارهم
وما يعلنون عطف على ما يسرون أي والذي يعلنون أو واعلانهم
وللزمخشري فصل ممتع بين كسر همزة إن وفتحها نوره في
باب الفوائد •

الفوائد :

حاول بعض المنتصرين للنثر ، الطاعنين على الشعر ، أن يحتج
بأن القرآن كلام الله تعالى منشور ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم غير
شاعر لقوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ويرى أنه قد أبلغ
في الحجة ، ولكن الواقع أن الله تعالى لما بعث رسوله أمياً غير شاعر
إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت
البلاغة آية للنبوة ، وحجة على الخلق ، وإعجازاً للمتعاطين ، وجعله
منشوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي يترتب على صاحبه
أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام ، وتحدي جميع الناس من شاعر
وغيره بمثل مثله فأعجزهم ذلك ، فمن هنا قال الله تعالى « وما علمناه
الشعر وما ينبغي له » أي لتقوم عليكم الحجة ويصح قبلكم الدليل ،
ويدحض أباطيلكم البرهان ، والمعنى : إن القرآن ليس بشعر ، وما هو
من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر ؟ والشعر إنما هو كلام موزون
مقفى يدل على معنى فأين الوزن ؟ وأين التقفية ؟ وأين المعاني التي
ينتجها الشعراء عن معانيه ؟ وأين نظم كلامهم عن نظمهم وأساليبه ؟
فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر ، قال الزمخشري : « فإن قلت فقوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا إصبع دمت وفي سبيل الله ما لقيت

قلت : ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه أن جاء موزوناً كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر ، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز ، على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً » •

قلت : وقد تقدم في موضع آخر بحث مستفيض عن الشعر فجدد به عهداً •

بين كسر همزة إن وفتحها :

وقال الزمخشري في صدد قوله تعالى : « فلا يحزك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » : « فإن قلت : فما تقول فيمن يقول : إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كهر ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطّرد ، وهذا معناه ومعنى الكسر سواء ، وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الحمد والنعمة لك ، كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل • والثاني أن يكون بدلاً من قولهم كأنه قيل فلا

يحزنك أفا نعلم ما يسرون وما يعلنون ، وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك ، فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البذل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسراً وفتحاً على ما عظم فيه من الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالماً بسرهم وعلايتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئاً ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « فلا تكونن ظهيراً للكافرين ، ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع مع الله إلهاً آخر » .

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ
 (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ
 (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
 (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

اللفظة :

(خصيم) : مخاصم مجادل والخصومة الجدل قال في القاموس :
« خاصمه مخاصمة وخصومة فخصمه يخصمه غلبه وهو شاذ لأن فاعلته
ففعلته يرد يفعل منه إلى الضم إن لم تكن عينه حرف حلق فإنه بالفتح
كفاخره ففخره يفخره وأما المعتل كوجدت وبعث فيرد إلى الكسر إلا
ذوات الواو فإنها ترد إلى الضم كراضيته فرضوته أرضوه وخاوفني
فخففته أخوفه وليس في كل شيء يقال نازعته لأنهم استغنوا عنه بغلبته
واختصموا تخاصموا والخصم المخاصم والجمع خصوم وقد يكون
للاثنين والجمع والمؤنث ، والخصيم المخاصم والجمع خصماء
وخصمان ورجل خصيم كهرح مجادل والجمع خصمون ومن قرأ
« وهم يخصمون » أراد يختصمون فقلب التاء صاداً فأدغم
ونقل حركته إلى الخاء ومنهم من لا ينقل ويكسر الخاء
لاجتماع الساكنين وأبو عمرو يختلس حركة الخاء اختلاصاً
وأما الجمع بين الساكنين فلحن ، والخصم بالضم الجانب والزاوية
والناحية وطرف الزاوية الذي بحيال الغزلاء في مؤخرها والجمع
أخصام وخصوم وأخصام العين ما ضمت عليه الأشفار « وإنما نقلنا
لك هذه المادة بطولها لفائدتها ولنبيين لك مدى الوهم الذي وقع فيه
صاحب المنجد فقد خلط فيها خلطاً عجيباً وجعل الأخصام جمعاً للخصم
والخصيم وهو كما رأيت وهم من أوهام هذا الكتاب العجيب !!

(رميم) : بالية وفي المختار « رم بالفتح يرم بالكسر إذا بلي وبابه
ضرب » فهو اسم لا صفة ولذلك لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ،
ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول . وإيضاح هذا الكلام أن فعلاً

بمعنى فاعل لا تلحق التاء في مؤنثه إلا إذا بقيت وصفية وما هنا انسلخ عنها وغلبت عليه الاسمية أي صار بالغلبة اسماً لما يلي من العظام .

الاعراب :

(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)
كلام مستأنف مسوق لتقبيح إنكارهم البعث وقد سما الزمخشري في تقرير هذا المعنى كما سيأتي في باب الفوائد . والهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي ، والواو عاطفة وقد تقدم القول فيها مسهباً ولم حذف حرف تقي وقلب وجزم وير فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والانسان فاعل وأنا وما في حيزها سدت مسد مفعولي ير لأن الرؤية هنا علمية وأن واسمها وجملة خلقناه خبرها ، وخلقناه فعل وفاعل ومفعول به ومن نطفة جار ومجرور متعلقان بخلقناه والفاء حرف عطف وإذا فجائية وهو مبتدأ وخصيم خبر ومبين صفة وجملة إذا هو خصيم مبين عطف على جملة لم ير الانسان داخله معها في حيز الإنكار والتعجب . (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه) الواو عاطفة وضرب فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ولنا متعلقان بضرب ومثلاً مفعول به ونسي عطف على ضرب وخلقه مفعول به والعطف داخل في حيز التعجب والإنكار أو الواو للحال بتقدير قد أي وقد نسي خلقه .

(قال من يحيي العظام وهي رميم) من اسم استفهام مبتدأ وجملة يحيي العظام خبر والواو حالية وهي مبتدأ ورميم خبر والجملة في موضع نصب على الحال . (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) جملة يحييها مقول القول وهو فعل مضارع ومفعول

به والذي فاعل وجملة أنشأها صلة وأول مرة نصب على الظرف متعلق بأنشأها والواو استئنافية أو حالية وهو مبتدأ وبكل متعلقان بعليم وعليم خبر هو • (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون) الذي بدل من الذي الآتية الذكر وجملة جعل صلة ولكم في موضع المفعول الثاني ومن الشجر الأخضر حالاً لأنه كان في الأصل صفة لناراً وناراً مفعول جعل الأول ، فإذا الفاء عاطفة وإذا فجائية وأنتم مبتدأ ومنه متعلقان بتوقدون وجملة توقدون خبر أنتم •

(أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) الهزة للاستفهام الإنكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر ، وليس فعل ماض ناقص والذي اسمها وجملة خلق السموات والأرض صلة والباء حرف جر زائد وقادر مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وعلى حرف جر وأن وما في حيزها في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلقان بقادر وفاعل مستتر تقديره هو ومثلهم مفعول به •

(بلى وهو الخلاق العليم) حرف جواب لإثبات النفي والواو عاطفة على ما يفيد الإيجاب أي بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق ، وهو مبتدأ والخلاق خبر والعليم خبر ثان • (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) إنما كافة ومكفوفة وأمره مبتدأ وإذا ظرف مستقبل وجملة أراد مضاف إليها الظرف وشيئاً مفعول به وأن وما في حيزها خبر أمره وله متعلقان بيقول وجملة كن مقول القول وكن فعل

أمر تام وفاعله مستتر تقديره أنت والفاء عاطفة ويكون فعل مضارع مرفوع لأنه وفاعله جملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف والجملة عطف على أمره وقرئ بالنصب عطفاً على يقول .

(فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) الفاء الفصيحة وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف والذي مضاف إليه وبيده خبر مقدم وملكوت كل شيء مبتدأ مؤخر والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وإليه الواو عاطفة وإليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

البلاغة :

حسن البيان :

في قوله : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه » الآيات . حسن البيان ، وحقيقته اخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، وقد تأتي العبارة عنه من طريق الإيجاز وقد تأتي من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال ، وقد أتى بيان الكتاب العزيز في هذه الآية من الطريقتين فكانت جامعة مانعة في الاحتجاج القاطع للخصم ، وقد أتى منفصلاً عما قبله لأنه سبحانه ذكر المثل وليس في الكلام كله لا قبله ولا بعده ما خرج مخرج المثل ولا ما يصح أن يكون مثلاً وهو أن أمية بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم نخر في يده وقال يا محمد أنت تزعم ربك يحيي هذا بعد أن صار إلى هذه الحال فنزلت ، وفي رواية أنه العاصي بن وائل وقيل هو أبي بن خلف الجمحي .

وقد آن أن ننقل الفصل البليغ الذي أورده الزمخشري في صدد هذه الآيات قال : « قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كهر الانسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي ، وتوغله في الخسة ، وتغلغله في القحة حيث قرر أن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودفاعة أوله لمخاصمة الجبار ، وشرز صفحته لمجادلته ، ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول : من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها .

وروي أن جماعة من قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال : واللوات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه ، وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول : يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمى ! قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم .

سُورَةُ الصَّافَّاتِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثِنْتَانِ وَثِنَاوُونَ وَمِائَتَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝
إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زَيْنًا أَلَمَّا أَزَيْنَا ۝ إِلَهَ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِنْ
كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ
فَاتَّبَعَهُ ۝ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ۝

اللفظة :

(دحوراً) : مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو من باب خضع.
وللدال مع الحاء فاء وعيناً للفعل معنى القذف والطرده والدفع فمن
ذلك دح الشيء في الأرض أي دسه فيها ودح الطعام بطنه ملاء حتى

يسترسل إلى أسفل ودح الرجل : دعه في قفاه والعامه تستعمله بهذا المعنى فيقولون : دحه على ظهره فهي من العامي الفصيح • ودخرج الشيء فتدخرج : أي قلبه وأداره على نفسه متتابعاً في حدوث فانقلب • ودحس بين القوم أفسد بينهم ودحس الشيء ملأه ودحس برجله فحص ويقال ما بي من داحس وهو تشعث الإصبع وسقوط الظفر وما تسميه العامة ورم حار في طرف الإصبع فهي عربية فصيحة قال مزرد :

تَشَاخَتْ إِبْهَامَاكَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا

ولا برئاً من داحس وكُنَاع

وخرج الحجاج في بعض الليالي فسمع صوتاً هائلاً فقال : إن كان هذا صاحب عائر أو قادح أو داحس فلا تحدث شيئاً وإلا فأخرج نسانه من قفاه أي صاحب رمد أو وجع خرس ، ويقال للرجل والدابة إذا أصابهما الجرح فارتكضا للموت : تركته يفحص ويدحس الأرض برجله • ودحضت رجله زلقت دحضاً ودحوضاً وأدحض فلان قدمه ومَزَلَقَةً مدحاض وهذه مدحضة القدم ودحض الحجة أبطلها • ودحقه يدحقه من باب فتح دحقا : طرده وأبعده ودحقت الرحم بساء الفحل رمت به فلم تقبله ودحقت الحامل بولدها أجهضته وولد دحيق وقيل : دحقت به : ولدته وأصابها دحاق وهو أن تخرج رحمها بعد الولادة وهي دحوق وداحق وأدحقه الله بأعده من الخير وهو دحيق تقول : أسحقه الله وأدحقه وهو سحيق دحيق • ودحل : توارى في دحل وهو حفرة غامضة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل تقول : طلبوا بالدحول فتواروا في الدحول ودحل البشر : حفر في جوانبها ونصب الصائد الدواويل وهي مصائد للحمر الواحد داحول وبشر دحول

ذات تلحف وهو تكسر جوانبها مما أكلو من الماء فما يستعمله العامة منها محرف ولم يرد في اللغة بهذا المعنى إلا على مجاز بعيد وتسميتهم أخيراً المدحلة بالمعنى الشائع فيه تسامح ولكننا تتسامح به أيضاً • ودحمه دحماً دفعه دفعاً شديداً فاستعمال العامة لها بهذا المعنى لا غبار عليه • ودحمس الليل أظلم أو ألقى بظلامه على كل شيء • ودحمل به دحرجه على الأرض • ودحا الله الأرض : افترشها وبسطها ودحا المطر الحصى عن وجه الأرض أي دفعها وبابه نصر وفتح يقال دحا يدحو ودحى يدحى وليس معنى البسط أنها ليست كالكرة ولكنها ممدودة متسعة كما يأخذ الخباز الفرزدة فيدحوها • قال ابن الرومي :

ما أنسى لا أنسى خبازاً مرت به

يدحو الرقاقة مثل الملح بالبصر

ما بين رؤيتهما في كفه كرة

وبين رؤيتهما قوراء كالقمر

إلا بمقدار ما تنداح دائرة

في لجة الماء يرمي فيه بالحجر

وهذا من أعاجيب لغتنا العربية الشريفة •

(واصب) : دائم وفي المختار وصب الشيء يصب بالكسر وصوباً

دام ومنه قوله تعالى « وله الدين واصباً » وقوله تعالى « ولهم عذاب

واصب » •

(فأتبعه) : في المختار : تبعه من باب طرب إذا مشى خلفه أو مرّ به فمضى معه وكذا اتبعه وهو افتعل وأتبعه على أفعل وقال الأخفش : تبعه وأتبعه بمعنى مثل ردّفه وأردّفه ومنه قوله تعالى « فأتبعه شهاب ثاقب » .

(ثاقب) : أي يثقبه أو يحرقه ونقل القرطبي في تفسير الثاقب قولين : قيل بمعنى المضيء وقيل بمعنى المستوقد من قوله : اثقب زفدك أي استوقد نارك وقال البيضاوي : ثاقب مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه « ولهذه المادة عجائب في التنويع والتصرف ففي الأساس واللسان : « ثقب الشيء بالثقب وثقب القداح عينه ليخرج الماء النازل وثقب اللؤلؤ الدر ، ودر مثقب وعنده در عذارى : لم يثقبن وثقبن البراقع لعيونهن قال المثقب العبدى :

أرين محاسناً وكنثن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

وبه سمي المثقب . وكوكب ثاقب ودرّيّ : شديد الإضاءة والتلألؤ كأنه يثقب الظلمة فينفذ فيها ويدروها ورجل ثقيب وامرأة ثقيبة مشبهان للهب النار في شدة حمريتهما وفيهما ثقابة وحسب ثاقب : شهير ، ورجل ثاقب الرأي إذا كان جزلاً ظّاراً ، وأتتني عنك عين ثاقبة أي خبر يقين وثقب الطائر إذا حلق كأنه يثقب السكّاك وثقب الشيب في اللحية أخذ في نواحيها .

الاعراب :

(والصافات صفاً) الواو حرف قسم وجر والصافات مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم ،

والصافات اسم فاعل من صف قيل هم الملائكة المصطفون في السماء يسبحون لهم مراتب يقومون عليها صفوفاً كما يصطف المصلون وقيل هم المجاهدون وقيل هم المصلون وقيل هي الطير الصافات أجنحتها كقوله والطير صافات، وفي الصافات ضمير مستتر هو الفاعل والمفعول به محذوف أي نفوسها أو أجنحتها وصفاً مفعول مطلق مؤكد .

(فالزاجرات زجراً) الفاء حرف عطف ، قال الزمخشري : « فإن قلت ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات ؟ قلت : إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله :

يا لهف زياة للهارث الصا بح فالغائم فالآيب

كأنه قيل الذي أصبح فغيم فآب ، وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل ، وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله : رحم الله المحلقين فالمقصرين ، فعلى هذه القوائين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات ، وسيأتي تعقيب مفيد على هذا التقرير في باب البلاغة . والزاجرات عطف على الصافات والمراد بها قيل نفوس العلماء لأنها تزجر العصاة بالنصائح والمواظ أو الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه وزجراً مصدر مؤكد أيضاً . (فالتاليات ذكراً) قيل أراد نفوس العلماء لأنها تتلو آيات الله وتدرس شرائعه وقيل نفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل وذكر مفعول مطلق لأنها في معنى التاليات ويجوز أن تكون مفعولاً به للتاليات ، وسيأتي معنى القسم بهذه الأشياء في باب الفوائد .

(إن إلهكم لواحد) الجملة لا محل لها لأنها جواب القسم وإن واسمها واللام المرحقة وواحد خبرها • (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) رب السموات بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف وما عطف على السموات والظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ورب المشارق عطف على رب السموات وسيأتي سر إعادة الرب وعدم ذكر المغرب في باب البلاغة • (إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب) كلام مستأنف مسوق لتقرير لطائف صنعه وبديع خلقه • وإن واسمها وجملة زيننا خبرها وزينا فعل ماض ونا فاعل والسماء مفعول به والدنيا صفة أي القريبة منكم والتي تتراءى لأعينكم وهي الجديرة بالتدبر والاعتبار وبزينة جار ومجرور متعلقان بزينا والكواكب عطف بيان أو بدل لزينة وهناك قراءات أخرى وأغريب طريفة سنوردها في باب الفوائد • (وحفظاً من كل شيطان مارد) الواو عاطفة وحفظاً في نصبه أوجه أرقاها من جهة المعنى ما نحا إليه الزمخشري قال : « وحفظاً مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشيطان كما قال تعالى : « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين » ويجوز أن يقدر الفعل المعلن لأنه قيل وحفظاً من كل شيطان زينها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظاً » وهذا الوجه الثاني أسهل من حيث الاعراب وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « وحفظاً إما منصوب على المصدر بإضمار فعل أي حفظناها حفظاً وإما على المفعول من أجله على زيادة الواو والعامل فيه زيننا أو على أن يكون العامل مقدراً أي لحفظها زينها أو على الحمل على المعنى المتقدم أي إنا خلقنا السماء الدنيا زينة وحفظاً » واقتصر أبو البقاء على المفعولية المطلقة ومن كل

شيطان متعلقان بحفظاً إن لم يكن مصدراً مؤكداً وبالمحذوف إن جعل مصدراً مؤكداً ويجوز أن يكون صفة لحفظاً .

(لا يسمعون إلى الملائ الأعلى ويقذفون من كل جانب) في إعراب هذه الجملة كلام كثير ونقاش طويل نرجئه إلى باب الفوائد . ولا فافية ويسمعون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وإلى الملائ الأعلى متعلقان يسمعون وسيأتي سر هذا التعدي في باب الفوائد ، والأعلى صفة للملائ ويقذفون الواو عاطفة ويقذفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومن كل جانب متعلقان يقذفون أي من أي جهة صنعوا ليسترقوا السمع . (دحوراً ولهم عذاب واصب) دحوراً مفعول من أجله أي يقذفون للدحور أو مدحورين على الحال أو مفعول مطلق وينوب عن المصدر مرادفه والقذف والطرْد متقاربان والواو عاطفة ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وواصب نعت لعذاب . (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) إلا أداة حصر واستثناء لأن الكلام تام منفي ومن في محل رفع بدل من الواو على الأول أو في محل نصب على الاستثناء على الثاني ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً فيتعين نصب على الاستثناء والخطفة مفعول مطلق فهو مصدر معرف بأل الجنسية أو العهدية ، فأتبعه الفاء عاطفة وأتبعه فعل ومفعول به مقدم وشهاب فاعل مؤخر وثاقب نعت لشهاب .

البلاغة :

التقديم والتأخير :

أثبتنا في باب الإعراب تقرير الزمخشري عن الفاء العاطفة

للمصفات وقد انتهى الزمخشري من تقريره الى القول ، فعلى هذا إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه ، ومعنى توحيدها أن تعتقد أن صنفاً مما ذكر في التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاث ، على أن الأول هو الأفضل أو على العكس ، ومعنى ثلثتها أن تجعل كل صفة لطائفة ويكون التفاضل بين الطوائف إما أن الأول هو الأفضل أو على العكس . ووجهة الزمخشري قوية وتقريره ممتع مفيد ولكنه لم يبين وجه كل واحد منهما وخلاصة ما يقال فيه أن للعرب في التقديم مذهباً أولهما :

١ - الاعتناء بالأهم فهم يقدمون ما هو أولى بالعناية وأجدر بأن يقرع السمع .

٢ - الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، ومنه قوله :

بهايل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضي رتبة فإن هذا غايته أنه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة .
كلمة عامة في التقديم والتأخير :

هذا وقد عقد عبد القاهر فصلاً مطولاً في كتابه دلائل الإعجاز عن التقديم والتأخير يرجع إليه القارئ إن شاء ، وفلخص هنا ما قاله علماء المعاني في صدد التقديم والتأخير ؛ فمن المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة بل لا بد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقدم من الآخر

لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار فلا بد لتقديم هذا على ذاك من داع يوجه وهذه الدواعي كثيرة فمنها :

١ - التشويق إلى المتأخر إذا كان المتأخر مشعراً بغرابة كقول أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

٢ - تعجيل المسرة أو المساءة نحو العفو عنك صدر به الأمر أو القصاص حكم به القاضي •

٣ - كون المتقدم محط الانكار والتعجب نحو : أبعد طول التجربة تنخدع ؟

٤ - النص على عموم السلب أو سلب العموم فالأول يكون بتقديم أداة العموم على أداة النفي نحو : كل ذلك لم يقع أي لم يقع هذا ولا ذاك والثاني يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم نحو : لم يكن كل ذلك أي لم يقع المجموع فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفي كل فرد •

٥ - التخصيص نحو : ما أنا قلت ، وإياك نعبد •

٦ - ومما يرى عبد القاهر تقديم الاسم فيه كاللزام (مثل)
و (غير) في نحو قوله :

ملك يشني المزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه

وقول أبي تمام :

وغيري يأكل المعروف سحتاً وتشجب عنده بيض الأيادي

وفي التعبير الأول لا يقصد بمثل الى إنسان سوى الذي أضيف إليه ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس ، وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر وأن لا يفعل وكذلك في التعبير الثاني لا يراد بغير أن يوصى الى إنسان فيخبر عنه بأنه يفعل بل لم يرد إلا أن يقول : لست ممن يأكل المعروف سحتاً .

الفوائد :

١ - الواو في هذا التركيب :

مذهب سيبويه والخليل في مثل « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » أن الواو الثانية وما بعدها عواطف وغير الخليل وسيبويه يذهب الى أنها حروف قسم ، فوقع الفاء في « والصفات صفات فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً » موقع الواو والمعنى واحد إلا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم .

٢ - معنى القسم :

اختلف الناس في المقسم به والراجع هو أن المقسم به هذه الأشياء لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل وأما النهي عن الحلف بغير الله فهو نهى للمخلوق عن ذلك ، والقول الثاني أن المقسم به هو رب هذه الأشياء لنهي صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى

فلا بد من إضمار كلمة « رب » وتقدير الكلام ورب الصافات صفاء الخ
وعلى كل حال ففي هذا القسم تنويه بهذه الأشياء وتعظيم لها وسيرد
المزيد من هذا الحديث •

٣ - في إعراب « بزينة الكواكب » :

قال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين: « قوله بزينة الكواكب »
قرأ أبو بكر بتنوين زينة ونصب الكواكب وفيه وجهان أحدهما أن
تكون الزينة مصدراً وفاعله محذوف تقديره بأن زين الله الكواكب
في كونها مضيئة حسنة في أنفسها ، والثاني أن الزينة اسم لما يزان به
كالليقة لما تلاق به الدواة فتكون الكواكب على هذا منصوبة بإضمار
أعني أو تكون بدلاً من سماء الدنيا بدل اشتغال أي كواكبها أو من
محل بزينة ، وحمزة وحفص كذلك إلا أنهما خفضا الكواكب على أن
يراد بزينة ما يزان به والكواكب بدل أو بيان للزينة والباقون بإضافة
زينة إلى الكواكب وهي تحتل ثلاثة أوجه أحدها أن تكون إضافة
أعم إلى أخص فتكون للبيان نحو ثوب خز والثاني أنها مصدر مضاف
لفاعله أي بأن زينت الكواكب السماء بضوئها والثالث أنه مضاف
لمفعوله أي بأن زينها الله بأن جعلها مشرقة مضيئة في نفسها •

٤ - إعراب جملة لا يسمعون :

أفاض العربون والمفسرون والنحاة في إعراب هذه الجملة ،
ونورد هنا مختارات من أقوال المشهورين منهم ونبدأ بالزمخشري :

« فإن قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله ؟ قلت : لا يخلو
من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استثناءً فلا

تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن ساءلاً لو سأل : لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأً اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرُونَ أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك ، إلا أن من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقه فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب » ومضى الزمخشري في تقريره قائلاً : « فإن قلت : هل يصح قول من زعم أن أصله لثلاث يسمعون فحذف اللام كما حذف في قولك جئتكم أن تكرمني فبقي أن لا يسمعون فحذف أن وأهدر عملها كما في قول طرفه :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مغلدي

قلت : كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفرادهما فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب » .

وتعقبه ابن المنير صاحب الاتصاف فقال : « كلا الوجهين مستقيم والجواب عن إشكاليه الوارد على الوجه الأول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال كونه محفوظاً منه هي حاله حال كونه لا يسمع وإحدى الحالين لازمة للأخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفاً بعدم السماع في حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسمه . وقطير هذه الآية قوله تعالى : وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، فقوله مسخرات

حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر ومعناه مستقيم لأن
تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التي سخرت فيها هي الحال
التي كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل
ذلك ، وما أشار إليه الزمخشري في هذه الآية قريب من هذا التفسير
إلا أنه ذكر معه تأويلاً آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات
جمع مسخر مصدر كمنزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر أنواعاً من التسخير وفيما ذكرناه كفاية ومن هذا
النمط : ثم أرسلنا رسلنا ، وهم ما كانوا رسلاً إلا بالإرسال وهؤلاء
ما كانوا لا يسمعون إلا بالحفظ وأما الجواب على إشكاله الثاني
فورود حذفين في مثل قوله تعالى : يبين الله لكم أن تضلوا ، وأصله
لئلا تضلوا فحذف اللام ولا جميعاً من محليهما » .

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « وهذه الجملة منقطعة
عما قبلها في الإعراب ولا يجوز فيها أن تكون صفة لشیطان على المعنى
إذ يصير التقدير من كل شیطان مارد غير سامع أو مستمع وهو فاسد
ولا يجوز أيضاً أن يكون جواباً لسؤال سائل لم تحفظ من الشيطان
إذ يفسد معنى ذلك وقال بعضهم : أصل الكلام لئلا يسمعوا فحذفت
اللام وإن وارتفع الفعل وفيه تعسف ، وقد وهم أبو البقاء فجوز أن
تكون صفة وأن تكون حالاً وأن تكون مستأنفة فالأولان ظاهراً
الفساد والثالث إن عني به الاستئناف البياني فهو فاسد أيضاً وإن أراد
الانقطاع على ما قدمته فهو صحيح » .

أما عبارة أبي البقاء التي شجبها السمين فهي : « قوله تعالى :
لا يسمعون جمع على معنى كل وموضع الجملة جر على الصفة أو نصب
على الحال أو مستأنف وعداه يالي حملاً على معنى يصفون » .

أما ابن هشام فقد عقد في المعنى تنبيهاً خاصاً حول هذه الجملة فقال : من الاستئناف ما قد يخفى وله أمثلة كثيرة أحدها لا يسمعون من قوله تعالى : وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الأعلى ، فإن الذي يتبادر الى الذهن أنه صفة لكل شيطان أو حال منه وكل منهما باطل إذ لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمع وإنما هي للاستئناف النحوي ولا يكون استئنافاً بيانياً لفساد المعنى أيضاً ، وقيل يحتمل أن الأصل ثلثا يسمعون ثم حذفت اللام كما في جئتكم أن تكرموني ثم حذفت أن فارتفع الفعل كما في قوله :

ألا أيهاذا الزاجري احضر الوغى

فحين رفع أحضر ، واستضعف الزمخشري الجمع بين الحذفين ، فإن قلت اجعلها حالا مقدرة أي وحفظاً من كل شيطان مارد مقدراً عدم سماعه بعد الحفظ قلت الذي يقدر وجود معنى الحال هو صاحبها كالمرور به في قولك مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي مقيداً حال المرور به أن يصيد غداً ، والشياطين لا يقدرُونَ عدم السماع ولا يريدونه .

ملاحظة هامة :

الاستئناف قسمان : بياني ونحوي : أما البياني فهو ما كان جواباً لسؤال مقدر نحو قوله تعالى : « هل أتاك حديث إِبْرَاهِيمَ المَكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ » فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدر تقديره فماذا قال لهم ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عليها ، وأما النحاة فقالوا : هي المقتطعة عما قبلها سواء كانت جواباً عن سؤال أم لا ، فالاستئناف عندهم أعم .

هذا وقد ردّ الدماميني على ابن هشام فقال : إذا كانت للاستئناف النحوي فيكون قد أخبر عن الشياطين المتحفظ منهم بعدم السماع وحينئذ يعود الإشكال بأنه كيف يتحفظ من شيطان لم يسمع في نفس الأمر ، إذ المتحفظ منه من يسمع ، فإن قلت : إن المراد لا يسمعون بعد الحفظ قلنا قدر ذلك في الصفة ويكون المعنى لا غبار عليه فما بالك قدرته في الاستئناف النحوي دون الصفة مع أن المعنى على كل حال ظاهر فهذا تحكم . وأجاب الشمني بأنه إخبار عن حال الشياطين لا يوصف كونه محفوظاً منهم وفيه أنه لا يصح الإخبار عنهم بعدم السماع مع قطع النظر عن الحفظ لأنهم يحفظون في نفس الأمر وما إلى عدم السماع إلا من الحفظ وإلا لما كان للحفظ معنى .

والذي حدانا إلى إيراد هذه الأقوال ما فيها من رياضة ذهنية ولعل ابن المنير كهافاً مثوبة الرد على هذه الأقوال فارجع إليه وتضمن فيه فإنه قد أصاب المحز .

فرق دقيق :

قال الزمخشري : « فإن قلت أي فرق بين سمعت فلاًفاً يتحدث وسمعت إليه يتحدث ، وسمعت حديثه وإلى حديثه ؟ قلت : المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى إلى يفيد الإصغاء مع الإدراك » .

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوْ إِذَا
 مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْءَابَاءُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ
 نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَلْيَنصَرِفِي زَجْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾

اللفظة :

(فاستفتهم) : فاستخبرهم يقال استفتى استفتاء العالم في
 مسألة : سأله أن يفتيه فيها والفتوى والفتوى والفتيا اسم من أفتى
 العالم إذا بين الحكم والجمع الفتاوي والفتاوى •

(لازب) : لازم لاصق يقال لزب يلزب لزوباً من باب دخل :
 اشتد وثبت ولزب به : لصق ولزب يلزب لزباً من باب تعب
 ولزب يلزب لزباً ولزوباً من باب كرم الطين : لزق وصلب ولزب الشيء :
 دخل بعضه في بعض واللازم اسم فاعل الثابت يقال صار الأمر ضربة
 لازب أي صار لازماً ثابتاً وطين لازب يلزق باليد لاشتداده وفي المختار :
 « تقول : صار الشيء لازباً أي ثابتاً وهو أفصح من لازماً » •

وقال النابغة :

ولا تحسبون الخير لا شر بعده

ولا تحسبون الشر ضربة لازب

(داخرون) : صاغرون يقال دخر يدخر من باب فتح ودخر
 يدخر من باب تعب دخراً ودخوراً أي ذل وصغر •

الاعراب :

(فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) الفاء الفصيحة أي أن شئت أن تبكتهم وترد عليهم في أمر اثبات المعاد فاستفتهم لأن الفرق بين واليون بعيد بين المعاد وهو الأجزاء الأصلية كما سيأتي ولك أن تجعلها الفاء العاطفة المعقبة أي استفتهم عقب عدّ هذه الأشياء المذكورة آنفاً • واستفتهم فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر وجواباً تقديره أنت والهاء مفعول به والهمزة للاستفهام وهم مبتدأ وأشد خبر وخلقاً تمييز وأم حرف عطف وهي هنا متصلة عطفت من على هم وجملة خلقنا صلة الموصول • (إنا خلقناهم من طين لازب) إن واسمها وجملة خلقناهم خبر وخلقناهم فعل وفاعل ومفعول ومن طين جار ومجرور متعلقان بخلقناهم ولازب نعت لطين ، وناهيك بهذا دليلاً على ضعفهم وهو أن أمرهم وضالة شأنهم وأن من كان بهذه المثابة لا يتأتى له أن يتكبر ويتطاول • (بل عجب ويسخرون) بل حرف اضراب وعطف والمعطوف عليه مقدر دل عليه الاستفهام أي هم لا يقرون ، وعجبت فعل وفاعل والخطاب للنبي والمتعلق محذوف أي من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة • وفي قراءة بضم التاء وإسناد العجب إلى الله تعالى محال لأن العجب روعة تعري الإنسان عند استعظامه الشيء وذلك على الله تعالى محال ولكن الكلام جرى على طريق تخيل العجب وافترضه على طريق المشاكلة وقد تقدمت لها أمثلة • والواو حالية وجملة يسخرون خبر لمبتدأ محذوف أي وهم يسخرون والجملة نصب على الحال •

(وإذا ذكروا لا يذكرون) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ذكروا في محل جر بإضافة الظرف إليها

وذكروا بالبناء للمجهول والتشديد والواو نائب فاعل ولا فافية وجملة لا يذكرون لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم أي وديدنهم عدم الاتعاظ بشيء مهما يكن جديراً بالاعتبار • (وإذا رأوا آية يستسخرون) عطف على ما تقدم والمراد بالآية المعجزة التي تدعو إلى الاذعان ولكن هؤلاء لا تؤثر فيهم المعاجز ومعنى الاستسخرار دعوة بعضهم لبعض بالسخرية أو أن زيادة السين والتاء لمجرد المبالغة في السخر • (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وسحر خبر هذا ومبين نعت أي ظاهر للعيان والجملة مقول القول • (أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) الجملة مقول قول محذوف أيضاً أي وقالوا منكبين للبعث، والهمزة للاستفهام الإنكاري وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة متنا في محل جر بإضافة الظرف إليها وكنا فعل ماض ناقص ونا اسمها وتراباً خبرها وعظاماً عطف على تراباً والهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً وإن واسمها واللام المزحلقة ومبعوثون خبرها •

(أو آباءؤنا الأولون) الهمزة للاستفهام والواو حرف عطف وآباءؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون وإنما جاز العطف مع أن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله أن الهمزة الثانية مؤكدة للأولى فهي في النية مقدمة فصحّ عمل ما قبلها فيما بعدها ، ولك أن تعرب آباءؤنا مبتدأ محذوف الخبر والتقدير أو آباءؤنا يبعثون أيضاً وقرئ أو بسكون الواو فهي حرف عطف وليس هناك همزة استفهام وفيما يلي تقرير السمين عن هذه الآية :

« قوله أو آباؤنا قرأ ابن عامر بسكون الواو على أنها أو انعطافة المقتضية للشك والباقون بفتحها على أنها همزة استفهام دخلت على واو العطف وهذا الخلاف جار أيضاً في الواقعة وقد تقدم مثل هذا في الأعراف في قوله : « أو أمن أهل القرى » فمن فتح الواو أجاز في أو آباؤنا وجهين أحدهما أن يكون معطوفاً على محل ان واسمها والثاني أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في لمبعوثون واستغنى بالفصل بهمزة الاستفهام ومن سكنها تعين فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل » • (قل : نعم وأنتم داخرون) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ونعم حرف جواب والواو للحال وأنتم مبتدأ وداخرون خبر والجملة نصب على الحال والعامل فيها نعم بالنظر لمعناها أي نعم تبعثون وأنتم داخرون •

(فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) الفاء الفصيحة لأنها واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فإنما ، وإنما كافة ومكفوفة وهي مبتدأ وزجرة خبر وواحدة صفة وهي ضمير مبهم لأنه لا يرجع إلى شيء وإنما يوضحه خبره ، وأجازوا أن تعود هي على البعثة المدلول عليها بسياق الكلام لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت إياها مجازاً • والزجرة الصيحة المخيفة قال :

زجر أبي عروة السباع إذا أشفقن أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها • والفاء عاطفة وإذا فجائية وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر ومفعوله محذوف أي ينظرون ما يفعل بهم أو هي بمعنى ينتظرون •

وَقَالُوا يَنْوِيلُنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ
﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ
مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

الإعراب :

(وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) الواو استئنافية وقالوا فعل وفاعل ويا حرف تنبيه أو المنادى محذوف وويلنا مصدر لا فعل له من لفظه أو منادى وجملة النداء مقول قولهم وجملة هذا يوم الدين يحتمل أن تكون من تنمة مقولهم ويحتمل أن يتم الوقف على ولينا والجملة مستأنفة فتكون من قول الملائكة لهم وهذا مبتدأ ويوم الدين خبره • (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) هذا مبتدأ ويوم الفصل خبر ويحتمل أن تكون الجملة من تنمة مقولهم ويكون قوله تكذبون التفاتاً من التكلم إلى الخطاب والذي صفة ليوم وكنتم كان واسمها وية متعلقان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتم • (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون) خطاب من الله تعالى للملائكة أو خطاب بعضهم لبعض • واحشروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والذين مفعول به وجملة ظلموا صلة واسم الموصول عبارة عن المشركين ومفعول ظلموا محذوف تقديره أنفسهم وأزواجهم عطف على الموصول أو مفعول معه وما عطف أيضاً أو مفعول معه وكان واسمها وجملة يعبدون خبرها •

(من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) من دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والفاء عاطفة واهدوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به والى صراط الجحيم متعلقان باهدوهم . (وققوهم إنهم مسؤولون) وققوهم عطف على ما تقدم أي واحبسوهم عند الصراط وإن واسمها ومسؤولون خبرها والجملة تعليل للأمر . (مالكم لا تناصرون) الجملة مقول قول محذوف أي ويقال توبيخاً لهم . وما اسم استفهام مبتدأ ولكم خبر وجملة لا تناصرون حالية ولا نافية وتناصرون فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه والأصل لا تناصرون أي لا ينصر بعضكم بعضاً . (بل هم مستسلمون) بل حرف اضراب وعطف وهم مبتدأ واليوم ظرف متعلق بمستسلمون ومستسلمون خبر هم أي قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز .

الفوائد :

يجوز في المضارع المبدوء بتاءين زائدتين الادغام والفك ونورد هنا مناقشة بين علماء العربية نورد خلاصتها لفائدتها وطرافتها فقد ذكر ابن مالك في شرح الكافية وتبعه ابنه في شرح الخلاصة أنك إذا أدغمت التاء الأولى في الثانية اجتلبت همزة الوصل ليتوصل بها الى النطق بالتاء المسكنة للادغام فتقول في تتجلى اتجلى ورد ابن هشام في أوضح المسالك وتبعه الشيخ خالد الأزهرى عليهما بقولهما : « وفيه نظر فإنه لم يخلق الله أحداً من الفصحاء فيما نعلم أدخل همزة وصل في أول الفعل المضارع وإنما ادغام هذا النوع في الوصل دون الابتداء قال الحوفي : فإن وقف ابتدء بالاظهار ، ولا يجوز إدخال ألف الوصل عليه لأن ألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع ،

وذكر الناظم - أي ابن مالك - في بعض كتبه هذه المسألة على الصواب فقال : يجوز ادغام تاء المضارعة في تاء أخرى بعد مد أو حركة نحو ولا تيمموا وتكاد تميز » •

ورد عليهما بعض العلماء فقال : في هذا النقد نظر لأن ابن مالك وابنه من أجل علماء العربية وقد ذكرا أنه يجوز الادغام في الابتداء وتجتلب همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن ولا يخلو حالهما من أمرين إما أن يكون استنداء فيه إلى فهم ذلك من لغة العرب أو استنباط ذلك منها لعدم ما يناقضه وينافيه وعلى كل لا يحسن الرد عليهما بمجرد عدم العلم بأن الله لم يخلق همزة وصل في أول الفعل المضارع لأنهما مثبتان والراد عليهما ناف والمثبت مقدم على النافي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولا تظن بهما أنهما أقدمتا على ما ذهبا إليه بمجرد التشبه من غير استناد إلى شيء يعتمدان عليه ويستندان إليه لأن سوء الظن بالأئمة غير لائق كيف وقد نقل الثقات أن ابن مالك قال : طالعت الصحاح فلم أستفد منه إلا ثلاث مسائل ولا يضرهما عدم ذكرهما المستند في ذلك صريحاً وإن ذكراه تلويحاً ، قال ابن المصنف : ومنهم من يدغم ويسكن أوله ويدخل عليه همزة وصل فيقول اتجلى لأنهما ثقتان مؤتمنان وقد ذكر صاحب القاموس في فصل الجيم من باب النون لما تكلم على جيان : « ومنها إماما العربية ابن مالك وأبو حيان » •

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا

عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا

عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ حَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا
 إِنَّا لَذَٰ آيُقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي
 الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾

الاعراب :

(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الواو استئنافية وأقبل
 فعل ماض وبعضهم فاعل وعلى بعض متعلقان بأقبل وجملة يتساءلون
 حالية أي يتلاومون وينحي بعضهم باللائمة على بعض • (قالوا إنكم
 كنتم تأتوننا عن اليمين) قالوا فعل وفاعل وان واسمها وجملة كنتم
 خبرها وكان واسمها وجملة تأتوننا خبرها وتأتوننا فعل مضارع وفاعل
 ومفعول به وعن اليمين حال من فاعل تأتوننا واليمين إما أن يراد بها
 الجارحة تعبيراً بها عن القوة وأما الحلف لأن المتعاقدين بالحلف
 يؤكدون حلفهم بأن يتصافحوا باليمين ويتماسحوا بها • وهناك أقوال
 كثيرة ضربنا عنها صفحاً ويرجع إليها في المطولات وخلاصة المعنى
 إنكم غررتم بنا وأضللتموننا • (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) وهذا
 أحد أجوبة المتبوعين الخمسة وأولها وهو إضراب ابطالي لما ادعاه
 التابعون أي انكم لم تتصفوا بالإيمان في وقت من الأوقات • وقالوا
 فعل وفاعل وبل اضراب ابطالي ولم حرف تهي وقلب وجزم وتكونوا
 فعل مضارع مجزوم بلم والواو اسمها ومؤمنين خبرها •

(وما كان لنا عليكم من سلطان) وهذا هو الجواب الثاني وهو مبني على افتراض أنهم أضلوههم فهم لم يجبروهم عليه • وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنا خبرها المقدم وعليكم حاله ومن حرف جر زائد وسلطان مجرور لفظاً اسم كان محلاً • (بل كنتم قومًا طاغين) بل اضراب ابطالي أيضاً وكنتم كان واسمها وقومًا خبرها وطاغين نعت لقومًا وهو الجواب الثالث • (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون) وهذا هو الجواب الرابع والفاء حرف عطف وحق فعل ماض وثلينا جار ومجرور متعلقان بحق وقول ربنا فاعل وان واسمها واللام المزحلقة وذائقون خبرها والجملة الاسمية تعليل لما تقدم ومنفعلون ذائقون محذوف أي العذاب والفاعل مستتر تقديره نحن • (فأغويناكم إنا كنا غاوين) الفاء عاطفة وأغويناكم فعل وفاعل ومنفعلون به وهذا هو الجواب الخامس وان واسمها وجملة كنا خبرها وكان واسمها وغاوين خبرها • (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) الفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعرف مصائر الأتباع والرؤساء المتبوعين ، وان واسمها ويومئذ ظرف متعلق بمحذوف حال وإذا ظرف أضيف إلى مثله والتنوين عوض عن جملة أي يوم إذ يتساءلون ويتلاومون ويتخاصمون ، وفي العذاب متعلقان بمشتركون ومشتركون خبر انهم • (إنا كذلك تفعل بالمجرمين) إن واسمها وكذلك نعت لمصدر محذوف مقدم على فعله وجملة تفعل خبر إنا وبالمجرمين متعلقان بنفعل •

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ

أَيْنَا لَنَارِكُوءَ إِلَهِتِنَا لَشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ

الرُّسُلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
 فَوَكَرَهُ لَهُمْ مَكَرْمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيَّضَاءَ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا
 غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾
 كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

اللفظة :

(بكأس) : يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها
 كأساً ، قال الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
 لكي يعلم الناس أنني امرؤ أتيت المعيشة من بابها

والكأس تطلق على الزجاجة فيها الخمر وعلى الخمر مجازاً
 مشهور وهي مؤنثة بدليل ضميرها وصفتها وتجمع على كئوس
 وكؤوس وكاسات وكئاس ، يقول الأعشى : ورب كأس شربتها مع لذة
 أو لأجل لذة فضررتني فشربت كأساً أخرى تداويت من الأولى بها ليعلم
 الناس أنني مجرب للأمور ، وكنى عن ذلك بقوله : « أتيت المعيشة
 من بابها » وشبه المعيشة مع أسبابها المناسبة لها بدار لها باب على

طريق الاستعارة المكنية واثبات الباب تخيل ومن هذا المعنى أخذ
أبو نواس قوله المشهور :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء

وداوني بالتي كانت هي السداء

ويروى عن الأخفش : « كل كأس في القرآن فهي الخمر »
وقال أبو حيان : « الكأس ما كان من الزجاج فيه خمر أو نحوه من
الأنبذة ولا يسمى كأساً إلا وفيه خمر وإلا فقدح وقد تسمى الخمر
كأساً تسمية للشيء باسم مجله » •

(معين) : قال أبو حيان : « اسم فاعل من معن بضم العين
كشريف من شرف » أي من شراب معين أو نهر معين ظاهر للعيون
أو خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء إذا تبع وصف به
خمر الجنة لأنها تجري كالماء وستبسط في هذه الكلمة لأنها تستعمل
اليوم كثيراً لشكل هندسي فنقول : جاء في معاجم اللغة في مادة معن
ما يلي : معن يمعن من باب فتح الماء ومعن يمعن من باب ظرف معناً
ومعولاً : جرى جرياً سهلاً فهو معين ومعن الفرس : تباعد في عدوه
ومعن المطر الأرض تتابع عليها فأرواها ومعن يمعن من باب شرب معناً
المكان أو النبات : روي من الماء والمعين الماء الجاري ويقال ماء معين
أي جار وفي مادة عين « الماء المعين : الظاهر الذي تراه العين جارية
على وجه الأرض وعين معيونة لها مادة غزيرة من الماء » أما الشكل
الهندسي فالأرجح إنه المعين بضم الميم وتشديد الياء المكسورة فهو
اسم فاعل من عين المضعفة الياء وهو في الهندسة شكل مسطح
متساوي الأضلاع الأربعة المستقيمة المحيطة به غير قائم الزوايا •

(غول) : ما يفتال العقول يقال غاله يغوله غولا إذا أفسده ،
ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم « الغضب غول
الحلم » ، وغالته الخمر : شربها فذهبت بعقله أو بصحة بدنه والغول
مصدر والصداع والسكر وبعد المفازة والمشقة وما انهبط من الأرض
والتراب الكثير .

(ينزفون) : بالبناء للمجهول من نزف الشارب إذا ذهب عقله
ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج
دمه كله ونزحت الركبة حتى نزفتها وفي أمثالهم « أجبن من المنزوف
ضرطاً » .

وقصة هذا المثل : ان رجلين خرجا في فلاة فلاحتا لهما شجرة
فقال أحدهما : أرى قوماً قد رصدونا فقال الآخر : إنما هي عشرة
فظنه يقول عشرة فجعل يقول وما غناء اثنين عن عشرة ويضبط حتى
مات ويروى من وجه آخر أن نسوة لم يكن لهن رجل فزوجت إحداهن
رجلاً كان ينام الصبحة فإذا أتينه بصبح ونبهته قال : لو نبهتني
لعاديه فلما رأى ذلك قلن إن صاحبنا لشجاع تعالين حتى نجربه فأتيته
فأيقظته فقال كعادته فقلن هذه نواصي الخيل فجعل يقول الخيل الخيل
ويضبط حتى مات وفيه أقوال أخرى ضربنا عنها صفحاً .

وفي الصحاح : « نزفت ماء البشر إذا نزحته كله ونزفت هي
يتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضاً على ما لم يسم فاعله » .

(قاصرات الطرف) : حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن
إلى غيرهم ويجوز أن يكون من باب الصفة المشبهة أي قاصرات

أطرافهن كمنطلق اللسان وأن يكون من باب اسم الفاعل على أصله
وسياأتي الفرق بينهما في الاعراب .

(عين) : فجل العيون جمع عيناء والنجل جمع نجلاء وهي التي
اتسع شقها سعة غير مفرطة .

الاعراب :

(إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) إن واسمها
وجملة كانوا خبرها وكان واسمها وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى
الشرط وجملة قيل في محل جر بالإضافة ولهم متعلقان بقيل وفائب
انفاعل مستتر تقديره هو وجملة لا إله إلا الله مقول قول محذوف أي
قولوا لا إله إلا الله وقد تقدم إعراب كلمة التوحيد مفصلاً وجملة
يستكبرون خبر كانوا وجواب إذا محذوف دل عليه ما قبله .
(ويقولون أننا لتاركو آلئتنا لشاعر مجنون) ويقولون عطف على
يستكبرون والهمزة للاستفهام الإنكاري وان واسمها واللام المزحلقة
وتاركو خبر إن ولشاعر متعلقان بتاركو أي لأجل شاعر ومجنون صفة .
(بل جاء بالحق وصدق المرسلين) اضراب ابطالي وجاء فعل وفاعل
مستتر وبالحق متعلقان بجاء وصدق المرسلين عطف على جاء بالحق .
(إنكم لذائقو العذاب الأليم) إن واسمها وسياأتي سر هذا الالتفات
في باب البلاغة واللام المزحلقة وذائقو العذاب خبر ان والأليم صفة .

(وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) الواو عاطفة وما نافية
وتجزون فعل مضارع مبني للمجهول والواو فائب فاعل وإلا أداة

حصر وما مفعول به ثان وهو على حذف مضاف أي جزاء ما وجملة كنتم تعملون صلة ما وجملة تعملون خبر كنتم •

(إلا عباد الله المخلصين) إلا أداة استثناء بمعنى لكن لأن الاستثناء منقطع وعباد الله مستثنى من الواو في تجزون والمخلصين صفة لعباد الله • (أولئك لهم رزق معلوم) كلام مستأنف لتقرير ما أعد لعباد الله المخلصين وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم ورزق مبتدأ مؤخر ومعلوم صفة لرزق ونائب الفاعل مستتر تقديره وقته أو معلوم ما يتميز به من خصائص منها الديسومة ومحض اللذة وطيب الطعم ، وحسن الرداء والمنظر وجملة لهم رزق معلوم خبر أولئك • (فواكه وهم مكرمون) فواكه بدل أو عطف بيان للرزق بدل كل من كل وسيأتي المزيد من مزايا هذا البدل في باب البلاغة والواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ ومكرمون خبر • (في جنات النعيم) متعلقان بمكرمون أو هو خبر ثان أو هما متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال • (على سرر متقابلين) على سرر متعلقان بمتقابلين ومتقابلين حال أو كلاهما حال وفي الكلام تصوير لمجالس الشراب سيأتي المزيد منه في باب البلاغة •

(يطاف عليهم بكأس من معين) الجملة صفة لمكرمون أو حال من الضمير في متقابلين أو جملة مستأنفة وعليهم متعلقان بيطاف وبكأس تاب مناب المفعول المطلق وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً ومن معين لصفة لكأس • قال الضحاك كل كأس في القرآن فهي الخمر • (بيضاء لذة للشاربين) وبيضاء صفة ثانية لكأس ولذة صفة ثالثة لكأس وصفت بالمصدر مبالغة أو على حذف المضاف أي ذات لذة أو

هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيد كقولك رجل طب
أي طيب ، قال :

لذذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدا من خشية الحدثان

فاللذ وصف واللذة مؤنثة وهي اسم للكيفية القائمة بالنفس
واسم للشيء اللذيد والصرخد موضع بالشام ينسب إليه الشراب
والحدثان مصدر كالحدث إلا أنه يدل على التجدد والتكرر يقول :
ورب شيء لذيد يعني النوم طعمه كطعم الشراب تركته بأرض الأعداء
خوف تزول المكارة بي . (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) الجملة
صفة رابعة لكأس ولا نافية وفيها خبر مقدم وغول مبتدأ مؤخر ولا
عطف وهم مبتدأ وعنها متعلقان بينزفون وجملة ينزفون خبر هم وهو
مبني للمجهول . (وعندهم قاصرات الطرف عين) الواو عاطفة
والطرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وقاصرات الطرف مبتدأ مؤخر
والطرف مضاف إليه مرفوع المحل على أن قاصرات صفة مشبهة أو
منصوب المحل على أن قاصرات اسم فاعل وعين صفة لقاصرات الطرف

(كأنهن بيض مكنون) صفة ثانية لقاصرات وإذا اعتبرت قاصرات
صفة كانت صفة ثالثة وكأن واسمها وبيض خبرها ومكنون صفة
وسياتي بحث هذا التشبيه في باب البلاغة .

البلاغة :

١ - الالتفات :

في قوله « إنكم لذائقو العذاب الأليم » فقد التفت من الغيبة
الى الخطاب لمجاوبتهم بالغضب وانه بلغ أقصى آماده وحدوده .

٢ - الإيجاز :

وفي قوله : « فواكه » وإبداله من رزق إيجاز قصر دل على أنهم قد بلغوا غاية ما يتمناه المتمني ويعتبط به المغتبط ، فالفواكه مساوية للرزق فهي تشبه الخبز واللحم لأن أكلهم لا لإقامة الصحة وحفظها وإنما هو للتلذذ والتفكه فأجسامهم هناك محكمة لا يعتورها وهن ولا يتطرق إليها ضعف أو فتور .

وهناك إيجاز آخر بقوله معلوم فقد ثابت هذه الكلمة عن الأوقات والمدد واندرجت فيها العشايا والأصائل والبكر ، كما ثابت عن الطعوم المتفاوتة والروائح المتباينة التي تختلف في المظهر وتتفق في طيبتها وتقاوح أرجحها المسكر .

٣ - التجسيد :

والصورة الفنية الرائعة تبدو في قوله « على سرر متقابلين » وليس أشهى للشاربين في أوقات الصبوح أو الغبوق وفي البكر والأماسي من أن يتقابلوا فالتقابل أتم للسرور وأدعى إلى الجور وسيأتي أيضاً تبادلهم للأحاديث والمتع .

٤ - الإيجاز أيضاً :

وفي وصف الخمر إيجاز بليغ وهو قوله « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » فقد جمعت هاتان الكلمتان جميع عيوب خمر أهل الناس التي حرمت بسببها من مفسد أو صداع أو خمار أو عريضة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك .

٩ - التشبيه المرسل :

وفي قوله « كأنهن بيض مكنون » تشبيه مرسل والمراد بالبيض هنا بيض النعام ، والمكنون من كنته أي جعلته في كن والعرب تشبه المرأة به في لونه وهو بياض مشرب بعض صفرة وهو الذي نطلق عليه اليوم اللون الكافوري • وأول من شبه المرأة بالبيضة امرؤ القيس بقوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
والنساء يشبهن بالبيض من ثلاثة أوجه أحدها بالصحة والسلامة
عن الطمث ومنه قول الفرزدق :

خرجن إلي لم يطمئن قبلي وهن أصح من بيض النعام
والثاني في الصيانة والستر لأن الطائر يصون بيضه ويحصنه ،
والثالث في صفاء اللون ونقاؤه لأن البيض يكون صافي اللون تقيه إذا
كان تحت الطائر • هذا وهو من التشبيهات التي رغب المحدثون عنها
اليوم وإن كانت بديعة في ذاتها لأن البيضة لم تعد تستسيغ تلك
التشبيهات •

التشبيه بين البيئات المختلفة :

ولإيضاح الفرق بين البيئات نقول كان العرب يستحسنون
تشبيه الأصابع والبنان بدودة تكون في الرمل وتسمى جماعتها بنات
النقا فمن ذلك قول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساربع ظبير أو مساويك إسحل
 فقد شبه البنانة بالأسروعة أي دودة الرمل • وقال ذو الرمة :
 خزاعيب أمثال كأن بنانها بنات النقا تخفي مراراً وتظهر
 فهي كأحسن البنان ليناً وبياضاً وطولاً واستواء ودقة وحمرة
 رأس كأنه ظفر قد تخضب • إلا أن النفس ما لبثت أن اجتوت هذا
 التشبيه فعدل أبو نواس عنه بقوله :
 تعاطيكها كف كأن بنانها
 إذا اعترضتها العين صف مداري
 وابن الرومي أيضاً بقوله :
 سقى الله قصراً بالرصافة شاقني
 بأعلاه قصري الدلالي رصافي
 أشار بقضبان هي الدر قمعت
 يواقيت حمراً فاستباح عفا في
 أو قول عبد الله بن المعتز :
 أشرن على خوف بأغصان فضة
 مقومة أئمنهم عقيق
 وهكذا يختلف التشبيه باختلاف البيئات • وسيأتي المزيد من
 هذا البحث الهام وحسبنا الآن ما قدمناه •

فَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ
 إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأُنْكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوْ ذَا مِثْنَا
 وَكُنَّا تَرَآبًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾
 فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾
 وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَأَنْتُمْ بِمِثَّتَيْنِ ﴿٥٨﴾
 إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَتْنَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

الاعراب :

(فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الفاء عاطفة والجملة
 معطوفة على يطاق عليهم والمعنى يشربون فيتحدثون على الشراب
 كعادة الشرب ، قال :

وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المسدام

فيقبل بعضهم على بعض والبيت للفرزدق يقول ما بقيت لذة من
 اللذات إلا لذة أحاديث الكرام أو ما بقيت شهوة من الشهوات اللذيذة
 إلا أحاديث الكرام على الخمر وأتى بحرف الاستعلاء لأن الشراب
 يكون بين أيديهم والحديث من أفواههم فوقع • وأقبل بعضهم فعل

وفاعل وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بأقبل وجملة يتساءلون حالة والتعبير بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع وتلك عادة الله في أخباره • (قال قائل منهم إني كان لي قرين) قال قائل فعل وفاعل ومنهم صفة لقائل أي من أهل الجنة وإن واسمها وجملة كان خبرها وجملة إن واسمها وخبرها مقول القول ولي خبر كان مقدم وقرين اسمها مؤخر أي كان لي في الدار العاجلة صاحب • (يقول أئنك لمن المصدقين) جملة يقول صفة لقرين والهمزة للاستفهام الإنكاري وإن واسمها واللام المرحقة ومن المصدقين خبر إن والجملة مقول القول •

(أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون) الهمزة للاستفهام الإنكاري وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة متنا في محل جر بإضافة الظرف إليها وكنا فعل ماض ناقص ونا اسمها وتراباً خبرها وعظاماً عطف على تراباً والهمزة للاستفهام وإن واسمها واللام المرحقة ومدينون خبر إن أي مجزيون ومحاسبون • (قال هل أأنتم مطلقون) قال فعل ماض ناقص والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على ذلك القائل من أهل الجنة أي قال لإخوانه وهل حرف استفهام وأأنتم مبتدأ ومطلقون خبره والاستفهام معناه الأمر أي تعالوا تتطلع من كوى الجنان لنطلع على حال أهل النار • (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) الفاء عاطفة واطلع فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على ذلك القائل ، فرآه فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به أي رأى قرينه وفي سواء الجحيم متعلقان برآه أي في وسطها ولك أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف حال ولعله أولى أي مرتطماً في وسط جهنم • (قال تالله إن كنت لتردين) قال فعل ماض وفاعل مستتر وتالله التاء حرف قسم وجر وهو مع مجروره متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم

وإن مخففة من الثقيلة ولك أن تعملها فيكون اسمها محذوفاً أي أنك وجملة كنت خبرها ويجوز أن تهلها فتكون جملة كنت جواب القسم لا محل لها وقد سبق أن قلنا أن إن إذا خففت فالأكثر أن تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ، وتردين فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به وحذفت الياء تبعاً لسنة المصحف .

(ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود ونعمة مبتدأ وربى مضاف إليه وخبر المبتدأ محذوف وجوباً والتقدير موجود واللام واقعة في جواب لولا وكان واسمها ومن المحضرين خبرها أي من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك . (أفما نحن بميتين) الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على محذوف تقديره أفما نحن مخلصون منعمون فما نحن بميتين وما فافية حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد وميتين مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما . (إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) إلا أداة حصر والاستثناء مفرغ وموتتنا مفعول مطلق وقيل هو استثناء منقطع فينصب على الاستثناء والأولى صفة أي الموتة التي في الدنيا والواو حرف عطف وما فافية حجازية ونحن اسمها وبمعذبين الباء حرف جر زائد ومعذبين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما . (إن هذا لهو الفوز العظيم) إن واسمها واللام المرحقة وهو مبتدأ أو ضمير فصل والفوز خبر هو والجملة خبر إن ، أو خبر إن والعظيم صفة للفوز .

(لمثل هذا فليعمل العاملون) يحتمل أن يكون من كلامه ترغيباً للمكلفين في عمل الطاعات ويحتمل أن يكون من كلام بعضهم لبعض

وقيل يبعد الاحتمال الثاني قوله فليعمل العاملون فإن العمل والترغيب فيه إنما يكون في الدنيا . وعلى كل حال فالجار والمجرور متعلقان بعمل وهذا مضاف إليه والفاء الفصيحة أي إن تبين حقيقة حال أهل الجنة فليعمل ، واللام لام الأمر ويعمل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والعاملون فاعل .

أَذَلِكْ خَيْرٌ تَزُلَا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ
رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَاكُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾
ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ
﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ
يَهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ
اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

اللفظة :

(تَزُلَا) : النزول بضمين أو بضم النون وسكون الزاي : المنزل وما هيء للضيف والجمع أنزال والنزل أيضاً بضمين : الطعام ذو

البركة والمنزل والقوم النازلون وريع ما يزرع ونماؤه والعطاء والفضل وقد استعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم .

(الزقوم) : قال في القاموس : « الزقم اللقم والتزقم التلقم وأزقمه فازدقمه : أبلعه فابتلعه والزقوم كتنور : الزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل وطعام أهل النار » وقال في الأساس : « تقول : من أنكر أن يقوم أطعمه الله الزقوم ، ويقال : إن أهل إفريقية يسمون الزبد بالتمر : زقوماً وهو من قولهم : انه ليزقم اللقم ، ويتزقمها ويزدقمها : يبتلعها وبات يتزقم اللبن إذا أفرط في شربه » . وفي الخازن : والزقوم ثمر شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهية وقيل هي شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر . وسيأتي المزيد من الحديث عن شجرة الزقوم في باب البلاغة .

(طلعهما) : الطلع حقيقة اسم لثمر النخيل في أول بروزه ، فإطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة كما سيأتي في باب البلاغة ، والطلع من النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وما يبدو من ثمرته في أول ظهورها .

(شوباً) : بفتح الشين وهو مصدر على أصله وقيل يراد به اسم المفعول ويدل له قراءة بعضهم لشوباً بالضم ، قال الزجاج : المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض والفعل منه شابه يشوبه من باب قال إذا خلطه فهو الخلط .

(حميم) : ماء حار وهو المقصود هنا ويطلق على الماء البارد فهو من الأضداد .

الاعراب :

(أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم) الجملة مقول قول محذوف يعود إلى ذكر الرزق المعلوم أي قل لهم يا محمد على سبيل الإنكار والتوبيخ والتهكم أذلك خير نزلًا ، فالهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وذلك مبتدأ وخير خبر ونزلًا تمييز لخبر وأم حرف عطف وشجرة الزقوم عطف على ذلك وقال الزمخشري : « وانتصاب نزلًا على التمييز ، ولك أن تجعله حالًا كما تقول : أثمر النخلة خير بلحًا أم رطبًا » • (إنا جعلناها فتنة للظالمين) إن واسمها وجملة جعلنا خبر وجعلناها فعل وفاعل ومنفعل به أول وفتنة للظالمين مفعول به ثان وللظالمين صفة لفتنة أي ابتلاء وتعذيباً ومحنة لهم لأنهم قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبت • (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) إن واسمها وشجرة خبرها وجملة تخرج صفة لشجرة وفي أصل الجحيم متعلقان بتخرج • (طلعتها كأنه رؤوس الشياطين) طلعتها مبتدأ وجملة التشبيه خبر وكان واسمها ورؤوس الشياطين خبر كأن • (فإنهم لا ياكلون منها فمالئون منها البطون) الفاء عطف وإن واسمها واللام المزحلقة واكلون خبر إن ومنها متعلقان بآكلون فمالئون الفاء عاطفة للترتيب مع التعقيب ومالئون معطوف على آكلون ومنها متعلقان بمالئون والبطون مفعول مالئون لشدة جوعهم •

(ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإن حرف مشبه بالفعل ولهم خبرها المقدم عليها متعلقان بمحذوف حال واللام المزحلقة وشوباً اسمها المؤخر ومن حميم صفة لشوباً • (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإن واسمها واللام المزحلقة وإلى الجحيم خبرها • (أنهم

ألفوا آباءهم ضالين) الجملة تعليل لما سبق من ابتلائهم بأفانين العذاب، وان واسمها وجملة ألفوا خبرها وآباءهم مفعول ألفوا الأول وضالين مفعول ألفوا الثاني • (فهم على آثارهم يهرعون) الفاء تعليلية وهم مبتدأ وعلى آثارهم متعلقان يهرعون وجملة يهرعون خبر هم والاهراع السير الشديد بحث* واتزعاج • وفي المصباح هرع وأهرع بالبناء للمفعول فيهما إذا أعجل • (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وضل فعل ماض مبني على الفتح وقبلهم ظرف متعلق بمحذوف حال وأكثر الأولين فاعل • (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل وفيهم جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ومنذرين مفعول به • (فاقظر كيف كان عاقبة المنذرين) الفاء الفصيحة واقظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة اسمها المؤخر والمنذرين بفتح الذال مفعول به • (إلا عباد الله المخلصين) إلا أداة استثناء بمعنى لكن لأن الاستثناء منقطع وعباد الله مستثنى والمخلصين صفة •

البلاغة :

حفلت هذه الآيات بضروب من البلاغة سنسط القول فيها وسننقل لك خلاصات وافية لما أورده أساطين البلاغة في صدها فأول ما فيها من فنون :

١ - التشبيه برؤوس الشياطين :

وهو تشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين وهو تشبيه

خيالي وقد سبق ذكره فيما قدمناه من أقسام التشبيه ، ونورد لك هنا خلاصة ما قاله ابن رشيق فيه :

« واعلم أن التشبيه على ضربين : تشبيه حسن وتشبيه قبيح فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض الى الأوضح فيفيد بيافاً والتشبيه القبيح ما كان خلاف ذلك » قال الرماني : « وشرح ذلك ما تقع عليه الحاسة أوضح مما لا تقع عليه الحاسة ، والمشاهد أوضح من الغائب فالأول في العقل أوضح من الثاني ، والثالث أوضح من الرابع وما يدركه الانسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد في الجملة ، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف » ثم انتقل ابن رشيق الى التشبيه الوارد في الآية فقال : « قال الله عز وجل : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » فقال قوم إن شجرة الزقوم وهي أيضاً الأستن لها صورة منكورة وثمره قبيحة يقال لها رؤوس الشياطين » والأستن كما يقول المجد : « الأستن والأستان بفتح الهمزة وسكون السين فيهما ، أصول الشجر يغشو في منابته فإذا نظر إليه الناظر شبهه بشخص الناس » الى أن يقول : « والأجود الأعرف انه شبه بما لا يشك انه منكر وقبيح لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صور الجن » •

فصل رائع للجاحظ :

وكم كنا نتمنى أن يكون كتاب « نظم القرآن » موجود بين أيدينا لنطلع على الفصل الرائع الذي كتبه الجاحظ بصدد هذا التشبيه ولكن الكتاب فقد مع ما فقد من آثارنا العربية فلا بد لنا من أن ننقل شذرات منه وردت في كتبه الأخرى ، فقد جاء في كتاب الحيوان ما نصه : « وليس ان الناس رأوا شيطانا قط على صورة ولكن لما كان

الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهيته وقد أجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن » •

وتعرض الجاحظ لهذا التشبيه مرة أخرى فقال : « فزعم فاس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كربه والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير وقالوا : ما عني إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم فقال أهل الطعن والخلاف : لس يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فتوهمه ولا وصفت لنا صورته في كتاب فاطق أو خبر صادق ، ومخرج الكلام يدل على أن التخويف بتلك الصورة والتفريع منها ، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره فكيف يكون الشأن كذلك والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيع قد عاينوه أو صورته لهم واصف صدوق اللسان بليغ في الوصف ونحن لم نعاينها ولا صورها لنا صادق ، وعلى أن أكثر الناس من هذه الأمم التي لم تعايش أهل الكتابين وحملة القرآن من المسلمين ، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهمون ذلك ، ولا يققون عليه ، ولا يفزعون منه فكيف يكون ذلك بعيداً عاماً ؟ قلنا : وإن كنا نحن لم نر شيطناً قط ولا صور رؤوسها لنا صادق بيده قفي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين أحدهما أن يقولوا : لهو أقبح من الشيطان ، والوجه الآخر أن يسمى الجميل شيطناً على جهة التطيّر له كما تسمى

الفرس الكريمة شوها ، والمرأة الجميلة صمّاء وقرناء وخنساء وجرباء وأشباه ذلك على جهة التطيّر له ، ففي إجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح » •

لقد فصل الجاحظ في المقال وجوه التشبيه وتصرف الأسلوب القرآني في المشبه به ووجه الشبه ينتزعه من غير مدرك بالحس اعتماداً على ثبوته في الإدراك عن طريق العادة والعرف وتناقل الناس له ، وقد أجاز الجاحظ مثل هذا التشبيه وبين وجهته وناقش آراء غيره في التشبيه في ضرورة الاعتماد على الحس البصري لتصوير المعنى في الذهن ، ومنذ ذلك العهد أو قبله بقليل اهتم الناس بهذين النوعين من التشبيه وتابعوهما في القرآن وفي البيان عامة ودارت بحوث البلاغة حول هذه النقطة وتفرعت من هذين النوعين أنواع أخرى ، وهكذا كان لهذه الآية ومثلها أثر في تنبيه الناس إلى التشبيه ، فبحثه فيها أبو عبيدة وجدّد الجاحظ البحث وتوسّع فيه وظلت الآية على رأس الشواهد في التشبيه المعنوي في كتب النقد والبلاغة بعدهما •

ورفض الجاحظ تفسير اللغويين الحسي ، وهو يتفق ووجهة نظر أهل الظاهر في التفسير ويعارض وجهة أهل النظر من المتكلمين والمعتزلة أيضاً وقد فسر أولئك رؤوس الشياطين برؤوس نبات ينبت باليمن أو شجر كرية المنظر أو حيات قبيحة الشكل وكلها مدلولات مادية لكلمة شيطان قد يكون لها أصل من الواقع وقد تكون من ابتكار هؤلاء ، وهي على الحالين لا تبلغ في أثرها في النفس مبلغ صورة الشيطان التي تشب إلى الخيال وتجمع كل سمات الفرع والقبح وإن تكن غير واضحة وضوح النبات والشجر والحيات وهذا الغموض يضيف عليها مزيداً من التخويف •

لهذا كان تفسير الجاحظ أكثر إدراكاً لرمى التعبير القرآني في النفوس وهو إدراك له قيمته من الوجهة النقدية ذلك هو أثر الأدب في النفس وهي لفتات جاءت عابرة في كتب الأقدمين وأولاهم النقد الحديث عنايته ، وهو يذكر أمثلة من التشبيه بالحيوان في القرآن وذلك لغلبة صفة ما في كل نوع منها أراد السياق إبرازها فيضرب الله مثلاً بالعنكبوت في وهن البيت وضعفه والحصار في الجهل والغفلة وفي قلة المعرفة وغلظ الطبيعة والقرد في القبح والتشويه ونذالة النفس .

ولعل هذه الآية أو قل هذا التشبيه هو الذي حدا بأبي عبيدة إلى تأليف كتابه « مجاز القرآن » الذي لم نطلع عليه ولكن ذكره ابن النديم صاحب « الفهرس » والخطيب صاحب « تاريخ بغداد » وابن الأنباري في « نزهة الألباء » وياقوت في « إرشاد الأريب » وابن خلكان في « الوفيات » والسيوطي في « بغية الوعاة » ويذكر ياقوت أن أبا عبيدة ألف كتاب « المجاز » عام ثمانية وثمانين ومائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم يذكر على لسان أبي عبيدة : « أرسل إليّ الفضل بن الربيع في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقى إليها إلا على كرسي ثم دخل علي رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه إلى جانبي وقال له : أتعرف هذا قال : لا ، قال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة ، أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرّظه لفعله هذا وقال : إني كنت مشتاقاً إليك وقد سألت عن مسألة أفأذن لي أن أعرفك إياها ؟ فقلت : هات ، قال : قال الله عز وجل : « طلعها كأفك رؤوس الشياطين » وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا مما لم يعرف ، فقلت : إنما

كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس :

أَيَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْتَوْنَةُ زَرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به . فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وعزمت في ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته « المجاز » .

وعبارة السمين بهذا الصدد : « قوله : كأنه رؤوس الشياطين ، فيه وجهان أحدهما أنه حقيقة وأن رأس الشياطين شجر بعينه بناحية تسمى الاستن وهو شجر مر منكر الصورة سمته العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القبح ثم صار أصلاً يشبه به وقيل الشياطين : صنف من الحيات ، وقيل : هو شجر يقال له الصرم فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقي والثاني أنه من باب التمثيل والتخيل وذلك أن كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وإن لم يره ، والشياطين وإن كانوا موجودين لكنهم غير مرئيين للعرب إلا أنه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات » .

أما الزمخشري فقد جمع بين الأقوال كلها ولكنه قدم ما هو أولى فقال بأسلوبه الممتع : « والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجر الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لا اعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في

القيح الصورة كآله وجهه شيطان ، كآله رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدروا هوله كما أنهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شرّ فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى : « ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » وهذا تشبيه تخيلي ، وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قيحة المنظر هائلة جداً ، وقيل إن شجراً يقال له الأستن خشباً مرأ منتناً منكر الصورة يسمى ثمرة رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصداً الى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلاً ثالثاً يشبه به .

٢ - سر العطف بـ « ثم » :

وفي قوله « ثم ان لهم عليها لشوباً من حميم » سر لطيف المأخذ ، دقيق المسلك ، قلّ من يتفطن إليه ، فإن في معنى التراخي وجهين :

أحدهما : انهم يملئون البطون من شجر الزقوم وهو حارّ يحرق بطونهم ويزيد في عطشهم وغلثهم فلا يسقون إلا بعد ملي تعذيباً بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر من العطش وهو الشراب المشوب بالحميم ، والوجه الثاني أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أوغل في الكراهة وأبعد في البشاعة فجاء بـ ثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انه يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يملئوا بطونهم ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ، ومعنى التراخي في ذلك واضح المفهوم .

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
 الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
 فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعِلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

الاعراب :

(ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) كلام مستأنف مسوق
 للشروع في تفصيل ما أجمل فيما سبق . واللام جواب القسم المحذوف
 وقد حرف تحقيق ونادانا نوح فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ،
 والفاء عاطفة واللام جواب قسم محذوف وجواب كل من القسمين
 محذوف ، لدلالة السياق عليه والتقدير والله لقد نادانا نوح لما يش
 من إيمان قومه بعد أن استنزف ألف سنة إلاخمسين عاماً بين أظهرهم
 فلم يزدادوا إلا عتوا واستكباراً وقهوراً فأجبناه أحسن إجابة فوالله
 لنعم المجيبون نحن . ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والمجيبون
 فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف تقديره نحن وهذه هي الأولى
 من قصص ست ستأتي تباعاً .

(ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) الواو عاطفة ونجيناه فعل
 وفاعل ومفعول به وأهله عطف على الهاء أو مفعول معه ومن الكرب
 جار ومجرور متعلقان بنجيناه العظيم نعت للكرب . (وجعلنا ذريته
 هم الباقين) وجعلنا عطف على نجيناه وذريته مفعول به وهم ضمير

فصل لا محل له والباقي مفعول جعلنا الثاني • (وتركنا عليه في الآخرين) الواو عاطفة وتركنا فعل وفاعل وعليه صفة للمفعول المحذوف أي ثناء كائنًا عليه وفي الآخرين في موضع نصب مفعول به ثانٍ لتركنا وقيل في إعراب هذه الآية غير ذلك • (سلام على نوح في العالمين) سلام مبتدأ وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء وعلى نوح خبر متعلق بمحذوف صفة لسلام أو متعلق بما تعلق به الأول وجملة سلام على نوح في العالمين مفسرة لتركنا • وقال السمين : « قوله سلام على نوح مبتدأ وخبر وفيه أوجه : أحدها أنه مفسر لتركنا أي تركنا عليه شيئاً وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر أي فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلط تركنا على ما بعده ، قال الزمخشري : وتركنا عليه في الآخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين يعني يسلمون عليه تسليماً ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك سورة أنزلناها وهذا الذي قاله قول الكوفيين جعلوا الجملة في محل نصب مفعولاً بتركنا لا أنه ضمن معنى القول بل هو على معناه بخلاف الوجه قبله وهو أيضاً من أقوالهم » •

(إنا كذلك نجزي المحسنين) إن واسمها وكذلك نعت لمصدر محذوف وجملة نجزي خبر إنا وفاعل نجزي مستتر تقديره نحن والمحسنين مفعول به لنجزي والجملة تعليل لمجازاة نوح بتلك التكرمة السامية وهي خلود ذكره وتسليم العالمين عليه أبد الدهر • (إنا من عبادنا المؤمنين) تعليل للإحسان بالإيمان تنويهاً بشأن الإيمان وتشريفاً له وحثاً على الزيادة منه • وان واسمها ومن عبادنا خبرها والمؤمنين نعت لعبادنا • (ثم أغرقنا الآخرين) عطف على نجينا وأهله فالترتيب حقيقي لأن فجاتهم حصلت قبل غرق الباقيين ولكن بينهما تراخياً •

* وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٢﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاةَ إِلَهِةٍ دُونَ اللَّهِ
 تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَاظْنِكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي
 النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى
 إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ
 ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ اتَّعَبُودُونَ مَا تَنَحُّتُونَ ﴿٩٥﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا أَبْنَاؤُا لَهُ يُنْشِئُنَا فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ
 ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ
 رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
 حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي
 أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ
 يٰإِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ

فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾
 وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

اللفظة :

(شيعته) : في المختار : « الشيعة أتباع الرجل وأنصاره »
 وفي المصباح : « الشيعة : الأتباع والأنصار وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ثم صارت الشيعة اسماً لجماعة مخصوصة والجمع شيع سدره وسدر والأشباع جمع الجمع » وفي الأساس : « شيعته يوم رحيله وشايعتك على كذا : تابعتك عليه وتشايعوا على الأمر وهم شيعته وشيعه وأشباعه وهذا الغلام شيع أخيه : وُلد بعده ، وآتيك غداً أو شيعه قال :

قال الخليل : غداً تصدعنا أو شيعه أفلا تشيعنا

وأقيمت عنده شهراً أو شيع شهر وكان معه مائة رجل أو شيع ذلك ونزلوا موضع كذا أو شيعه ، وشاع الحديث والسر وأشاعه صاحبه ورجل مشيع مذاياع وقطرت قطرة من اللبن في الماء فتشيع فيه : تفرق ، وأشاعت الناقة بولها وأشاعت به وجاءت الخيل شوائع متفرقة ، وتشايعت الإبل وله صهم في الدار شائع ومشاع وشييع بالإبل وشايع بها : صاح بها ومنه قيل لمنفاخ الراعي : الشيايع وشايع

بهم الدليل فأبصروا الهدى : فادى بهم • ومن المجاز شيعنا شهر رمضان بصوم الستة وشيئت النار بالحطب وأعطني شياعاً كما تقول : شيباباً لما تشيّع به وتشبّ ، وشيّع هذا بهذا : قوه به ، قال الراعي :

إليك يقطع أجواز الفسلاة بنا

نصّ تشيعه الصّهب المراسيل

ورجل مّشيّع القلب : للشجاع ، وقد شّيّع قلبه بما يركب كلّ هول وشاع في رأسه الشيب وشاعكم الله تعالى بالسلام وشاعكم السلام قال :

ألا يا نخلة في ذات عرق

برؤود الظل شاعكم السلام »

لمحة عن الشيعة :

وقول صاحب المصباح : « اسم لجماعة مخصوصة » يقصد الشيعة أقدم الفرق الإسلامية وقد ظهوروا بمذهبهم السياسي في آخر عصر عثمان ونما وترعرع في عهد علي وقوام هذا المذهب أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض الى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي إغفالها وتقويضها الى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويجب أن يكون معصوماً عن الكبائر والصغائر وان علي بن أبي طالب كان هو الخليفة المختار من النبي وانه أفضل الصحابة • ولها فرق كثيرة يرجع اليها في الملل والنحل للشهرستاني والفصل في الملل والنحل لابن حزم •

(فراغ) : مال في خفية وأصله من روغان الثعلب وهو تردده وعدم ثبوته ، وفي المختار : « راغ الثعلب من باب قال وروغافاً بفتحين والاسم منه الرواغ بالفتح وأراغ وارتاغ أي طلب وأراد ، وراغ الى كذا مال إليه سراً وحاد ، وقوله تعالى : « فراغ عليهم ضرباً باليمين أي أقبل وقال القراء : مال عليهم • وفلان يراوغ في الأمر مراوغة » •

(يزفون) : يسرعون في المشي من زفيف النعام ويزفون من أزف إذا دخل في الزفيف أو من أزفته إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضاً ، وفي الأساس : « زف العروس إلى زوجها وهذه ليلة الزفاف ، وزف الظليم وزفرف وزفت الريح وزفرت زفيفاً وزفرفة وهي سرعة الهبوب والطيран مع صوت ، وريح زفرف ، وزفرفته الريح حرّكته وبات مزفرفاً ، وأنشدني سلامة بن عياش الينبعي بمكة يوم الصدر :

فبت مزفرفاً قد أنشبتني رسيّة ورد بينهم أحاحا
لعلمي أن صرف البين يضحى ينيل العين قرّتها لماحا

ومن المجاز : زفوا إليه : أسرعوا ويقال للطائش الحلم : قد زف رأله ، وجئته زفة أو زفتين مرة أو مرتين وهي المرة من الزفيف كما أن المرة من المرور » •

(وقله للجبين) : صرعه على شقه فوق أحد جنبيه على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبر وجلد وفي المصباح : « والجبين ناحية الجبهة من محاذاة النزعة الى الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة

وشمالها قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما فتكون الجبهة بين جبينين وجمعه جبن بضمين مثل بريد وبرد وأجينة مثل أسلحة » وفي القاموس : « تله تلاء من باب اقل فهو متلول وتليل صرعه أو ألقاه على عنقه وخذه » .

(الجحيم) : النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم ، وفي القاموس : « الجحيم النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض كالجحمة وتضم ، وكل نار عظيمة في مهواة والمكان الشديد الحر كالجاحم ، وجمها كمنعها أوقدها فجحمت ككرمت جحوما وكفرح جحما وجحيماً وجحوماً اضطرب والجاحم الجمر الشديد الاشتعال » .

الاعراب :

(وإن من شيعته لإبراهيم) الواو عاطفة عطفت القصة الثانية على القصة الأولى ولك أن تجعلها استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة إبراهيم بعد قصة نوح . وإن حرف مشبه بالفعل ومن شيعته خبرها المقدم واللام المزحلقة وإبراهيم اسمها المؤخر . (إذ جاء ربه بقلب سليم) لك أن تعلق الظرف بفعل محذوف تقديره اذكر ولك أن تعلقه بما في الشيعة من معنى الاشتقاق فهو معمول له لما فيه من معنى المتابعة ، وجملة جاء في محل جر بإضافة الظرف إليها والفاعل مستتر تقديره هو يعود على إبراهيم وربه مفعول به وبقلب متعلقان بجاء وسليم صفة . (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) الظرف الثاني بدل من الظرف الأول وأجاز أبو البقاء أن يكون ظرفاً

نسليم أو لجاء وجملة قال في محل جر بالإضافة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ولأبيه متعلقان بقال وماذا تقدم اعرابها كثيراً فما مبتدأ وإذا اسم موصول خبر أو هي بكاملها اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لتعبدون وجملة تعبدون لا محل لها على الأول وجملة ماذا مقول القول على الثاني .

(أئفكاً آلهة دون الله تريدون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وإفكاً في نصبه أوجه أحدها أنه مفعول من أجله أي أتريدون آلهة دون الله إفكاً فآلهة مفعول به ودون الله ظرف متعلق بتريدون وقدمت معمولات الفعل اهتماماً به لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك وباطل وبهذا الوجه بدأ الزمخشري والجلال والثاني أنه مفعول به بتريدون ويكون آلهة بدلاً منه جعلها نفس الإفك مبالغة فأبدلها منه وفسره بها والثالث أنه حال من فاعل تريدون أي أتريدون آلهة آفكين أو ذوي إفك . (فما ظنكم برب العالمين) الفاء عاطفة وما اسم استفهام للانكار والتوبيخ أي ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن وهو في محل رفع مبتدأ وظنكم خبره ورب العالمين متعلقان بظنكم وفي البيضاوي : « والمعنى إنكار ما يوجب ظناً فضلاً عن قطع يصد عن عبادته أو يجوز الاشراف به أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الإلزام وهي كالحجة على ما قبله » .

(فنظر نظرة في النجوم) الفاء عاطفة ونظر فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ونظرة مفعول مطلق وفي النجوم متعلق بنظر ، قيل الكلام على حذف مضاف أي في علم النجوم ولم يقل إلى النجوم مع أن النظر إنما يتعدى إلى لأن « في » تأتي بمعنى « إلى » لقوله تعالى « فردوا أيديهم في أفواههم » أي إليها وقيل إن نظر ضمن معنى فكر

وهو يتعدى بفي • (فقال إني سقيم) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعل مستتر وإني إن واسمها وسقيم خبرها وإن وما في حيزها في محل نصب مقول القول وسيأتي الكلام في تجويز الكذب على إبراهيم •

(فتولوا عنه مدبرين) الفاء عاطفة وتولوا فعل ماض وفاعل وعنه متعلقان بتولوا ومدبرين حال من الواو في تولوا • (فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون) الفاء عاطفة وراغ فعل ماض وفاعل والى آلهتهم متعلقان براغ فقال عطف على راغ والهمزة للاستفهام ولا نافية وتأكلون فعل مضارع مرفوع وفاعل وجملة الاستفهام مقول القول • (مالكم لا تنطقون) ما اسم استفهام مبتدأ ولكم خبر وجملة لا تنطقون في محل نصب على الحال وجملة مالكم مقول قول محذوف والتقدير فلم ينطقوا فقال مالكم لا تنطقون • (فراغ عليهم ضرباً باليمين) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فلم يجيبوا فراغ وعليهم جار ومجرور متعلقان براغ وضرباً مصدر واقع موقع الحال أي فراغ عليهم ضرباً أو مصدر لفعل مقدر أي يضرب ضرباً والجملة في محل نصب على الحال وباليمين متعلقان بضرباً أو بعامله •

(فأقبلوا إليه يزفون) الفاء عاطفة وأقبلوا فعل ماض والواو فاعل وإليه متعلقان بأقبلوا وجملة يزفون في محل نصب على الحال من فاعل أقبلوا ويجوز تعلق إليه به • (قال أتعبدون ما تنحتون) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتعبدون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وما مفعول به وجملة تنحتون صلة والعائد محذوف ، ويجوز أن تكون ما مصدرية أي نحتكم ، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة أي منحوتكم ، وقيل استفهامية للتوبيخ أي وأي شيء تعملون • (والله خلقكم وما تعملون)

الواو حالية والله مبتدأ وجملة خلقكم خبر والكاف مفعول به والواو عاطفة وما يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية وقيل هي استفهامية للتوبيخ أي وأي شيء تعملون وقيل هي نافية أي أن العمل في الحقيقة ليس لكم فأنتم لا تعملون شيئاً ، وسيأتي مزيد بحث في هذا التركيب الذي شجر فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة ، وجملة والله خلقكم حال ومعناها أتعبدون الأصنام على حالة تنافي ذلك وهي أن الله خالقكم وخالقهم جميعاً ويجوز أن تكون الواو استئنافية والجملة مستأنفة .
 (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم) قالوا فعل وفاعل وابنوا فعل أمر والواو فاعل والجملة مقول القول وله متعلقان بابنوا وبنياناً مفعول به ، فألقوه عطف على ابنوا وهو فعل أمر والواو فاعل والهاء منفعول به وفي الجحيم متعلقان بألقوه .

(فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين) الفاء عاطفة وأرادوا فعل ماض وفاعل وبه متعلقان بأرادوا وكيداً مفعول به ، فجعلناهم عطف على فأرادوا وهو فعل وفاعل ومفعول به أول والأسفلين مفعول به ثان لجعلناهم . (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) الواو عاطفة على محذوف تقديره فخرج من النار سالماً وقال ، وإن واسمها وذاهب خبرها وإلى ربي متعلقان بذاهب والسين حرف استقبال ويهدين فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء والنون للوقاية وياء الضمير المحذوفة لرعاية الفواصل مفعول به أي سيهدينني وسيأتي معنى ذهابه إلى ربه في باب الفوائد . (رب هب لي من الصالحين) رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة وقد تقدم له ظائر وهب فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ولي متعلقان بهب ومن الصالحين صفة لمفعول به محذوف أي ولداً من الصالحين . (فبشرناه بغلام

(حلیم) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فاستجبنا له ، وبشرناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وبغلام متعلقان ببشرناه وحليم صفة وفي الكلام إيجاز سيأتي في باب البلاغة •

(فلما بلغ معه السعي) الفاء استئنافية ولما حينية أو رابطة وبلغ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والظرف متعلق بمحذوف حال وعبرة الزمخشري : « فإن قلت بم يتعلق معه ؟ قلت : لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معاً حد السعي ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيافاً كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أيه والمعنى في اختصاص الأب انه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده » • (قال يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك فاقظر ماذا ترى) جملة قال لا محل لها لأنها جواب لما ويا حرف فداء وبني منادى مضاف لياء المتكلم وان واسمها وجملة أرى خبرها وفي المنام متعلقان بأرى وإن واسمها وجملة أذبحك خبرها وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي رأى الحليمية ، فاقظر الفاء الفصيحة واقظر فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت وماذا ترى يجوز أن تكون ماذا مركبة استفهامية فتكون منصوبة بترى وما بعدها في محل نصب باقظر لأنها معلقة له ويجوز أن تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبراً والجملة معلقة أيضاً وأن تكون ماذا بمعنى الذي فتكون معمولاً لأقظر وترى فعل مضارع من الرأي لامن رؤية العين ولا المتعدية الى مفعولين بل كقولك هو يرى رأي الخوارج •

(قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)
يا حرف نداء وأبت منادى مضاف الى ياء المتكلم المعوض عنها بالتاء
وقد تقدم القول فيها وافياً مراراً والتاء في محل جر لأن المعوض عنه
كذلك وافعل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول
مفعول افعل وجملة تؤمر صلة والعائد محذوف تقديره ما تؤمر به
فحذف الجار كما حذف في قولك أمرتك الخير فافعل ما أمرت به
ويجوز أن تكون ما مصدرية أي أمرك على إضافة المصدر للمفعول
والسين حرف استقبال وتجدني فعل مضارع مرفوع والنون للوقاية
والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والياء مفعول به ومن الصابرين في
موضع المفعول الثاني • (فلما أسلما وتلّاه للجبين) الفاء عاطفة ولما
حينية أو رابطة وأسلما فعل ماض والألف فاعل أي استسلما وخضعا
وانقادا لأمر الله ، وتله الواو عاطفة وتله فعل ماض وفاعل مستتر
تقديره هو أي إبراهيم والهاء مفعول به وللجبين متعلقان بمحذوف
حال وجواب لما محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما أجرهما
أو كان ما كان مما تنطق به الحال • وقال الكوفيون والأخفش الجواب
وتله للجبين بزيادة الواو وقيل ونادينا بزيادة الواو أيضاً والأول
أرجح • (وناديناه أن يا إبراهيم) الواو عاطفة وناديناه فعل وفاعل
ومفعول به وأن مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه ويا
حرف نداء وإبراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم •

(قد صدقت الرؤيا إنا كذلك فنجزي المحسنين) قد حرف تحقيق
وصدقت فعل وفاعل والرؤيا مفعول به وإن واسمها وكذلك نعت
لمصدر محذوف مقدم على عامله وجملة فنجزي المحسنين خبر إن وجملة

إنا تعليل لما من عليهما من الفرج بعد الشدة والرجاء بعد اليأس .
 (إن هذا لهو البلاء المبين) إن واسمها واللام المزحلقة وهو مبتدأ
 أو ضمير فصل والبلاء خبر هو أو خبر إن والمبين نعت للبلاء .
 (وفديناه بذبح عظيم) الواو عاطفة وفديناه فعل وفاعل ومفعول به
 والجملة معطوفة على نأدينه وبذبح جار ومجرور متعلقان بفديناه
 والذبح اسم ما يذبح كبشاً كان أم بعلاً وعظيمة صفة لذبح .

(وتركنا عليه في الآخرين) تقدم إعراب نظير هذه الآية ومفعول تركنا
 محذوف وفي الآخرين صفة لهذا المحذوف أي ثناء حسناً . (سلام على
 إبراهيم) سلام مبتدأ وعلى إبراهيم خبر وساغ الابتداء بالنكرة لما فيها
 من معنى الدعاء وجملة سلام على إبراهيم مقول قول محذوف أي
 يقال له هذا في الآخرين .

(كذلك نجزي المحسنين) كذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي
 المحسنين فعل مضارع وفاعل ومفعول به . (إنه من عبادنا المؤمنين)
 إن واسمها ومن عبادنا خبر والمؤمنين صفة والجملة تعليلية لا محل لها .
 (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) الواو حرف عطف وبشرناه فعل
 وفاعل ومفعول به وإسحق متعلقان ببشرناه ونبياً حال من إسحق ومن
 الصالحين صفة لنبياً أو حال ثانية ، وورودها على سبيل الثناء والتقريض
 لأن كل نبي لا بد أن يكون صالحاً . (وباركنا عليه وعلى إسحق)
 وباركنا عطف على ما تقدم وعليه متعلقان بباركنا وعلى إسحق عطف
 على عليه (ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) من ذريتهما خبر
 مقدم ومحسن مبتدأ مؤخر وظالم عطف على محسن ولنفسه متعلقان
 بظالم ومبين صفة لظالم .

البلاغة :

اظوت هذه الآية على فنون شتى نورد أهمها فيما يلي :

١ - في قوله « فقال إني سقيم » فن الرمز والإيحاء وهو أن يريد المتكلم إخفاء أمر ما في كلامه فيرمز في ضمنه رمزاً إما تعمية للمخاطب وتبرئة لنفسه وتنصلاً من التبعة وإما ليهتدي بواسطته الى طريق استخراج ما أخفاه في كلامه وقد كان قوم إبراهيم نجّامين فأوهمهم أنه استدل بأمانة في علم التنجيم على أنه يسقم فقال : إني سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى فقال ذلك ليوجسوا خوفاً ويتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل ، وقد يوهم ظاهر الكلام أنه ارتكب بذلك جريمة الكذب والأنبياء معصومون عنه والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض عنه وورس ، ولقد نوى إبراهيم أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل : « كفى بالسلامة داء » وقال لبيد :

كانت قناتي لا تلبس لغامز فألا منها الاصباح والامساء

فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء

يصف لبيد قوته زمن الشباب ثم ضعف حال المشيب بتتابع الأزمان عليه وأنه طلب فسحة الأجل فكانت سبب اضمحلاله . والقناة الرمح استعارها لإقامته أو قوته على طريق الاستعارة التصريحية والليونة ، والغمز ترشيح للاستعارة والغمز الجس باليد ، ومات رجل فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من

الموت في عنقه وقيل أراد بقوله إني سقيم النفس لكهركم ، على أن بعض الناس قد جوزه في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين وسيأتي المزيد من هذه القصة الفريدة في باب الفوائد .

٢ - الإيجاز :

في قوله « فبشرناه بغلام حليم » إيجاز قصر وقد تقدم تعريفه ، فقد اظنوت هذه البشارة الموجزة على ثلاث : أن الولد ذكر ، وأنه يبلغ أوان الحلم ، وأنه يكون حليماً ، وأي حلم أدل على ذلك من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فلم يضطرب ولم يتخاذل ولم يعترض على مشيئة أبيه بل قال : « ستجدني إن شاء الله من الصابرين » ثم استسلم لذلك ولم يكن ليدور له في خلد أن الله سيفديه وسيهيء له كبش الفداء .

الفوائد :

١ - من هو الذبيح ؟

اختلف المفسرون في المأمور بذبحه فعن ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين أنه اسماعيل وحجتهم فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا ابن الذبيحين » وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال : إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر الله لئن سهل الله له أمرها ليزبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له : أفديناك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل

والثاني إسماعيل ، واحتجوا أيضاً بأن الله وصفه بالصبر دون إسحق في قوله تعالى : « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين » وهو صبره على الذبح ، وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وغيرهم أنه إسحق وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى ، والحجة فيه أن الله تعالى أخبر خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوهبه ولداً ثم أتبع ذلك البشارة بسلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف الذي جاء فيه : « من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله » وقال الزجاج : « الله أعلم أيهما الذبيحتين » وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى ولعل هذا أولى فإن هذه المسألة ليست من العقائد التي كلننا بمعرفتها فهي مما ينفع علمه ولا يضر جهله والله أعلم . هذا وللمفسرين والمؤرخين كلام طويل في قصة الذبح يرجع إليها في المطولات .

٢ - مناقشة بين أهل السنة والمعتزلة :

وهناك مناقشة يجدر بنا تلخيصها بين أهل السنة والمعتزلة اطرافتها ولعلاقتها الوثيقة بالإعراب ؛ فقد تساءل الزمخشري حول قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » فقال : « كيف يكون الشيء الواحد لله تعالى معمولاً لهم ، وأجاب بأن هذا كما يقال عمل النجار البلب فالمراد عمل شكله لا جوهره وكذلك الأصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى وأشكالها وصورها معمولة لهم فإن قلت : ما منعك أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة » وأجاب : بأن « أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد

بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية يأباه فإن الله تعالى احتج عليهم بأنه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد فيهما هو الذي عمل صورة المعبود « قال : ولو قلت والله خلقكم ومملككم لم يكن للكلام طباق وشيء آخر وهو أن قوله وما تعملون شرحه في قوله أتعبدون ما تنحتون ولا يقال في أن ما هذه موصولة فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب » قال : « فإن قلت اجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم وحينئذ توافق الأولى في أنها موصولة فلا يلزم مني التفرقة بينهما » وأجاب « بل الإلزام في عنقك لا يفكها إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فهي واقعة عندك على المصدر الذي هو جوهر الضم وفي ذلك فكّ للنظم وتبتر كما لو جعلتها مصدرية » .

وتعقبه ابن المنير فقال : « يتعين حملها على المصدرية وذلك أنهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر فالأنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم ففي الحقيقة أنهم عبدوا عملهم وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله مع أن المعبود كسب العابد وعمله فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه فإذا ثبت ذلك فليتبّع كلامه بالإبطال أما قوله : إنها موصولة وإن المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر فإنه مفتقر إلى حذف مضاف في موضع اليأس يكون تقديره : والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته على

أن جواهر الأصنام ليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبوداً لهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل انعايد وعلى ما قررناه يتضح ، وأما قوله ان المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح فإن لنا أن نحمل الأولى على المصدرية وانهم في الحقيقة انما عبدوا نحتهم لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة إذن حاصلة والإلزام على هذا أبلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله والله خلقكم وما تعملون : لا ولا كرامة ولا يخلق الله ما نعمل نحن لأننا علمنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله ، وكانوا يجدون الذريعة الى اقتحام الحجة » •

٣ - معنى الذهاب الى ربه :

اختلف في معنى قوله « إني ذاهب الى ربي سيهدين » والأكثر على أن هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة أي إني مهاجر من بلد قومي ومولدي الى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه سيهديني سواء السبيل وفي سين الاستقبال إيدان بأن الفعل واقع لا محالة •

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْأَكْرَبِ

الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا

الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

الاعراب :

(ولقد مننا على موسى وهارون) كلام مستأنف مسوق للشروع في القصة الثالثة ولك أن تجعل الواو عاطفة على ما سبق ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ومننا فعل وفاعل وعلى موسى وهارون متعلقان بمننا أي أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المزايا الدينية والدنيوية • (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) الواو عاطفة ونجيناهما عطف على مننا وهو فعل وفاعل ومفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية وقومهما مفعول معه أو معطوف على الضمير في نجيناهما ومن الكرب متعلقان بنجيناهما والعظيم صفة للكرب والمراد به استعباد فرعون إياهم وسومه إياهم سوء العذاب • (ونصرناهم فكانوا هم الغالين) عطف على ما تقدم وجمع الضمير لأنه عائد على موسى وهارون وقومهما ، فكانوا الفاء عاطفة وكان واسمها وهم ضمير فصل لا محل له والغالين خبر كانوا ، وأجاز بعضهم أن يكون هم تأكيداً للواو أو بدلاً منها • (وآتيناهما الكتاب المستبين) عطف على ما تقدم أيضاً والكتاب مفعول به ثان والمستبين نعت للكتاب والمراد به التوراة وما اشتملت عليه من شريعات وأحكام • (وهديناهما الصراط المستقيم) عطف على ما تقدم والصراط مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض كما تقدم والمستقيم نعت للصراط •

(وتركنا عليهما في الآخرين) تقدم إعرابها أكثر من مرة •
 (سلام على موسى وهارون) سلام مبتدأ وعلى موسى وهارون خبره
 (إنا كذلك نجزي المحسنين) ان واسمها وكذلك نعت لمصدر محذوف
 وجملة نجزي المحسنين خبر إنا وقد تقدمت لها ظائر • (إنهما من
 عبادنا المؤمنين) ان واسمها ومن عبادنا خبر والمؤمنين نعت •

الفوائد :

حقيقة القول في موسى :

الصحيح أن موسى علم أعجمي غير مشتق وقول بعضهم انه
 مشتق من أوسيت الشجر أي أخذت ما عليه من الورق ضعيف ورد
 ابن السراج هذا كله وقال : من اشتق شيئاً من لغة العجم من لغة
 العرب كان بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت ، ومع كون موسى
 أعجمياً اختلف في وزنه فقال سيبويه وزنه مفعل وهو قول أبي عمرو ،
 وقال الكسائي : وزنه فعلى واحتج لسيبويه بأن زيادة الميم أولاً أكثر
 من زيادة الألف آخرأ ورد الفارسي على الكسائي بصرفه في النكرة
 ولو كانت فعلى لكانت ألفه للتأنيث ولا يصرف نكرة أيضاً ومن جوز
 فعلل في الأبنية كما صار إليه الأخفش يجوز عنده كون ألفه للإلحاق
 فيصرف في النكرة وتقول في جمعه بالواو والنون موسون وموسين
 بفتح السين عند البصريين والكوفيين إن كان وزنه مفعلاً وتقول
 على طريقة الكسائي موسون بضم السين قبل الواو وموسين بكسر
 السين قبل الياء ، هذا كله في موسى اسم لواحد من بني آدم
 وأما الموسى التي يحلق بها الشعر فعربية ثم قيل إنها مشتقة
 من أسوت الشيء إذا أصلحته ، والأصل مؤسى بالهمزة
 فأبدلت الهمزة واواً وقيل من أوسيت حلفت وهذا أشهر ولا أصل

لواؤه على هذا في الهمزة والمشهور تأنيثها وقيل هو مذكر ووزنها على
الباعث فعلى فيمتنع الصرف سواء سميت بها أو لم تسم إلا إذا اثبت
فعلاً فيصرف في النكرة والله أعلم .

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَالَّا تُتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
﴿١٢٨﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَمٌ عَلَى إِلَ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَّبُكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

اللفظة :

(بعلاً) : بعل اسم صنم لهم من ذهب وبه سمي البلد أيضاً
مضافاً الى بك اسم البلد في الأصل ثم لما عبد فيها هذا الصنم المسمى
ببعل سميت بعلبك وفي تاج العروس : « قال الأزهري : هما اسمان
جعلتا اسماً واحداً لمدينة بالشام والنسبة اليها بعلي أو بكلي على ما ذكر
في عبد شمس » وعبارة الزمخشري : « أتدعون بعلاً وهو علم لصنم
كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله
أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم
أنبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة
والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام

وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال : من بعل هذه الدار أي من ربها ؟ » وسيأتي المزيد من هذه القصة في باب الفوائد .

(تدعون) : تنادون .

(تذكرون) : تتركون وسمعنا عن له نصاب في العربية أن كلمتي ذر ودع أمران في معنى الترك إلا أن دع أمر للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به وذر أمر له بتركه بعد ما علمه ، وروي أن بعض الأئمة سأل الإمام الرازي عن قوله تعالى : « أتدعون بعلاً وتذكرون أحسن الخالقين » لم لم يقل وتدعون أحسن الخالقين وهذا أقرب من الفصاحة للمجانسة بينهما فقال الإمام لأنهم اتخذوا الأصنام آلهة وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم ورب آبائهم الأولين استكباراً فلذلك قيل لهم : وتذكرون ولم يقل وتدعون ، هذا وقد أمت العرب ماضي دع وذر ومصدرهما ولكن روي في الحديث : « لتنتهين أقوام من ودعهم الجمعات » أي عن تركهم الجمعات . وقال في القاموس : ودعه أي اتركه أصله ودع كوضع وقد أمت ماضيه وإنما يقال في ماضيه تركه وجاء في الشعر ودعه وهو مودوع وقرىء شاذاً : « ما ودعك ربك وهي قراءته صلى الله عليه وسلم » وقال الجوهري : ولا يقال وادع وينافيه وروده في الشعر والقراءة به إلا أن يحمل قولهم وقد أمت ماضيه على قلة الاستعمال فهو شاذ استعمالاً صحيح قياساً .

(الياسين) : قال الزمخشري : « قرىء على الياسين وادريسين وادارسين وادريسين على أنها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء

والنون في السريانية معني « وقيل المراد بياسين هذا الياس المتقدم فعلى هذا هو مفرد مجرور بالفتحة لأنه غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم للمهلب المهلبون فعلى هذا هو مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم .

الاعراب :

(وإن الياس لمن المرسلين) عطف أو استئناف لذكر القصة الرابعة ، وإن واسمها والياس علم أعجمي وستأتي ترجمته في باب الفوائد واللام المزحلقة والمرسلين خبر . (إذ قال لقومه ألا تتقون) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر ، واختار بعضهم تعليقه بالمرسلين وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف إليها ولقومه جار ومجرور متعلقان بقال والهمزة للاستفهام ولا نافية وتتقون فعل مضارع مرفوع وفاعل والجملة مقول القول . (أتدعون بعلاء وتذرُونَ أحسن الخالقين) الهمزة للاستفهام الانكاري وتدعون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وبعلاء مفعول به والواو عاطفة وتذرُونَ عطف على تدعون ويجوز أن تكون حالة والجملة في محل نصب على الحال وأحسن الخالقين مفعول به .

(الله ربكم ورب آبائكم الأولين) لفظ الجلالة بدل من أحسن الخالقين فهو منصوب وربكم بدل من الله ورب آبائكم الأولين عطف فالكلمات الثلاث منصوبة وقرئ بالرفع على أنها أخبار لمبتدأ محذوف أي هو أو الله مبتدأ وربكم خبره ورب آبائكم الأولين عطف على ربكم . (فكذبوه فإنهم لمحضرون) الفاء عاطفة وكذبوه فعل وفاعل ومفعول

به والفاء في فإنهم الفصيحة وان واسمها واللام المزحلقة ومحضرون
 خبر إن • (إلا عباد الله المخلصين) إلا أداة استثناء وعباد الله استثناء
 متصل من فاعل فكذبوه والمخلصين نعت لعباد الله • (وتركنا عليه في
 الآخرين) تقدم إعرابها قريباً فجدد به عهداً • (سلام على إلياسين) تقدم
 إعرابها • (إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) تقدم
 إعرابها أيضاً •

الفوائد :

في قصة الياس النبي طرافة ومتمعة وتصوير فني ليكون وسيلة
 للتأثير الوجداني فهي تخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية لأن
 القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة أدائه وعرضه
 وسرد حوادثه ، وقبل أن نبدأ بتلخيص القصة كما روتها السير نبدأ
 بذكر لمحة عن الياس النبي فقد ذكر أهل التفسير أنه نبي من أنبياء بني
 إسرائيل قال محمد بن اسحق : « هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن
 العيزار بن هارون بن عمران والله أعلم » وجاء في المنجد للأدب والعلوم
 أنه إيليا النبي من أنبياء بني إسرائيل حارب العبادات الوثنية التي
 أدخلتها في إسرائيل ايزابيل زوجة آحاب فنفى الى صرفت حيث رد الى
 الحياة ابن امرأة أرملة وبإذن الله أهطل المطر على الأرض بعد انقطاعه
 عنها ثلاث سنوات قرب جبل الكرمل وخذل كهنة بعل وعشروت وأمر
 بقتلهم فلحقته ايزابيل بوابل غضبها فهرب الى صحراء سيناء ثم عاد فتنبأ
 لآحاب باتتقام الله عليه لأنه اغتال نابوت وأخذ كرمه رفع الى السماء على
 مركبة نارية خلفه بالنبوة تلميذه اليسع •

وفيما يلي ما ذكره محمد بن اسحق وعلماء السير والأخبار ملخصاً :

لما قبض الله حزقيال النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر
فيهم الفساد ونصبوا الأصنام فبعث الله إليهم الياس نبياً وكان يوشع
لما فتح الشام قسمها على بني إسرائيل وإن سبطاً منهم حصل في قسمته
بعلبك ونواحيها وعليهم ملك يومئذ اسمه ارحب وكان قد أضل
قومه وكان له صنم من ذهب اسمه بعل فغضب الملك على الياس وهم
بتعذيبه وقتله فلما أحس الياس بالشر خرج هارباً ولاد بشواهد الجبال
وصعيد المغاور وظل سبع سنين هائماً يفتش الأرض ويتوسد الحجارة
ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وكانوا قد وضعوا عليه العيون
فلما طال عليه الأمر وضاق ذرعاً دعا ربه فقيل اظر يوم كذا وكذا
فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركه فخرج الياس ومعه
اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به إذ أقبل فرس من فار فوثب
عليه فانطلق به الفرس فناده يا الياس ما تأمرني ؟ فقذف إليه الياس
بكسائه من الجو فكان ذلك علامة استخلافه إلى آخر تلك القصة
البديعة التي تصور الجهاد في سبيل العقيدة والثبات على المبدأ .

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَكْرُ لَتَمُرُونَ
عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

الاعراب :

(وإن لوطاً لمن المرسلين) وهذه هي القصة الخامسة ، والواو
استئنافية أو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة ومن المرسلين خبرها .

(إذ نجيناه وأهله أجمعين) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة نجيناه من الفعل والفاعل والمفعول في محل جر بإضافة الظرف اليها وأهله مفعول معه أو عطف على الهاء وأجمعين تأكيد .
(إلا عجوزاً في الغابرين) إلا أداة استثناء وعجوزاً مستثنى وفي الغابرين صفة . (ثم دمرنا الآخرين) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ودمرنا الآخرين فعل ماض وفاعل ومفعول به وهم كفار قومه .

(وإنكم لتمرون عليهم مصبحين) الواو عاطفة أو حالية وإن واسمها واللام المزحلقة وتمرون فعل مضارع وفاعل وعليهم متعلقان بتمرون ومصبحين حال وهي تامة . (وبالليل أفلا تعقلون) الواو عاطفة وبالليل عطف على مصبحين فهو حال أخرى والحال هنا محمول على المكان والباء للملابسة والهمزة داخلة على مقدر عطف عليه قوله فلا تعقلون والتقدير تشاهدون ذلك فلا تعقلون أي تعتبرون به .

وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٩﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٠﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٢﴾
فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٣٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٣٤﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٣٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ
﴿١٣٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٣٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ
﴿١٣٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ

إِنشَأَوْهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾

اللفة :

(أبق) : هرب من قومه بغير إذن ربه وهو للعبد خاصة إذ يهرب من سيده ولكن أطلق على يونس على طريق الاستعارة التصريحية التبعية أو على طريق المجاز المرسل والعلاقة هي استعمال المقيد في المطلق وفي المصباح : « أبق العبد أبقاً من بابي تعب وقتل في لفة والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كد والإباق بالكسر اسم منه فهو آبق والجمع أبتاق مثل كافر وكفار » .

(المدحضين) : المغلوتين بالقرعة ، وسأهم أي قارع وغالب أهل السفينة بالقرعة ، وستأتي قصة يونس مختصرة في باب الفوائد .

(ملیم) : داخل في الملامة يقال : ألام فلان إذا فعل ما يلام عليه وفي المصباح : « لامه لوماً من باب قال : عذله فهو ملوم على النقص والفاعل لائم والجمع لوم مثل راكم وركع وألامه بالألف لغة فهو ملام والفاعل ملیم والاسم الملامة والجمع ملاوم واللائمة مثل الملامة وألام الرجل إذا فعل ما يستحق عليه اللوم وتلوم تلوماً : تمكث .

(العراء) : المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو مشتق من العري وهو عدم السترة شبهت الأرض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء العرا بالقصر الناحية ومنه اعتراه أي قصد عراه وعبرة القاموس : « العراء الفضاء لا يستتر فيه شيء وجمعه اعراء وأعري سار فيه وأقام » .

(يقطين) : قال في القاموس : « مالا ساق له من النبات ونحوه وبهاء : القرعة الرطبة » وعبرة الزمخشري : « واليقطين كل ما ينسحق على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعل من قطن بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء » وإنما خص القرع لأنه يجمع بين برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وإن الذباب لا يقربه .

الاعراب :

(وإن يونس لمن المرسلين) استئناف أو عطف مسوق لسرد القصة السادسة وهي قصة يونس عليه السلام وسأتي خلاصة وافية عنها في باب الفوائد ، وإن واسمها واللام المرحقة ومن المرسلين خبر إن . (إذ أبق إلى الفلك المشحون) إذ ظرف للمرسلين أي هو من المرسلين حتى في هذه الحالة وجملة أبق في محل جر بإضافة الظرف إليها وإلى الفلك جار ومجرور متعلقان بأبق والمشحون نعت . (فساهم فكان من المدحضين) الفاء عاطفة وساهم فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو فكان عطف على فساهم واسمها مستتر تقديره هو ومن المدحضين خبر كان . (فالتقمه الحوت وهو مليم) الفاء عاطفة على محذوف يدرك من سياق الكلام أي فالتقمه في البحر فالتقمه

الحوث ، وقيل فألقى نفسه في الماء • والتقمه فعل ومفعول به مقدم والحوث مبتدأ مؤخر والواو للحال وهو مبتدأ ومليم خبر والجملة في محل نصب على الحال والمعنى أنه أتى ما يستحق عليه اللوم •

(فلولا أنه كان من المسبحين) الفاء عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وان وما في حيزها مبتدأ خبره محذوف وجوباً وأن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو ومن المسبحين خبرها • (اللبث في بطنه إلى يوم يبعثون) اللام واقعة في جواب لولا ولبث فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وفي بطنه متعلقان بلبث أو بمحذوف حال أي مستقر وإلى يوم متعلقان بلبث وجملة يبعثون مضاف إليها الظرف ويبعثون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) الفاء عاطفة على محذوف أي أمرنا الحوت بنبذه فنبذناه ، ونبذناه فعل وفاعل ومفعول به وبالعراء متعلقان بنبذناه والواو حالية وهو مبتدأ وسقيم خبر أي معتل مما حل به • (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) وأنبتنا عطف على فنبذناه وعليه متعلقان بأنبتنا وشجرة مفعول به ومن يقطين نعت لشجرة • (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) الواو حرف عطف وأرسلناه فعل وفاعل ومفعول به وإلى مائة ألف متعلقان بأرسلناه وأو حرف عطف ويزيدون فعل مضارع مرفوع وسيأتي القول مفصلاً في «أو» في باب الفوائد • (فآمنوا فستعناهم إلى حين) الفاء عاطفة وآمنوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل والفاء عاطفة ومتعناهم فعل وفاعل ومفعول به وإلى حين متعلقان بمتعناهم •

(فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون) الفاء حرف عطف عطفت هذه الجملة على قوله فاستفتهم وان بعد المدى قال البيضاوي : «فاستفتهم : معطوف على مثله في أول السورة فأمر أولاً باستفتائهم

عن وجه انكار البعث وساق الكلام في تقديره جاراً لما يلائمه من القصص موصولاً بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله « وقد تقدم أن الفاء الأولى هي الفصيحة لأنها واقعة في جواب شرط مقدر وقد ثار نقاش حول هذا العطف البعيد سنفصل فيه القول في باب الفوائد • واستفتهم فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والهمزة للاستفهام الإنكاري وسيأتي معناه في باب البلاغة ولربك خبر مقدم والبنات مبتدأ مؤخر والواو حرف عطف ولهم خبر مقدم والبنون مبتدأ مؤخر • (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) أم حرف عطف معادلة للهمزة كأن المستفهم يدعي ثبوت أحد الأمرين ويطلب تعيينه منهم قائلًا : أي هذين الأمرين تدعونه • وخلقنا فعل وفاعل والملائكة مفعول به وإناثاً حال والواو للحال وهم مبتدأ وشاهدون خبر والجملة نصب على الحال •

(ألا إنهم من إفكهم ليقولون) كلام مستأنف مسوق لإبطال مذهبهم الفاسد ببيان أنه إفك صريح لا دليل يدعمه وألا أداة تنبيه وان واسمها ومن إفكهم متعلقان يقولون واللام المزحلقة وجملة يقولون خبر إنهم • (ولد الله وإنهم لكاذبون) ولد الله فعل وفاعل والجملة مقول قولهم والواو للحال وان واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبرها • (أصطفى البنات على البنين) الهمزة المفتوحة للاستفهام الإنكاري استغنى بها عن همزة الوصل في التوصل للنطق بالساكن ، واصطفى فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله والبنات مفعول به وعلى البنين متعلقان باصطفى بعد تضمينه معنى أفضل • (ما لكم كيف تحكمون) ما اسم استفهام ولكم خبر أي ما ثبت

واستقر لكم على جهة الانكار والجملة مستأنفة وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال أو المفعولية المطلقة وتحكمون فعل مضارع وفاعل والجملة مستأنفة أيضاً فليس لإحدى الجملتين تعلق بالأخرى • (أفلا تذكرون) الهزة للاستفهام الانكاري أيضاً والفاء عاطفة على محذوف مفهوم من السياق أي أعميتم عن الحقائق وضللتهم عن الشواهد ، ولا نافية وتذكرون فعل مضارع مرفوع وفاعل وأصله تتذكرون ومفعول تذكرون محذوف تقديره أنه منزه عن الولد •

(أم لكم سلطان مبين) أم حرف عطف بمعنى بل فهو للاضراب الاتقالي ولكم خبر مقدم وسلطان مبتدأ مؤخر ومبين نعت لسلطان •

البلاغة :

في هذه الآيات يبدو الأسلوب المكبي واضح الدلالة ، ظاهر المفهوم ، مرهف العاطفة فقد تكرر فيه الاستفهام الانكاري ، ناعياً عليهم جهلهم المفرط في الغباء ، القائم على ثلاث جهالات : أولها التجسيم لأن الولادة من خصائص الأجسام وثانيها تفضيل أنفسهم على ربهم حيث جعلوا أوضاع الجنسين في اصطلاحهم ومفهومهم له وأرفعهما لهم وتلك جهالة ما بعدها جهالة وثالثها أنهم استهانوا بأكرم خلق الله وأقربهم إليه حيث أثوهم وقد كانوا يتعايرون بوصف الأنوثة ويعتبرونه من دلائل المهانة وسمات الخسة •

الفوائد :

١ - اختلف في «أو» هذه اختلافاً كثيراً فقال الفراء : معناها بل يزيدون فتكون عنده للإضراب ويكون الإخبار الأول بحسب ما يظهر

للناس إذا رأوهم والثاني اضراب لما في الواقع وتفس الأمر فالمعنى أرسلناه الى جماعة يحزروهم الناس مائة ألف وهم أزيد من ذلك وفيه نكتة جلية وهي الانتقال من الأدنى الى الأعلى لما له من الوقع في النفس ولفت النظر إليه بخلاف ما إذا أخبر بالأعلى من أول الأمر ، وقال بعض الكوفيين هي بمعنى الواو ، أما البصريون فلم فيها أقوال :

١ - قيل هي للإبهام .

٢ - وقيل هي للتخيير أي إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول هم مائة ألف أو يقول هم أكثر ، قال ابن هشام : نقل ابن الشجري هذا القول عن سيبويه وفي ثبوته عنه نظر ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع أحدهما .

٣ - وقيل هي للشك مصروفا الى الرائي .

٤ - وقيل إنها للإباحة أي لك أن تحزروهم وتقدر عددهم كيف تشاء .

٥ - وقيل هي للشك بمعنى أن أصدق الحادسين يشك في عددهم .

وأحسن ما قرأناه قول الزمخشري: في مرآى الناظر أي إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة .

٢ - العطف البعيد :

قوله «فاستفتهم» الآية معطوف على ما قبله وهو قوله «فاستفتهم أهم أشد خلقاً» وقد منع النحاة الفصل بجملة فما بالك بجملة بل بسورة ،

ولكن ما استقبحه النحاسة وارد في عطف المفردات وأما الجمل
فلاستقلالها يغتفر فيها وهذا الكلام لتلاحمه وتعانقه صار بمثابة الجملة
الواحدة فاتتفى عنه البعد .

٣ - خلاصة قصة يونس :

غاضب ذو النون قومه لما لم ينزل بساحتهم العذاب الذي وعدهم
به فذهب مغاضباً وكان من حقه أن لا يذهب فقد كان ضيق العطن
قليل الذرع ولما ركب السفينة وقعت في لجج البحر فقال ملاحوها هنا
عبد أبق من سيده تظهره القرعة وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان منها
أبق أو مذنب لم تسر وكان ذلك بدجلة لأنه أرسل الى أهل نينوى من
أرض الموصل فلما ساهم أي قارع أهل السفينة كان من المغلوبيين بالقرعة
فألقوه في البحر فابتلعه الحوت إلى آخر تلك القصة البديعة .

فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا
وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنُ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
بِفِتْنَيْنٍ ۖ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٢﴾ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٣﴾

اللفظة :

(الجنة) : بكسر الجيم الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن
الأبصار وفي الأساس : « جنة : ستره فاجتن » واستجن بجنة : استتر

بها واجتن الولد في البطن وأجنّته الحامل ، وحبذا مجن ابن أبي ربيعة » •

الاعراب :

(فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين) الفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبكتابكم متعلقان به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله • (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للانصاء عليهم باللائمة واستركاك عقولهم ، بأن من نسبوهم إلى الله تعالى يعلمون مصائرهم المحزنة • وجعلوا فعل وفاعل والظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجعلوا وبين الجنة عطف ونسباً مفعول جعلوا الأول فهي حكاية يجب أن تذيع وتشيع لتكون شاهد على حقيقة خيالهم • (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) الواو حالية واللام جواب للقسم المحذوف وقد خرف تحقيق وعلمت الجنة فعل وفاعل وإن واسمها واللام المزحلقة ومحضرون خبرها وإن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علمت وإنما كسرت همزتها لدخول اللام في خبرها والضمير في أنهم لمحضرون للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة والحال أن الملائكة عالمون أنهم في ذلك القول الهراء كاذبون •

(سبحان الله عما يصفون) سبحان الله مفعول مطلق لفعل محذوف وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون صلة والعائد محذوف والجملة معترضة وهي مسوقة لحكاية تنزيه الملائكة الله سبحانه عما

وصفه به المشركون . (إلا عباد الله المخلصين) إلا أداة استثناء وعباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين كأنهم ليسوا منهم والمستثنى منه إما فاعل جعلوا وإما فاعل يصفون وإما ضمير محضرون أي لكن عباد الله المخلصين ناجون ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً واختاره أبو البقاء وليس يبعد . (فإنكم وما تعبدون ، ما أقم عليه بفاتنين) الفاء تعليلية وان واسمها والواو واو المعية وما موصول مفعول معه وقد سدت مسد خبر إن أي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها على حد قولك كل رجل وصنيعته أي مقترنان ، وسيأتي تفصيل هذه القاعدة في باب الفوائد . وما فافية حجازية وأقم اسمها وعليه متعلقان بفاتنين والباء حرف جر زائد وفاتنين خبر ما ويجوز أن تكون ما معطوفة على اسم ان وجملة ما أقم خبر إن والمعنى على هذا انكم ومعبودكم ما أقم ولا هو فغلب المخاطب ، يقال فتن فلان على فلان امرأته أي أفسدها عليه ورجح الزمخشري والبيضاوي هذا الوجه .

(إلا من هو صال الجحيم) إلا أداة حصر ومن مفعول فاتنين والاستثناء مفرغ ويجوز أن تقدر مفعولاً لفاتنين أي أحد فتكون إلا أداة استثناء ومن مستثنى من المفعول المحذوف وهو مبتدأ وصال خبر مرفوع بالضممة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين والجحيم مضاف إليه وقد أفرد حملاً على لفظ من كما أفرد هو والجملة صلة الموصول . (وما منّا إلا له مقام معلوم) الواو استئنافية وما فافية وما خبر مقدم والمبتدأ محذوف أقيمت صفته مقامه والتقدير

وما منا أحد إلا له مقام معلوم كقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أي أنا ابن رجل جلا الأمور • ويجوز أن تكون منا صفة
محذوف هو المبتدأ والخبر جملة إلا له مقام معلوم وإلا أداة حصر وله
خبر مقدم ومقام مبتدأ مؤخر ومعلوم صفة وعبارة القرطبي : « وأنزل
الله تعالى حكاية عن قول الملائكة : وما منا إلا له مقام معلوم والتقدير
عند الكوفيين وما منا إلا من له مقام معلوم فحذف الموصول وهو من
وتقديره عند البصريين ، وما منا ملك إلا له مقام معلوم أي مكان
معلوم في العبادة » •

الفوائد :

يجب حذف الخبر إذا كان المبتدأ معطوفاً عليه اسم بواو هي
نص في المعية نحو كل رجل وضيعته أي حرفته سميت بذلك لأن
صاحبها يضيع فيها وكل صانع وما صنع فكل مبتدأ وصانع مضاف
إليه وما صنع معطوف على المبتدأ والخبر محذوف وجوباً أي مقترنان
وإنما حذف للدلالة الواو وما بعدها على المصاحبة والاقتران ، أما إذا
لم يكن هناك نص على المعية فيجوز حذفه ويجوز ذكره ومن الثاني
قول الفرزدق :

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى

وكل امرئ والموت يلتقيان

فأثر ذكر الخبر وهو جملة يلتقيان • ويشعب : يفرق •

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ
كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ
اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا
لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾

الاعراب :

(وإنا نحن الصافون) الواو عاطفة وان واسمها واللام المرحلة
ونحن مبتدأ أو ضمير فصل والصابون خبر نحن والجملة الاسمية
خبر إنا أو الصافون خبر انا أي تقف صفاً واحداً في الصلاة أو في
ساحة الجهاد ومفعول الصافون محذوف أي نصف أقدامنا .
(وإنا نحن المسبحون) عطف على الآية السابقة . (وإن كانوا
ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين) الواو عاطفة وإن مخففة من
الثقيلة مهيأة ، أو اسمها ضمير الشأن وجملة كانوا خبرها إن أعملت ،
وكان واسمها واللام الفارقة وجملة يقولون خبر كان وجملة لو وما في
حيزها مقول قولهم ولو شرطية وإن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف
أي ثبت وإن حرف مشبه بالفعل والظرف متعلق بمحذوف خبر أن
المقدم وذكر اسمها المؤخر ومن الأولين نعت لذكراً . (لكننا عباد الله
المخلصين) اللام واقعة في جواب لو وكان واسمها وعباد الله خبرها
والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والمخلصين نعت لعباد

الله • (فكفروا به فسوف يعلمون) الفاء الفصيحة وكفروا فعل ماض وفاعل والفاء عاطفة وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع مرفوع وفاعل •

(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) كلام مستأنف مسوق لتقرير الوعيد وتصويره بالقسم لتأكيد العناية به واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وسبقت كلمتنا فعل وفاعل ولعبادنا متعلقان بسبقت والمرسلين نعت لعبادنا • (انهم لهم المنصورون) إن واسمها واللام المرحلة وهم مبتدأ أو ضمير فصل والمنصورون خبر هم والجملة خبر إنهم أو خبر إنهم وضمير الفصل لا محل له • (وإن جندنا لهم الغالبون) عطف على نظيرتها الآتية الذكر •

الفوائد :

عودة الى ضمير الفصل :

تقدم في هذا الكتاب بحث ضمير الفصل ونضيف هنا الى ما تقدم ان تسميته ضميراً مجازاً لمشابهة صورته ، وقد اتفق جمهور البصريين على انه ملغى لا محل له لكنهم اختلفوا مع ذلك في كونه اسماً أو حرفاً فقال جمهورهم هو اسم ألغى كما ألغيت أسماء الأفعال وأل الموصولة ، وقال بعضهم هو حرف وذلك لا يستنكارهم اخلو الاسم عن الإعراب لفظاً ومحلاً ولأن الغرض به لافع التباس الخبر الذي بعده بالوصف وهذا هو معنى الحرف يعني إفادة المعنى في غيره فلذا صار حرفاً وانخلع عنه لباس الاسمية فظير كاف الخطاب فإنه لما تجرد عن معنى الاسمية ودخل في معنى الحرف وهو إفادته في غيره

وقيل له محل من الإعراب وهو مذهب الكوفيين ويقولون هو تأكيد لما قبله فإن ضمير الرفع قد يؤكد به المنصوب والمجرور نحو ضربتك أفت ومررت بك أفت .

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾
 أَفَبِعَدَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ
 الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ
 ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
 ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

اللفظة :

(بساحتهم) : بفنائهم ، قال الفراء : العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ، وأصل الساحة الفناء الخالي من الأبنية وجمعها سوح فألفها منقلبة عن واو فتصغر سويحة والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها . وقال الراغب : إنها من ذوات الياء حيث عدها في مادة سيح ثم قال الراغب : « الساحة المكان الواسع ومنه ساحة الدار والسائح الماء الجاري في الساحة وساح فلان في الأرض مرمر السائح ورجل سائح وسياح » وعلى هذا يكون لها مادتان ولكن كلام الراغب فيه قصور . وفي الأساس ذكرها في مادة سوح ونص عبارته : « عمر

الله تعالى بك ساحتك ، وتقول احمر اللشوح ، واغبرت السوح إذا وقع الجذب وقال أبو ذؤيب :

وكان سيان أن لا يسرحوا نعما

أو يسرحوه بها واغبرت السوح

ولم يذكر في الأساس الساحة في مادة سيح فهما مادتان • وفي القاموس أورد الساحة من بنات الواو فقال : « الساحة الناحية وفضاء بين دور الحي والجمع ساح " وسثوح " وساحات » ولم يذكرها في مادة ساح يسيح سيحاً وسيحاً الخ •

الاعراب :

(فتول عنهم حتى حين) الفاء الفصيحة أي إن تبينت حقيقة أمرهم فتول عنهم وتول فعل أمر مبني على حذف حرف العلة أي أعرض عنهم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت وعنهم متعلقان بتول وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بتول • (وأبصرهم فسوف يبصرون) الواو عاطفة وأبصرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به أي إذا نزل بساحتهم العذاب والفاء رابطة لجواب الطلب وسوف حرف استقبال ويبصرون فعل مضارع وفاعل والمفعول به محذوف أي ما يحقق بهم جزاء كفرهم • (أفبعذابنا يستعجلون) الهمزة للاستفهام ومعنى الاستفهام هنا التهديد والوعيد والفاء عاطفة على محذوف يقدر بحسب المقام وبعذابنا متعلقان يستعجلون ويستعجلون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل •

(فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ونزل فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو أي العذاب وبساحتهم متعلقان بنزل والفاء رابطة لجواب إذا وساء فعل جامد لإنشاء الذم وصباح المنذرين فاعل والمخصوص بالذم محذوف تقديره صباحهم وقيل إن ضمير ساء يعود على المخصوص وإن التمييز محذوف وإن المذكور مخصص لا فاعل وسيأتي المزيد من هذا البحث .

(وتول عنهم حتى حين) عطف على ما تقدم وقد سبق اعراب هذه الآية المكررة . (وأبصر فسوف يبصرون) تقدم اعرابها وحذف مفعول أبصر اختصاراً للدلالة الأول عليه . (سبحان رب العزة عما يصفون) سبحان ربك مفعول مطلق لفعل محذوف ورب العزة بدل وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون صلة ما . (وسلام على المرسلين) سلام مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء وعلى المرسلين خبر . (والحمد لله رب العالمين) الحمد مبتدأ والله خبر ورب العالمين بدل أو صفة .

البلاغة :

في قوله « فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » استعارة تمثيلية فقد شبه العذاب النازل بهم بعد ما أنذروا به فلم يبالوا بالإنذار ، وأصموا آذانهم عنه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصائحهم فلم يكثرثوا لإنذاره ولم يتخذوا الأهبة والاحتياط وما عسى أن ينجيهم من هول الكارثة ويمكنهم من تهادي ويلاتها الطارئة وإنما

خصص الصباح لأنه كان من عادة مساعيرهم وكماتهم الإغارة فسميت الغارة صباحاً لأنها تقع فيه عادة ولهذا استفصح العرب هذه الآية .

الفوائد :

كل فعل ثلاثي متصرف تام مثبت قابل للتفاوت مبني للمعلوم وليس الوصف منه على وزن أفعل فعلاء صالح للتعجب منه فإنه يجوز استعماله على فعّل بضم العين إما بالأصالة كظرف وشرف أو بالتحويل بأن يكون في الأصل مفتوح العين كضرب وقتل أو مكسورها كعلم وفهم بضم العين فيهن وإنما حوت لتلحق بأفعال الغرائز ولتصير قاصرة وجامدة ثم يجري حينئذ مجرى نعم وبئس في إفادة المدح والذم وفي حكم الفاعل وحكم المخصوص تقول في المدح فهم الرجل زيد وفهم رجلاً زيد وفي الذم خبث الرجل عمرو وخبث رجلاً عمرو ومن أمثلته ساء فإنه في الأصل سواً بالفتح من السوء ضد السرور من ساءه الأمر يسوءه إذا أحزقه فهو متعد متصرف فحول إلى فعل بالضم فصار قاصراً ثم ضمن معنى بئس فصار جامداً قاصراً محكوماً لفاعله بما يحكم لفاعل بئس تقول ساء الرجل زيد وفي التنزيل « وساءت مرتفقاً » ومما يحتمل الفاعلية والتميز « ساء ما يحكمون » وقد تقدم بحثه .

سُورَةُ ص
مَكِّيَّةٌ وَأَنْبِئَانَهَا بَشَائِرٌ وَنَذَائِرٌ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ بِمَنَاصِفِهِمْ وَتَعْجِبُوا
أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴿٣﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ
الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾

الاعراب :

(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ص تقدم القول فيها مفصلاً
وسيرد مزيداً منه في باب الفوائد • والواو حرف قسم وَالْقُرْآنِ
مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف
وجواب القسم محذوف على الأرجح تقديره إنه لمعجز أو لقد جاءكم
الحق وسيرد المزيد من إعراب هذه الآية وما قيل فيها وذي الذِّكْرِ نعت
للقُرْآنِ ومعنى الذِّكْرِ البيان أو الشرف أو الموعظة والذكرى وكلها
صحيح • (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) بل حرف عطف واضراب

انتقالي والذين مبتدأ وكفروا صلتهم وفي عزة خبره وشقاق عطف على عزة أي تكبر وتجبر وشقاق أي امتناع عن قبول الحق • (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص) كم خبرية في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا وأهلكنا فعل وفاعل ومن قبلهم متعلقان بأهلكنا ومن قرن تمييز كم الخبرية والمراد بالقرن الأمة ، فنادوا الفاء عاطفة ونادوا فعل ماض والواو فاعل والواو حالية ولات حرف مشبه بليس وسيأتي القول عنها وعن التاء المتصلة بها مفصلاً في باب الفوائد واسمها محذوف تقديره الحين وحين مناص خبرها أي نجاة •

(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) الواو عاطفة وعجبوا فعل ماض والواو فاعل وأن مصدرية وهي مع ما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي عجبوا من مجيء منذر ومنذر فاعل مؤخر ومنهم نعت لمنذر والواو حرف عطف وقال الكافرون فعل وفاعل وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة تسجيلاً للكفر عليهم وامعاناً في الغضب عليهم وإشعاراً بأن كفرهم حداهم إلى هذا القول وهذا مبتدأ وساحر خبر وكذاب خبر ثان أو نعت لساحر • (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) الهمزة للاستفهام التعجبي أي تعجبوا من هذا الحصر لأنهم قاسوا الغائب على الشاهد جهلاً منهم وارتطاماً بسوء الغفلة وجعل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والآلهة مفعول به أول وإلهاً مفعول به ثان وواحداً صفة وإن واسمها واللام المزحلقة وشيء خبرها وعجاب صفة لشيء • قال الجوهرى : العجيب الأمر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه •

الفوائد :

١ - جواب القسم المحذوف وتقديره :

تقدم القول مفصلاً في فواتح السور ورجحنا أنها خبر لمبتدأ محذوف أي هذه صاد . وأما جواب القسم فقد اختلفوا فيه كثيراً وأصح ما رأيناه هو أنه محذوف وقد اقتصر عليه الزمخشري والبيضاوي ، قال الحوفي تقديره : لقد جاءكم الحق وقال ابن عطية تقديره : ما الأمر كما تزعمون وقال الزمخشري تقديره : إنه لمعجز .

٢ - القول في لات :

لات : هي إحدى الحروف العاملة عمل ليس وهي ما ولا ولات وإن لشبهها بها في النفي ، وأما لات فأصلها لا النافية ثم زيدت عليها التاء لتأنيث اللفظ أو للمبالغة في معناه وخصت بنفي الأحيان ، وزيادة التاء هنا أحسن منها في ثمت وريت لأن لا محمولة على ليس وليس تتصل بها التاء ومن ثم لم تتصل بلا المحمولة على إن وهي كلمتان عند الجمهور : لا النافية وتاء التأنيث وحركت الالتقاء الساكنين ، وقال أبو عبيدة وابن الطراوة كلمة وبعض كلمة وذلك أنها لا النافية والتاء الزائدة في أول الحين وقيل كلمة واحدة وهي فعل ماضٍ وعلى هذا هل هي ماضي يليت بمعنى ينقص استعملت للنفي أو هي ليس بكسر الياء قلبت الياء ألفاً لتحركها واقتراح ما قبلها وأبدلت السين تاء قولاً حكاهما في المغني وعملها اجماع من العرب ، وله شرطان : كون معموليها اسمي زمان وحذف أحدهما والغالب في المحذوف هو الاسم نحو ولات حين مناص أي ليس الحين حين فرار ، ومن القليل قراءة

بعضهم برفع الحين على أنه اسمها وخبرها محذوف أي ليس حين فرار
حيناً لهم وقرىء أيضاً ولات حين مناص بخفض حين فزعم الفراء أن
لات تستعمل حرفاً جاراً لاسم الزمان خاصة كما أن مذ ومند كذلك .
وقد جرى المتنبي على هذا القول بقوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر

فالآن اقسم حتى لات مقتحم

قال أبو البقاء : والجر به شاذ وقد جر به العرب وأنشدوا :

طلبوا صلحنا ولات أوان

فأجينا أن لات حين بقاء

وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ

﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا

عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

الاعراب :

(وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) الواو عاطفة على محذوف سيأتي تقديره في باب الفوائد ويجوز أن تكون استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتقرير تأمرهم بعد انصرافهم من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب . وانطلق الملائمة فعل وفاعل ومنهم حال وأن مصدرية وهي مع ما بعدها في تأويل مصدر مقول قول محذوف أي انطلقوا بقولهم أن امشوا ورجح الزمخشري أن تكون مفسرة لانطلقوا لأنه متضمن معنى القول ، قال الزمخشري : « لأن المنطلقين من مجلس التقاؤل لابد لهم أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم » وعلى كل هي في موضع نصب على الحال أيضاً والمعنى انطلقوا حال كونهم قائلين بعضهم لبعض ويجوز أن تكون مصدرية منصوبة هي ومدخولها بنزع الخافض أي بأن امشوا ، واصبروا عطف على امشوا وعلى آلهتكم متعلقان باصبروا على حذف مضاف أي على عبادتها أي ليس لكم يدان في مغالبة محمد فما لكم إلا الصبر . وليس المراد بالانطلاق هنا المشي بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام ، كما أنه ليس المراد المشي المتعارف بل الاستمرار على الشيء . »

(إن هذا الشيء يراد) الجملة تعليل للأمر بالصبر وإن واسمها واللام المرحقة وشيء خبرها وجملة يراد صفة لشيء . (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) ما نافية وسمعنا فعل وفاعل وبهذا متعلقان بسمعنا والإشارة إلى التوحيد الذي يدعو إليه محمد وفي الملة حال من هذا والآخرة نعت والمراد بها ملة عيسى عليه السلام وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر واختلاق خبر هذا أي افتعال ومحض كذب . (أءنزل عليه الذكر من بيننا) الهمزة للاستفهام

الإنكاري وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل والذكر نائب فاعل ومن بيننا حال فهم أنكروا أن يتميز محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وقد كرروا هذا المعنى كثيراً فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » قالوا ذلك ورددوه مراراً تنفيساً عن الغيظ الذي تجيش به نفوسهم والموجدة التي تعتلج في ضمائرهم .

(بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب) بل اضراب اتقالي عن مقدر فكأنه قال : انكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه . وهم مبتدأ وفي شك خبر ومن ذكري نعت لشك وبل اضراب اتقالي أيضاً مسوق لبيان سبب الشك الذي ترسب في ضمائرهم وهو أنهم لما يذوقوا العذاب ولو أنهم ذاقوه وعانوا بلاءه وكابدوا هوائه لصدقوا ولما لجئوا الى مدافعة اليقين بالشك . ولما حرف نهي وجزم ويذوقوا فعل مضارع مجزوم بلما والواو فاعل وعذاب مفعول به وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمراعاة الفواصل . (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أم حرف عطف بمعنى بل فهي منقطعة وعندهم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وخزائن رحمة ربك مبتدأ مؤخر والعزيز الوهاب صفتان لربك .

(أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أم حرف عطف بمعنى بل وعبارة الزمخشري والبيضاوي متشابهة قال البيضاوي : « كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأنه ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائن رحمته فمن أين لهم أن يتصرفوا بها » ولهم خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ

مؤخر وما عطف على السموات والأرض والظرف متعلق بمحذوف صلة ما • (فليرتقوا في الأسباب) الفاء الفصيحة أي هي جواب شرط مقدر تقديره إن زعموا ذلك فليصعدوا في المعارج الموصلة الى العرش حتى يستووا عليه ، واللام لام الأمر ويرتقوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفي الأسباب متعلقان يرتقوا •

(جند" ما هنالك مهزوم من الأحزاب) اختلف العربون في إعراب هذه الآية اختلافاً كثيراً لأنها تحمل عدة وجوه نورد أهمها فيما يلي :

جند خبر لمبتدأ محذوف أي هم جند وما نكرة تامة صفة لجند على سبيل التحقير أي هم جند حقير فإن ما إذا كانت صفة تستعمل للتعظيم أو التحقير والثاني هو المراد ولك أن تعربها زائدة وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف صفة لجند ومهزوم نعت ثالث لجند أو خبر ثان للمبتدأ المحذوف ويجوز أن يكون جند مبتدأ ساغ الابتداء به لوصفه وهنالك خبره واختار هذا الوجه أبو البقاء وسنورد لك عبارته في باب الفوائد ومن الأحزاب جار ومجرور متعلقان بمهزوم •

الفوائد :

١ - الفرق بين لمّا ولم :

وثبت هنا الفرق الدقيق بين لمّا ولم وبه يتبين لماذا أوثرت لمّا في قوله « بل لمّا يذوقوا عذاب » فهما تشتركان في أمور وهي الحرفية والاختصاص بالمضارع والنفي والعزم والقلب للمضي وجواز دخول همزة الاستفهام عليهما ، وتنفرد لم عن لمّا بصاحبة أداة الشرط

فحو « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » الآن الشرط يليه مثبت لم ولا يليه مثبت لما ، وتنفرد لم عن لما أيضاً بجواز انقطاع بقي منفيها انحو « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » لأن المعنى أنه قد كان بعد ذلك شيئاً مذكوراً ، وتنفرد لما عن لم بجواز حذف مجزومها كقاربت المدينة ولما ، أي ولما أدخلها ، ولا يجوز ذلك في لم وحملوا قول إبراهيم بن علي بن محمد الهرمي على الضرورة وهو :

احفظ وديعتك التي استودعتها

يوم الأعازب إن وصلت وإن لم

أي وإن لم تصل ، وتنفرد لما عن لم أيضاً بتوقع ثبوت منفيها كقوله تعالى « بل لما يذوقوا عذاب » أي إلى الآن ما ذاقوه وسوف يذوقونه ، وفرق سبويه بينها وبين لم في هذا الصدد بأن لم بقي لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبتته قد ، ولما بقي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبتته قد ، ومن الفرق الدقيق أنه لا يجوز أن تقول الحجر لم يتكلم و يجوز أن تقول الحجر لا يتكلم لأنه ما بعد لم يفيد التوقع وذلك مستحيل •

٢ - قصة إسلام عمر :

يروى التاريخ أن هذه الآيات نزلت بعد إسلام عمر ، وإسلام عمر قصة محبوبة الحلقات فيها متعة ، وفيها طرافة ، ولكن لها روايات كثيرة وطرقاً مختلفة فجزئ منها برواية عطاء ومجاهد التي نقلها ابن اسحق عبد الله بن أبي نجيع وهي تذكر أن عمر قال : اكنتم للإسلام متباعداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أصبها وأشربها وكان

لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش ، فخرجت أريد جلسائي أولئك فلم أجد منهم أحداً فقلت لو أنني جئت فلاناً الخمار ، فجئته فلم أجد ، قلت لو أنني جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين ، فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قائم يصلي وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام واتخذ مكانه بين الركنين : الركن الأسود والركن اليماني ، فقلت حين رأيته والله لو أنني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول وقام بنفسي أنني لو دنوت منه أسمع لأروعه فجئت من قبل الحجر ، فلما سمعت القرآن رقّ قلبي فبكيت ودخلني الإسلام . ولما أسلم عمر شقّ ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريدون الذين دخلوا في الإسلام ، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ، فأحضره وقال له : يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك فقال النبي : ماذا تسألونني ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهمتنا وندعك وإلهك فقال : رأيتم إن أعطيتكم ما سألتهم أمعطي ؟ أتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم قالوا : نعم وعشر أمثالها فقال : قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وانطلق الملا منهم . وقد تيز بذلك العطف الذي أُلْمعنا إليه في أعراب وانطلق الملا منهم إلخ ...

٣ - نص عبارة أبي البقاء :

وعندناك بنقل نص عبارة أبي البقاء في إعراب قوله « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » قال : « جند مبتدأ وما زائدة

وهناك نعت ومهزوم الخبر ويجوز أن يكون هنالك نظراً لمهزوم ومن
الأحزاب يجوز أن يكون نعتاً للمجد وأن يتعلق بمهزوم وأن يكون
نعتاً لمهزوم •

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَنَمُودُ
وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ
الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا مِنْ
فَوْاقِ ﴿١٥﴾

اللفظة :

(الأوتاد) : في المصباح : « الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز
وهي الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة وأهل نجد يسكنون التاء
فيدغمون بعد القلب فيبقى ود ووتدت الوتد أتده وتدا من باب وعد
أثبتته بحائط أو بالأرض وأوتدته بالالف لغة » وفي الأساس : « ضرب
الوتد والودّ والأوتاد بالمتدة ويقال : تد وتذك وأوتده وانتصب
كأنه وتد وهو « أذل من وتد » ووتد واتد : ثابت ومن المجاز : وتد
الله الأرض بالجبال وأوتدها ووتدها والجبال أوتاد الأرض وقيل
لأعرابي : ما النطشان ؟ فقال : يوتد العطشان وروي : شيء تتد به
كلامنا » وفي القاموس : « الوتد بالفتح والتحريك وككتف مارز في
الأرض أو الحائط من خشب وما كان في العروض على ثلاثة أحرف

كعلی والهنیة الناشزة فی مقدم الأذن والجمع أوتاد ووتد واتد
تأكید وأوتاد الأرض جبالها ومن البلاد رؤساؤها ومن الفم أسنانه » .

(الأيكة) : الغیضة والأشجار الملتفة المجتمعة وقد تقدم القول
فیها مبسوطاً .

(فواق) : بفتح الفاء وضمها أي رجوع وقد قرىء بهما معاً
فقیل هما نعتان بمعنى واحد وهو الزمان الذي بین حلبتي الحالب
ورضعتي الراضع والمعنى مالها من توقف قدر فواق ناقة وفي الحديث :
« العیادة قدر فواق ناقة » وفي المختار : « الفواق الزمن الذي بین
الحلبتين لأنها تحلب ثم تترك ساعة یرضعها الفصیل لتدر ثم تحلب ،
یقال : ما أقام عنده إلا فواقاً وفي الحديث : « العیادة قدر فواق ناقة »
وقوله تعالى : من فواق یقرأ بالفتح أي مالها من نظرة وراحة وإفاقة »
وعبارة الزمخشري فی الكشف : « مالها من فواق وقرىء بالضم
مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بین حلبتي الحالب ورضعتي
الراضع یعنی إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله
تعالى : فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، وعن ابن عباس : ما لها
من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع الى الصحة وفواق الناقة
ساعة ترجع الدرّ الى ضرعها یرید أنها تهضة واحدة فحسب لا تشنی
و لا تردد » ولهذه المادة خصائص عجیبة ، أنها تتوزع على أنحاء شتى
من المعاني وها نحن أولاء نقل لك خلاصة ماورد فی اللسان والأساس
منها : « ما بقي فی کناتني إلا سهم أفقوق وهو الذي فی إحدى
زئمتیه كسر أو میل ، وفوق السهم : جعل الوتر فی قشوقه عند الرمي ،
وتقول : لا زالت للخیر موفّقاً ، وسهمك فی الكرم موفّقاً ، وفوقه :
جعل له قشوقاً ، وفاقه كسر فوقه ، وفاق قومه : فضلهم ، ورجل فائق

في العلم وهو يتفوق على قومه وفوقته عليهم : افضلته ، وأفاق فلان من المرض واستفاق وفلان مدمن لا يستفيق من الشراب ، وتفوق التفصيل أمه رضعها فتوافاً فوافاً ، وفوقه الراعي . ومن المجاز تفوقت الماء : شربته شيئاً بعد شيء ، وتفوقت مالي : أتقته على مهل ، قال :

تفوقت مالي من طريف وتالسد

تفوقي الصبياء من حلب الكرم

وتفوقت وردي : أخذته قليلاً قليلاً وأتيته فيقة الضحى وميعته ، وخرجنا بعد أفويق من الليل ، ومجت السحابة أفويقها وأرضعني أفويق بره ، وفوقني الأمانى وما أقام عنده إلا فواق ناقة وفيقة ناقة . ولعل في هذا غنية .

الاعراب :

(كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) كلام مستأنف مسوق لتقرير أحوال الطغاة وبيان مصائر العتاة . وكذبت فعل ماض وقبلهم ظرف متعلق بكذبت وقوم نوح فاعل وعاد عطف على قوم نوح وفرعون عطف أيضاً وذو الأوتاد أي ذو الملك الثابت وسيأتي ذكر استعارة الأوتاد في باب البلاغة . (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب) عطف أيضاً وأولئك الأحزاب لك أن تجعل اسم الإشارة بدلاً مما قبله والأحزاب بدل منه وإما أن تجعلها جملة مستقلة مؤلفة من مبتدأ هو اسم الإشارة والأحزاب خبره . (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) إن نافية لا عمل لها لا تقتض النفي بإلا وكل مبتدأ وإلا أداة حصر وجملة كذب الرسل خبر كل ، فحق

الفاء حرف عطف وحق فعل ماض وعقاب فاعله مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمراعاة القواصل .
 (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ماله من فواق) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتقرير عقاب كفار مكة بعد بيان عقاب من سبقوهم في الغواية . وما نافية وينظر فعل مضارع أي ينتظر وهؤلاء اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل وإلا أداة حصر وصيحة مفعول به وواحدة صفة لها وما نافية حجازية أو تيمية ولها خبر مقدم ومن حرف جر زائد وفواق اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه اسم ما أو مبتدأ مؤخر .

البلاغة :

في قوله « ذو الأوتاد » استعارة تصريحية أي ذو الملك الثابت الموطن وأصله من ثبات البيت المطب بأوتاده ، قال الرفادة الأودي :

البيت لا يبتني إلا على عمد

ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

يقول : لا ينال الأمر إلا بتوفر أسبابه ، شبه توقف الأمر على أسبابه وتوقف أسبابه على أسبابه بتوقف ضرب الخيمة على انتصاب الأعمدة وتوقف انتصابها على اثبات الأوتاد المشدودة بالحبال وبعده :

فإن تجمع أسباب وأعمدة

وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

ثم قال: فإن اجتمعت الجبال المشدودة بالأوتاد الثابتة وانتصبت الأعمدة ووجد الساكن بلغ مراده وهو بمعنى الجمع فصح جمع ضميره ومعنى كادوا عالجوا يقال كاده كيداً أي عالجه علاجاً والمعنى بلغوا الأمر الذي كادوه أي عالجوه لتحصيله . وقال الاسود ابن يعفر :

ماذا أومل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعث إِياد
جرت الرياح على مقر ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى وقساد

يقول : لا أتمنى بعدهم شيئاً من الدنيا . ومحرق هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي والإياد في الأصل تراب يجمع حول الحوض والبيت يحفظه من المطر والسيول من الأيد أي القوة أو هو ما أيد به الشيء مطلقاً والكنف والجبل الحصين وإياد الجيش جناحاه أي ميمنته وميسرته والأيتد : البقوي ، وإياد هنا علم على ابن نزار ابن معد بن عدنان فهو أخو مضر وربيعه وأراد به في البيت القبيلة وروي وآل إياد عطفاً على آل محرق وغني بالمكان كرضي : أقام به والبلى : الانمحاق ، والنفاد : الفناء ، يقول : تركوا منازلهم وهي جملة مسأفة لبيان نفي التأميل أو اعتراضية بين المتعاطفين وجملة : جرت الرياح مسأفة مسوقة لبيان حال القبيلتين يقول : تفانوا فجرت الرياح على محل ديارهم وجريان الرياح على مقر الديار لانهدام الجدران التي كانت تمنع الرياح وذلك كناية عن موتهم وأشار إلى أن فتاءهم كان سريعاً كأنه دفعة واحدة بقوله : فكأنهم كانوا على ميعاد واحد ولقد

أقاموا رحاً من الزمن بأرغد عيش وشبه الملك الذي به عزهم ووصولتهم
بخيمة مضروبة عليهم والظلل قرشيح والأوتاد تخيل وإذا فجائية أي
فظهر بغتة أن كل نعيم لا محال زائل •

هذا وقيل لا استعارة في الآية وأن فرعون كان يتد لكل من
يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه حتى يموت
والأول أولى وأبلغ •

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَى مَا
يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَجَّرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يُسَيِّجْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ وَأَوَّابٌ
﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

الفة :

(قِطَّنَا) : نصيبنا وحظنا من العذاب وأصله من قط الشيء
أي قطعه ومنه قط القلم قالوا ذلك استهزاء أي عجل لنا قطعة مما
وعدتنا به ويطلق على الصحيفة والصك قط لأنها قطعتان وقيل للجائزة
قط لأنها قطعة من العطية ويجمع على قطوط مثل حمل وحمول وعلى
قططة مثل قرد وقردة وقرود وفي القلة على أقططة مثل قدح وأقدحة
وأقداح وفي القاموس : « القط : القطع عامة أو عرضاً أو قطع شيء
صلب كاللحقة كالاقتطاط والقصير الجعد من الشعر كالقطط محرقة

وقد قطط كفرح وقد قطّ يقط كيمل قططاً محرّكة وقطاطة، والقطّاط :
الخراط صانع الحقق « إلى أن يقول : » والقط بالكسر النصيب
والصك وكتاب المحاسبة وجمعه قطوط والسنور وجمعه قطاط
وقططه والساعة من الليل « وقال أبو عبيدة والكسائي : القط : الكتاب
بالجوائز ، وقال الأعشى :

ولا الملك النعمان يوم لقيته بغيظته يعطي القطوط ويأفق

الاعراب :

(وقالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب) كلام مستأنف
مسوق لسرد أنماط من تمحلهم واستهزائهم بعد أن نزل قوله تعالى :
« فأما من أوتي كتابه يمينه » الآية وقالوا فعل وفاعل وربنا منادى
مضاف محذوف منه حرف النداء وعجل لنا فعل أمر ولنا متعلقان به
وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت وقطناً مفعول به وقبل يوم الحساب
ظرف متعلق بعجل أيضاً أو بمحذوف حال . (اصبر على ما يقولون
واذكر عبداً داود ذا الأيد إنه أواب) اصبر فعل أمر وفاعله مستتر
تقديره أنت وعلى ما يقولون متعلقان باصبر وجملة يقولون صلة والعائد
محذوف أي يقولونه واذكر عطف على اصبر أي تأس بقصة داود ومن
نفسك عن إهمال أمر مصابرتهم وتحمل أذاهم لئلا يستهدف لما استهدف
له وعبداً مفعول به وداود بدل وذا الأيد نعت للداود أي صاحب القوة
وقد تقدم شرح الأيد وجملة إنه أواب تعليل لكونه من أصحاب الأيد
أي راجع إلى مرضاة الله وإن واسمها وخبرها .

(إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق) إن واسمها
وجملة سخرنا الجبال من الفعل والفاعل والمفعول خبر إنا وجملة

يسبحن حالة من الجبال وسيأتي سر العدول عن مسبحات إلى يسبحن في باب البلاغة وبالعشي متعلقان بيسبحن والإشراق عطف على بالعشي أي غدوة وعشية وسيأتي حديث ابن عباس عن العشي والإشراق في باب البلاغة أيضاً • (والطيور محشورة كل له أبواب) والطيور عطف على الجبال أو مفعول به لفعل محذوف دل عليه ما قبله أي وسخرنا الطيور ومحشورة حال أي مجموعة تسبح له وكل مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم أي كل من الجبال والطيور وله جار ومجرور متعلقان بأواب وأواب خبر كل أي رجاء مبالغة آيب أي راجع له بالتسبيح • (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وشددنا ملكه فعل وفاعل ومفعول به أي قويناه بالجنود والحرس وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به أول والحكمة مفعول به ثان وفصل الخطاب عطف على الحكمة وسيأتي معنى فصل الخطاب في باب البلاغة •

البلاغة :

اُطوت في هذه الآيات فنون متعددة تبهر السامعين وإليك التفصيل •

١ - العدول عن الاسمية الى الفعلية :

في قوله « يسبحن » عدول عن الاسم الى الفعل ، والنكتة فيه الدلالة على التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكأن السامع حاضر تلك الحال يسمع تسميحها ومثله قول الأعشى :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة

إلى ضوء باليفاع تحرق

ولو قال محرقة لم يكن له ذلك الوقع •

٢ - الطباق :

وفي قوله « بالعشي والإشراق » طباق بديع بين صلاة العشاء وصلاة الضحى ، وروي عن ابن عباس انه قال : كنت أمرّ بهذه الآية : بالعشي والإشراق ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال : يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق ، وعن طاوس عن ابن عباس أيضاً : قال هل تجدون ذكر الضحى في القرآن ؟ قالوا : لا ، فقرأ : إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ، وعنه أيضاً : ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية .

٣ - معنى فصل الخطاب :

الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام المبين فصل بمعنى المفعول وأصله : انهم يقولون كلام ملتبس ، وفي كلامه لبس والملتبس المختلط الذي لا يبين لتداخله أو معاظلتة فقليل في تقيضه كلام فصل أي مفصول بعضه عن بعض وملخصه أن لا يخطئ مزان الوصل والفصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله « ويل للمصلين » إلا موصولاً بما بعده ولا « والله يعلم وأنتم » حتى يصله بقوله : « لا تعلمون » ونحو ذلك وكذلك مزان العطف وتركه والاضمار والاظهار والذكر والحذف والتكرار وغير ذلك من الفنون التي مرّ بك معظمها في هذا الكتاب ويجوز أن يكون الفصل بمعنى الفاعل أي الفاصل بين الحق والباطل وبين الصحيح والفاسد وبين السمين والغث .

* وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى
 دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمْ
 بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ
 تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾
 قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ
 لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا
 وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾

اللفظة :

(تسوَّروا المحراب) : قصدوا سوره ونزلوا من أعلاه والسور
 الحائط المرتفع والمحراب سبق تفسيره والخصم : المخاصم والمنازع وقد
 يقع للاثنتين والجمع والمؤنث فيقال هما خصم وهم خصم وهي خصم
 لأنه مصدر في أصله وقد تقدم له ظير وهو ضيف في قوله :
 « حديث ضيف ابراهيم المكرمين » •

(ولا تشطِط) ولا تجر وهو بضم التاء وسكون الشين وكسر
 الطاء الأولى من اشطط يشطط اشطاطا إذا تجاوز الحد، قال أبو عبيدة :

شططت في الحكم وأشططت فيه إذا جثرت فهو مما اتفق فيه
فعل وأفعل •

(سواء الصراط) : وسط الطريق الصواب ومحجته •

(أكفلنيها) : اجعلني كافلها والمراد ملكنيها وفي المختار : « كفل
عنه بالمال لغريمه وأكفله المال ضمنه إياه وكفله إياه بالتخفيف فكفل
هو من باب نصر ودخل وكفله إياه تكفيلًا مثله » •

(وعزني) : وغلبني في الجدال وأتى بحجاج لا أقدر على رده
وفي المختار « وعز عليه غلبه وبابه رد وفي المثل «من عزيز» أي من غلب
سلب والاسم العزة وهي القوة والعلبة وعزه في الخطاب وعازّه أي
غلبه » وقال مجنون ليلي :

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

وقبله :

كان القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح

شبه قلبه حين سمع برحيلها بحمامة أمسك الشرك جناحها في
كثرة الخفقان •

(الخلطاء) : الشركاء الذين خطبوا أموالهم الواحد خليط •

هذا وقد أوردت معاجم اللغة للخليط عدة معان منها المخالط والمشارك
والقوم الذين أمرهم واحد والزوج والجار والصاحب وخليط الرجل
مخالطه كالجليلس المجالس •

الاعراب :

(وهل أأتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) كلام مستأنف مسوق لإيراد قصة داود، وهل حرف استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما يرد بعده كما تقول لمن تخاطبه : هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع ، وأأتاك نبأ الخصم فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وإذ ظرف لمضاف محذوف أي نبأ تخاصم الخصم إذ تسوروا وعبرة الزمخشري : « فإن قلت بم انتصب إذ ؟ قلت لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف ، فلا يسوغ انتصابه بأتاك لأن إتيان النبأ رسول الله لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لأن النبأ واقع في عهد داود فلا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن فاصلاً فبقي أن يكون منصوباً بمحذوف وتقديره وهل أأتاك نبأ تحاكم الخصم إذ ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل » وجملة تسوروا مضاف إليها الظرف وتسوروا فعل ماض وفاعل والمحراب مفعول به .

(إذ دخلوا على داود ففرع منهم) إذ بدل من إذا الأولى وجملة دخلوا في محل جر بإضافة الظرف إليها وعلى داود متعلقان بدخلوا والفاء عاطفة وفرع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ومنهم متعلقان بفرع . (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال نشأ من حكاية فزعه كأنه قيل فماذا قالوا لما شاهدوا أمارات الفرع مرتسمة على وجهه فقال قالوا . ولا فاهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أفت وخصمان خبر لمبتدأ محذوف أي نحن خصمان وجملة بغى صفة لخصمان وبعضنا فاعل

وعلى بعض متعلقان يعني • (فاحكم يبتأ بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط) الفاء الفصيحة واحكم فعل أمر وفاعله مستتر وبيننا ظرف متعلق باحكم وبالحق حال أو متعلقان باحكم أيضاً ولا تشطط عطف على احكم واهد فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت وَا مفعول به والى سواء الصراط متعلقان باهدنا • (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) إن واسمها وأخي بدل من هذا أو خبر إن وله خبر مقدم وتسع مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن أو خبر ثان وتسعون عطف على تسع ونعجة تمييز ولي خبر مقدم ونعجة مبتدأ مؤخر وواحدة نعت وسياأتي حديث الكناية بالنعجة في باب البلاغة •

(فقال اكفنيها وعزني في الخطاب) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وجملة اكفنيها من الفعل والفاعل المستتر والمفعولين مقول القول وعزني عطف على فقال وفي الخطاب متعلقان بعزني • (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) اللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق وظلمك فعل وفاعل مستتر والكاف مفعول به وبسؤال جار ومجرور متعلقان بظلمك ونعجتك مضاف اليه من إضافة المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف أي بأن سألك نعجتك والى نعاجه متعلقان بمحذوف تقديره ليضمها • (وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض) الواو عاطفة ويجوز أن تكون حالية وإن واسمها ومن الخلطاء نعت لكثيراً واللام المزحقة ويبغي بعضهم فعل مضارع وفاعل وعلى بعض متعلقان يبغي • (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) إلا أداة استثناء والذين مستثنى متصل وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف على آمنوا والصالحات مفعول به والواو حالية وقليل خبر مقدم وما زائدة لتأكيد القلة وهم مبتدأ مؤخر •

(وظن داود انما فتنّاه فاستغفر ربه وخر راکعاً وأتاب) عطف على محذوف أي قال الملكان قضى الرجل على نفسه فتنبه • وظن داود فعل وفاعل وانما كافة ومكفوفة وهي مع مدخولها سدت مسد مفعولي وفتناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ، فاستغفر عطف على وظن وربّه مفعول به وخر عطف أيضاً والفاعل مستتر تقديره هو وراكعاً حال وأتاب عطف أيضاً • (فغفرنا له ذلك وان له عندنا الزلّقى وحسن مآب) عطف أيضاً وغفرنا فعل وفاعل وله متعلقان بغفرنا وذلك مفعول به أي ذلك الذنب ، وان الواو عاطفة وأن حرف مشبه بالفعل وله خبر مقدم وعندنا ظرف متعلق بمحذوف في محل نصب على الحال واللام المرحلة وزلّقى اسم إن وحسن مآب عطف على زلّقى •

البلاغة :

في قوله «إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة» الآية كناية عن المرأة فقد كانوا يكتنون عن المرأة بالنعجة والشاة في نحو قول عنترة :

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

وإنما ذكر امرأة أبيه وكان يهواها وقيل بل كانت جاريته فلذلك حرمها على نفسه وهذه الكناية تتشبه مع القول بأن القصة جارية مجرى التمثيل ، وسنورد خلاصتها مع القصة الخرافية الموضوعية تحريراً للأذهان من الأساطير التي تتنافى مع طهارة الأنبياء ونزاهتهم •

القصة كما يرويها المفسرون :

كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضاً النزول له عن امرأته

إذا أعجبه فيتزوجها ، وقد روي مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوَقَّعت عين داود على امرأة أوريا فأعجبه فسأله إيثاره بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له مع كثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها وكان الأفضل قهر الهوى ، وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب إليه أهلها فاندرج في الخاطب على خطبة أخيه .

وأما ما يذكر من أن داود تمنى منزلة آباءه فقيل له أنهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء ليصبر فقيل له أنك تبلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان في صورة حمامة ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطار فتبعها فرأى امرأة جميلة قد تقضت شعرها فكتب إلى أيوب بن حوريا صاحب بئر البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان المتقدم يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم فسلم فأمر بتقديمه مرة أخرى وقالته فقتل فلم يحزن عليه كما يحزن على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذه الرواية مما يقبح الحديث به عن متسم بصلاح من آحاد المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء .

وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال : من حدثكم بقصة داود كما يرويها القصاص جلده مائة وستين حدًّا الفرية مضاعفاً .

وروي أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق فكذب الحديث وقال : إن كانت القصة على ما في كتاب الله فالتماس خلافها فرية وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً لنبيه فما ينبغي لك إظهار ما ستره الله فقال عمر بن عبد العزيز : استماعي إلى هذا الكلام أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس .

قال الزمخشري : والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله أن قصته ليست إلا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم نبه الزمخشري على مجيء الإنكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع الى التأمل والتنبيه الى وجه الخطأ مع ما فيه من اجتناب المجاهرة في الإنكار والتوبيخ وألقاه بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره فيجعله مقياساً لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى بذلك في سياسة الوالد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة قال : وجاء ذلك على وجه التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه محكمة .

وقال : وقوله وهل أذاك جاء على وجه الاستفهام تنبيهاً على أن هذه القصة قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقاً الى سماعها أيضاً .

وقال في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتاني بما لم أقدر على ردّه من الجدل ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أي خطبت فخطب على خطبتي فغلبنني والمفاعلة لأن الخطبة صدرت عنهما جميعاً .

وقال في ذكر النعاج إنها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلاً وكلامهم أيضاً تمثيلاً لأنه أبلغ لما تقدم وللتنبيه على أن هذا أمر يستحيا من التصريح وأنه مما يكتفى عنه لسماجة الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا برجل له نعمة ولخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتمها مائة بالنعجة المذكورة فإن قلت طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فإن كان من الخطبة فما وجهه ؟ قال الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة

كما استعاروا لها الشاة في قوله : يا شاة ما قنص لمن حلت له ... البيت ... قال : والفرق بين التمثيل والاستعارة انه على التمثيل يكون الذي سبق الى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم انتقل بواسطة التنبيه الى فهم انه تمثيل لحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه المراد بذلك .

قلت : ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلاً وإنما كانت من البشر إما خليطين في الغنم حقيقة وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسر وما له إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفزع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه الى الظلم قبل مسأله .

قلت : إنما قصد هذا القائل بما قال تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب الى العجلة في نسبة الظلم الى المدعى عليه لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب وكراهيته أخف مما يكون عليه الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذي صدر منه أولاً وبأن منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس .

وعبارة أبي حيان : « والظاهر ابقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أثنى الضأن ولا يكنى بها عن المرأة ولا ضرورة تدعو الى ذلك

لأن ذلك الإخبار كان صادراً من الملائكة على سبيل التصوير للسألة فمثلوا بقصة رجل له نعجة ولخيطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تئمة الماء فطمع في نعجة خيطه وأراد اقتزاعها منه وحاجته في ذلك حاجة حريص على بلوغ مراده ويدل على ذلك قوله : وان كثيراً من الخطاء ، وهذا التصوير والتمثيل أبلغ في المقصود وأدل على المراد « الى أن يقول : » وما حكى القصص مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر :

وقوثر حكم العقل في كل شبهة

إذا أثر الاخبار جلاس قصاص

يَنذَاوَرُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا
خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبُ
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيُنذَرَ أُولَٰئِ الَّذِينَ

الاعراب :

(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) كلام مستأنف مسوق لحكاية ما خطب به داود بعد ما تقدم ، ولك أن تقدر قولاً محذوفاً معطوفاً على قوله غفرنا أو حال من فاعل غفرنا أي وقلنا أو قائلين ، ويا حرف نداء وداود منادى مفرد علم مبني على الضم وإن واسمها وجملة جعلناك خبرها وجعلناك فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وخليفة مفعول جعلنا الثاني وفي الأرض نعت لخليفة . (فاحكم بين الناس بالحق) الفاء الفصيحة واحكم فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبين الناس متعلقان بقوله فاحكم وبالحق حال . (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الواو عاطفة ولا ناهية وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت والهوى مفعول به والفاء هي فاء السببية لوقوعها في جواب النهي ويضلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الهوى والكاف مفعول به وعن سبيل الله متعلقان بيضلك ولا مانع من جعل الفاء عاطفة ويضلك معطوف على تتبع .

(إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) الجملة تعليلية للنهي عن اتباع الهوى وإن واسمها وجملة يضلون صلة الذين وعن سبيل الله متعلقان بيضلون ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن وشديد نعت لعذاب والباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي بسبب نسيانهم ويوم الحساب مفعول به لنسوا أو ظرف لقوله لهم عذاب شديد أو صفة ثانية له أي لهم عذاب شديد كائن في يوم القيامة بسبب نسيانهم .

(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً) كلام مستأنف مسوق لتقرير مضمون ما تقدم من أمر البعث والحساب والجزاء • وما نافية وخلقنا فعل وفاعل والسماء مفعول به والأرض عطف على السماء وما بينهما عطف أيضاً والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وباطلاً نعت لمصدر محذوف أي خلقاً باطلاً ويجوز أن يكون حالاً من فاعل خلقنا أي مبطلين أو ذوي باطل •

(ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) ذلك اسم الإشارة مبتدأ أي خلقها باطلاً وظن خبره والذين مضاف إليه وجملة كفروا صلة ، فويل : الفاء عاطفة لترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل ، وويل مبتدأ وللذين كفروا خبره وجملة كفروا صلة ومن النار صفة لويل • وفي وضع الموصول موضع ضمير هم اشعار بأنهم استحقوا النار بكفرهم • (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) أم عاطفة منقطعة وفيها معنى الاستفهام الإنكاري ونجعل فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن والذين آمنوا مفعول نجعل الأول وآمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا والكاف اسم بمعنى مثل في محل نصب مفعول به ثان لنجعل وفي الأرض متعلقان بالمفسدين • (أم نجعل المتقين كالفجار) عطف على ما تقدم وفي الإنكار إبطال لما يدعونه من أن الجزاء غير وارد لأنه لو صح كلامهم لاستوت عند الله حال من أصلح أو أفسد ومن اتقى أو فجر •

(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)
كتاب خبر لمبتدأ محذوف أي هذا كتاب وجملة أنزلناه صفة واليك جار

ومجرور متعلقان بأنزالناه ومبارك نعت ثان ومنعه بعضهم بحجة أن النعت غير الصريح لا يتقدم على النعت الصريح فهو عندهم خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف ، وقرئ مباركاً بالنصب على الحال اللازمة ، وليدبروا اللام لام التعليل وليدبروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل والجار والمجرور متعلقان بأنزالناه وآياته مفعول به أي ليتفكروا فيها وليذكر عطف على ليدبروا وأولوا الألباب فاعل .

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ رَأْوَابُ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيْنَتُ الْجَيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّا لَهُ وَعِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَّعَآبٍ ﴿٤٠﴾

اللفظة :

(الصافنات) : جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر من رجل أو يد وفي المختار : « الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر وقد صفن الفرس من باب جلس والصافن من الناس الذي يصف قدميه وجمعه صفون » وعبارة الزمخشري « الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العرب الخلل وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع ما بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقعها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها » .

(الجياد) جمع جواد وهو السابق وقيل جمع جيد ، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة « ويقال للفرس عتيق وجواد وكريم ويقال للبرذون والبغل والحمار فاره والسوابق من الخيل أولها السابق ثم المصلي وذلك لأن رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع كذلك الى التاسع والعاشر الشكيت ويقال أيضاً السكيت مشدداً فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفيسكل الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل » هذا ما أورده ابن قتيبة وقد سموا الثالث المتلى لأنه يتلى الثاني وسموا الرابع التالي وسموا الخامس المرتاح وسموا السادس العاطف وسموا السابع المؤمل وسموا الثامن الحظي وسموا التاسع اللطيم .

(مسحاً) : المسح : القطع وفي المختار «ومسحه بالسيف قطعه»

(بالسوق) : جمع ساق ومن غريب أمر الساق أن له العديد من المعاني فأولها وهو المراد هنا أنه ما بين الكعب والركبة مؤنث وجمعه

سوق وسيقان وأسوق وساق الشجرة جذعها ، ومن معانيه ساق الحمام والغراب نباتان وساق حر ذكر القماري ويقال كشف الأمر عن ساقه أي اشتدَّ وعظم وقامت الحرب على ساق أي اشتدت وولدت المرأة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم في إثر بعض لا جارية بينهم والحديث في هذه المادة يطول فنحيل القارئ إلى المعاجم .

(رخاء) : لينة طيبة لا تزعزع .

(أصاب) : أراد وقصد وفي الكشف « حكي الأصمعي عن العرب : أصاب الصواب ، فأخطأ الجواب . وعن رؤية أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيراً » وفي الأساس : « وأصاب الله تعالى بك خيراً : أرادته رخاء حيث أصاب » .

(الأصفاد) : الأغلال وفي القاموس « صفده يصفده من باب ضرب يصفده : شده وأوثقه كأصفده ووصفده والصفد محرّكة العطاء والوثاق وبلا لام بلد بالشام وكتاب ما يوثق به الأسير من قد أو قيد والأصفاد : القيود » فلا معنى لقول بعض المفسرين رداً على الجلال الذي فسر الأصفاد بالقيود إذ قال ذلك المفسر : « من المعلوم أن القيد يكون في الرجل فلا يلتئم هذا التفسير مع قوله يجمع أيديهم الخ فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أوضح » . وفي المختار : « صفده شده وأوثقه من باب ضرب وكذا صفده تصفيداً والصفد بفتحيتين والصفاد بالكسر ما يوثق به الأسير من قد وقيد وغل والأصفاد القيود واحدها صفد » .

الاعراب :

(ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبسط قصة سليمان بعد أن بسط قصة داود ووهبنا فعل ماض وفاعل ولداود متعلقان بوهبنا وسليمان مفعول ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والعبد فاعله والمخصوص بالمدح محذوف لتقدم ذكره أي هو وإنه أواب إن واسمها وخبرها والجملة تعليل للمدح علل كونه ممدوحاً بكونه أواباً رجاءً إليه بالتوبة أو مسيحاً مؤوباً للتسبيح مرجعاً له لأن كل مؤوب أواب • (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) إذ : يجوز أن يكون ظرفاً للأواب وأن يكون العامل فيه نعم وأن يكون منصوباً بمقدر أي اذكر يا محمد وقت وقوع هذه القصة وجملة عرض في محل جر بإضافة الظرف إليها وعليه متعلقان بعرض وبالعشي متعلقان بمحذوف حال أي كائناً في ذلك الوقت والصافنات نائب فاعل والجياد نعت والأولى أن يكون المفعول محذوفاً أي الخيل والصافنات الجياد صفتين للخيل والظاهر أن العرض قد استهواه ، وخيل إليه أنه يستطيع الاعتماد على هذه الخيل المظهمة في جهاده العدو إرضاء لربه فشغله حيناً من الوقت عن ذكر الله تعالى وكان به لهجاً •

(فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعله مستتر وان واسمها وجملة أحببت خبرها وأحببت ليست جارية على معناها الأصل وإنما هي متضمنة معنى فعل يتعدى بعن بمعنى آثرت وحب الخير مفعول به لذلك الفعل أو مفعول مطلق وقيل مفعول من أجله وعبارة السمين : حب الخير فيه

أوجه أحدها أنه مفعول أحببت لأنه بمعنى آثرت و « عن » على هذا بمعنى « على » والثاني أن حب مصدر على حذف التروائد والناصب له أحببت والثالث أنه مصدر تشتهي أي حباً مثل حب الخير والرابع أنه ضمن معنى أنبت فلذلك تعدى بعن والخامس أن أحببت بمعنى لزمت والسادس أن أحببت من أحب البعير إذا سقط وبرك من الأعياء والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون حب الخير على هذا مفعولاً من أجله وعن ذكر ربي متعلقان بأحببت والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول أي عن أن أذكر ربي أو إلى الفاعل أي عن أن يذكرني ربي وسيأتي المزيد من بحث هذه الآية في باب البلاغة ، وحتى حرف غاية وجر وتوارت فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هي أي الشمس وقيل الخيل وبالحجاب متعلقان بتوارت . (ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) ردوها فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول قول محذوف أي قال ردوها وعلي متعلقان بردوها فطفق عطف على محذوف أي فردوها وطفق فعل ماض من أفعال الشروع وهي تعمل عمل كان واسمها ضمير مستتر تقديره هو ومسحاً مفعول مطلق لفعل محذوف أي يمسح مسحاً والجملة خبر طفق وبالسوق متعلقان بمسحاً والأعناق عطف على بالسوق وسيأتي قول للإمام فخر الدين الرازي طريف جداً خالف فيه جمهرة المفسرين وهو جدير بالاعتبار فاظره في باب الفوائد .

(ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وفتنا فعل وفاعل وسليمان مفعول به وألقينا عطف على فتنا وعلى كرسيه جار ومجرور متعلقان بألقينا وجسداً مفعول به ثم أناب عطف أيضاً ولكنه بعد تراخ وسيأتي القول في فتنه سليمان ومناقشتها . (قال رب اغفر لي وهب

لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي (رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وهب فعل أمر للدعاء ولي متعلقان به وملكاً مفعول به وجملة لا ينبغي صفة لملكاً ولأحد متعلقان بينبغي ومن بعدي صفة لأحد . (إنك أنت الوهاب) الجملة تعليلية للدعاء بالمغفرة والهبة وان واسمها وأنت ضمير فصل أو مبتدأ والوهاب خبر إن أو خبر أنت والجملة خبر إنك . (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) الفاء عاطفة على محذوف يفهم من مضمون الكلام أي فاستجبنا له دعاءه وأعدنا له هذا الملك السليب وسخرنا فعل وفاعل وله متعلقان بسخرنا والريح مفعول به وجملة تجري بأمره في محل نصب على الحال من الريح ورخاء حال من الضمير في تجري وحيث ظرف متعلق بتجري أو بسخرنا وجملة أصاب في محل جر بإضافة الظرف إليها .

(والشياطين كل بناء وغواص) الواو حرف عطف والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وغواص عطف على بناء . (وآخرين مقرنين في الأصفاد) وآخرين عطف على كل بناء أدخل معه في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل ومقرنين نعت لآخرين أي قرن بعضهم مع بعض في الأصفاد . (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) الجملة مقول قول محذوف أي وقلنا له ، وهذا مبتدأ وعطاؤنا خبر فامنن الفاء الفصيحة وامنن فعل أمر أي اعط منه من شئت وأو حرف عطف للتخيير وأمسك فعل أمر معطوف على امنن وبغير حساب متعلقان بعطاؤنا أي أعطيناك بغير حساب ولا تقدير وفيه إلماع الى كثرة العطاء أو متعلقان بامنن أو أمسك ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف نصباً على الحال مما تقدم أي حال كونك غير محاسب عليه لأنه يتعالى عن الحساب والضبط . (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) تقدم إعراب مثله كثيراً .

الفوائد :

القول في هذه الآيات وفي فتنة سليمان بالخييل والجياد لا يتسع له صدر هذا الكتاب وهو خارج عن نطاقه ولكننا سنحاول الالمام الى هذه الفتنة وما قيل فيها وما نسج حولها من أكاذيب وأضاليل لفقتها اليهودية الضالعة مع الأهواء ، وقبل أن نشرع في ذلك ننقل فصلاً للإمام فخر الدين الرازي أطاح بكل الأضاليل التي لا بست هذا القصص الموشى بنسج الخيال قال :

« التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن نقول : إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا ثم إن سليمان عليه السلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله : عن ذكر ربي ثم أنه عليه الصلاة والسلام أمر بأعدادها واجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل إليه وهو قوله : ردوها علي فلما عادت طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور : الأول تشریفها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو ، الثاني أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى أنه يباشر الأمور بنفسه ، الثالث أنه كان أعلم الناس بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض ، فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق على لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فإن قيل : فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه ؟ فنقول لنا هاهنا مقامان : المقام الأول أن ندعي أن لفظ الآية

لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهوراً لا يرتاب عاقل فيه والمقام الثاني أن يقال : هب أن لفظ الآية لا يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس وإن الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات •

أسطورة خاتم سليمان :

هذا وما يروى عن فتنة سليمان من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان فقد أبى العلماء المحققون قبوله وقالوا انه من نسج خيال اليهود ، فقد روت الأساطير أن سليمان بلغه خبر صيدون وهذه مدينة في بعض الجزر وان بها ملكاً عظيم الشأن معتصماً بالبحر لا يقدر عليه أحد فخرج اليه تحمله الريح حتى أفاخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتاً له من أحسن الناس وجهاً فاصطفاه لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزناً على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدتها يسجدن له كعاداتهن إبان حياته فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائباً متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل عليها للطهارة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان المارد الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر ، على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس ولما أتى سليمان لطلب الخاتم أنكرته وطرده فعرف أن الخطيئة أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال

أفا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن : ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة ، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً ورجع اليه ملكه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر فأتوه به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر الى آخر تلك الأسطورة التي تشبه ما يصوره خيال شهرزاد في ألف ليلة وليلة من حكايات الجن وأساطير القماقم وغيرها وما أجمل ما يقوله القاضي عياض في هذا الصدد : « لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به وتسلمه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه » .

والذي عليه علماء الاسلام أن سبب فتنه ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بفارس مجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه : قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن امرأة إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي في يده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساقاً « قال الزمخشري « وهذا ونحوه مما لا بأس به » بقي قوله : « وألقينا على كرسیه جسداً » ما هو ؟ ما حقيقته ؟ إن الذين يروون الأسطورة على علاقتها بالجلال وغيره من أكابر العلماء يقولون : إنه الجنى صخر والذين ينكرون الأسطورة يحارون في الجسد الذي ألقى

على كرسية فتارة يقولون : انه الشق الذي ولدته المرأة قالوا : « والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسية حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل : نسي أن يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه ، وقيل : إن المراد بالجسد الذي ألقى على كرسية أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض : إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسييلنا أن نقتل ولده أو نخبله افعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يريه في السحاب خوفاً من الشياطين فيبينما هو مشغول في بعض مهماته إذ ألقى الولد ميتاً على كرسية فعاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل : « وألقينا على كرسية جسدًا » الخ . . . » .

على أن المسألة ليست مما يمكن البت فيه أو الترجيح بالرأي وإنما هي مسائل تاريخية تضاربت فيها الأقوال والله أعلم .

المراد بالخير :

واختلف العلماء والمفسرون أيضاً في المراد بالخير بقوله : «إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي» الآية فقال قوم هو المال مستدلين بقوله تعالى « إن ترك خيراً » أي مالا وقوله « إنه لحب الخير لشديد » وقيل هو مجاز والمراد به الخيل التي شغلته وأنسته ذكر ربه أو سمى الخيل خيراً لأنها نفس الخير لتعلق الخبر بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » وقال أيضاً في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم : « ما وصف لي رجل فرأيت»

إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير « وفي القرطبي: « يعني بالخير الخيل والعرب تسميها كذلك ويعاقب بين الرء واللام فتقول انهملت العين وانهمرت وختلت وخترت ، قال الفراء : الخير في كلام العرب والخيل واحد » .

ومن الكلام البليغ الذي رمق الشعراء سماءه قوله تعالى : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » فقد كان سليمان يقرن مردة الشياطين بعضهم في بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع أيديهم الى أعناقهم في الجوامع ، والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي ابن أبي طالب : « من برّك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك » وقال أبو تمام الطائي من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري :

هي معلقة عليك رقابها مغلولة إن العطاء إसार

وتبعه أبو الطيب فقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة :

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيذا تقيدا

وَإِذْ كَرَّعَبَدْنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ

وَعَذَابٍ ۖ ۞٤١ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞٤٢

وَوَهَبْنَا لَهُ وَأَهْلَهُ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ

۞٤٣ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ ۚ وَلَا تَحْنُتْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ

الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞٤٤

اللفظة :

(بنصب) : النصب بضم فسكون وبفتح فسكون وبضميتين الداء والبلاء قيل جمع نصب كأسد وأسد وقيل هو لغة في النصب وقد تقدم كلام كثير في هذه المادة .

(ضغثاً) : حزمة من حشيش وقضبان وفي القاموس : « والضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس واضطعته : اختطبه وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها (وقد تقدم القول فيها) والتضغيث ما بلّ الأرض والنبات من المطر » وفي المثل « ضغث على إباله » والإبالة بالتشديد الحزمة من الحشيش والخطب ومعناه بلية على أخرى ويضرب أيضاً مثلاً للرجل يحمل صاحبه المكروه ثم يزيده منه .

الاعراب :

(واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) عطف على اذكر عبدنا داود ولم يذكر ذلك في قصة سليمان لكمال الاتصال بين سليمان وداود كأن قصتهما قصة واحدة . واذكر افعل أمر وفاعله مستتر تقديره أفت وعبدنا مفعول اذكر وأيوب بدل أو عطف بيان لعبدنا وإذا الظرف بدل اشتمال من أيوب وجملة نادى في محل جر بإضافة الظرف إليها والفاعل مستتر تقديره هو يعود على داود وربه مفعول به . (أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي باني مسني الشيطان حكاية لكلامه الذي نادى ربه به بعلمه وإلا لقل أنه مسه ، ومسني الشيطان فعل ماض ومفعول به

مقدم وفاعل مؤخر وينصب متعلقان بمسني وعذاب عطف على نصب
وسياتي سر إسناد المس الى الشيطان مع عصمة الأنبياء عن مس
الشيطان إياهم وتسلمه عليهم في باب الفوائد كما يأتي فيه ما ذكر من
سبب بلائه .

(اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) كلام مقول قول
محذوف أي وقيل له ، واركض فعل أمر بوقاعله مستتر تقديره أئت
ومعنى اركض اضرب وبرجلك جار ومجرور متعلقان باركض ومفعول
اركض محذوف أي الأرض وفي معاجم اللغة : « ركض الأرض والشوب
ضربهما برجله » أي فهو متعد بهذا المعنى ، وهذا مبتدأ ومغتسل خبر
وهو اسم مكان للماء الذي يغتسل به سمي الماء باسم مكانه مجازاً
علاقته المحلية وبارد صفة لمغتسل وشراب عطف به (ووهبنا له أهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب) عطف على ما تقدم مما
اقتضاه المقام كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر
ومسحنا عنه ما ألم به من أوصاب . ووهبنا فعل وفاعل وله متعلقان
بوهبنا وأهله مفعول به ومثلهم عطف على أهله والظرف متعلق بمحذوف
حال أي كائناً معهم ورحمة مفعول من أجله ومنّا صفة لرحمة وذكرى
عطف على رحمة أي ان الهبة كانت للرحمة له وللتذكير لأولي الألباب
ولأولي نعت لذكرى والألباب مضاف إليه .

(وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث) وخذ عطف على
ما تقدم وبيدك متعلقان بخذ وضغثاً مفعول به ، فاضرب عطف على خذ
وبه متعلقان باضرب والمفعول محذوف أي امرأتك ولا تحث عطف
على اضرب ولا فاهية وتحث فعل مضارع مجزوم بلا وسياتي القول في
ضرب امرأته في باب الفوائد (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب)

إن واسمها وجملة وجدناه فعل وفاعل وفعول به أول وصابراً مفعول به ثان ونعم العبد فعل وفاعل والمخصوص بالمدح محذوف للعلم به أي هو وإنه أواب إن واسمها وخبرها والجملة تعليل لمدحه .

الفوائد :

إنما أسند ما مسّه من نصب وعذاب الى الشيطان مع انه من البدائه الأولية أن الشيطان لا يسلط على الأنبياء تأديباً مع الله لأن الشيطان كان يوسوس اليه ويغريه على الكراهة والجزع ، وذكر في سبب بلاء أيوب أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه وقيل أعجب بكثرة ماله ، أما قصة ضرب امرأته فقد كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذ برأ وذلك لابطائها عليه يوماً .

وفي القرطبي : « وفي سبب حلفه أربعة أقوال :

أحدها : ما حكاه ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طيب فدعته الى مداواة أيوب فقال أداويه على أنه إذا برىء يقول أنت شفيتني لا أريد جزاء سواء ، قالت نعم فلاشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال : ويحك ذلك الشيطان .

ثانيها : ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءت به بزيادة على ما كانت تأتیه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها .

ثالثها : ما حكاه يحيى بن سلام وغيره أن الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقرباً إليه وأنه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها إن عوفي مائة .

رابعها : أنها باعت ذوائبها برغيفين إذ لم تجد شيئاً تحمله الى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثاً فيضربها به فأخذ ثمانين قدر مائة فضربها بها ضربة واحدة .

وقصة صبر أيوب تدخل في حيز أغراض القصص في القرآن ، وأسمى أغراضها إنشاء العقيدة الدينية الخاصة المجردة وموطن هذه العقيدة الخالدة هو الضمير والوجدان فلم يكن الداعي الى الاستمسك بالصبر والاعتصام به مجرداً لقداسته الدينية ولكن اتساع الآفاق النفسية وافتتاح منافذ المعرفة أمام النفس .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ
إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۖ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْأَخْيَارِ ۖ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۖ

الاعراب :

(واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار)
الواو عاطفة اذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت أي اذكر يا محمد صبرهم على ما أصابهم وثباتهم على عقائدهم وتأس بهم وعبادنا مفعول به وإبراهيم بدل أو عطف بيان واسحق ويعقوب عطف على إبراهيم وأولي الأيدي أي أصحاب الأيدي مفعول به سيأتي القول مسهباً في معنى أولي الأيدي في باب البلاغة والأبصار عطف على الأيدي .

(إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) الجملة تعليلية لما وصفوا به من علو الرتبة وسموها بالعلم والعمل ، وان واسمها وجملة أخلصناهم خبر أنا وبخالصة متعلقان بأخلصناهم والباء إنا للسببية إن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين وإما للتعدية إن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم وخالصة صفة لموصوف محذوف أي بخصلة خالصة وذكرى الدار يجوز فيها أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أو بدل من خالصة وإذا اعتبرت خالصة مقدرأ بمعنى الاخلاص فتكون ذكرى مفعولاً به لخالصة وإذا كانت مصدرأ بمعنى الخلوص فتكون ذكرى فاعلاً لها فقد تمت لها أربعة أوجه وأما إضافة ذكرى الى الدار فمن إضافة المصدر إلى المفعول أي ذكرهم الدار الآخرة وهناك قراءة متعددة يرجع اليها في المطولات .

(وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) وانهم ان واسمها وعندنا ظرف متعلق بمحذوف حال ولمن اللام المرحقة ومن المصطفين خبر إنهم والأخيار صفة . (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الأخيار) واذكر عطف على ما تقدم واذكر اسماعيل فعل وفاعل مستتر ومفعول به واليسع وذا الكفل معطوفان على اسماعيل وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ومن الأخيار خبر .

البلاغة :

الكناية في قوله « أولي الأيد والأبصار » وهي كناية عن العمل الصالح قال الزمخشري « أولي الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمى الذين لا يقدرّون على أعمال جوارحهم

والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم « وفيه أيضاً فن التعريض بأن من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله خليف بالتوبيخ وأسوأ المذام ، والأيدي جمع يد وهي الجارحة فالكناية بها لأن جميع الأعمال تراول بها وإذا كانت جمعاً ليد بمعنى النعمة فهي مجاز مرسل علاقته السيئة وقد تقدم بحث ذلك لأن اليد هي سبب النعمة وإنما حذفت الياء في خط المصحف اجتزاء عنها بالكسرة وفسر بعضهم الأيد بمعنى القوة وهي وإن كانت جائزة من حيث اللغة إلا أن المقام يضعف استعمالها بهذا المعنى ، قال الزمخشري « وتفسيره بالأيد من التأيد قلق غير ممكن » .

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَغَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةٌ
لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغِينَ لَشَرَّ
مَغَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ إِلَهُهُمْ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ
وَعَسَاقٌ ﴿٥٦﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٧﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ
لَا مَرَجَ بَإِيَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٨﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجَاءُ بِكُمْ أَنْتُمْ
قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ الْقَرَارُ ﴿٥٩﴾

اللغة :

(قاصرات الطرف) : حاسبات العين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم •

(أتراب) : أسنانهن واحدة ، سمين بذلك كأن التراب مسهن في وقت واحد ويقول البيضاوي « أتراب لأزواجهن لدات لهم أي مساويات لأزواجهم في السن فإن التحاب بين الأقران أثبت ورجح الزمخشري أن يكون التساوي بينهم دون أزواجهن وفي القاموس : « والترب بالكسر اللدة والسن ومن ولد معك وهي تربى وتاربتها : صارت تربها » قال عمر بن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل المهابة تهادى من خمس كواعب أتراب

وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة فقال :

وضع تراب فوق صك ترّب

ضرب ترائب كذا والتّرب

مثلك سنّاً والتراب التّرب

ترائب الشخص عظام الصدر

ومصدر لترب الشيء التّرب

وجمع ترب الشخص في العمر التّرب

وجمع تربية بضم التَّرب

أي قطعة من التراب فادر

(وغساق) : ما يسيل من صديد أهل النار وفي القاموس :
« وغسق الجرح سال منه ماء أصفر » وقيل الحميم يحرق بحرّ •
والغساق يحرق ببرده •

الاعراب :

(هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب) كلام مستأنف مسوق
للإيدان باقتهاء ما تقدم من قصص والشروع في موضوع آخر • وهذا
مبتدأ وذكر خبر وإن الواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل وللمتقين
خبرها المقدم واللام المزحلقة وحسن مآب اسمها المؤخر • (جنات عدن
مفتحة لهم الأبواب) جنات عدن بدل أو عطف بيان لحسن مآب
ومفتحة حال من جنات عدن والعامل فيها مافي المتقين من معنى الفعل
ولهم متعلقان بمفتحة والأبواب نائب فاعل لمفتحة لأنه اسم مفعول
وقال الزمخشري في صدد إعراب هذه الآية : « ومفتحة حال والعامل
فيها مافي للمتقين من معنى الفعل بوفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب
بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد
والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على
أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي
هو جنات عدن هي مفتحة لهم » •

(متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) متكئين حال
من الهاء في لهم والعامل فيها مفتحة وفيها متعلقان بمتكئين وجملة

يدعو إما مستأنفة لبيان حالهم فيها ويجوز أن تكون حالية مما ذكر وفيها حال من فاعل يدعون أي حال كونهم فيها وبفاكهة متعلقان يدعون والاقتصار على الفاكهة يفيد الإيذان بأن مطاعمهم هناك ليست للتغذي وإقامة الجسم ولكن لمحض اللذة والتفكه وكثيرة صفة وشراب عطف على فاكهة • (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) الواو عاطفة والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وقاصرات الطرف مبتدأ مؤخر وأتراب صفة لقاصرات • (هذا ما توعدون ليوم الحساب) اسم الإشارة مبتدأ وما خبر وجملة توعدون صلة وليوم الحساب متعلقان بتوعدون واللام للتعليل أي لأجل يوم الحساب وأرى أنه يجوز اعراب ما بدلاً من اسم الإشارة وليوم الحساب هو الخبر ولعله أولى • (إن هذا لرزقنا ماله من تقاد) إن واسمها واللام المرحلقة ورزقنا خبر إن وما نافية مجازية أو تسمية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد وتقاد اسم مجرور لفظاً بمن في محل رفع اسم ما المؤخر أو مبتدأ مؤخر •

(هذا وإن للطاغين شر مآب) هذا مبتدأ محذوف الخبر أو خبر لمبتدأ محذوف والكلام مستأنف وقد تقدم ظيره قريباً، قال ابن الأثير: «هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام إلى كلام آخر» والواو عاطفة وإن حرف مشبه بالفعل وللطاغين خبرها المقدم واللام المرحلقة وشر مآب اسم إن المؤخر • (جهنم يصلونها فبش المهاد) بدل من شر مآب أو عطف بيان له وجملة يصلونها حالية وهو مفعول مضارع والواو فاعل والهاء مفعول به ولك أن تعرب جهنم مفعولاً بفعل محذوف دل عليه يصلونها والفاء الفصيحة أي إن أردت أن تعلم حقيقة جهنم فهي بش المهاد وبش فعل جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل والمخصوص محذوف

تقديره هي • (هذا فليذوقوه حميم وغساق) هذا مبتدأ وحميم وغساق خبراه وجملة فليذوقوه معترضة والفاء اعتراضية واللام لام الأمر وليذوقوه فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والواو فاعل والهاء مفعول به وقد اضطربت أقوال المعربين في هذه الآية كثيراً وفيما يلي ما قاله أبو البقاء :

« هذا هو مبتدأ وفي الخبر وجهان أحدهما فليذوقوه مثل قولك زيد اضربه وقال قوم هذا ضعيف من أجل الفاء وليست في معنى الجواب كالتي في قوله : والسارق والسارقة فاقطعوا ، فأما حميم على هذا الوجه فيجوز أن يكون بدلاً من هذا وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي هو حميم وأن يكون خبراً ثانياً والوجه الثاني أن يكون حميم خبر هذا فليذوقوه معترض بينهما وقيل هذا في موضع نصب أي فليذوقوه هذا ثم استأنف فقال حميم أي هو حميم وأما غساق فيقرأ بالتشديد مثل كفار وصبار وبالتخفيف اسم للمصدر أي ذو غسق أو يكون فعال بمعنى فاعل » •

(وآخر من شكله أزواج) وآخر عطف على حميم وغساق ومن شكله نعت له وأزواج خبر لمبتدأ محذوف أي هي أو صفة للثلاثة • (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار) الجملة مقول قول محذوف أي ويقال لهم عند ادخولهم النار وهذا مبتدأ وفوج خبر ومقتحم صفة لفوج ومعكم ظرف متعلق بمحذوف صفة ثانية لفوج أو حال من الضمير من مقتحم أو من فوج لأنه وصف ولا نافية ومرحباً منصوب على المصدر وبهم متعلقان بمرحباً وفي الجملة المنفية وجهان أحدهما أنها مستأنفة سقت للدعاء عليهم بضيق المكان أو

حالية أي هذا فوج مقتحم مقولاً لهم لا مرحباً بهم وفي القرطبي :
 « فقالت السادة لا مرحباً بهم أي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب
 السعة ومنه رجة المجد وغيره وهو بمعنى الدعاء ولذلك نصب »
 وقال أبو عبيدة: العرب تقول لا مرحباً بك أي لا رحبت عليك الأرض
 ولا اتسعت وجملة انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم
 وان واسمها وصالوا النار خبرها .

(قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار)
 قالوا فعل وفاعل والضمير يعود على الاتباع وبل حرف اضراب وأنتم
 مبتدأ ولا مرحباً مقول قول محذوف هو الخبر أي يقال لكم ، وأنتم
 مبتدأ وجملة قدمتموه خبره وقدمتموه فعل ماض والتاء فاعل والميم
 علامة جمع الذكور والواو لإشباع ضمة الميم والهاء مفعول به ولنا
 جار ومجرور متعلقان بقدمتموه ، فبئس الفاء عاطفة وبئس فعل ماض
 جامد لإنشاء الذم والقرار فاعل والمخصوص بالذم محذوف أي النار .

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا
 مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ
 زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ
 إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾

الاعراب :

(قالوا : ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار) قالوا فعل وفاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ومن اسم موصول مبتدأ وجملة قدّم خبر والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وجملة فزده خبر والأولى أن يكون مَن مفعولاً لفعل محذوف يفسره ما بعده أي فزد مَن قدّم أو الهاء مفعول به أول وعذاباً مفعول به ثان وضعفاً نعت لعذاب أي مضاعفاً وفي النار ظرف الزده أو حال من الهاء أي فزده كائناً في النار أو نعت ثان لعذاباً . (وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار) قالوا فعل وفاعل والضمير يعود على كفار مكة كأبي جهل وأمّية بن خلف وغيرهما ، وما اسم استفهام مبتدأ ولنا متعلقان بمحذوف خبر وجملة لا نرى حالية وفاعل نرى ضمير مستتر تقديره نحن ورجالاً مفعول به وأرادوا بهم فقراء المسلمين وكان واسمها وجملة كنّا صفة لرجالاً وجملة نعدّهم خبر كنّا أي نحسبهم في الدنيا ومن الأشرار متعلقان بنعدّهم .

(اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار) الهمزة للاستفهام الإنكاري وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها واتخذناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وسخرياً مفعول به ثان كأنهم أنكروا على أنفسهم ما كانوا يتخذونه في الدنيا وسخرياً يقرأ بكسر السين وضمها والياء للنسب فالسخري أقوى من السخر كما قيل في الخصوص خصوصية للدلالة على قوة ذلك ، فافهمه فإنه جيد ، وأم حرف عطف متصل بقونه مالنا وزاغت عنهم الأبصار فعل وفاعل وعنهم متعلقان بزاغت فلم نرهم ومنهم عمار بن ياسر وبلال وصهيب وسلمان وجملة اتخذناهم مستأفة ، ونرى من المفيد أن ننقل عبارة الزمخشري قال :

« أم زأغت عنهم الأبصار : له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله مالنا أي مالنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل زأغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخرى إما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسغار منهم أم الازدراء بهم والتحقيق وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم ، وعن الحسن : كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخرى وزأغت عنهم أبصارهم محقرة لهم ، وإما أن تكون منقطعة كقولك : إنها الإبل أم شاء ، وأزيد عندك أم عندك عمرو » .

(إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) إن واسمها أي الذي حكيناه عنهم واللام المرحلة وحق خبر وتخاصم أهل النار بدل من حق أو خبر لمبتدأ محذوف وجملة المبتدأ المحذوف وخبره مفسرة لاسم الإشارة وسيأتي معنى التخاصم في باب البلاغة . (قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار) إنما كافة ومكشوفة وأنا مبتدأ ومنذر خبر والواو حرف عطف وما فافية ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مرفوع بالابتداء محلاً وإلا أداة حصر والله خبر والواحد القهار صفتان لله . (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) رب نعت أو بدل وما بينهما عطف على السموات والأرض والعزيز الغفار نعتان أيضاً .

البلاغة :

١ - في قوله « إن ذلك لحق تخاصم أهل النار » تشبيه تقاولهم وما يدور بينهم من حوار ويتبادلونه من سؤال وجواب بما

يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك لأن قول الرؤساء لتابعيهم لا مرجحاً بهم وقول التابعين بل أتم لا مرجحاً بكم لا يعدو الخصومة التي يتراشقها المتخاصمون .

٢ - فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية فالمعنوية تأكيد المعنى الثابت وتقويته وأما اللفظية فتزيين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح أو كون الكلمة أو الكلام بها يصير مستقيم الوزن أو حسن السجع أو غير ذلك ولا يجوز خلط الزيادة من اللفظية والمعنوية معاً وإلا لعلت عبثاً وقد تجتمع الفائدتان في حرف وقد تنفرد إحداهما عن الأخرى .

الفوائد :

تغييرات النسبة :

ذكرنا في الإعراب أن السخري أقوى من السخر والخصوصية أقوى من الخصوص ونذكر هنا أن النسب يحدث في الاسم تغييرات :

١ - زيادة ياء النسب في آخره وهذه الياء المشددة حرف بمنزلة تاء التأنيث لا موضع لها من الإعراب .

٢ - كسر ما قبلها .

٣ - جعل الياء منتهى الاسم .

وإنما تطرق التغيير في اللفظ لتغيير المعنى ، ألا ترى أنك إذا نسبت إلى علم استحالة فكرة بحيث تدخله أداة التعريف كالتشنية

والجمع وصار صفة بمنزلة المشتق بعد الجود ويرفع الاسم بعده على الفاعلية أما مظهراً أو مضمراً تقول مررت برجل تسمي أبوه وآخر هاشمي جده ، وإذا نسبت الى المصدر زدت قوة كما في قولك سخرياً .

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ
بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْ أُنذِرَ مَبِينٌ
﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ
كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَانْخَرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾

الاعراب :

(قل هو نبأ عظيم) قل فعل وفاعله مستتر تقديره أفت يا محمد وتكرير القول لتأكيد النبأ وتوضيحه ، وهو مبتدأ ونبأ خبر وعظيم صفة . (أنتم عنه معرضون) الجملة نعت ثان للنبأ ويجوز أن تجعلها مستأنفة للفت الانتباه الى فداحة ما يرتكبونه من جريرة الإعراض عن

ذلك النبأ وهو القرآن وما حصل به من شرائع وتعاليم وأتتم مبتدأ وعنه متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر أتتم . (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) كلام مستأنف مسوق لتأكيد أنه نبأ عظيم وارد من الله تعالى وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولي خبر كان المقدم ومن حرف جر زائد وعلم مجرور بمن لفظاً في محل رفع اسم كان المؤخر وبالملأ متعلقان بعلم على تقدير مضاف أي بأنباء الملأ واختصامهم والأعلى صفة للملأ وإذا ظرف ماض متعلق بالمصدر أيضاً وقال الزمخشري : « بمحذوف لأن المعنى ما كان لي بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم » وجملة يختصمون في محل جر بإضافة الظرف إليها وقيل الضمير في يختصمون عائد على قریش أي يختصمون في أمر الملأ الأعلى لأن ذلك أمر تنوء العقول دون معرفته والمدار في الإحاطة به على الوحي .

(إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) إن نافية ويوحى فعل مضارع مبني للمجهول وإلى متعلق بيوحي وإلا أداة حصر وانما كافة ومكفوفة وقد سدت مع مدخولها مسد نائب فاعل يوحى أي ما يوحى إلي إلا الانذار والقصر اضافي وقد تكرر هنا وقد تقدم بحث القصر وأنا مبتدأ ونذير خبر ومبين نعت . (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين) إذ يدل من إذ يختصمون ويجوز أن تنصبها بأذكر محذوفاً وجملة قال ربك في محل جر بإضافة الظرف إليها وإن وما بعدها مقول قول وإن واسمها وخالق خبرها وبشراً مفعول به لخالق ومن طين نعت لبشراً وقد أغنى بهذا الوصف عن النعوت البشرية كلها وتلك هي براءة الإيجاز . (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن

معنى الشرط وسويته فعل ماض وفاعل ومفعول به والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها ونفخت عطف على سويته وفيه متعلقان بنفخت وكذلك قوله من روجي والمعنى وأحييته وجعلته حساساً ، فقعوا الفاء رابطة لجواب إذا وقعوا فعل أمر وفاعل وله متعلقان بساجدين وساجدين حال والمراد بالسجود التكرمة والاحترام .

(فسجد الملائكة كلهم أجمعون) الفاء عاطفة وسجد الملائكة فعل وفاعل وكلهم تأكيد أول وأجمعون تأكيد ثان ، قال الزمخشري : « كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاداً معاً أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات » . (إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) إلا أداة استثناء وإبليس مستثنى متصل أو منقطع وذهب الزمخشري مذهباً غريباً قال : « فإن قلت كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن ؟ قلت قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً وجملة استكبر مستأنفة لبيان كيفية امتناعه من السجود وكان عطف على استكبر واسم كان مستتر تقديره هو يعود على إبليس ومن الكافرين خبر كان (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) قال فعل ماض وفاعله يعود على الله تعالى ويا حرف فداء وإبليس منادى مفرد علم مبني على الضم وما اسم استفهام مبتدأ وجملة منعك خبر وأن وما في حيزها منصوب على أنه مفعول ثان لمنع وأن حرف مصدرى ونصب وتسجد فعل مضارع منصوب بأن وفاعله مستتر تقديره أنت واللام حرف جر وما اسم موصول مجرور باللام وجملة خلقت صلة والعائد محذوف أي خلخته ويدي متعلقان بخلقت .

(أستكبرت أم كنت من العالين) الهمزة للاستفهام الإنكاري التويخي وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها واستكبرت فعل وفاعل وأم عاطفة متصلة ولا يمنع من ذلك اختلاف الفعلين ، قال سيبويه : « وتقول أضربت زيداً أم قتلته فالابتداء هنا بالفعل أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان ولا تسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت : أي ذلك كان ؟ » وكنت كان واسمها ومن العالين خبرها أي من المتكبرين • (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) أنا مبتدأ وخير خبر ومنه متعلقان بخير والجملة مقول القول وخلقنتي فعل وفاعل ومفعول به ومن نار متعلقان بخلقنتي وخلقته من طين عطف على خلقتني من نار • (قال فاخرج منها فإنك رجيم) قال فعل ماض والفاعل هو يعود على الله تعالى ، فاخرج الفاء الفصيحة واخرج فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومنها متعلقان باخرج ، فإنك الفاء تعليل للأمر بالطرد وان واسمها ورجيم خبرها • (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) عطف على فإنك رجيم وان حرف مشبه بالفعل وعليك خبرها المقدم ولعنتي اسمها المؤخر وإلى يوم الدين متعلقان بمحذوف حال أي مستمرة ومعنى الانتهاء استمرارها في الدنيا حتى إذا كان يوم الدين تضاعفت عليه حتى لتكاد الأولى تنسى فكأنها انتهت لتستأنف من جديد •

البلاغة :

في قوله « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » تغليب لليدين على غيرهما من الجوارح التي تباشر بها الأعمال لأن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك على المجاز

وحتى قيل في المثل « يداك أوكتا وفوك نفخ » وقد أبى فريق من أهل السنة أن يكون من المجاز كالشيخ أبي الحسن الأشعري واحتجوا بأن نعم الله لا تحصى فكيف تحصر بالتثنية وهذا حق ، على أن إمام الحرمين وغيره من أهل السنة جوزوا حملها على المجاز وأجابا عما ذكره الشيخ أبو الحسن بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحقق تفضيله على إبليس إذ لم يخلق إبليس لنعمة الآخرة وعلى أن المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك كثير في اللغة .

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۖ
 ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ
 ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَأَنَّ
 جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
 وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ
 بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

الاعراب :

(قال رب فأظرنني إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) قال : فعل ماض وفاعله مستتر يعود الى إبليس ، فأظرنني الفاء الفصيحة لأنها أفصح عن شرط مقدر وتقديره إذا جعلتني رجيماً فأمهلني ، وأظرنني فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أفت

والنون للوقاية والياء مفعول به والى يوم متعلقان بأظرفني وجملة يعيشون في محل جر بإضافة الظرف اليها طلب فسحة لاغواء بني آدم .

(قال فبِعزتك لأغوينهم أجمعين) الفاء عاطفة لترتيب مضمون الجملة على الإقطار والباء حرف جر وقسم وعزتك مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف واللام واقعة في جواب القسم وأغوينهم جملة لا محل لها وأغوينهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا ومفعول به وأجمعين تأكيد . (إلا عبادك منهم المخلصين) إلا أداة استثناء وعبادك مستثنى ومنهم حال والمخلصين نعت لعبادك (قال فالحق والحق أقول) الفاء استئنافية والحق مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي أو مني أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الحق والحق مفعول مقدم لأقول أي لا أقول إلا الحق يعني أن تقديم المفعول أفاد الحصر أو هو مصدر مؤكد لمضمون قوله الأملأن وجملة والحق أقول اعتراضية بين القسم وجوابه . وقد قرئ ب نصب الحق الأول .

(لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) اللام جواب للقسم وأملأن فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنا والجملة خبر الحق أو لا محل لها لأنها جواب قسم ولم تتمحض لجواب القسم لأنه غير نص في اليمين بخلاف لعمرك ولهذا لم يحذف الخبر وجوباً وجهنم مفعول به ومنك متعلقان بأملأن وممن تبعك عطف على منك وجملة تبعك صلة من ومنهم حال وأجمعين تأكيد للضمير في منهم أو للكاف في منك وما عطف عليه ، قال الزمخشري : « فإن قلت أجمعين تأكيد لماذا ؟ قلت : لا يخلو أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك أحداً منهم » .

(قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ما نافية
 وأسألكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به
 وعليه متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لأجر وتقدم
 عليه ومن حرف جر زائد وأجر مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه
 مفعول أسألكم والواو عاطفة أو حالية وما نافية حجازية وأنا اسمها
 ومن المتكلفين خبرها أي المتصنعين المتصفين بما ليسوا من أهله حتى
 أتت حل النبوة وأتقوّل القرآن . (إن هو إلا ذكر للعالمين) إن نافية وهو
 مبتدأ وإلا أداة حصر وذكر خبر هو وللعالمين صفة لذكر . (ولتعلمن
 نبأه بعد حين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وتعلمن فعل مضارع
 مرفوع لأن نون التوكيد لم تباشره وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة
 لالتقاء الساكنين والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين أيضاً فاعل والنون
 نون التوكيد الثقيلة ونبأه مفعول به وبعد حين ظرف متعلق بتعلمن
 وعلم بمعنى عرف فهو متعد لواحد وهو نبأه ويجوز أن تكون على
 بابها فيكون المفعول الثاني بعد حين .

سُورَةُ الصِّفَاتِ
مَكِّيَّةٌ وَإِنِّي أَنَا خَيْرٌ مِّنْ عِبَادِكُمْ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

الاعراب :

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) تنزيل مبتدأ والكتاب مضاف اليه ومن الله خبر والعزيز الحكيم نعتان ويجوز أن يكون تنزيل خبراً لمبتدأ محذوف أي هذا تنزيل ومن الله متعلقان بالمصدر أو بمحذوف خبر بعد خبر أو بمحذوف حال من الكتاب • (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) ان واسمها وجملة أنزلنا خبر والجملة مستأنفة

مسوقة لبيان المنزل عليه وما يترتب عليه بعد نزوله وإليك متعلقان
بأنزلنا والكتاب مفعول به وبالحق حال من الفاعل أو المفعول أي
ملتبسين بالحق أو ملتبساً بالحق • (فاعبد الله مخلصاً له الدين) الفاء
الفصيحة واعبد الله فعل أمر ، وفاعل مستتر ومفعول به ومخلصاً حال
وله متعلقان بمخلصاً والدين مفعول به • (ألا الله الدين الخالص)
كلام مستأنف مقرر لما قبله وألا أداة تنبيه واستفتاح والله خبر مقدم
والدين مبتدأ مؤخر والخالص نعت •

(والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقتربونا إلى الله
زلفى) والذين الواو استئنافية والذين مبتدأ وجملة اتخذوا صلة
الموصول ومن دونه حال أو مفعول به ثان وأولياء مفعول به أول وجملة
ما نعبدهم مفعول لقول محذوف هو خبر الذين أي يقولون وما نافية
ونعبدهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر وليقتربونا
اللام للتعليل ويقتربونا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام
التعليل والواو فاعل ونا مفعول به وإلى الله متعلقان يقتربونا وزلفى
مصدر مؤكد على غير المصدر ولكنه ملاق لعامله في المعنى والتقدير
ليزلفونا زلفى وأجاز أبو البقاء أن يعرب حالاً مؤكدة • (إن الله
يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) إن واسمها وجملة يحكم خبرها
وأجاز بعضهم أن يكون قوله إن الله يحكم بينهم خبر الذين فيكون
موضع القول المضمرة نصباً على الحال أي قائلين ذلك ، وبينهم ظرف
متعلق يحكم وفيما متعلقان يحكم أيضاً وهم مبتدأ وفيه متعلقان
بمختلفون وجملة يختلفون خبر هم والجملة الاسمية صلة ما •
(إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) إن واسمها وجملة لا يهدي
خبرها وفاعل يهدي مستتر يعود على الله ومن مفعول به وهو مبتدأ
وكاذب كفار خبران له والجملة الاسمية صلة من •

الفوائد :

حروف التنبيه « ها » و « ألا » و « أما » والفرق بين « أما » و « ألا » أن « أما » للحال أو للماضي و « ألا » للاستقبال ؛ تقول : أما ان زيدا عاقل ، تريد أنه عاقل في الحال ولا تقول ألا ، وتقول ألا ان زيدا لا يخاف أي في المستقبل ولا تقول أما ، والفرق بينهما وبين « ها » أنها لا يدخلان إلا أول الكلام على الجملة بخلاف « ها » فتدخل على الضمير وأسماء الإشارة وإن لم تكن في أول الكلام وتدخل « أما » على القسم و « ألا » كثيراً على النداء .

إذا تقرر هذا فهل تكون هنا للاستقبال مع أن كون الدين لله هو في كل زمان ؟ والجواب أن المراد هنا الاستقبال بالنسبة لمن يعتنقون الدين الخالص ، على أنهما يتعاوران أي تأتي « ألا » لمجرد الاستفتاح ولا يكون التنبيه مقصوداً .

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ
هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ
الْبَلَّ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الْبَلِّ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٢﴾ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٣﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ
فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنِ تُصْرَفُونَ ﴿٤﴾

اللفة :

(يكور) : التكوير : اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه - كما يقول الزمخشري - :

١ - ان الليل والنهار خلفه يذهب هذا ويغشى مكانه هذا فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب :

تلوى الثنايا بحقوقها حواشيه لي الملاء بأبواب التفاريج

والثنايا : العقبات والحقو الخصر والحواشي الجوانب والملاء جمع ملاءة وهي الجلباب والتفاريج جمع تفراج وهو الباب الصغير والثوب من الديباج ، وأسند اللي الى الثنايا لأنها سبب الالتواء ، شبه إحاطة جوانبه وتراكمه في جوانب العقبة بلي الجلباب في أبواب التفاريج .

٢ - ان كل منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار .

٣ - ان هذا يكر على هذا كروراً متتابعاً فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض .

الاعراب :

(لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء) لو حرف شرط غير جازم وأراد فعل ماض والله فاعل وأن وما في حيزها

مفعول أراد واللام رابطة لجواب لو واصطفى فعل ماض وفاعله هو أي الله تعالى والجملة لامحل لها ومما متعلق باصطفى وجملة يخلق صلة ما وما مفعول به وجملة يشاء صلة ما والعائد محذوف أي يشاءه (سبحانه هو الله الواحد القهار) سبحانه مفعول مطلق للفعل محذوف تنزيه له تعالى عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه ، وهو مبتدأ والله خبره والواحد القهار نعتان لله • (خلق السموات والأرض بالحق) خلق فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى والسموات مفعول به والأرض عطف على السموات وبالحق حال • (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) الجملة حالية أو مستأنفة مبينة لكيفية تصرفه في السموات والأرض ، والليل مفعول به وعلى النهار متعلقان بيكور ويكور النهار على الليل عطف على مثيلتهما •

(يوسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) وسخر الشمس والقمر عطف على خلق السموات والأرض وكل مبتدأ وجملة يجري خبر ولأجل متعلقان بيجري ومسمى نعت لأجل وألا أداة تنبيه تصدرت الجملة لإظهار مدى الاهتمام بها ، والاعتناء بفحواها وهو مبتدأ والعزيز الغفار خبران لهو • (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) خلقكم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم وواحدة نعت لنفس والمراد بها آدم ثم حرف للترتيب والتراخي وسيأتي سر العطف بها في باب البلاغة وجعل فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى ومنها متعلقان بجعل لأنه بمعنى بخلق وزوجها مفعول به • (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) وأنزل عطف على خلقكم ولكم متعلقان

بمحدوف حال ومن الأنعام متعلقان بأنزل وثمانية أزواج مفعول به وقد تقدم معنى الزوجين في سورة الأنعام .

(يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث)
الجملة حالية أو استئنافية مبينة لكيفية خلق ما ذكر ، ويخلقكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وفي بطون أمهاتكم متعلقان بيخلقكم وخلقاً مفعول مطلق ومن بعد خلق صفة له ويجوز أن يتعلق بيخلقكم فيكون المصدر لمجرد التأكيد ، قال البيضاوي : « أي حيواناً سويّاً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ، وفي ظلمات متعلقان بخلق المجرور الذي قبله ولا يجوز تعلقه بخلقاً المنصوب لأنه مصدر مؤكد فلا يعمل ولا يخلق لأنه يتعلق به جار مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى إلا بالبدلية والعطف فإن جعلت في ظلمات بدلاً من في بطون أمهاتكم بدل اشتمال لأن البطون مشتملة عليها ويكون بدلاً بإعادة العامل بجاز ذلك وسيأتي المراد بالظلمات الثلاث في باب الفوائد . (ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون) ذلكم مبتدأ والله خبره الأول وربكم خبره الثاني وله خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر ثالث وجملة لا إله إلا هو خبر رابع وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً ، فأني الفاء استئنافية وأني اسم استفهام متعلق بمحذوف حال وتصرفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

البلاغة :

في قواه « ثم جعل منها زوجها » عطف « ثم » التي تفيد الترتيب مع التراخي في الوجود ، وظاهر الأمر يتنافى مع ذلك لأن خلق

حواء من آدم سابق على خلقنا منه ، وقد استشكل علماء البيان والمفسرون هذا العطف وأجابوا بأجوبة نوردتها ثم ترجح ما هو أقرب إلى الرجحان ؛ قال الزمخشري : « فإن قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي ؟ قلت : هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته وقدرته وتشعيب هذا الخلق الفئات للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصرياه (والقصريان ضلعان يلبان الترقوتين) إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها عادة ولم تخلق أثى غير حواء من قصيري رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بشم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود » .

وقال غيره : « المعطوف متعلق بمعنى واحدة فشم عاطفة عليه لا على خلقكم فمعناه خلقكم من نفس واحدة أفردت بالإيجاد ثم شفعت بزواج فكانت هاهنا على بابها لتراخي الوجود » .

ونرى أن كلا الوجهين مستقيم ويصح حمل العطف عليه .

وهنا وقع ابن هشام في خطأ التلاوة فأورد هذه الآية بلفظ « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » الخ . . . وقد أوردتها شاهداً على أن قوماً خالفوا في معناها وهو الترتيب تمسكاً بها قال : « والجواب عن الآية من خمسة أوجه : (أحدها) أن العطف على محذوف أي من نفس واحدة أنشأها ثم جعل منها زوجها . (الثاني) أن العطف على واحدة على تأويلها بالفعل أي من نفس توحدت أي افتردت ثم جعل

منها زوجها • (الثالث) ان الذرية أخرجت من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام كالذر ثم خلقت حواء من قصيراه • (الرابع) ان خلق حواء من آدم لما لم تجر عادة بمثله جيء بـثم إيداعاً بترتبه وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة لا لترتيب الزمن وتراخيه • (الخامس) ان ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم وانه يقال بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي ثم أخبرك أن الذي صنعته أمس أعجب •

الفوائد :

أراد بقوله « في ظلمات ثلاث » ظلمة البطن ، وظلمة الرحم بفتح الراء وكسر الحاء ، والرحم بكسر الراء وسكون الحاء مؤنثة وهي مستودع الجنين في أحشاء الحبل ، وظلمة المشيمة وهي كما في المصباح « وزان كريمة وأصلها مفعلة بسكون الفاء وكسر العين لكن ثقلت الكسرة على الياء فنقلت الى الشين وهي غشاء ولد الانسان » وقال ابن الأعرابي : يقال لما يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بحذف الهاء ومشايم مثل معيشة ومعاش ويقال لها من غيره السلا •

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ
وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾
* وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ

نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ
قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾

الاعراب :

(إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن
تشكروا يرضه لكم) إن حرف شرط جازم وتكفروا فعل الشرط
وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والفاء رابطة وإن واسمها
وخبرها والجملة جواب الشرط وعنكم متعلقان بغني وإن تشكروا
عطف على أن تكفروا ويرضه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف
العلة والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والهاء ضمير متصل
في محل نصب مفعول به بضم وسكونها وباشباع ودونه • (ولا تزر
وازره وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون)
الواو حرف عطف ولا نافية وتزر فعل مضارع مرفوع ووازره فاعل
ووزر مفعول به أي لا تحمل نفس وزر نفس أخرى وأخرى مضاف
إليه على حذف منوات أي نفس أخرى ثم حرف عطف للتراخي وإلى
ربكم خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر والفاء حرف عطف وينبئكم
فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبما متعلقان بينبئكم وكنتم
كان واسمها وجملة تعملون خبرها وجملة كنتم تعملون صلة الموصول
(إنه عليم بذات الصدور) إن واسمها وخبرها وبذات الصدور
متعلقان بعليم والجملة تعليل للتنبئة بالأعمال •

(وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه) الواو استثنائية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ومس فعل ماض مبني على الفتح والإنسان مفعول به مقدم وضر مبتدأ مؤخر والمراد بالضر جميع المكاره وجملة دعا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وربه مفعول به ومنيباً حال وإليه متعلقان بمنيباً • (ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل) ثم حرف عطف للتراخي وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة خوله في محل جر بإضافة الظرف إليها وخوله فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله تعالى والهاء مفعوله الأول ونعمة مفعوله الثاني ومنه صفة لنعمة ولك أن تعلقه بخوله وجملة نسي لا محل لها والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الإنسان وما مفعول به وجملة كان صلة ما واسم كان مستتر يعود على الإنسان وجملة يدعو خبر كان وإليه متعلقان يدعو ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ويجوز في ما أن تكون مصدرية أي نسي كونه داعياً •

(وجعل الله أنداداً ليضل عن سبيله) وجعل عطف على نسي وناعله مستتر يعود على الإنسان والله متعلقان بمحذوف هو مفعول جعل الثاني وأنداداً مفعول جعل الأول وليضل اللام للتعليل ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وقيل اللام للعاقبة وهي تتمشى مع قراءة يضل بفتح اللام وهما قراءتان سبعيتان وعن سبيله متعلقان يضل • (قل تمتع بكفرك قليلاً إلك من أصحاب النار) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وتمتع فعل أمر أيضاً وفاعل مستتر والجملة مقول القول والمقصود بالأمر التهديد وبكفرك متعلقان بتمتع وقليلاً ظرف زمان أو مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف وجملة إلك من أصحاب النار تعليل للأمر بالتمتع وإن واسمها ومن أصحاب النار خبرها •

أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا
 رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
 أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

اللفظة :

(قانت) : بقائم بوجائب الطاعات ووظائفها ومنه قوله صلى الله
 عليه وسلم : « أفضل الصلاة طول القنوت » وهو القيام فيها ومنه
 القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائماً وفي القاموس : « القنوت :
 الطاعة والسكوت والدعاء والقيام في الصلاة والإمساك عن الكلام
 وأقنت دعا على عدوه وأطال القيام في صلاته وأدام الحج وأطال الغزو
 وتواضع لله تعالى وامرأة قنيت بينة القناتة قليلة الطعم وسقاء قنيت
 مسيك » وقول القاموس مسيك بكسر الميم وسكون السين أي
 يمسك الماء .

(آناء) : جمع إني بكسر الهمزة والقصر كمعي بكسر الميم
 والقصر والجمع أمعاء وفي المصباح : « الآناء على أفعال هي الأوقات
 وفي واحد لفتان : إني بكسر الهمزة والقصر وإني بوزن حمل »
 وفي المختار : « وآناء الليل : ساعاته قال الأخفش واحدها إني مثل
 معي وقيل لواحداه إني وإنو يقال مضى من الليل أنيان وأنوان » .

الاعراب :

(أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أم يجوز أن تكون متصلة ومعادلاً محذوف تقديره الكافر خير أم الذي هو قانت وقد دخلت على من الموصولة فأدغمت الميم في الميم ، أو منقطعة فتقدر بيل والهمزة أي بل أمن هو قانت كغيره ؟ وقرئ بالتخفيف فالهمزة للاستفهام الإنكاري ، وعلى كل فمن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف كما تقدم وهو مبتدأ وقانت خبره والجملة صلة من وآناء الليل ظرف متعلق بقانت وساجداً حال وقائماً عطف عليه وجملة يحذر الآخرة حال ثالثة وجملة يرجو رحمة ربه عطف على جملة يحذر الآخرة .

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) هل حرف استفهام معناه الإنكار ويستوي الذين فعل مضارع وفاعل وجملة يعلمون صلة والذين لا يعلمون عطف على الذين يعلمون ، وفي هذه الآية تنزيل المتعدي منزلة القاصر ولا يقدر المفعول في قوله يعلمون لأن المقدر كالموجود أي هل يستوي من ثبت له حقيقة العلم ومن لم ثبت له والاستفهام إنكاري أي لا يستويان لأن المقصود بيان ثبوت الفعل للفاعل لا بيان وقوعه على المفعول وإيضاح الفرق بين المنزل وغيره أن قولك فلان يعطى لبيان كونه معطياً فيكون كلاماً مع من جهل أصل الإعطاء وقولك فلان يعطي الدفاير لبيان جنس ما يتناوله الإعطاء لا لبيان كونه معطياً ويكون كلاماً مع من ثبت له أصل الإعطاء لا مع من جهل إعطاءه . (إنما يتذكر أولو الألباب) إنما كافة ومكفوفة

ويتذكر فعل مضارع امر فروع وأولو الألباب فاعل والجملة مستأنفة مسوقة لبيان عدم تأثير ما تقدم من قوارع وزواجر في قلوبهم لاختلال عقولهم •

(قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) يا حرف نداء وعبادي منادى مضاف والذين صفة لعبادي وجملة آمنوا صلة الذين والجملة مقول القول واتقوا ربكم فعل أمر وفاعل ومفعول به • (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة) للذين خبر مقدم وجملة أحسنوا صلة وفي هذه متعلقان بأحسنوا والدنيا بدل من اسم الإشارة وحسنة مبتدأ ومؤخر وأرض الله مبتدأ وواسعة خبر • (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الجملة تعليل لما تقدم ترغيباً في الصبر وإنما كافة ومكفوفة والصابرون فائب فاعل وأجرهم مفعول به ثان وبغير حساب حال من الأجر •

ولو لم يكن في الصبر إلا ما جاء في هذه الآية لكان في ذلك كفاية وفي الحديث : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » وقيل لعلي بن أبي طالب : أي شيء أقرب إلى الكفر ؟ قال ذو فاقة لا صبر له ، ومن كلامهم : « الصبر مرة لا يتجرعه إلا حر » وكان عبد الله بن المقفع يقول : « إذا نزل بك أمر مهم فاقظر فإن كان لك فيه حيلة فلا تعجز ، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع » وما أحسن قوله : تعجز وتعجزع وهذا الذي يسمى قلب البعض وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس •

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ
 أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۚ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ۚ (١٣) قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۚ (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
 دُونِهِ ۚ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ
 أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۚ (١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ
 تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَعْبَادُ فَا تَقُونَ (١٦) وَالَّذِينَ
 اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ
 (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ
 اللَّهُ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَوْلَا الْأَلْبَابِ (١٨)

الاعراب :

(قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) إن واسمها وجملة
 أمرت خبرها والجملة مقول القول وأمرت فعل ماض مبني للمجهول
 والتاء نائب فاعل وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض المتعلق
 بأمرت ومخلصاً حال وله متعلقان بمخلصاً والساكنين مفعول به .
 (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) وأمرت عطف على أمرت الأولى
 ولأن أكون متعلقان بأمرت أي بأن أكون فاللام بمعنى الباء واسم

أكون مستتر تقديره أنا وقيل اللام للتعليل أي لأجل أن أكون وللزمخشري تقرير مطول بهذا الصدد ننقله في باب الفوائد لأهميته وأول خبر أكون والمسلمين مضاف إليه • (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) إن واسمها وجملة أخاف خبر وفاعل أخاف مستتر تقديره أنا وإن شرطية وعصيت فعل وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فإني أخاف وعذاب يوم مفعول أخاف وعظيم صفة ليوم •

(قل الله أعبد مخلصاً له ديني) لفظ الجلالة مفعول مقدم لأعبد وأعبد فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ومخلصاً حال وله متعلقان بمخلصاً وديني مفعول مخلصاً أي ليكون سالماً من الشرك والرياء وكل ما يشوب الأعمال مما يفسدها • (فاعبدوا ما شئتم من دونه) الفاء الفصيحة واعبدوا فعل أمر الغاية منه التهديد والوعيد والوالو فاعل وما مفعول به وجملة شئتم صلة ومن دونه حال • (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) إن واسمها والذين خبرها وجملة خسروا صلة الذين وأتفسهم مفعول به وأهليهم عطف على أنفسهم ويوم القيامة ظرف لخسروا أو حال من أهليهم يعني أزواجهم وخدمهم • (ألا ذلك هو الخسران المبين) ألا أداة تنبيه وذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثانٍ والخسران خبر هو والجملة خبر ذلك والمبين صفة للخسران ولك أن تجعل هو ضمير فصل لا محل له وسيقاتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة •

(لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) لهم خبر مقدم ومن فوقهم حال وظلل مبتدأ مؤخر وفي الكلام إبهام سيقاتي تقريره في

باب البلاغة ومن النار صفة لظلل ومن تحتهم ظلل عطف على من فوقهم ظلل • (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون) ذلك مبتدأ أي ذلك العذاب وجملة يخوف الله به خبر وعباده مفعول يخوف ويا حرف نداء وعباد منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف والفاء الفصيحة واتقون فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية وياء المتكلم المحذوفة لما تقدم مفعول به • (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا ابوا إلى الله لهم البشري) الذين مبتدأ وجملة اجتنبوا صلة والطاغوت مفعول به وقد تقدم القول فيه وأنه يطلق على الواحد والجمع وعلى المذكر والمؤنث وأن يعبدوها مصدر مؤول في محل نصب بدل اشتغال من الطاغوت أي عبادتها وسيأتي مزيد من القول في الطاغوت في باب البلاغة ولهم خبر مقدم والبشري مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين •

(فبشر عباد) الفاء الفصيحة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعباد مفعول به وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف وفيه إظهار الضمير أي فبشرهم اهتماماً بهم • (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين صفة لعباد وجملة يستمعون صلة والقول مفعول به والفاء عاطفة ويتبعون عطف على يستمعون وأحسنه مفعول به • (أولئك الذين هداهم الله وأولئك أولو الألباب) أولئك مبتدأ والذين خبر والاشارة إلى الموصوفين بما ذكر وجملة هداهم الله صلة وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل وأولو الألباب خبر هم والجملة خبر أولئك أو خبر أولئك •

البلاغة :

١ - التهويل :

في قوله « ألا ذلك هو الخسران المبين » تهويل رائع فقد جعل الجملة مستأنفة وصدرها بحرف التنبيه ووسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران كآله مما تعورف أمره واشتهر هوله ووصفه بالمبين فجعل خسرانهم غاية في الفظاعة ونهاية في الشناعة .

٢ - المبالغة :

وفي تشبيه الشيطان بالطاغوت وجوه ثلاثة من المبالغة :

١ - تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان .

٢ - بناؤه على فعلوت وهي صيغة مبالغة كالرحموت وهي الرحمة الواسعة والملكوت وهو الملك الواسع .

٣ - والشبه الثالث تقديم لآله على عينه ليفيد اختصاصه بهذه التسمية .

الفوائد :

وعدناك بنقل الفصل الممتع الذي عقده الزمخشري في إعراب قوله « إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت لأن أكون من المسلمين » قال : « فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما

واحد ؟ قلت : ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالاخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء ، وإذا اختلف وجهها الشيء ومنعتا ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزداد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه ، كما عوض السين في اسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع ، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه : أن أكون أول من أسلم في زمانه ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى أبي في قولي وفعلي جميعاً ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولوية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب » فتأمله فإنه من غرر الأقوال .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ
 أَنْقَرُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ
 فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

اللفظة :

(ينابيع) : في المختار : « ينبع الماء : يخرج وبابه قطع ودخل ونبع ينبع بالكسر نبعاً بفتح الباء لغة أيضاً والينبوع عين الماء ومنه قوله تعالى « حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » والجمع الينابيع » فما يقوله العامة وهو « نبع » مولد غير معروف وإنما النبع مصدر وشجر تتخذ منه السهام والقسي يقال : قرعوا النبع بالنبع أي تلاقوا وتطاعنوا وما رأيت أصلب منه نبعاً أي أشد منه .

(يهيج) : يبس ويتم خفافه لأنه إذا تم بجفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب وفي المختار : « وهاج النبت يهيج هياجاً بالكسر يبس » وفي المصباح : « وهاج البقل يهيج اصفر » .

(حطاماً) : فتاة وفي المصباح « حطم الشيء حطماً من باب تعب فهو حطم إذا تكسر ويقال للدابة إذا أسنت حطمة ويتعدى بالحركة يقال حطمه حطماً من باب ضرب فانحطم وحطمه بالتشديد مبالغة » .

الاعراب :

(أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء حرف عطف على محذوف يدل عليه السياق والتقدير أفأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه ، ومن شرطية أو موصولة في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف فقدره

أبو البقاء كمن فجا وقدره الزمخشري فأنت مخلصه حذف لدلالة أفأنت تنقذه وقدره غيره تتأسف عليه ، والهمزة الثانية للاستفهام وأعيدت لتأكيد الإنكار والفاء رابطة وأنت مبتدأ وجملة تنقذ خبر ومن في النار مفعول به وقد أوقع الظاهر موقع المضر وهو من في النار وكأن الأصل أفأنت تنقذه ، وأنت مبتدأ وجملة تنقذ خبر ومن في النار مفعوله فالآية على هذا جملة واحدة، واعتراض يجمع الاستفهام والشرط ولا مساغ لهذا الاعتراض لأن أداة الاستفهام داخله على جملة محذوفة عطفت عليها جملة الشرط ولم تدخل على جملة الشرط وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة . (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار) لكن حرف عطف واضراب بمعنى بل وليست للاستدراك لأنه لم يسبقها شيء فالكلام اضراب عن موضوع الى موضوع مغاير للأول ، والذين مبتدأ وجملة اتقوا صلة وربهم مفعول به ولهم خبر مقدم وغرف مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين ومبنية صفة لغرف أي بنيت بناء المنازل وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة ثانية أو حال من غرف .

(وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لفعل محذوف دل عليه قوله لهم غرف لأنه في معنى وعدهم الله ذلك ولا نافية ويخلف الله الميعاد فعل مضارع وفاعل ومفعول به . (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) كلام مستأنف مسوق لتمثيل الحياة الدنيا وسرعة زوالها والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه

حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر أو مفعولها لأنها قلبية أو بصرية وان واسمها وجملة أنزل خبرها ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به ، فسلكه الفاء عاطفة وسلك فعل ماض منبي على الفتح وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى ، وينابيع ان اكان بمعنى المنبع ظرف للمصدر المحذوف أي سلكه سلوكاً في ينابيع فلما أقيم مقام المصدر جعل اتصابه على المصدر ، وإن كان بمعنى النابع كان اتصابه على الحال أي نابعات ، واعترض الشهاب الخفاجي على الحالية فقال « الحالية لا تخلو من الكدر لأن حقه حينئذ أن يقال من الأرض وفي الأرض على الوجهين صفة لينابيع ، قلت : ولا أرى مانعاً من نصب ينابيع على التمييز على حد قوله « وفجرنا الأرض عيوناً » ولم يذكره أي واحد ممن تصدوا لإعراب القرآن ، ومنطوق كلام الزمخشري يؤيد هذا الإعراب قال : « عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجسام » وأحجم الكثيرون عن إعراب ينابيع لدقتها ، وفي الشوكاني : « فسلكه ينابيع في الأرض : أي فأدخله وأسكنه فيها ، والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع ، والينبوع عين الماء والأمكنة التي ينبع فيها الماء فهو على الوجه الثاني منصوباً بنزع الخافض ، قال مقاتل : فجعله عيوناً وركايا في الأرض »

(ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ويخرج فعل مضارع والعدول إليه عن الماضي كما يقتضيه أسلوب العطف لاستحضار الصورة وبه متعلقان بيخرج وزرعاً مفعول به ومختلفاً نعت لزرعاً وألوانه فاعل لمختلف . (ثم يهيج فتراه مصفراً) ثم يهيج عطف على ثم يخرج فتراه الفاء حرف عطف والهاء مفعول به

ومصغراً حال لأن الرؤية بصرية. (ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى
لأولي الألباب) عطف على ما تقدم ويجعله حطاماً فعل مضارع وفاعل
مستتر والهاء مفعول به أول وحطاماً مفعول به ثان وإن حرف مشبه
بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المرحقة وذكرى اسمها المؤخر
ولأولي الألباب صفة لذكرى أو متعلقان بنفس الذكرى لأنها بمعنى
التذكرة .

البلاغة :

في قوله « أفأنت تنتقد من في النار » مجاز مرسل علاقته السببية
فقد أطلق السبب وأراد المسبب والمعنى أفأنت تهديه بدعائك له الى
الايمان فتنتقذه من النار .

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ
يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾

اللفظة :

(تقشعر) : اقشعر جلده : ارتعد وتقبّض وتخشن وتغير لونه
فهو مقشعر ، واقشعرت السنة : أمحلت وأجذبت، واقشعرت الأرض :

تقبضت وتجمعت إذا لم ينزل عليها المطر ، ويقال اقشعر الشجر أي قام وانتصب من فزع أو برد والمصدر الاقشعرار وقال الزمخشري : « اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموماً اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً دالاً على معنى زائد ، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المادة في باب البلاغة.

الاعراب :

(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) كلام مستأنف مسوق ليجري مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الألباب والهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على جملة مقدرة أي أكل الناس سواء ومن موصولة أو شرطية في محل رفع مبتدأ فعلى الأول يكون خبرها محذوفاً تقديره كمن طبع على قلبه وعلى الثاني يكون خبرها فعل الشرط وجوابه معاً والفاء عاطفة على اكل حال وهو مبتدأ وعلى نور خبر ومن ربه صفة لنور . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) الفاء رابطة وويل مبتدأ وساغ الابتداء لما فيها من معنى الدعاء بالعذاب والخسران وللقاسية خبر وقلوبهم فاعل للقاسية ومن ذكر الله متعلقان بالقاسية ومن إما للتعليل أي من أجل ذكره وقيل من بمعنى عن والمعنى غلظت عن قبول الذكر وأولئك مبتدأ وفي ضلال مبين خبره . (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني) لفظ الجلالة مبتدأ ، وسيأتي سر التقديم في باب البلاغة ، وجملة نزل أحسن الحديث خبر وكتاباً بدل من أحسن الحديث ويجوز أن يكون حالاً منه أي قرآناً متشابهاً ومتشابهاً

نعت أول ومثاني نعت ثان ، وقد مرّ معنى هذه الكلمة وسيأتي مزيد من النكت البلاغية في باب البلاغة .

(تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) جملة تقشعر نعت ثالث ومنه متعلقان بتقشعر وجلود الذين يخشون ربهم صلة وثم حرف عطف للتراخي وتلين جلودهم فعل مضارع وفاعل وقلوبهم عطف على جلودهم وإلى ذكر الله متعلقان بتلين لأنه متضمن معنى تسكن وتطمئن إلى ذكر الله . (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) ذلك مبتدأ وهدى الله خبر أو بدل من اسم الإشارة وجملة يهدي إما حال أو خبر وبه متعلقان يهدي ومن يشاء مفعول به وجملة يشاء صلة والإشارة إلى الكتاب فالجملة حال منه . (ومن يضل الله فما له من هاد) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم ليضل والله فاعل والفاء رابطة وما نافية أو نافية حجازية وله خبر أو خبر هاد المقدم ومن حرف جر زائد وهاد مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً أو اسم ما مجرور نفعاً وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين .

البلاغة :

١ - في قوله « مثاني » :

وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ، ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وأقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ، وقطيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب ،

وأجاز الزمخشري وجهاً لطيفاً آخر قال : « ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منصوباً على التمييز من متشابهاً كما تقول رأيت رجلاً حسناً شمائل والمعنى متشابهة مثانيه » .

٢ - فائدة التكرير :

وفائدة التثنية والتكرير ترسيخ الكلام في الذهن فإن النفوس تميل عادة من الوعظ والتنبيه وتسام النصيحة بادية الأمر ، ففي تكرير النصيح والموعظة تعويد لها على استساغة ذلك والعمل به وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرر عليهم ما يعظ وينصح به ثلاثاً وسبعاً أحياناً ليركز ذلك في نفوسهم والمعلم النابه لا يفتأ يردد ما يلقيه على طلابه من دروس حتى يصبح مستساغاً اليهم هماً في نفوسهم بعد أن كان صعباً مسجوجاً .

٣ - التجسيد الحي :

وفي قوله « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » نكت بلاغية بديعة وأهمها التجسيد الحي ، أراد سبحانه أن يجسد فرط خشيتهم فعرض عليك صورة من الجلد اليابس وصورة من الشعر الواقف ، ألا نقول : وقف شعر رأسه من الخوف ، وفي ذكر الجلود وحدها أولاً وقرنها بالقلوب ثانياً لأن ذكر الخشية التي محلها القلوب مستلزم لذكر القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم وتخشى قلوبهم في أول الأمر فإذا ذكروا الله وذكروا رحمته وسعتها استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لئناً في جلودهم . وقيل المعنى أن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة

فكافوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه إعظاماً له
وتعجباً من حسنه وبلاغته ثم قلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله .

أَمَّنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا
مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ
فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا
غَرِزِي عَوْجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

الاعراب :

(أَمَّنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) الهمزة للاستئناف
الإنكاري والفاء عاطفة على جملة مقدرة تفهم من مضمون السياق أي
أكل الناس سواء فمن يتقي ، ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ
وجملة يتقي بوجهه صلة وسوء العذاب مفعول به ويوم القيامة ظرف
متعلق بـ يتقي وخبر من محذوف تقديره كمن أمن من العذاب وسيأتي
معنى الالتقاء بالوجه في باب البلاغة . (وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم
تكسبون) وقيل عطف على يتقي أي ويقال لهم ذوقوا وإنما عدل إلى
الماضي للدلالة على تحقق وقوع القول ويجوز أن تكون الواو حالية
والجملة في محل نصب على الحال من ضمير يتقي وللظالمين متعلقان
بقيل وفيه وضع الظاهر موضع المضمّر تسجيلاً عليهم بالظلم وجملة

فوقوا مقول القول وما مفعول فوقوا وكتسم تكسبون كان واسمها وخبرها والجملة صلة ما. (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) كلام مستأنف مسوق لبيان ما أصاب الكافرين من قبلهم من عذاب دنيوي ، وكذب الذين فعل وفاعل ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الذين ، فأتاهم العذاب عطف على ما تقدم وأتاهم فعل ومفعول به مقدم والعذاب فاعل مؤخر ومن حيث متعلقان بأتاهم وجملة لا يشعرون في محل جر بإضافة الظرف إليها .

(فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا) الفاء عاطفة وأذاقهم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والخزي مفعول به ثان وفي الحياة الدنيا متعلقان بأذاقهم أو بمحذوف حال . (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) الواو عاطفة واللام لام الابتداء وعذاب الآخرة مبتدأ وأكبر خبر ولو شرطية وكان واسمها وجملة يعلمون خبرها وجواب لو محذوف دل عليه ما قبله ومفعول يعلمون محذوف أيضاً تقديره عذابها . (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وضربنا فعل وفاعل والناس متعلقان بضربنا على أنه مفعول به ثان لأن ضرب متضمن معنى جعل وفي هذا القرآن حال ومن كل مثل نعت لمفعول ضربنا الأول أي مثلاً كائناً من كل مثل ولعل واسمها وجملة يتذكرون خبرها . (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلمهم يتقون) قرآناً حال موطئة لأنها ذكرت توطئة للنعت بالمشقق بينما هي جامدة وهي حال من القرآن والاعتماد فيها على الصفة وقال اللقاني : « قرآناً مصدر بمعنى القراءة فهي مؤولة بمقروءاً عربياً فهو مصدر والمصدر الحال يؤول بمشقق » وقال الصفاقسي : « قيل الحال قرآناً وعربياً توطئة ومعنى التوطئة أن الاسم

الجامد لما وصف بما يجوز أن يكون حالاً صلح أن يكون حالاً «
وعلى هذا تضبط موطأة بفتح الطاء وقال السمين : « الثالث أن ينتصب
على الحال من القرآن على أنها حال مؤكدة وتسمى حالاً موطئة لأن
الحال في الحقيقة عربياً وقرأتاً توطئة له نحو جاء زيد رجلاً صالحاً »
وهكذا قرر الزمخشري . وأجاز الزمخشري وغيره أن ينتصب قرأتاً
على المدح لأنه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن وأجاز أبو البقاء أن
ينتصب يتذكرون .

وغير ذي عوج نعت ثان لقرأتاً وسيأتي معناه في باب البلاغة
ولعلمهم يتقون لعل واسمها وجملة يتقون خبرها .

البلاغة :

١ - الكناية أو المجاز التمثيلي :

في قوله « أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب » كناية عن عدم
الالتقاء لأن الوجه لا يتقى به وأما الذي يتقى به فهما اليدان وهما
مغلولتان ولو لم يغلا لكان يدفع بهما عن الوجه لأنه أعز أعضائه وقيل
هو مجاز تمثيلي لأن الملقى في النار لم يقصد الالتقاء بوجهه ولكنه لم
يجد ما يتقى به النار غير وجهه ولو وجد لفعل فلما لقيها بوجهه كائن
حاله حال المتقى بوجهه فعبّر عن ذلك بالالتقاء من باب المجاز التمثيلي
وهو جميل أيضاً . قال النابغة :

سقط النصف ولم تردوا اسقاطه

فتناولته واتقتا باليد

٢ - معنى العوج :

تقدم معنى العوج في الكهف وأن العوج بالكسر مختص بالمعاني دون الأعيان والسرّ فيه ، فارجع إليه هناك وقيل المراد بالعوج الشك واللبس ، قال :

وقد أتاك يقين غير ذي عوج
من الإله وقول غير مكذوب

وعلى كل حال ففي الكلام استعارة تصريحية .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ۖ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ
وَأِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ
﴿٣١﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ وَ

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

اللفظة :

(متشاكسون) : متنازعون مختلفون قال الزمخشري :
« والتشاكس والتشاخص الاختلاف تقول : تشاكست أحواله
وتشاخست أسنانه » وفي المختار : « رجل شكس بوزن فلس أي
صعب الخلق وقوم شكس بوزن قفل وبابه سلم وحكى الفراء شكس

بكسر الكاف وهو القياس قلت : وقوله تعالى : فيه شركاء متشاكسون أي مختلفون عسرو الأخلاق « وفي الصحاح : « رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق وقوم شكس مثل رجل صدق وقوم صدق وقد شكس بالكسر من باب سلم شكاسة وحكى الفراء : رجل شكس بكسر الكاف وهو القياس » .

وللشين والسين إذا كانتا فاء ولاماً للكلمة خاصة الصلابة والامتناع وسوء الخلق : يقال شش كفرح أي صلب فهو شش وشأس ، والششس بالفتح شجر مثل العثم إلا أنه أطول ولا تتخذ منه القسي ليبسه ، والشخش الاضطراب والاختلاف وقد تقدم ، والشرس محرقة سوء الخلق وشدة الخلاف كالشراسة والأشرس الجريء في القتال والأسد وهذا جمل لم يشرس أي لم يرض ، والششس الأرض الصلبة كأنها حجر واحد ، والشطس : الدهاء والعلم به والشطسي كجمحي الرجل المنكر المارد الداهية ، والشمس معروفة وليس هناك أمنع منها وشمس الفرس شموساً وشماساً منع ظهره فهو شامس وشموس والشموس الخمر لأنه تجعل شاربها شموساً ، والشووس محرقة : النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً كالتشاوس . وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة .

(سَلَمًا) : مصدر سلم وقرىء سالماً على أنه اسم فاعل أي خالصاً .

الاعراب :

(ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً) كلام مستأنف مسوق لتمثيل من يعبد آلهة

كثيرة ومن يعبد إلها واحداً • وضرب الله فعل وفاعل ومثلاً مفعول به
 ورجلاً بدل من مثلاً وقد تقدم إعراب ظيره، وقال الكسائي: انتصب
 رجلاً على إسقاط الخافض أي مثلاً في رجل • وفيه خبر مقدم وشركاء
 مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة رجلاً ومتشاكسون نعت لشركاء
 ورجلاً عطف على رجلاً وسلماً نعت بالمصدر على سبيل المبالغة ولرجل
 متعلقان بالمصدر وهو حرف استفهام ويستويان فعل مضارع وفاعل
 ومثلاً تمييز محول عن الفاعل أي لا يسوي مثلها وأفرد التمييز
 لاقتصاره عليه في الأول وقرئ مثلين لمطابقة حالي الرجلين •
 (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الحمد مبتدأ والله خبر والجملة
 الاسمية معترضة لأن قوله بل أكثرهم لا يعلمون اضراب اتقالي مرتبط
 بقوله هل يستويان وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر •

(إنك ميت وإنهم ميتون) جملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم فقد
 كانوا يتربصون موته ويستبطنونه فأخبر الله تعالى أن الموت يعمهم
 جميعاً فلا معنى للتربص والاستبطاء ولا مبرر لشماتة فان بفان ،
 وإنك ميت إن واسمها وخبرها وإنهم ميتون عطف على ما تقدم وسيأتي
 مزيد من الكلام على هذه الآية في باب البلاغة • (ثم انكم يوم القيامة
 عند ربكم تختصمون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإن
 واسمها ويوم القيامة ظرف متعلق بيختصمون وعند ربكم ظرف متعلق
 بمحذوف حال وسيأتي معنى الاختصام في باب الفوائد • (فمن أظلم
 ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذا جاءه) الفاء عاطفة ومن اسم
 استفهام في محل رفع مبتدأ ومعناه النفي أي لا أحد ومن متعلقان
 بأظلم وجملة كذب على الله صلة من وكذب بالصدق عطف على كذب
 على الله وإذا جاءه ظرف متعلق لكذب بالصدق أي كذب بالقرآن وقت
 مجيئه وجملة جاءه في محل جر بإضافة الظرف إليها •

(أليس في جهنم مثوى للكافرين) الهزة للاستفهام التقريري وليس فعل ماض ناقص وفي جهنم خبرها المقدم ومثوى اسمها المؤخر وللکافرين صفة لمثوى أو بنفس مثوى لأنه اسم مكان من ثوى أي أقام .

البلاغة :

١ - فن المثل :

في قوله « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء » الآية فن إرسال المثل فقد شبه حال من يعبد آلهة شتى بمملوك اشترك فيه شركاء شجر بينهم خلاف شديد وخصام مبین وهم يتجادبونه ويتعاورونه في شتى آرائهم ومتباين أهوائهم فهو يقف متحيراً لا يدري لأيهم ينحاز ولأيّهم ينصاع وأيهم أجدر بأن يطيعه وحال من يعبد إلهاً واحداً فهو متوفر على خدمته يلبي كل حاجاته ويصيخ سماعاً لكل ما ينتدبه إليه ويطلبه منه .

٢ - الفرق بين ميت وميت :

قال القراء : « الميت بالتشديد من لم يموت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقت الروح » ولذلك لم يخفف في الآية لأنه لما يموت ولما يموتوا بالنسبة لنزول الآية ، وقال الزمخشري : « والفرق بين الميت والمات أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المات فصفة حادثة تقول زيد مات غداً كما تقول سائد غداً أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في تقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت

والمعنى في قوله : إناك ميت وإنهم ميتون إناك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد مات » •

الفوائد :

وهذه نبذة لا مندوحة عن إيرادها في معنى الاختصاص : فقد جاء عن عبد الله بن الزبير قال : لما نزلت : ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أتكون علينا الخصومة ؟ بعد الذي بيننا في الدنيا قال نعم فقال : إن الأمر إذن لشديد » أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت في أهل الكتابين : ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا : كيف نختصم وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة ؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا : نعم هذا هو •

وعن أبي بكره قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قال القسطلاني في شرحه : أي فضرِب كل واحد منهما الآخر إذا كان قتالهما بلا تأويل، بل على عداوة دنيوية أو طلب ملك مثلاً فأما من قاتل أهل البغي أو دفع الصائل فقتل فلا، أما إذا كانا صحابيين فأمرهما عن اجتهاد لإصلاح الدين وفيه أن من عزم على المعصية أثم وإن لم يفعلها • وفي رواية إذا المسلمان جمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً قال : فقلنا أو قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه أراد قتل صاحبه ، رواه البخاري ومسلم ، قال العلماء : معنى كونهما في النار أنهما يستحقان ذلك ولكن

أمرهما الى الله تعالى إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر
الموحدين وإن شاء عفا عنهما فلم يعاقبهما أصلاً وقيل : هو محمول
على من استحل ذلك ، وذهب جمهور الصحابة والتابعين الى وجوب
نصر الحق وقتال الباغين واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على
أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف الحق منهم
لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن
المخطيء في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وإن المصيب يؤجر
أجرين وجعل هؤلاء الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل بغير
تأويل سائن بل بمجرد طلب الملك .

وقد أخرج البزار في حديث « القاتل والمقتول في النار » زيادة
تبين المراد وهي : « إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار »
ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ : « لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس
زمان لا يدري القاتل فيم قتل ؟ ولا المقتول فيم قتل ؟ فقيل : كيف
يكون ذلك ؟ قال : الهرج : القاتل والمقتول في النار » هذا والكلام
في هذا الباب طويل يرجع فيه الى المطولات لأنه خارج عن نطاق
هذا الكتاب .

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ هُمْ
مَأْشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾
أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا هُنَّ لَهُ شَايِئَاتُ ۚ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَدِينٍ ۚ

فَالَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ
ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ
كَشِفَتُ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ
حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

الاعراب :

(والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) الواو
استئنافية والذي مبتدأ وجملة جاء بالصدق صلة وصدق عطف على
الصلة والذي جنس المراد به بالنسبة للصلة الأولى محمد وبالنسبة
للصلة الثانية المؤمنون ولذلك روعي معنى الذي في أولئك هم المتقون،
وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خبر أولئك والجملة الاسمية
خبر الذي ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن مسعود « والذين جاءوا
بالصدق وصدقوا به » . (لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء
المحسنين) لهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وجملة يشاءون صلة وعند
ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال والجملة خبر ثان للذي وذلك مبتدأ
وجزاء المحسنين خبر والجملة نصب على الحال . (ليكفر الله عنهم
أسوأ الذي عملوا) اللام للتعليل ويكفر فعل مضارع منصوب بأن
مضمرة بعد لام التعليل ولام التعليل ومجرورها متعلقان بمحذوف
أي يسر لهم ذلك ليكفروا ولك أن تعلق اللام ومدخولها بالمحسنين
فتكون للعاقبة أي فكانت عاقبتهم التكفير والله فاعل يكفر عنهم

متعلقان يكفر وأسوأ مفعول به والذي مضاف إليه وجملة عملوا صلة وليس المراد هنا باسم التفضيل معناه على بابه وإنما هي من إضافة الشيء إلى بعضه من غير تفضيل ومنه قولهم الأشج والناقص أعدل بني مروان لأن اسم التفضيل لو كان على بابه لاقتضى نظم الكلام أنه يكفر عنهم أقبح السيئات فقط وهذا غير مراد طبعاً .

(ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) عطف على ماتقدم وأجرهم مفعول به ثان ليجزئهم وما قيل في معنى اسم التفضيل وهو أسوأ يقال هنا في معنى اسم التفضيل وهو أحسن لأنه تعالى لايجزيهم على أفضل الحسنات فقط . (أليس الله بكاف عبده) الهمزة للاستفهام التقريري لأن همزة الانكار إذا دخلت على النفي أثبتته بطريق المبالغة وليس واسمها والباء حرف جر زائد وكاف مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وعنده مفعول كاف والمراد به النبي أو الجنس عامة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي : عباده . (ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فما له من هاد) لك في الواو أن تجعلها للحال فتكون الجملة حالية والمعنى أليس الله كافيك حال تخويفهم إياك هذا إذا أراد بالعبد نبيه صلى الله عليه وسلم ولك أن تجعلها استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتفنيدها ما يعمدون إليه من تخويف بالأصنام ، ويخوفونك فعل مضارع ومفعول به وبالذين متعلقان يخوفونك ومن دونه متعلقان بمحذوف هو الصلة ومن يضل الله فما له من هاد تقدم إعرابها بنصها قريباً فجدد به عهداً . (ومن يهد الله فما له من مضلّ أليس الله بعزيز ذي انتقام) الجملة معطوفة على الجملة السابقة والإعراب متشابه والهمزة للاستفهام التقريري وليس واسمها وبعزيز الباء حرف جر زائد وعزيز مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وذو انتقام نعت .

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وسألتهم فعل وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة خلق السموات والأرض خبر والجملة في محل نصب مفعول به ثان لسألتهم المعلقة عن العمل بالاستفهام واللام واقعة في جواب القسم وجواب الشرط محذوف وفقاً للقاعدة المشهورة ويقولن فعل مضارع معرب لعدم مباشرة نون التوكيد له وقد تقدمت له ظائر كثيرة والله خبر لمبتدأ محذوف أي هو الله أو مبتدأ والخبر محذوف أي خلقها . (قل أفرايتم ما تدعون من دون الله) الهمزة للاستفهام والفاء الفصيحة ورايتم بمعنى أخبروني وقد تقدم القول فيها مفصلاً أكثر من مرة وما تدعون مفعول رايتم الأول ومن دون الله حال ، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة على مقدر أي أتفكرتم بعد ما أقررتم به فرايتم . . . (إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) إن شرطية وأرادني الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وهو في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف وجملة الشرط اعتراضية والجملة الاستفهامية هل هن كاشفات مفعول رايتم الثاني وهن مبتدأ وكاشفات ضره خبر .

(أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) عطف على الجملة السابقة وقرىء بتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمته على المفعولية لاسمي الفاعل . (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) حسبي الله مبتدأ وخبر أو بالعكس والجملة مقول القول وعليه متعلقان يتوكل ويتوكل المتوكلون فعل مضارع وفاعل .

قُلْ يٰٓقَوْمِ اَعْمَلُوا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ اِنِّىْ عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾
 مِّنْ يَّاتِيهِ عَذَابٌ يُّخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٠﴾ اِنَّا اَنْزَلْنَا
 عَلَيْكَ الْكِتٰبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدٰى فَلِنَفْسِهٖ ۖ وَمَنِ ضَلَّ فَلِنَآمَا
 يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٣١﴾ اَللّٰهُ يَتَوَقَّى الْاَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا
 وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضٰى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
 الْاٰخَرٰى اِلٰى اَجَلٍ مُّسَمًّى اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ﴿٣٢﴾

الاعراب :

(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون)
 يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة واعملوا
 فعل أمر وفاعل وعلى مكانتكم حال وسيأتي معنى الاستعارة هنا في
 باب البلاغة وان واسمها وخبرها وفي الكلام حذف أي على مكانتي
 والفاء عاطفة وسوف حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع مرفوع
 والواو فاعل • (من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) من
 اسم موصول مفعول تعلمون والعلم هنا بمعنى المعرفة فينصب مفعولاً
 واحداً وجملة يأتيه صلة وعذاب فاعل يأتيه وجملة يخزيه صفة لعذاب
 ويحل عطف على يخزيه وعليه متعلقان يحل وعذاب فاعل يحل ومقيم
 نعت أي دائم ثابت • (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق) إن
 واسمها وجملة أنزلنا خبرها وعليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول
 به وللناس متعلقان بأنزلنا أي لأجلهم وبالحق حال أي متلبساً به فهو

من الفاعل أو من المفعول • (فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) الفاء عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ واهتدى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة ولنفسه خبر لمبتدأ محذوف أي فهدايته لنفسه والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ وجملة ومن ضل فإنما يضل عليها عطف على نظيرتها •

(وما أنت عليهم بوكيل) الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنت اسمها وعليهم متعلقان بوكيل والباء حرف جر زائد ووكيل مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما • (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) الله مبتدأ وجملة يتوفى الأنفس خبر وحين موتها متعلق يتوفى والواو حرف عطف والتي معطوف على الأنفس وجملة لم تمت في منامها صلة وفي منامها ظرف ليتوفى والمعنى ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام ومنه قوله تعالى : « وهو الذي يتوفاكم بالليل » • (فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) الفاء عاطفة ويمسك فعل مضارع معطوف على يتوفى والتي مفعول يمسك وجملة قضى عليها الموت صلة والموت مفعول قضى ويرسل عطف على يمسك والأخرى مفعول به وإلى أجل متعلقان يرسل أو يمسك ومسمى نعت للأجل •

(إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر مقدم واللام المزحلقة وآيات اسم إن ولقوم صفة لآيات وجملة يتفكرون نعت لقوم •

البلاغة :

في قوله « قل يا قوم اعملوا على مكاتكم » الآية استعارة
تصريحية فقد شبهت الحال بالمكان القارّ فيه ، ووجه الشبه ثباتهم
في تلك الحال بثبات المتمكن في مكانه .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا
وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٤٥﴾
قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ
بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

الاعراب :

(أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أم حرف عطف بمعنى بل
واتخذوا فعل ماض والواو فاعل أي قریش ومن دون الله مفعول
اتخذوا الثاني وشفعاء مفعول اتخذوا الأول . (قل أولو كانوا
لا يملكون شيئاً ولا يعقلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري ومدخولها
محذوف تقديره أيشفعون والواو حالية ولو شرطية وكان واسمها
وجملة لا يملكون خبرها والجملة في موضع نصب على الحال والمعنى
أيشفعون في حالة كونهم لا يملكون ولا يعقلون وشيئاً مفعول به أو

مفعول مطلق وقد تقدم القول فيها ولا يعقلون عطف على لا يملكون ،
 وجواب لو محذوف تقديره تتخذونهم أي وان كانوا بهذه الصفة
 تتخذونهم • (قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم
 إليه ترجعون) لله خبر مقدم والشفاعة مبتدأ مؤخر واللام للملك أي
 انه مختص بها لا يملكها أحد إلا بتخليكه وجميعاً حال وله خبر مقدم
 وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر ثم حرف عطف للترتيب
 والتراخي وإليه متعلقان بترجعون •

(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة)
 الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة ذكر الله في
 محل جر بإضافة الظرف إليها والله فائب فاعل ووحده حال وعلى
 المصدر عند الخليل وسيبويه ، وجملة اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
 بالآخرة لا محل لها لأنها جواب إذا • (وإذا ذكر الذين من دونه إذا
 هم يستبشرون) عطف على ما تقدم ومن دونه صلة الذين وإذا
 الفجائية وقد جرينا على أنها حرف فلا تحتاج إلى عامل وإذا كانت
 ظرف زمان أو مكان كانت معمولة لما بعدها وهم مبتدأ وجملة
 يستبشرون أي يستبشرون وقت ذكر الذين من دونه • (قل اللهم
 فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) اللهم منادى والميم
 المشددة عوض عن يا وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً وفاطر السموات
 والأرض منادى مضاف وهناك أعراب أخرى سيرد الكلام عنها
 مفصلاً في باب الفوائد وكذلك قوله عالم الغيب والشهادة •
 (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أنت مبتدأ وجملة
 تحكم خبر وبين عبادك الظرف متعلق بتحكم وفيما متعلقان بتحكم
 أيضاً وكانوا كان واسمها وجملة يختلفون خبر كانوا وفيه متعلقان
 يختلفون وجملة كانوا الخ صلة ما •

الفوائد :

١ - عودة إلى « اللهم » :

مذهب الخليل وسيبويه أن هذا الاسم لا يوصف لأنه صار عندهم مع الميم بمنزلة الصوت أي غير متمكن في الاستعمال وذهب المبرد والزجاج إلى جواز وصفه برفع على اللفظ ومنسوب على المحل وجعل فاطر السموات والأرض صفة له ، قال أبو حيان : والصحيح مذهب سيبويه لأنه لم يسمع مثل اللهم الرحيم ارحمنا والآية ونحوها محتملة للنداء .

وقال ابن هشام : « وإنما قال في قل اللهم فاطر السموات والأرض : إنه على تقدير يا ولم يجعله صفة على المحل لأن عنده أن اسم الله سبحانه وتعالى لما اتصلت به الميم المعوضة عن حرف النداء أشبه الأصوات فلم يجر نعتة » أي فقد صار مثل هلا إذا الميم بمنزلة صوت مضموم إلى اسم الله مع بقائهما على معنييهما .

٢ - الاستبشار والاشمئزاز :

قال الزمخشري : « الاستبشار أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلىء غماً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه » .

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۖ
 مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ
 ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾

الاعراب :

(ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لاقتلوا به من سوء العذاب يوم القيامة) كلام مستأنف مسوق لبيان نبط من أنماط الهول الذي ينتظرهم والعذاب الشديد الذي أعد لهم . ولو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف على الأرجح وقد تقدم تقرير ذلك أكثر من مرة ، وللذين خبرها المقدم وما اسمها المؤخر وفي الأرض صلة ما وجميعاً حال ومثله عطف على ما ومعه ظرف متعلق بمحذوف حال واللام واقعة في جواب لو واقتدوا فعل وفاعل وبه متعلقان باقتدوا ومن سوء العذاب متعلقان باقتدوا أيضاً ويوم القيامة الظرف حال من فاعل اقتدوا أي حال كونهم في ذلك اليوم العصيب . (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) كلام معطوف على جملة ولو أن للذين ظلموا الآية وبدا فعل ماض ولهم متعلقان به ومن الله حال وما فاعل وجملة لم يكونوا صلة ما وجملة يحتسبون خبر يكونوا والعائد محذوف أي يحتسبونه .

(وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) عطف على ما تقدم ولك أن تجعل الكلامين مستأنفاً مسوقاً لإبراز وعيدهم في أبلغ ما يكون الوعيد والتهديد وإعرابها مماثل لما تقدم .

(فإذا مس الإنسان ضر دعانا) الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها من المناقضة على ما سبق ذكره وسيأتي السر في إشار الفاء مع أنها

تقدمت في أول السورة معطوفة بالو و وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ومس الإنسان ضر فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وجملة دعانا لا محل لها لأنها جواب إذا • (ثم إذا خولناه نعمة منّا قال : إنما أوتيته على علم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة خولناه في محل جر بإضافة الظرف إليها وخولناه فعل وفاعل ومفعول به ونعمة مفعول به ثان ومنّا صفة لنعمة وجملة قال لا محل لها وإنما كافة ومكفوفة وأوتيته فعل ماض مبني للمجهول والتاء فائب فاعل والهاء مفعول به وذكر الضمير لأن النعمة بمعنى الاحسان والعطاء ولك أن تعمل ان فتجعل ما موصولة في محل نصب اسمها وعلى علم خبرها والأول أرجح وعلى علم متعلقان بمحذوف حال أي حال كوني عالماً أني سأعطاه لما أتمتع به من جدارة واستحقاق •

(بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون) بل اضراب انتقالي وهي مبتدأ وفتنة خبر أي مقالته المذكورة أو النعمة وهذا أرجح ، ولكن الواو حالية ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها • قال الفراء : أثبت الضمير في قوله هي لتأنيث الفتنة ولو قال : بل هو فتنة لجاز ، وتذكير الأول في قوله أوتيته باعتبار معناها •

البلاغة :

إنما عطف قوله فإذا مس الإنسان ضر في آخر السورة بالفاء وفي أولها بالواو لأن هذه نشأت عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوبهم أي أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة • أما الأولى فلم تنشأ عما قبلها وإنما هو وصف الكلام اقتضى عطفها بالواو لمناسبة ما قبلها •

قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
 فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
 مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

الاعراب :

(قد قالها الذين من قبلهم) قد حرف تحقيق وقالها فعل ماض
 ومفعول به مقدم والهاء عائدة على مقاتلهم وهي : إنما أوتيته عن علم
 لأنها كلمة والذين فاعله ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الموصول .
 (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) الفاء عاطفة وما نافية وأغنى فعل
 ماض وعنه متعلقان به وما فاعل أغنى وجملة كانوا صلة وكان واسمها
 وجملة يكسبون خبرها . (فأصابهم سيئات ما كسبوا) الفاء عاطفة
 وأصابهم سيئات فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وما موصولة
 أو مصدرية في محل جر بالإضافة . (والذين ظلموا من هؤلاء
 سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) الواو عاطفة والذين
 مبتدأ وجملة ظلموا صلة ومن هؤلاء حال وجملة سيصيبهم سيئات
 ما كسبوا خبر الذين ، وما هم : ما نافية حجازية وهم اسمها والباء
 حرف جر زائد ومعجزين مجرور بالباء لفظاً منصوب
 محلاً على أنه خبر ما .

(أولم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر) الهزمة للاستفهام الإنكاري والواو عاطفة على محذوف تقديره أقالوها ولم يعلموا ولم حرف تهي وقلب وجزم ويعلموا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا وان واسمها وجملة ييسط الرزق خبرها ولن متعلقان بيسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على ييسط .
(إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) إن وخبرها المقدم واللام المرحلة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يؤمنون صفة لقوم .

* قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٥﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الإنابة مطلوبة لأن الفسحة عظيمة للمسرف • ويا عبادي منادى مضاف إلى ياء المتكلم المفتوحة وقرىء يا عباد بكسرها وقد تقدم حكم المنادى المضاف لياء المتكلم والذين نعت لعبادي وجملة أسرفوا صلة وعلى أنفسهم متعلقان بأسرفوا ولا ناهية وتقنطوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ومن رحمة الله متعلقان بتقنطوا • وقنط من باب تعب وسلم فيجوز كسر نونه وفتحها في المضارع وقد قرىء بهما وفي المختار : « القنوط : اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم فهو قنط وقنوط وقانط » وقد قرىء بالضم شذوذاً •

(إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) إن واسمها وجملة يغفر خبرها والجملة تعليل للنهي عن القنوط ولذلك قيل: هذه أرجى آية في القرآن وسيأتي بيان ما فيها من أفانين البلاغة، والذنوب مفعول به وجميعاً حال وذلك بعد التوبة من الشرك وإن واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والغفور الرحيم خبران لأن أو لهو والجملة خبر إن • (وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) وأنبيوا الواو عاطفة وأنبيوا فعل أمر وفاعله وإلى ربكم متعلقان بأنبيوا وأسلموا عطف أيضاً وله متعلقان بأسلموا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف إلى الظرف ويأتيكم فعل مضارع منصوب بأن والكاف مفعول به مقدم والعذاب فاعل مؤخر وثم حرف عطف للترتيب مع

التراخي وتؤمرون فعل مضارع مرفوع لأنه لم يعطف على يأتيكم
وسياًتي السر في ذلك في باب البلاغة .

(واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) واتبعوا عطف على
وأنبيوا وأحسن مفعول به لاتبعوا وما اسم موصول مضاف لأحسن
وجملة أنزل إليكم صلة ومن ربكم متعلقان بأنزل أيضاً . (من قبل
أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) من قبل متعلقان بسحذوف
حال وأن وما في حيزها في محل جر بالإضافة وبغتة حال والواو حالية
وأنتم مبتدأ وجملة لاتشعرون خبر والجملة نصب على الحال .
(أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) أن وما في حيزها
في محل نصب مفعول لأجله ، وقدّره الزمخشري كراهة أن تقول
وقدّره أبو البقاء أنذر ناكم مخافة أن تقول ، ونفس فاعل تقول
وسياًتي السر في تنكيرها في باب البلاغة ويا حرف نداء وحسرتا منادى
مضاف لياء المتكلم المنقلبة ألفاً وأصله يا حسرتي أي ندامتي وعلى
ما فرطت أي على تفريطي فما مصدرية والمصدر المؤول مجرور بعلى
والجار والمجرور متعلقان بحسرتا وفي جنب الله متعلقان بفرطت
وسياًتي بحث هذه الكناية في باب البلاغة .

(وإن كنت لمن الساخرين) الواو للحال وإن مخففة من الثقيلة
أي والحال أني وكان واسمها واللام الفارقة ومن الساخرين خبر كنت
ومحل الجملة نصب على الحال . (أو تقول لو أن الله هداني لكنت
من المتقين) أو حرف عطف وتقول عطف على أن تقول ولو شرطية
وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت وأن واسمها
وجملة هداني خبرها واللام واقعة في جواب لو وكان واسمها ومن
المتقين خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط جازم .

(أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) أو تقول عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره هي يعود على نفس وأو للتنويع لما تقوله النفس في ذلك اليوم العصيب تعللاً بما لا يفيد ولا يسفر عن فائدة ولو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف وأن وخبرها المقدم وكرة اسمها المؤخر ، فأكون : الفاء عاطفة وأكون معطوف على كرة فهو عطف على اسم خالص من التقدير بالفعل وقد تقدمت الإشارة إليه وإما تكون الفاء للسببية وأكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للتمني المفهوم من قوله لو أن لي كرة والفرق بين الوجهين أنه على الأول يكون فيه الكون من جملة المتنى وعلى الثاني يكون فيه الكون مترتباً على حصول المتنى لا متمنى .

(بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى حرف جواب جاء لرد النفي الذي تضمنه قول القائل لو أن الله هداني وقد حرف تحقيق وجاءتك آياتي فعل ومفعول به وفاعل فكذبت بها عطف على جاءتك وكنت كان واسمها ومن الكافرين خبرها .

البلاغة :

١ - في قوله : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » فنون متنوعة من علمي البديع والبيان فليخصها فيما يلي :

١ - إقباله سبحانه عليهم وفي ذلك منتهى الاطمئنان لهم لمحو ما سبق لهم من ذنوب وأضرار والإشعار بأن أمامهم مندوحة من الوقت لاستدراك ما فرط ورأب ما انصدع .

٢ - نداؤهم ، وفي ذلك من التودّد إليهم والتلطف بهم ما يهيب بذوي المسكة من العقول منهم الى المبادرة بالإجابة والرجوع بالتوبة .

٣ - إضافتهم إليه إضافة تشريف لهم ، وأنهم خلقاء بأصرة العبودية يمتنون بها إليه سبحانه ، وذلك كاف لمقابلتهم ذلك بالمثل وعلان التوبة للازدلاف إليه بها .

٤ - إضافة الرحمة الى أخص أسمائه تعالى وأجلها وأنها هي الأصل في معاملته لعباده .

٥ - إعادة الظاهر بلفظه في قوله إن الله يغفر الذنوب جميعاً .

٦ - الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله من رحمة الله لتخصيص الرحمة بالاسم الكريم كما تقدم آنفاً .

٧ - إبراز الجملة من قوله إنه هو الغفور الرحيم مؤكدة بأن وبضير الفصل وبالصفتين المودعتين للمبالغة فهذه سبعة فنون كاملة في آية واحدة .

٢ - الإيضاح :

وذلك في قوله «ثم لا تنصرون» فلقائل أن يقول لمّ لمّ يعطف تنصرون على أن يأتيكم المنصوب والجواب عن هذا الإشكال انه أراد - وهو أعلم - العدة بإخبارهم أنه لن ينصرهم أبداً في الاستقبال

ما داموا مصرين على عدم الإنابة محججين عن الإسلام وقد تقدمت
آية مماثلة لها في هذا الفن في سورة آل عمران .

٣ - التنكير :

والسر في تنكير النفس في قوله « أن تقول نفس » التقليل ،
لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر وانها نفس متميزة من
الأنفس بهذه السمة من اللجاج في الكفر وربما أريد بها التكثير على
حد قول الأعشى :

ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا
يريد كراماً كثيرين لا كريماً واحداً ومثله : رب بلد قطعت ،
ورب بطل قارعت وهو يقصد بلاداً وأبطالاً .

٤ - الكناية :

في قوله « على ما فرطت في جنب الله » والجنب الجانب يقال :
أنا في جنب فلان وجانبه وفاحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا
فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه ، قال جميل بن معمر :

أما تتقين الله في جنب وامق
له كبد حرى عليك تقطع

غريب مشوق مولع بادكاركم
وكل غريب الدار بالشوق مولع

يستعطف جميل صاحبه بشينة ويتوجع إليها مما نابه فيها أي
أما تخافين الله في جنب وامق أي في حقه الواجب عليك فالجنب كناية
عن ذلك والوامق الشديد المحبة يعني نفسه وحرى أي ذات حر
واحتراق ، وتقطع : أصله تتقطع والادكار أصله الازتكار قلبت تاء
الافتعال دالا مهملة وأدغمت الذال المعجمة فيها ، وخاطبها خطاب
جمع المذكر تعظيماً لها وفي البيت الثاني رد العجز على الصدر وهو
من بديع الكلام . وهذه الكناية تسمى كناية نسبة ، وقد تقدم القول
في أقسام الكناية ، لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيّزه فقد
أثبتته فيه ، قال زياد الأعجم :

إن الساحة والمروءة والنسدى

في قبة ضربت على ابن الحشرج

يعني انه مختص بهذه الصفات لا توجد في غيره ولا خيمة هناك
ولا ضرب أصلاً .

الفوائد :

ألف الفصل :

ألف الفصل تزداد بعد واو الجماعة مخافة التباسها بواو النسق
مثل : « وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له » ومثل : كفروا ووردوا ،
ألا ترى أنهم لو لم يدخلوا الألف بعد الواو ثم اتصلت بكلام بعدها
ظن القارئ أنها كهر وورد فحيزت الواو لما قبلها بألف الفصل ، ولما

فعلوا ذلك في الأفعال التي تنقطع واوها من الحروف قبلها نحو ساروا وجاءوا فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل واوها بالحروف قبلها نحو كانوا وبانوا ليكون حكم هذه الواو في كل موضع حكماً واحداً .

وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

اللفظة :

(بمفازة) : المفازة : الفلاة المهلكة سميت باسم المنجاة على سبيل التفاضل ، وفوز المسافر : ركب المفازة ومضى فيها ، قال حسان :

لله درّ رافع أتى اهتدى فوز من قراقر إلى سوى

وفوز بابله ، وفوز الرجل مات فصار في مفازة ما بين الدنيا والآخرة من البرزخ الممدود أو لأن المفازة صارت اسماً للمهلكة فأخذ

منها فوز بمعنى هلك ، وفاز سهمه وخرج له سهم فائز إذا غلب ، وفاز بفائزة هنيئة وأجيز بجائزة سنية . وقد سموا اللديغ سليماً تفاؤلاً ببرئه كما سموا القافلة للمسافرين تفاؤلاً بأوبتهم .

(مقاليد) : المقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح أو مقليد مثل منديل ومناديل والكلام من باب الكناية وعبارة القاموس : « والإقليد بـرّة الناقة والمفتاح كالمقلاد والمقلد وشريط يشد به رأس الجثة وشيء يطوّل مثل الخيط من الصنم يُقلد على البرة وعلى خوق القرط كالقلاد والعنق وجمعه أقلاد ، وناقة قلداً : طويلتها ، وكسكيت ومصباح : الخزانة ، وضاعت مقالده ومقاليده ضاقت عليه أموره وكمبر : الوعاء والمخلاة والمكيال وعصا في رأسها اعوجاج » الى أن يقول : « والقلادة : ما جعل في العنق ، وتقلد : لبسها » . على أن الزمخشري وغيره من علماء اللغة يقولون إن أصل الكلمة فارسي ، قال في الكشف : « له مقاليد السموات والأرض أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدير أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقلد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية فإن قلت : ما للكتاب العربي المبين وللفارسية ؟ قلت : التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملًا » .

الاعراب :

(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)
الواو استئنافية والظرف متعلق بترى وترى فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت والذين مفعوله وجمله كذبوا على الله صلة

ووجوههم مبتدأ ومسودة خبر والجملة الاسمية في محل نصب حال من الموصول لأن الرؤية بصرية ويجوز أن تكون الرؤية قلبية فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني لترى والكذب على الله معناه نسبة الشريك إليه . (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) الهمزة للاستفهام التقريري وليس وخبرها المقدم ومثوى اسمها المؤخر وللمتكبرين نعت لمثوى والجملة تعليلية لاسوداد وجوههم . (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) الواو عاطفة وينجي الله الذين فعل مضارع وفاعل ومفعول به وجملة اتقوا صلة وبمفازتهم متعلقان وينجي لأنها سببية ففوزهم بالفلاح سبب النجاة . (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) لا نافية ويمسهم السوء فعل مضارع ومفعول به وفاعل والواو عاطفة ولا نافية وهم مبتدأ وجملة يحزنون خبر وجملة لا يمسهم السوء لا محل لها لأنها مفسرة للمفازة كأنه قيل : ما مفازتهم فقليل لا يمسهم السوء ولا يبعد أن تكون في موضع نصب على الحال من الذين اتقوا وأجاز الزمخشري أن تكون مستأنفة .

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) الله مبتدأ وخالق كل شيء خبر وهو مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بوكيل ووكيل خبر هو والجملة مستأنفة . (له مقاليد السموات والأرض) له خبر مقدم ومقاليد السموات والأرض مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة أيضاً . (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) الذين مبتدأ وجملة كفروا بآيات الله صلة وهم مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر الذين ولك أن تجعل هم ضمير فصل لا محل له كما تقدم والجملة معطوفة على وينجي الله الذين آمنوا عطف أحد المتقابلين

على الآخر ولا يمنع من هذا العطف كون المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية . (قل : أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف وغير الله نصب بأعبد وجملة تأمروني اعتراض وسيأتي الكلام في حذف النون وأعبد فعل مضارع والأصل تأمروني أن أعبد فحذف أن وارتفع أعبد كما ارتفع في قول طرفة :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى

وأن اشهد اللذات هل أنت مخطي

وفيما يلي النص الكامل لإعراب أبي البقاء لهذه الآية :

« أفغير الله ، في اعرابها أوجه ، أحدها : أنه منصوب بأعبد مقدماً عليه وقد ضعف هذا الوجه من حيث كان التقدير أن أعبد فعند ذلك يفضي الى تقديم الصلة على الموصول وليس بشيء لأن أن ليست في اللفظ فلا يبقى عملها فلو قدرنا بقاء حكمها لأفضى الى حذف الموصول وبقاء صلته وذلك لا يجوز إلا في ضرورة الشعر ، والوجه الثاني أن يكون منصوباً بتأمروني وأعبد بدلاً منه والتقدير قل أفأأمروني بعبادة غير الله عز وجل وهذا من بدل الاشتغال ومن باب أمرتك الخير ، والثالث أن غير منصوب بفعل محذوف أي أفأأمروني غير الله وفسره فيما بعد ، وقيل لا موضع لأعبد من الاعراب وقيل هو حال والعمل على الوجهين الأولين وأما النون فمشددة على الأصل وقد خففت بحذف الثانية وقد ذكر قطائره » ونون تأمروني نون الرفع كسرت للمناسبة وحذفت نون الوقاية لاجتماع المثلين وقرئ بسكون

الياء وفتحها فالقراءات أربع وكلها سبعية. وأياها منادى فكرة مقصودة مبني على الضم والهاء للتنبيه والجاهلون بدل من أيها .

(ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك) اللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وأوحى فعل ماض مبني للمجهول وإليك سد مسد نائب الفاعل وقيل نائب الفاعل محذوف يدل عليه سياق الكلام أي أوحى إليك التوحيد وإلى الذين عطف على إليك ومن قبلك متعلقان بمحذوف صلة الموصول . (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) اللام موطئة للقسم أيضاً وإن شرطية وأشركت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط واللام واقعة في جواب القسم وهذا القسم وجوابه جواب القسم الأول وأما جواب الشرط فمحذوف على حد قول ابن مالك :

وأحذف لدى اجتماع شرط وقسم

جواب ما أخرت فهو ملتزم

ويحبطن فعل ماض مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وعملك فاعل ولتكونن عطف على ليحبطن واسم تكونن مستتر تقديره أنت ومن الخاسرين خبر . (بل الله فاعبد) وكن من الشاكرين) كلام معطوف على مقدر دل عليه السياق أي فلا تشرك ، والله نصب بفعل محذوف دل عليه فاعبد أي إن كنت عاقلاً فاعبد الله والفاء الفصيحة واعبد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكن عطف على اعبد واسم كن مستتر تقديره أنت ومن الشاكرين خبر كن .

الفوائد :

أفرد سيبويه في كتابه فصلاً خاصاً لهذا التركيب وهو « بل الله فاعبد » وهذه خلاصته : الأصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً فلما وقعت الفاء أولاً استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت متوسطة لفظاً ودالة على أن ثم شرطاً محذوفاً اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها ويضاف إلى هذه الغاية في التقديم فائدة الحصر كما تقدم من إشعار التقديم بالاختصاص .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٧﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ
اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَّظُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ
رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ هَٰذَا جَاءُوا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ

(٧١) قِيلَ ادْخُلُوا ابْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَثْوًى اَلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)
 وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
 أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
 نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ
 يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)

الاعراب :

(وما قدرُوا الله حق قدره) كلام مستأنف مسوق لتصوير قدرته تعالى وما نافية وقدرُوا الله فعل وفاعل ومفعول به أي ما علموا كنهه وما عرفوه حق معرفته ، وحق قدره نصب على المفعولية المطلقة .
 (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)
 الواو للحال والأرض مبتدأ وجميعاً حال وقبضته خبره والجملة حال من الله ويوم القيامة ظرف متعلق بمحذوف حال من قبضته أو هي متعلقة بها على تضمينها معنى مقبوضة والسموات مبتدأ ومطويات خبر ويمينه متعلقان بمطويات وعبرة أبي البقاء : « والأرض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعاً حال من الأرض والتقدير إذا كانت مجتمعة قبضته أي مقبوضة فالعامل في إذا المصدر لأنه بمعنى المفعول ، وقد ذكر أبو علي في الحجة : التقدير ذات قبضته وقد رد عليه ذلك وأن

المضاف إليه لا يعمل فيما قبله وهذا لا يصح لأنه الآن غير مضاف إليه وبعد حذف المضاف لا يبقى حكمه ويقرأ قبضته بالنصب على معنى في قبضته وهو ضعيف لأن هذا الظرف محدود فهو كقولك زيد الدار ، والسماوات مطويات مبتدأ وخبر وييمينه متعلقان بالخبر ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في الخبر وأن يكون خبراً ثانياً وقرئ مطويات بالكسر على الحال وييمينه الخبر وقيل الخبر محذوف أي والسماوات قبضته « هذا وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة .

(سبحانه وتعالى عما يشركون) سبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة ما . (وتنفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله) الواو حرف عطف على ما تقدم وعبر عما سيأتي بالماضي لتحقيق وقوعه وتنفخ فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على النافخ قيل هو إسرافيل أو اسرافيل وجبريل وفي الصور متعلقان بنفخ فصعق عطف على نفخ ومن فاعل وفي السماوات ومن في الأرض صلة من وإلا أداة استثناء ومن مستثنى واختلف في المستثنى من هم ؟ على أقوال متعددة يرجع إليها في المطولات وجملة شاء الله صلة من . (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي لبعد ما بين النفختين وتنفخ فعل ماض مبني للمجهول وفيه متعلقان بنفخ وأخرى نائب فاعل نفخ على حد قوله تعالى « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة » ويجوز أن يكون الجار والمجرور هو القائم مقام نائب الفاعل وأخرى صفة لمصدر محذوف نابت عنه أي فهي مفعول مطلق والفاء عاطفة وإذا

الفجائية لا محل لها وهم مبتدأ وقيام خبر وجملة ينظرون خبر ثان ومعنى ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوتين المشدوه إذا فاجأه خطب •

(وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب) الواو عاطفة وأشرقت الأرض فعل وفاعل وبنور ربها متعلقان بأشرقت ووضع الكتاب عطف على ما تقدم ووضع فعل ماض مبني للمجهول والكتاب نائب فاعل وأل في الكتاب للجنس أي أعطي كل واحد كتابه أي صحائف أعماله المدونة فيها حسناته أو سيئاته • (وجيء بالنيبين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) وجيء عطف على ما تقدم أيضاً وبالنيبين متعلقان بجيء والشهداء عطف على النيبين وقضي فعل ماض مبني للمجهول وبينهم إما نائب مناب الفاعل وإما متعلق بقضي ونائب الفاعل محذوف مقدر من المصدر المفهوم أي وقضي القضاء وبالحق متعلقان بمحذوف حال والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر والجملة في محل نصب على الحال •

(ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) ووفيت عطف أيضاً وكل نفس نائب فاعل وما مفعول به ثان لوفيت وجملة عملت صلة ولك أن تجعل ما مصدرية أي عملها فيكون المصدر المؤول هو المفعول الثاني والواو حالية أو عاطفة وهو مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وجملة يفعلون صلة • (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً) الواو عاطفة وسيق الذين فعل ماض مبني للمجهول والذين نائب فاعل وجملة كفروا صلة وإلى جهنم متعلقان بسيق وزمراً حال وهي جمع زمرة والزمرة الجماعة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت لأن الجماعة يكون لها صوت دائماً يقال زمر يزمر من باي

دخل وضرب أي غنى بالنفخ في القصب ونحوه • (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) حتى ابتدائية وقد تقدم القول مطولاً في حتى وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاءوها في محل جر بإضافة الظرف إليها وجملة فتحت أبوابها لا محل لها لأنها جواب إذا وأبوابها نائب فاعل •

(وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم) وقال عطف على فتحت ولهم متعلقان بقال وخرزنتها فاعل قال والهمزة للاستفهام التقريري الإنكاري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويأت فعل مضارع مجزوم بلم والكاف مفعول به ورسل فاعل ومنكم صفة لرسل وجملة يتلون صفة ثانية أو حال وعليكم متعلقان بيتلون وآيات ربكم مفعول يتلون • (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وينذرونكم عطف على يتلون ولقاء يومكم مفعول به ثان أو نصب بنزع الخافض ويومكم مضاف للقاء وأراد به وقت دخولهم النار وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة وهذا نعت ليومكم أو بدل منه • (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) بلى حرف جواب لإثبات النفي أي بلى أتونا وتلوا علينا والواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمله وحقت كلمة العذاب فعل وفاعل وعلى الكافرين متعلقان بحقت •

(قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) جملة مستأنفة وجملة ادخلوا مقول القول وأبواب جهنم مفعول به على السعة وخالدين حال وفيها متعلقان بخالدين والفاء استئنافية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ومثوى المتكبرين فاعله والمخصوص بالذم محذوف أي هي • (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً)

تقدم إعرابها بنصها وسيأتي الفرق بين السوقين في باب البلاغة .
 (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) حتى الابتدائية وإذا ظرف مستقبل
 متضمن معنى الشرط وجملة جاءوها في محل جر بإضافة الظرف إليها
 وجوابها هنا محذوف لأنه في صفة أهل الجنة فدل بحذفه على أنه
 شيء لا يكتنه ولا يحيط به الوصف والواو عاطفة وجملة وفتحت
 أبوابها معطوفة على جاءوها وسيأتي مزيد من القول فيها .

(وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) الواو
 عاطفة وقال لهم خزنتها فعل وفاعل وسلام مبتدأ وعليكم خبره وطبتم
 فعل وفاعل ، فادخلوها الفاء تعليلية وادخلوها فعل وفاعل ومفعول
 وخالدين حال . (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) كلام معطوف
 على جواب إذا المحذوف أي دخلوها وقالوا ، والحمد مبتدأ والله خبره
 والجملة مقول القول والذي نعت وجملة صدقنا صلة وهي فعل ماض
 وفاعل مستتر ومفعول به أول ووعدده مفعول به ثان . (وأورثنا
 الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) جملة وأورثنا
 عطف على صدقنا والأرض مفعول به ثان وجملة نتبوا حال من مفعول
 أورثنا والفاعل مستتر تقديره نحن ومن الجنة متعلقان بمحذوف حال
 وحيث ظرفية على بابها متعلقة بنتبوا أو مفعول نتبوا قال الزمخشري :
 « يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة
 فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره » والفاء استئنافية
 ونعم أجر العاملين تقدم إعرابها .

(وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)
 كلام مستأنف مسوق لوصف الملائكة المقربين في ذلك اليوم وترى
 الملائكة فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وحافين حال أي

محددقن محيطين بالعرش مصطفىين بحافته وجوانبه ومن حول العرش متعلقان بحافين وجملة يسبحون بحمد ربهم حال ثانية • (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) الواو عاطفة وقضي فعل مبني للمجهول وبينهم ظرف فائب عن فاعل الفاعل أو متعلق بقضي ونائب الفاعل مصدر مفهوم من الفعل أي قضي القضاء وبالحق حال والضمير في بينهم يرجع الى العباد والملائكة معاً وقيل عطف على قضي وجملة الحمد لله رب العالمين مقول القول •

البلاغة :

تميز ختام سورة الزمر بذكر أحوال القيامة والتحديد والتسبيح كما تميز بالجزالة في اللفظ ولسنا نعني بالجزالة أن يكون اللفظ وحشياً متوعراً عليه عنجمية البداوة بل نعني بها أن يكون اللفظ متيناً قوياً على عذوبة في الفهم وحلاوة جرسه في السمع ، ولو نظرنا الى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى فإننا لا نرى شيئاً من ذلك وحشي الألفاظ ولا متوعراً موغلاً في الجساسة والنبوء ، وسنعمد الى إيضاح ما ورد فيها من فنون •

١ - المجاز :

فأولها المجاز في قوله « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » فإن قبض الله الأرض عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته ، يقال : فلان في قبضتي يعني انه في قدرته باعتبار ما يثول اليه لأن القابض يتصرف بما يقبضه كيف يشاء

والقبضة المرة من القبض والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان أولهما قوله جميعاً والثاني قوله السموات ، وطى السموات والأرض مجاز أيضاً ليس يريد به طياً كما تفهمه وإنما المراد به الذهاب والفناء ، واليمين في كلام العرب تأتي بمعنى القدرة والملك كما قدمنا .

٢ - الفرق بين السوقين :

وفي قوله « وسيق » بالنسبة لأهل النار وأهل الجنة إذ عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ واحد فن دقيق المسلك وهو أن يأتي المتكلم بكلمة واحدة فتكون تارة دالة على الهوان والعقاب ثم يأتي بها ثانية فتكون دالة على الإكرام وحسن الثواب ، وما أجمل قول الزمخشري في هذا الصدد قال : « فإن قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق ؟ قلت : المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحشاً إسراعاً الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فستان ما بين السوقين » .

الفوائد :

١ - أقوال المعربين في جواب إذا :

أفاض العربون كثيراً في جواب إذا والسر في مجيء الواو بقوله « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » وقد أوردنا في باب الإعراب

ما اخترناه ، أما السمين فقد لخص أقوال المعربين بقوله : « في جواب إذا ثلاثة أوجه أحدها قوله وفتحت والواو زائدة وهو رأي الكوفيين والأخفش وإنما جيء هاهنا بالواو دون التي قبلها لأن أبواب السجون مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها والثاني أن الجواب محذوف قال الزمخشري وحقه أن يقدر بعد خالدين يعني لأنه لا يجيء بعد متعلقات الشرط ما عطف عليه والتقدير : اطمأنوا وقدره المبرد سعدوا وعلى هذين الوجهين فتكون الجملة من قوله وفتحت أبوابها في محل نصب على الحال وسمى بعضهم هذه الواو واو الثمانية قال لأن أبواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله تعالى : وثامنهم كلبهم وقيل تقديره حتى إذا جاءوها وجاءوها وفتحت أبوابها يعني أن الجواب بلفظ الشرط ولكنه يزيد بتقييده بالحال فلذلك صح » .

٢ - فصل ممتع للرماني :

هذا وننقل فيما يلي خلاصة وافية للفصل الذي عقده علي بن عيسى الرماني في تفسيره الكبير المفقود ، وكم يؤسفنا أن يضع هذا الكتاب بين سمع الأرض وبصرها ، ولكن الذي يعزينا أن السيوطي نقل عنه كثيراً وذكره كل من ترجم للمؤلف فقد كان الرماني نحويًا متكلمًا وكان شيخ العربية في زمانه شغوفًا بالمنطق حتى غلب عليه في جميع تأليفه وكلامه ، قيل للصاحب : هلا صنفت تفسيراً ؟ فقال : وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً ؟ وكان الرماني نفسه يقول : « تفسيرى بستان تجتنى منه ما تشتهي » وقد اشتهر تفسيره بين الناس

وكثر ذكره في كتبهم ولم يصل إلينا هذا التفسير فهو يقول في صدد
دراسته لسر الجمال في القرآن عندما يتحدث عن هذه الآية : « كأنه
قل حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنقيص والتكدير وإنما
صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل
مذهب ولو ذكر الجواب لقصر عن الوجه الذي تضمنه البيان .

سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِئَانَهَا جِيسٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ
وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ
﴿٣﴾ مَا يَجِدُلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ
﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ
﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾

اللفظة :

(حم) : تقدم القول في أوائل السور بما يغني عن المزيد
ونضيف هنا الآن ما قاله الجوهري : « وآل حم سور في القرآن فأما
قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب » وقال أبو عبيدة :

« الحواميم سور في القرآن على غير قياس » قال « والأولى أن تجمع بذوات حم » ويتلخص من هذا أن هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم فلها جموع ثلاثة خلافاً للجوهري الذي أنكر الأول وقال الكميت يمدح آل البيت :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولهما منا تقي ومعرب

فهو بمعنى ذوات أي في السور المنسوبة إلى هذا اللفظ ومن المعلوم أن لفظ آل كما يطلق على الأهل يطلق بمعنى ذو فيذكر قبل ما لا يصح تشنيته وجمعه من الأسماء المركبة ونحوها كتأبط شراً ، فإذا أرادوا تشنيته وجمعه وهو جملة لا يتأتى فيها ذلك ولم يعهد مثله في كلام العرب زادوا قبله لفظ آل أو ذو فقالوا : جاءني آل تأبط شراً أو ذو تأبط شراً أي الرجلان أو الرجال المسمون بذلك ومنه آل حم بمعنى الحواميم في قول الكميت الأنف الذكر .

(التوب) : في المختار : « التوب الرجوع عن الذنب وبابه قال وتوبة أيضاً وقال الأخفش التوب جمع توبة كدوم وديومة » .

(الطول) : الفضل والزيادة والانعام الواسع وفي الصحاح : « والطول بالفتح: المن يقال منه طال يطول من باب قال إذا امتن عليه »

وقال الماوردي : « الفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب والتفضل إحسان غير مستحق » .

الاعراب :

(حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) تقدم القول في

إعراب فواتح السور وأيسر ما فيه أنها خبر لمبتدأ مضمرة أو مبتدأ والخبر ما بعدها ، وتنزيل الكتاب مبتدأ ومن الله خبره والعزير العليم صفتان . (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول) هذه صفات أيضاً للجلالة وسيأتي في باب الفوائد ما قيل في المغايرة بين بعض الصفات والموصوف من حيث التعريف والتنكير . (لا إله إلا هو إليه المصير) يجوز أن تكون هذه الجملة صفة كما قال أبو البقاء ولكن يرد عليه أن الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن أن يريد أنه صفة لشديد العقاب فالأولى أن تكون جملة مستأنفة وأن تكون حالاً لازمة وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً ، وإليه خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كهروا) ما نافية ويجادل فعل مضارع مرفوع وفي آيات الله متعلقان يجادل وإلا أداة حصر والذين فاعل وجملة كهروا صلة . (فلا يغرك تقلبهم في البلاد) الفاء الفصيحة ولا ناهية ويغرك فعل مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به وتقلبهم فاعل وفي البلاد متعلقان بتقلبهم والمعنى إذا ثبت عندك أن المجادلين في آيات الله كفار فلا تغترر بتقلبهم في البلاد بالتجارات المربحة فإنهم مأخوذون بكفرهم .

(كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) كذبت فعل ماض والتاء للتأنيث وقبلهم ظرف متعلق بمحذوف حال وقوم نوح فاعل والأحزاب عطف على قوم نوح وهم قوم عاد وثمود وفرعون وغيرهم ومن بعدهم متعلقان بمحذوف حال . (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) وهمت عطف على كذبت وكل أمة فاعل وبرسولهم متعلقان بهمت واللام للتعليل ويأخذوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل والهاء مفعول به ومعنى ليأخذوه ليتمكنوا

من الايقاع به • (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) وحاولوا عطف على هت وبالباطل متعلقان بسحذوف حال وليدحضوا اللام للتعليل ويدحضوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وبه متعلقان ييدحضوا والحق مفعول به ، فأخذتهم عطف على جادلوا ، فكيف : الفاء عاطفة وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعقاب اسم كان مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف •

(وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) الكاف يجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف وقد تقدم تقرير ذلك أكثر من مرة ويحتمل أن تكون خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر كذلك وكلمة ربك فاعل وعلى الذين كفروا متعلقان بحقت وأنهم أصحاب النار المصدر المؤول في محل رفع بدل من كلمة ربك أو في محل نصب بنزع الخافض وهو لام التعليل •

الفوائد :

١ - التغاير بين الموصوف والصفة :

من مباحث النحو الجلية وقوع التغاير ، في الظاهر ، بين الموصوف والصفة ؛ فلقائل أن يقول : كيف جاز وصف المعرفة وهو الله سبحانه بغافر الذنب وقابل التوب وشديد العقاب لأن هذه الثلاث مشتقات ، وإضافة المشتق لا تفيد تعريفاً فمن ثم وقع التغاير المشار إليه ، وقد أجاب سيبويه عن ذلك بقوله : « إن كل ما إضافته غير محضة يجوز أن تجعل محضة وتوصف به المعارف إلا الصفة المشبهة »

أما الكوفيون فلم يستثنوا الصفة المشبهة أيضاً فقالوا في نحو حسن الوجه إنه يجوز أن تصير إضافته محضة ، فعلى مذهبهم يصح أن تكون الثلاث نعوتاً ، وعلى مذهب سيبويه يعرب شديد العقاب بدلاً ، وفيما يلي تقرير الزمخشري بهذا الصدد قال : « فإن قلت : كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف ؟ قلت : أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين ، وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الاتصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلاً وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبو " ظاهر " والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال " غير أوصاف ومثل ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متعلن كانت من الكامل ، ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا ، أنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف . ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى مالا شيء أدهى منه وأمر " لزيادة الإنذار . ويجوز أن

يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البديل على الوصف إذا سلكت طريق الابدال .

٢ - نكتة زيادة الواو :

وفي زيادة الواو في قوله وقابل التوب نكتة جلية وهي إفادة الجمع بين رحمتي مغفرة الذنب وقبول التوب ، وروي أن عمر بن الخطاب افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام فقبل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحباً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة ، فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلة فسدوده ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه . قلت : وما فعله عمر رضي الله عنه يجب أن يكون مثالا يحتذى في حسن الأدب وطريقة الهداية التي تهدي بالتي هي أحسن وتتفادى الغلظة والشدّة في القول وسوء التنديد بما يفعله المذنب .

٣ - الجدل مذموم إلا في الحق :

وفي قوله « ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا » إلماع الى ما ينطوي عليه الجدل المذموم لادحاض الحق وإطفاء نور الله ، أما الجدل في الآيات لإزالة مشكلها وحل ملتبسها ومقارعة العلماء في

استنباط معانيها وطرق إعرابها وحسن بيانها فأمر محمود بل هو مطلوب مفروض وعلى هذا الأساس ورد قوله صلى الله عليه وسلم : « إن جدالا في القرآن كفر » فقد أوردته منكراً للتمييز بين جدال وجدال .

٤ - البدلية في قوله « إنهم من أصحاب النار » :

أعربنا « إنهم من أصحاب النار » بدلا من كلمة ربك ولم نوضح نوع البدل والظاهر أنه يصح أن يكون بدلا مطابقا أو بدلا اشتمال فإذا نظرنا إلى اللفظ كان مطابقا لاتحاد مدلوله مع مدلول البدل وإذا اعتبرنا المعنى كان بدلا اشتمال لأن معناه وعيده إياهم ، وحكمه الأزلي بشقائهم .

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّعَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّعَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

الاعراب :

(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) الذين مبتدأ وجملة يحملون العرش صلة ومن حوله

عطف على الذين وحوله ظرف متعلق بمحذوف صلة الذين وجملة يسبحون بحمد ربهم خبر الذين وبحمد متعلقان بمحذوف حال أي ملاسسين للحمد ويؤمنون به عطف على يسبحون والبحث في معنى جملة العرش ومن هم يرجع إليه في المطولات • (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) ويستغفرون عطف على ما قبله وللذين متعلقان يستغفرون وجملة آمنوا صلة وربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء وهو مقول قول محذوف في محل نصب على الحال أي قائلين ، ووسعت فعل وفاعل وكل شيء مفعول به ورحمة وعلماً تمييزان والتمييز هنا محول عن الفاعل أي وسعت رحمتك كل شيء ووسع عليك كل شيء •

(فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) الفاء الفصيحة واغفر فعل أمر وفاعله أنت وللذين متعلقان باغفر وجملة تابوا صلة والمعنى فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع السبيل القويمة ، واتبعوا سبيلك عطف على للذين تابوا وقهم : ق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والهاء مفعول به أول وعذاب الجحيم مفعول به ثان • (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأدخلهم عطف على ما تقدم وأدخلهم فعل أمر للدعاء والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به أول وجنات عدن مفعول به ثان على السعة والتي صفة وجملة وعدتهم صلة التي ومن في محل نصب عطف على مفعول أدخلهم أو على مفعول وعدتهم وقال القراء والزجاج « نصبه من مكانين إن شئت على الضمير في أدخلهم وإن شئت على الضمير في وعدتهم وجملة صلح صلة » والأول أرجح ومن آبائهم وما عطف عليه في محل نصب حال •

(إِنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) إِنْ وَاسْمُهَا وَأَنْتَ مُبْتَدَأٌ أَوْ ضَمِيرٌ
فَصَلَّ وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خَبْرَانِ لِأَنْتَ وَالْجُمْلَةُ خَبْرُ إِنْكَ أَوْ خَبْرَانِ لِإِنْ
وَأَنْتَ لَا مَحَلَّ لَهَا كَمَا تَقْدُمُ . (وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ) الْوَائِ عَاطِفَةٌ وَفَهُمُ فَعْلٌ أَمْرٌ وَفَاعِلٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ أَنْتَ
وَمَفْعُولٌ بِهِ وَالسَّيِّئَاتِ مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ وَالوَائِ عَاطِفَةٌ وَمَنْ اسْمٌ شَرْطٌ
جَازِمٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ وَتَقِ فَعْلٌ الشَّرْطُ مَجْزُومٌ وَعَلَامَةُ جَزْمِهِ حَذْفُ
حَرْفِ الْعَلَّةِ وَالسَّيِّئَاتِ مَفْعُولٌ بِهِ وَيَوْمَئِذٍ الظَّرْفُ مُتَعَلِّقٌ بِتَقِ وَإِذْ
مُضَافٌ لِيَوْمٍ وَالتَّنْوِينُ عَوْضٌ مِنْ جُمْلَةٍ مُحْذُوفَةٍ وَقَصْدُهُ مِنَ الْكَلَامِ
السَّابِقِ أَيُّ يَوْمٍ إِذْ تَدْخُلُ مِنْ تَشَاءُ الْجَنَّةِ وَمَنْ تَشَاءُ النَّارِ وَالْفَاءُ رَابِطَةٌ
لِجَوَابِ الشَّرْطِ وَقَدْ حَرَفَ تَحْقِيقُ وَرَحِمْتَهُ فَعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ
وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا . (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ذَلِكَ مُبْتَدَأٌ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ
ثَانٍ وَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ خَبْرٌ وَيَجُوزُ إِعْرَابُ هُوَ ضَمِيرٌ فَصَلَّ لَا مَحَلَّ لَهُ
وَالْإِشَارَةُ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَوَقَايَةِ السَّيِّئَاتِ .

البلاغة :

فِي قَوْلِهِ « رَبَّنَا وَأَدْخَلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ » فَنَ طَرِيفٌ مِنْ
فَنُونِ الْبَلَاغَةِ أَطْلَقَ عَلَيْهِ فَنَ « الْإِسْجَالُ بَعْدَ الْمَغَالِطَةِ » وَهُوَ أَنْ يَقْصِدَ
الْمُتَكَلِّمُ غَرَضًا مِنْ مَمْدُوحٍ فَيَأْتِي بِالْفَافِ تَقَرُّرَ بَلُوغِهِ ذَلِكَ الْغَرَضَ
إِسْجَالًا مِنْهُ عَلَى الْمَمْدُوحِ بِهِ ، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنْ يَشْتَرِطَ شَرْطًا يُلْزِمُ مِنْ
وَقُوعِهِ وَقُوعَ ذَلِكَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَخْبِرُ بِوَقُوعِهِ مَغَالِطَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ
وَقَعَ بَعْدَ لِيَقَعَ الْمَشْرُوطُ ، وَقَدْ يَقَعُ الْإِسْجَالُ لَغَيْرِ مَغَالِطَةٍ وَهَذَا النُّوعُ
هُوَ الَّذِي وَقَعَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَحْثُهُ وَمِثَالُهُ فِي آلِ عِمْرَانَ ،
أَمَّا النُّوعُ الْأَوَّلُ فَيَقَعُ فِي الشَّعْرِ كَقَوْلِ ابْنِ نَبَاتَةَ السَّعْدِيِّ :

جاء الشتاء وما عندي له عدد

إلا ارتعادي وتصفيقي بأسناني

فإن هلكتم فمولانا يكفني

هني هلكتم فهني بعض أكماني

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ

إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَنتَ تَنبِئُنَا وَأَحْيِيْتَنَا

أَنتَ تَمِيتُنَا فَأَعِزَّنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ

اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُونَ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم)
 كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم
 النار . وإن واسمها وجملة كفروا صلة الذين وجملة ينادون خبر إن
 وينادون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، والمنادون
 هم الملائكة بعد أن مقت الكفار أنفسهم وهم يكتوون بنار جهنم ،
 واللام لام الابتداء ومقت الله مبتدأ والاضافة من إضافة المصدر لفاعله
 والمفعول به محذوف أي إياكم وأكبر خبر ومن مقتكم متعلقان بأكبر
 وأنفسكم مفعول مقتكم . (إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) إذ

ظرف متعلق بمقت الله وإن توسط بينهما الخبر لأن الظروف يتوسع فيها مالا يتوسع في غيرها ومنع ذلك أبو البقاء لما تقدم وجعل الظرف متعلقاً بفعل محذوف تقديره مقتكم إذ تدعون ، وجملة تدعون في محل جر بإضافة الظرف إليها وتدعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو هي نائب الفاعل وإلى الإيمان متعلقان بتدعون ، فتكفرون الفاء عاطفة وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والمعنى المتحصل من الآية أنهم عندما يزجون في غيابات النار ويذوقون الهول من احتراقهم بها ينطلقون بالملامة بعضهم على بعض ويتراشقون التهم ويلقي كل واحد الملامة على الآخر فيدعون من مكان سحيق أن مقت الله إياكم أو أنفسكم الأمارة بالسوء إذ تدعون في الدنيا من جهة الأنبياء فلا تصيخون للسمع ، ولا تبالون بالنصح والارشاد ، سادحين في مطاوعة أهوائكم الجموح .

(قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) قالوا فعل وفاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأمتنا فعل ماض والتاء فاعل وفا ضمير متصل في نصب مفعول به واثنتين مفعول مطلق قاب عنده عن المصدر أي إِمَاتَيْنِ اثنتين وكذلك وأحييتنا اثنتين ، واعترفنا فعل وفاعل وبذنوبنا متعلقان باعترفنا ، فهل الفاء عاطفة وهل حرف استفهام وإلى خروج خبر مقدم ومن حرف جر زائد وسبيل مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر . (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) ذلكم مبتدأ والاشارة إلى العذاب وبأنه خبر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دعي في محل جر بإضافة الظرف إليها والله نائب فاعل ووحدته حال وجملة كفرتم لا محل لها لأنها جواب إذا وجملة الشرط

وجوابه خبر أنه والمراد كفرتم بالتوحيد • (وإن يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير) الواو عاطفة وإن شرطية ويشرك فعل الشرط
مجزوم وهو فعل مضارع مبني للمجهول وبه سد مسد نائب الفاعل
وتؤمنوا جواب الشرط والفاء عاطفة لأن هذا الكلام من جملة ما يقال
لهم في الآخرة والحكم مبتدأ والله خبره والعلي الكبير صفتان •

البلاغة :

١ - المجاز المرسل :

في قوله « ربنا أمتنا اثنتين » مجاز مرسل لأن المراد بالميتين
الاثنتين خلقهم أمواتاً أولاً واماتتهم عند انقضاء آجالهم ثانياً والمراد
بالإحياءتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث وقد أوضح سبحانه ذلك
بقوله : « وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميّتكم ثم يحييكم » ففي تسمية
خلقهم أمواتاً إماتة مجاز لأنه باعتبار ما كان ، وقد أوضح ذلك
الزمخشري أبلغ إيضاح في فصله المتع بهذا الصدد ننقله بنصه
لنفاسته قال : « فإن قلت كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتاً إماتة ،
قلت : كما صح أن تقول : سبحان من صغر حجم البعوضة وكبر حجم
الفيل ، وقولك للحفار ضيق فم الركبة ووسّع أسفلها وليس ثم نقل
من صغر إلى كبر ولا عكسه ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه وإنما
أرد الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الكبر والصغر
جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما وكذلك
الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما
على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه منه
كنقله منه » •

٢ - الاستفهام بمعنى اليأس :

وفي قوله « فهل الى خروج من سبيل » في هذا الاستفهام يأس مقنط واستحالة مفرطة كأنهم لفرط ما يكابدونه يتمنون الخروج من هذا الأسى المطبق من الهول المستحکم ولكن أي تمن ؟ إنه تسني من غلب عليه اليأس والقنوط وتنكير خروج للدلالة على أي خروج كان سواء أكان سريعاً أم بطيئاً ؛ وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله « ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم » ومعناه أن السبب يعود إلى كفركم فلا تطمعوا في زوال ما أأنتم فيه لأنه جريرتكم وعلى أنفسكم تقع الملامة وقد تعلق الشعراء بأهداب هذا التعبير البديع فقال بعضهم :

هل الى نجد وصول وعلى الخيف نزول

وقصدهم أن هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع وحيل بين المتمني وما يتمناه .

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ
إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾

اللفظة :

(الآزفة) : القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربها من أزف الرحيل أي قرب وفي المصباح : « أزف الرحيل أزفاً من باب تعب وأزوفاً دنا وقرب وأزفت الآزفة القيامة » وفي الأساس : أزف الرحيل: دنا وعجل ومنه أقبل يمشي الأزفي بوزن الجمزي وكأنه من الوزيف والهمزة عن واو ، وساءني أزوف رحيلهم وأزف رحيلهم والآزفة القيامة لأزوفها . قال هذبة :

وبادرها مَصْرَ العشيّة قرّمها

ذَر البيت يغشاه من القُرّ آزف

(الحناجر) : في المختار : « والحنجرة بالفتح والحنجور بالضم الحلقوم » وفي القاموس : « والحنجور السفت الصغير وقارورة للذرية والحلقوم كالحنجرة والحناجر جمعه » .

الاعراب :

(هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً) كلام مستأنف مسوق للتدليل على أن الحكم له سبحانه وهو مبتدأ والذي خبر وجملة يريكم صلة وآياته مفعول به وينزل لكم عطف على يريكم ومن

السبب متعلقان ينزل للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل وديمومتها واستمرارهما (وما يتذكر إلا من ينسب) الواو عاطفة وما نافية ويتذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر ومن فاعل وجملة ينسب صلة (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما ذكر فادعوا ، ولفظ الجلالة مفعول به ومخلصين حال وله جار ومجرور متعلقان بمخلصين والدين مفعول به والوو حالية ولو شرطية وكره الكافرون فعل وفاعل والمفعول به محذوف أي إخلاصكم أو دعوتكم • (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) رفيع الدرجات خبر لمبتدأ محذوف و ذو العرش خبر ثان وجملة يلقي الروح خبر ثالث أي الله ومن أمره متعلقان يلقي أو بمحذوف حال من الروح أي الوحي أي حال كونه ناشئاً من أمره والمراد بالروح الوحي وسيأتي السبب في تسميته بذلك في باب البلاغة وعلى من متعلقان يلقي وجملة يشاء صلة ومن عباده حال ، ولينذر اللام للتعليل وينذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان يلقي وفاعل ينذر يجوز أن يكون الله أو الروح أو من يشاء ويوم مفعول به لينذر والتلاق مضاف إليه وحذفت الياء اتباعاً لرسم المصحف وقرئ بإثباتها وسمي يوم القيامة يوم التلاق لأن الخلائق تلتقي فيه •

(يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) يوم بدل من يوم التلاق بدل كل من كل وهم مبتدأ وبارزون خبر والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف إليها فحركة يوم حركة اعراب على المشهور وسيأتي تقرير ذلك في باب الفوائد وجملة لا يخفى حال من ضمير بارزون أو خبر ثان وقيل هي مستأنفة ورجح الزمخشري الحالية

ولعله على صواب وعلى الله متعلقان يخفى ومنهم حال لأنه كان في الأصل صفة لشيء وشيء فاعل يخفى • (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به فالجملة مقول قول محذوف أي يقوله تعالى ويجب نفسه والقول معطوف على ما قبله أو مستأنف في جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك • ولمن خبر مقدم والمملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف متعلق بالمملك والله خبر لمبتدأ محذوف تقديره الملك لله والواحد القهار نعتان لله وقال الزمخشري : « ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار » •

(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الظرف متعلق بتجزى والكلام تنمة للمقول وتجزى فعل مضارع مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وبما متعلقان بتجزى وما موصولة أو ظرفية • (لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) لا نافية للجنس وظلم اسمها المبني على الفتح واليوم ظرف متعلق بمحذوف خبر وإن واسمها وخبرها والجملة تعليل لعدم الظلم أي أنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب فهو سريع في حسابه عادل في حكمه • (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) الواو عاطفة على ما تقدم وأنذرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به أول ويوم الآزفة مفعول به ثان وإذ بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ ولدى الحناجر ظرف متعلق بمحذوف خبر والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها وكاظمين حال من القلوب وعوملت الحناجر في جمعها بالياء والنون معاملة أصحابها وسيأتي تقرير الزمخشري في باب البلاغة • (ما للظالمين من حميم ولا شفيع

يطاع) الجملة حال من أصحاب القلوب وما نافية حجازية أو مهيمة وللظالمين خبر مقدم ومن حرف جر زائد وحميم اسم ما المؤخر أو مبتدأ ولا شفيع عطف على حميم وجملة يطاع صفة لشفيع وفي الكلام مجاز سيأتي تفصيله في باب البلاغة .

البلاغة :

١ - في قوله « يلقي الروح من أمره » مجاز مرسل لأن المراد بالروح الوحي وسمي الوحي روحاً لأنه يجري من القلوب مجرى الأرواح من الأجساد فهو مجاز مرسل علاقته السببية وجعله الزمخشري استعارة تصريحية وليس ببعيد .

٢ - التمثيل :

وفي قوله « إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين » استعارة تمثيلية لتجسيد الهول في ذلك اليوم الذي تكون فيه مشارفتهم للنار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ويستريحوا ولا هي ترجع إلى مواطنها فيتنفسوا الصعداء ويتروحووا ولكنها معترضة كالشجا .

٣ - عكس الظاهر :

وفي قوله « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » عكس الظاهر وقد تقدم ذكر هذا الفن أكثر من مرة إذ لا شفيع لهم أصلاً فضلاً عن أن يكون مطاعاً .

٤ - قول الزمخشري في كاظمين :

وقال الزمخشري : « فإن قلت : بم انتصب كاظمين ؟ قلت : هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب وإن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جسع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكمظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى : « رأيتهم لي ساجدين » وقال : فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

الفوائد :

إضافة الزمان الى الجمل :

يجوز في الزمان إذا أضيف الى جملة الإعراب على الأصل والبناء فإن كان ما يليه فعلاً مبنياً فالبناء أرجح للتناسب أو لشبه الظرف حينئذ بحرف الشرط في جعل الجملة التي تليه مفتقرة إليه وإلى غيره كقول النابغة الذبياني :

على حين عاتبت المشيب على الصبا

وقلت : ألما أصح والشيب وازع

يروى على حين بالخفض على الإعراب وعلى حين بالفتح على البناء وهو الأرجح لكونه مضافاً إلى مبني أصالة وهو عاتبت وقد يكون البناء حالة عارضة فيجزي الأمر كذلك كقوله :

الأجندبن منهن قلبي تحلماً على حين يستصبين كل حلیم

يروى بخفض حين على الاعراب وفتحها على البناء لكونه مضافاً الى مبني وهو يستصين فإنه مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون الإناث وماضيها استصيت فلافاً إذا جعلته في عداد الصياني وإن كان ما وليه فعلاً مضارعاً معرباً أو جملة اسمية فالإعراب أرجح من البناء وهو واجب عند البصريين لعدم التناسب وإنما قلنا بأرجحية الاعراب لأن نافعاً وهو من كبار القراء قرأ « هذا يوم ينفع » بالفتح على البناء لا على الاعراب وأجاب جمهور البصريين بأن الفتحة فيه ليست فتحة بناء وإنما هي فتحة إعراب مثلها في صمت يوم الخميس والتزموا لأجل ذلك أن تكون الإشارة ليست لليوم وإلا لزم كون الشيء ظرفاً لنفسه ولهذا قال الفارسي وابن مالك بأرجحية الاعراب ، قال في الخلاصة :

وقبل فعل معرب أو مبتدا أعرب ومن بنى فلن يفسدا

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا
مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) الجملة خبر رابع للمبتدأ المحذوف الذي أخبر برفيع الدرجات وما بعده أو هو خبر من أخبار هو الذي يريكم أو هي في محل نصب على الحال أو هي تعليلية لا محل لها . ويعلم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره هو أي الله تعالى وخائنة الأعين مفعول به والإضافة بمعنى من أي الخائنة من الأعين فعلى هذا تكون خائنة نعت لمحذوف أي العين الخائنة ويجوز أن تكون الخائنة مصدراً كالعاقبة والكاذبة أي يعلم خيانة الأعين ، وسيأتي مزيد بحث عن هذا التعبير في باب البلاغة ، والواو حرف عطف وما عطف على خائنة الأعين وجملة تخفي الصدور صلة ما . (والله يقضي بالحق) الواو حرف عطف والله مبتدأ وجملة يقضي بالحق خبره وبالحق متعلقان يقضي أو بمحذوف حال أي ملتبساً به . (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة يدعون صلة ومن دونه متعلقان يبدعون والعائد محذوف أي يدعونهم من دونه بمعنى يعبدونهم وجملة لا يقضون بشيء خبر الذين وإن واسمها وهو مبتدأ أو ضمير فصل والسميع البصير خبر إن لهو أو لإن .

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) الهمزة للاستفهام الإنكاري أنكر عليهم عدم الاعتبار بأحوال غيرهم والواو عاطفة على مقدر يقتضيه المقام أي أغفلوا ولم يسيروا ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم وفي الأرض متعلقان يسيروا ، فينظروا الفاء سببية أو عاطفة وينظروا

منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية أو مجزوم عطف على يسروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب على المفعولية لينظروا وجملة كانوا صلة الذين ومن قبلهم خبر كانوا . (كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض) كان واسمها وهم ضمير فصل لا محل له وأشد خبرها وساغ دخول ضمير الفصل بين معرفة ونكرة وهو لا يقع إلا بين معرفتين لأن النكرة هنا — وهي أشد — بمثابة المعرفة من حيث امتناع دخول أل عليها لأن اسم التفضيل المقرون بمن لا تدخل عليه أل ومنهم متعلقان بأشد وقوة تمييز وآثاراً عطف على قوة وفي الأرض صفة لآثاراً وجعله الزمخشري منصوباً بمقدر أي أكثر آثاراً على حد قوله « متقلداً سيفاً ورمحاً » (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) الفاء عاطفة وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل وبذنوبهم متعلقان بأخذهم والباء للسببية أي بسبب ذنوبهم والواو حرف عطف وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولهم خبرها المقدم ومن الله متعلقان بواق ومن حرف جر زائد وواق مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه اسم كان المؤخر .

(ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله) ذلك مبتدأ والاشارة للأخذ والباء حرف جر للسببية وأن ومدخولها في محل جر بالباء والجار والمجرور خبر ذلك وأن واسمها وجملة تأتيهم خبر كانت واسمها مستتر تقديره هي ورسلهم فاعل تأتيهم وبالبيان متعلقان بتأتيهم ؛ فكفروا عطف على تأتيهم ؛ فأخذهم الله عطف على قوله فكفروا .

(إنه قوي شديد العقاب) تعليل للأخذ وإن واسمها وقوي خبر أول وشديد العقاب خبر ثان .

البلاغة :

فن الفرائد :

في قوله « يعلم خائنة الأعين » فن الفرائد وهو من فنون البديع والمختص بالفصاحة دون البلاغة لأنه عبارة عن إتيان المتكلم في كلامه بلفظة تنزل منزلة الفريدة من حب العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على جزالة منطق ، وعظم فصاحته ، وقوة عارضته ، وأصالة عريية بحيث تكون هذه اللفظة لو سقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها وهي كثيرة في القرآن وقد مر الكثير منها وهي هنا في لفظة « خائنة » فإنها بمفردها سهلة مستساغة كثيرة الجريان على الألسن فلما أضيفت الى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الوقع بحيث لا يتاح الاتيان بمثلها ولا يكاد يقع ذو فكر سليم وذهن مستقيم على شبهها ، وقد شغلت هذه الكلمة كبار العلماء وأرباب الفصاحة وسنورد أقوالاً منها ، فقال ابن عباس : « هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها » وقال مجاهد : « هي مسارقة نظر الأعين الى ما قد نهى الله عنه » وقال الضحاك « هي قول الانسان ما رأيت وقد رأى » وقال السدي : « إنه الرمز بالعين » وقال سفيان : « هو النظرة بعد النظرة » وقال الفراء : « خائنة الأعين هي النظرة الثانية وما تخفي الصدور النظرة الأولى » وقال ابن عباس : « وما تخفي الصدور أي هل يزني بها لو خلا بها أو لا » وقيل « وما تخفي الصدور تكنه وتضمه » •

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَجْنَ وَقُرُونِ
فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۖ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ
الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ (٢٥)
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ
أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۖ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ
مِنْ كُلِّ مُنْكَرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ۖ (٢٧)

الاعراب :

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة موسى مع فرعون واللام جواب القسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل وموسى مفعول به وبآياتنا متعلقان بأرسلنا وسلطان عطف على بآياتنا ومبين نعت ، ولك أن تعلق بآياتنا بمحذوف حال أي ملتبساً بآياتنا ولعله أولى . (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا : ساحر كذاب) إلى فرعون متعلقان بأرسلنا وهامان وقارون عطف على فرعون ، فقالوا عطف على أرسلنا وساحر كذاب خبران لمبتدأ محذوف أي هو ساحر كذاب . (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة

حرفية وجاءهم فعل ومفعول به وفاعل مستتر وبالحق متعلقان بجاءهم ومن عندنا متعلقان بمحذوف حال وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وهو لما واقتلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول القول وأبناء الذين مفعول به وجملة آمنوا صلة ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا واستحيوا عطف على اقتلوا أي استبقوا ونساءهم مفعول به •

(وما كيد الكافرين إلا في ضلال) الواو حالية وما نافية وكيد الكافرين مبتدأ وإلا أداة حصر وفي ضلال خبر كيد • (وقال فرعون دروني أقتل موسى وليدع ربه) الواو عاطفة وقال فرعون فعل ماض وفاعل وذروني فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول وأقتل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعل مستتر تقديره أنا يعود على القائل وهو فرعون لأن قومه كانوا يكفونه عن قتله تهويناً لأمره واستصغاراً لشأنه ، وليدع الواو عاطفة واللام لام الأمر ويدع فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والمقصود بالأمر هنا التعجيز بزعمه وربه مفعول به • (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) الجملة تعليل لمطالبته بقتل موسى وإن واسمها وأن وما في حيزها مفعول أخاف وأن حرف مصدري ونصب ويبدل فعل مضارع منصوب بأن ودينكم مفعول به وأو حرف عطف وأن يظهر عطف على أن يبدل وفي الأرض متعلقان يظهر والفساد مفعول يظهر • (وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) الواو عاطفة وقال موسى فعل وفاعل وإن واسمها وجملة عدت خبرها والجملة مقول القول ومن كل متكبر متعلقان بعدت وجملة لا يؤمن نعت لمتكبر ويوم الحساب متعلقان بيؤمن •

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ
 رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ
 يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ
 ﴿٢٨﴾ يَنْقُومُ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ
 جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتُمُ إيمانه) كلام مستأنف مسوق لإيراد الحل الملائم للعقدة القصضية بعد أن عاذ موسى بربه ليكفيه شر هذا اللعين . وقال رجل فعل ماض وفاعل ومؤمن نعت لرجل ومن آل فرعون نعت ثانٍ إن كان الرجل قبطياً والتقدير وقال رجل مؤمن منسوب من آل فرعون وإن كان الرجل إسرائيلياً فمن متعلقة بـيكتُمُ في موضع المفعول الثاني ليكتُمُ والأول أرجح ، وجملة يكتُمُ إيمانه صفة ثالثة لرجل وسيأتي مزيد بحث عن هذا الرجل والإعراب في باب الفوائد . (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الهمزة للاستفهام الإنكاري وتقتلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ورجلاً مفعول به وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي لأجل هذا القول من غير روية وتدبر وتأمل ، وأجاز الزمخشري أن يكون ظرفاً على تقدير مضاف أي وقت أن يقول ، وردّ العربون ذلك بأنه لا يجوز أن يطرد

هذا التقدير في المصدر المؤول ؛ قالوا : إن ذلك إنما يكون مع المصدر المصرح به نحو جئتكم مقدم الحاج وخفوق النجم لامع المقدر فلا تقول أجيئك أن يصيح الديك تريد وقت صياحه ، وسيرد مزيد بحث في هذا الموضوع في باب الفوائد • وربي مبتدأ والله خبره أو بالعكس والجملة مقول القول والواو حالية وقد حرف تحقيق وجاءكم فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وبالينات متعلقان بجاءكم ومن ربكم في موضع نصب على الحال •

(وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم) الواو عاطفة وإن شرطية ويك فعل الشرط وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسمها ضمير مستتر تقديره هو وكاذباً خبرها ، فعليه الفاء رابطة لجواب الشرط وعليه خبر مقدم وكذبه مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط وجملة إن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم عطف على الجملة السابقة ، وبعض فاعل يصيبكم وجملة يعدكم صلة • (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) ان واسمها وجملة لا يهدي خبرها ومن مفعول به وهو مبتدأ ومسرف خبر وكذاب خبر ثان والجملة صلة من • (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) هذا من تنمة كلام الرجل المؤمن ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ولكم خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف متعلق بما تعلق به الخبر وظاهرين حال من الضمير في لكم وفي الأرض متعلقان بظاهرين أي غالين في الأرض •

(فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) الفاء الفصيحة ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة ينصرنا خبر ومن بأس الله متعلقان بينصرنا وإن

شرطية وجاءنا فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فمن
ينصرنا وفاعل جاءنا يعود على بأس الله • (قال فرعون ما أريكم إلا
ما أرى) قال فرعون فعل وفاعل وما نافية وأريكم فعل مضارع
وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وإلا أداة حصر وما اسم
موصول مفعول أريكم وجملة أرى صلة الموصول أي ما أشير عليكم
إلا بما أشير به على نفسي ولا أعلمكم إلا ما علمت • (وما أهديكم
إلا سبيل الرشاد) عطف على ما تقدم وسبيل الرشاد مفعول ثان
لأهديكم أو نصب بنزع الخافض •

البلاغة :

الكلام المنصف :

في قوله تعالى : « أتقتلون رجلاً أن يقول ... الآية » الكلام
المنصف وقد استوفاه الزمخشري في تحليله الممتع وسنلخص ما قاله
مع تعليق يقتضيه المقام : فقد استدرجهم هذا الرجل المؤمن باستشهاده
على صدق موسى عليه السلام من عند من تنسب إليه الربوبية بينات
عدة لا بينة واحدة وأتى بها معرفة ليلين بذلك جماحهم ويكسر من
سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون
صادقاً أو كاذباً فإن يك كاذباً فضرر كذبه عائد عليه أو صادقاً فأتهم
مستهدفون لإصابتكم ببعض ما يعدكم به وإنما ذكر بعض مع تقدير
أنه نبي صادق والنبي صادق في جميع ما يعد به لأنه سلك معهم
طريق المناصحة لهم والمداراة فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم وأدخل
في تصديقهم له ليسمعوا منه ، فهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام

ليريهم أنه لم يتكلم كلام المتعصب له ، المتحيز الى جانبه وكذلك قدم الكاذب على الصادق لهذا الغرض ، ويشبه موقف هذا الرجل المؤمن إلى حد بعيد موقف أبي بكر فقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا ؟ فقال عليه السلام : أنا ذلك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه .

الفوائد :

قد يجعل المصدر ظرفاً :

قد يجعل المصدر حيناً لسعة الكلام فيقال كان ذلك مقدم الحاج وخفوق النجم بمعنى مغيبه وخلافة فلان وصلاة العصر ومنه سير عليه ترويحيتين وانتظر به نحر جزورين وقوله تعالى وادبار النجوم ، وإنما يفعلون ذلك توسعاً وإيجازاً : فالتوسع بجعل المصدر حيناً وليس من أساء الزمان ، والإيجاز الاختصار بحذف المضاف إذ التقدير في قولك خفوق النجم وصلاة العصر وقت خفوق النجم ووقت صلاة العصر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، واختص هذا التوسع بالأحداث لأنها منقضية كالأزمنة وليست ثابتة كالأعيان فجاز جعل وجودها وانقضائها أوقاتاً للأفعال وظروفاً لها كأسماء الزمان ، ومعنى سير عليه ترويحيتين زمن ترويحيتين ومعنى وانتظر به نحر جزورين أي زمن نحر جزورين والمراد مدة هذا الزمن ، والترويحيتين تشية الترويجة واحدة التراويح في الصلاة يقال صلى ترويحيتين وصلى خمس ترويحيات

وهي أزمنة موقته تقع في جواب متى من حيث هي موقته فيقال متى سير عليه فيقال خفوق النجم ومقدم الحاج وصلاة العصر وتقع في جواب كم من حيث كانت مدة معلومة فإذا قيل كم سير عليه جاز أن يكون جوابه مقدم الحاج وخلافة فلان إن شئت رفعت به فعل ما لم يسم فاعله وإن شئت نصبته على الظرف كل ذلك عربي جيد ، فأما قوله : « وادبار النجوم » قرئ بكسر الهمزة وفتحها فمن كسر كانت مصدراً جعل حيناً توسعاً فهو من باب خفوق النجم ومقدم الحاج ومن فتح الهمزة كانت جمع دبر على حد ققل وأققال أو دبر على طنب وأطناب وقد استعمل ذلك ظرفاً كقولك : جئت في دبر كل صلاة وفي أدبار الصلوات ، قال الشاعر :

على دبّر الشهر الحرام بأرضنا

وما حولها جدّت عليه سنون تلمّع

فقراءة من كسر الهمزة أدخل في الظرفية في قراءة من فتح ولذلك يقل ظهور في مع المكسورة بخلاف من فتح .

وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٢٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٢١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَذِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَ كُرْيُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَ كُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ

يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٢٤﴾
 الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْنًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾

الاعراب :

(وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)
 الواو عاطفة وقال الذي آمن فعل ماض وفاعل وجملة آمن صلة وهو
 الذي قال : أتقتلون رجلاً الخ • ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف
 لياء المتكلم المحذوفة وان واسمها وجملة أخاف خبر وعليكم متعلقان
 بأخاف ومثل مفعول به ويوم الأحزاب مضاف إليه • (مثل دأب قوم
 نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) مثل عطف بيان أو بدل لمثل
 الأول ودأب مضاف إليه ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي مثل
 جزاء وعادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا وما بعده عطف عليه
 ومن بعدهم صلة الموصول • (وما الله يريد ظلماً للعباد) الواو عاطفة
 وما نافية حجازية ولفظ الجلالة اسمها وجملة يريد خبرها وظلماً مفعول
 به والعباد نعت لظلماً يعني أن تدميرهم كان استحقاقاً بما اجتروحوه واقتترفوه من
 آثام • (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) عطف على إني أخاف ويوم
 التناد مفعول أخاف وهو يوم القيامة والتناد بحذف الياء وإثباتها في
 كل من الوصل والوقف وذلك لفظاً أما خطأ فهي محذوفة وقد تقدم
 في الأعراف أنه يكثر في ذلك اليوم العصيب نداء أصحاب الجنة النار
 وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها •

(يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضل الله فما له من هاد) يوم بدل من يوم الأول وجملة تولون في محل جر بإضافة الظرف اليها ومدبرين حال وما نافية حجازية ولكم خبرها المقدم ومن الله متعلقان بعاصم ومن حرف جر زائد وعاصم اسم ما والجملة في محل نصب على الحال ولك أن تهمل ما لتقدم خبرها ومن يضل الله فما له من هاد تقدم إعرابها بنصها قريباً فجدد به عهداً .
(ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) كلام معطوف على ما تقدم لأنه من تمام وعظ مؤمن آل فرعون ذكرهم بعثو آبائهم على الأنبياء وقيل هو من كلام موسى فيكون مستأنفاً . والسلام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجاءكم يوسف فعل ماض ومفعول به وفاعل ومن قبل متعلقان بمحذوف حال أي من قبل موسى فبناء الظرف على الضم لأن المضاف إليه منوي معناه وبالبينات متعلقان بجاءكم .

(فما زلتم في شك مما جاءكم به) الفاء عاطفة وما زلتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وفي شك خبرها ومما صفة لشك وجملة جاءكم صلة وبه متعلقان بجاءكم . (حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حتى حرف غاية لقوله ما زلتم وإذا ظرف متضمن معنى الشرط وجملة هلك في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة قلتم لا محل لها لأنها جواب إذ ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويبعث فعل مضارع منصوب بلن ولفظ الجلالة فاعل ومن بعده حال ورسولا مفعولا به . (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) كذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً ويضل الله فعل مضارع وفاعل ومن مفعول به وهو مبتدأ ومسرف مرتاب خبران له والجملة الاسمية صلة . (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر

مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) هذه الآية شغلت المعربين كثيراً وتشعبت أقوالهم فيها وأوصل السمين أوجه الاعراب فيها إلى عشرة مما يضيع القارئ في متاهاته ولعل أولاهما بالذكر وأقربهما إلى المعقول ما ذكره أبو حيان قال ما نصه : « والأولى في إعراب هذا الكلام أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم وأبرز ذلك في صورة تذكيرهم فلم يخصهم بالخطاب وفي قوله كبر ضرب من التعجب والاستعظام لجدهم » .

ونورد فيما يلي الاعراب الذي اختاره الزمخشري، قال : « الذين يجادلون بدل من من هو مسرف ، فإن قلت : كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد ؟ قلت لأنه لا يريد مسرفاً واحداً فكأنه قال : كل مسرف وجاز إبداله على معنى من لا على لفظها فإن قلت فما فاعل كبر ؟ قلت : ضمير من هو مسرف ، فإن قلت : أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون ؟ قلت : بل هو جمع في المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله ظائر ، ويجوز أن نرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتاً ، ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاها خبراً وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر مقتاً مثل ذلك الجدال ويطبع الله

كلام مستأنف ومن قال كبر مقتاً عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه •

أما أبو البقاء فقد قال ما نصه : « الذين يجادلون فيه أوجه أحدها أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين وهم يرجع على قوله من هو مسرف لأنه في معنى الجمع والثاني أن يكون مبتدأ والخبر يطبع الله والعائد محذوف أي على كل قلب متكبر منهم وكذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وما بينهما معترض مسدد والثالث أن يكون الخبر كبر مقتاً أي كبر قولهم مقتاً ؛ والرابع أن يكون الخبر محذوفاً أي معاندون ونحو ذلك والخامس أن يكون منصوباً بإضمار أعني » هذا وسنورد في باب الفوائد مناقشة سريعة لهذه الأقوال •

هذا ومقتاً تمييز محول عن الفاعل أي كبر مقت جدالهم وفيما يلي عبارة السمين : « كبر مقتاً يحتمل أن يراد به التعجب والاستعظام وأن يراد به الذم كبئس وذلك أنه يجوز أن يبني فعل بضم العين مما يجوز التعجب منه ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الأحكام وفي فاعله ستة أوجه » إلى أن يقول : « الثاني أنه يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون كما تقدم » إلى أن يقول : « الخامس أن الفاعل ضمير يعود على ما بعده وهو التمييز نحو نعم رجلاً زيد وبئس غلاماً عمرو وعند الله ظرف لكبر » وكذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الطبع ويطبع الله فعل مضارع وفاعل وعلى كل قلب متعلق بيطبع وقلب مضاف ومتكبر مضاف إليه أي على كل قلب شخص متكبر وجبار نعت ثان •

الفوائد :

١ - مناقشة قيمة :

ذكر الزمخشري أن « من » في « من هو مسرف » عوملت معاملة لفظها من بعد معاملة معناها وقد استغرب أهل العربية هذا لأن فيه إبهاماً بعد إيضاح وهذا غير لائق ببيان القرآن لأن البلاغيين يرون العكس والصواب أن يجعل الضمير في قوله كبر راجعاً الى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر جدالهم مقتاً ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون في آيات الله والضمير في قوله كبر مقتاً عائد الى الجدال المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى : «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله » على أحد تأويله ومثله كثير .

٢ - كل قلب :

كل لعموم الضلال جمع القلب لالعموم القلوب أي شملت الضلالة جميع أجزاء القلب فلم يبق فيه محل للاهتداء والمعروف أن كلاً إذا دخلت على نكرة مطلقاً أو على معرفة مجموعة تكون لعموم الأفراد وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء وهنا عوملت بالإضافة غير المحضة معاملة بالإضافة المحضة .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنُ ابْنِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢١﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِّبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ

سُوِّءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
 الَّذِينَ آمَنَ يَقُومِ آتِبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
 وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ
 فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ
 ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِءَ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى
 الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَبِيسٌ لَّهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا
 فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ
 مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ
 سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِشَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
 غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

اللفظة :

(صرحاً) : الصرح — كما في المصباح — بيت واحد يبنى مفرداً طويلاً ضخماً ، وقال في الكشف : « الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد ، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر وهذه المادة عجيبة في مدلولها ؛ إنها تدل في جميع مشتقاتها على الظهور

والإبانة ، قالوا : لبن صريح : ذهبت رغوته وخلص وعربي صريح
من عرب صرحاء : غير هجاء ونسب صريح وكأس صراح : لم تمزج
وصرّحت الخمرة : ذهب عنها الزبد ولقيته مصارحة : مجاهرة وصرّح
النهار : ذهب سحابه وأضاءت شمسه قال الطرماح في وصف ذئب :

إذا امتلّ يعدو قلت ظلّ طخاءة

ذرى الريح في أعقاب يوم مصرح

وصرح بما في نفسه وبني صرحاً وصروحاً وقعد في صرّحة
داره : في ساحتها .

(الأسباب) : جمع سبب وأسباب السموات مراقبها أو نواحيها
أو أبوابها والسبب أيضاً الحبل وما يتوصل به الى غيره وقد جمع
زهير بينهما بقوله :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه

وإن يرق أسباب السماء بسلم

والسبب أيضاً من مقطعات الشعر حرف متحرك وحرف ساكن
أو حرفان متحركان والأول يسمى خفيفاً والثاني ثقیلاً »

(تباب) : خسار وهوان وفي القاموس « التّبّ والتّيب
والتّباب والتّيب والتّيب : النقص والخسار وتبّاً له ، وتّبّاً تيبّاً
مبالغة » .

(لا جرم) : تقدم بحثها وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب

الفوائد .

الاعراب :

(وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب)
 الواو عاطفة وقال فرعون فعل وفاعل ويا حرف نداء وهامان منادى
 مفرد مبني على الضم وابن فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله
 مستتر تقديره أنت والجملة مقول قول فرعون ولي متعلقان بمحذوف
 حال أو بـابن وصرحاً مفعول به ولعل واسمها وجملة أبلغ الأسباب
 خبر لعل . (أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً)
 أسباب السموات بدل من الأسباب بدل كل من كل وفائدة البدل أن
 الشيء إذا أبهم ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه وهذا هو مراد فرعون ،
 فأطلع الفاء فاء السببية وأطلع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد
 فاء السببية جواباً للأمر وهو ابن أو جواباً للترجي وهو لعلي أبلغ
 وقرئ بالرفع على أن الفاء عاطفة فهو داخل في حيز الترجي وسيأتي
 مزيد بحث عنه في باب الفوائد وإلى إله موسى متعلقان بأطلع وإني الواو
 عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة وأظنه فعل مضارع والهاء مفعول
 به أول وكاذباً مفعول به ثان والجملة خبر إن .

(وكذلك زئین لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) الكاف
 نعت لمصدر محذوف وزین فعل ماض مبني للمجهول ولفرعون متعلقان
 بزین وسوء عمله نائب فاعل وصد عطف على زین وصد فعل ماض
 مبني للمجهول بضم الصاد وفتحها وكلتا القراءتين سبعية وعن السبيل
 متعلقان بصد . (وما كيد فرعون إلا في تباب) الواو عاطفة أو حالية
 وما نافية وكيد فرعون مبتدأ وإلا أداة حصر وفي تباب خبر كيد .
 (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) عطف على

ما تقدم وقال الذي فعل ماض وفاعل وجملة آمن صلة وياقوم نداء تقدم إعرابه واتبعون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية ويااء المتكلم المحذوفة لأنها من ياءات الزوائد في محل نصب مفعول واهدكم فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وسبيل الرشاد مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض والرشاد اسم للمصدر لرشد .

(يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) سيأتي في باب البلاغة سر تكرير النداء واقتترانه بالواو في النداء الثالث كما سيأتي . وإنما كافة ومكفوفة وهذه مبتدأ والحياة بدل والدنيا نعت ومتاع خبر وإن الآخرة إن واسمها وهي ضمير فصل أو مبتدأ ودار القرار خبر إن أو خبر هي والجملة خبر إن . (من عمل سيئة سيئة فلا ينجزي إلا مثلها) من اسم شرط جازم مبتدأ وعمل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وسيئة مفعول به والفاء رابطة ولا نافية ويجزي فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وإلا أداة حصر ومثلها مفعول يجزي الثاني . (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ وعمل فعل ماض فعل الشرط وصالحاً مفعول به أو نعت لمصدر محذوف أي عملاً صالحاً ومن ذكر حال أو أنثى عطف على من ذكر ، وهو مؤمن الواو للحال و هو مبتدأ ومؤمن خبر والجملة نصب على الحال .

(فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) الفاء رابطة وأولئك اسم إشارة مبتدأ وجملة يدخلون الجنة خبر أولئك والجملة في محل جزم جواب الشرط وجملة يرزقون حال والواو نائب فاعل

وفيها حال وبغير نعت للمفعول به المحذوف أي يرزقون رزقاً واسعاً
 بلا حساب ولا تبعة • (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني
 الى النار) عطف على ما تقدم وما اسم استفهام مبتدأ ولي خبره
 وجملة أدعوكم حالية والى النجاة متعلقان بأدعوكم وتدعونني الى
 النار عطف على أدعوكم الى النجاة • (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به
 ما ليس لي به علم) جملة تدعونني بدل وجملة وتدعونني بمثابة
 التعليل ولأكفر اللام للتعليل وأكفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة
 بعد لام التعليل والفاعل مستتر تقديره أنا وبالله متعلقان بأكفر وأشرك
 عطف على لأكفر وما مفعول به وجملة ليس لي به علم صلة وليس
 فعل ماض ناقص ولي خبرها المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم
 ليس المؤخر •

(وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) الواو عاطفة وأنا مبتدأ وجملة
 أدعوكم خبر وإلى العزيز الغفار متعلقان بأدعوكم • (لا جرم أنما
 تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) لا نافية وجرم
 قبل ماض بمعنى حق ووجب وأن وما في حيزها فاعل جرم أي حق
 ووجب بطلان دعوته وأن واسمها وحققها أن تكتب مفصولة لأن ما
 اسم موصول بمعنى الذي لكنها رسمت موصولة اتباعاً لسنة المصحف
 وجملة تدعونني صلة وإليه متعلقان بتدعونني وجملة ليس خبر أن وله خبر ليس
 المقدم ودعوة اسمها المؤخر وفي الدنيا نعت ولا في الآخرة عطف على في الدنيا •
 (وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) عطف على
 ما تقدم وأن واسمها وإلى الله خبرها وإن المسرفين عطف أيضاً وهم
 ضمير فصل لا محل له أو مبتدأ وأصحاب النار خبر أن أو خبر هم
 والجملة خبر أن • (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله)

الفاء الفصيحة والسين حرف استقبال وتذكرون فعل مضارع والواو فاعل وما مفعول به وجملة أقول صلة ولكم متعلقان بأقول وأفوض عطف وأمرى مفعول به وإلى الله متعلقان بأفوض أي إذا نزل بكم العذاب •

(إن الله بصير بالعباد) إن واسمها وبصير خبرها وبالعباد جار ومجرور متعلقان ببصير • (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي لما توعدوه بالقتل وقصدوه به فعلاً هرب منهم ولاذ بالمغاوير وشعاب الجبال فطلبوه فلم يقدرُوا عليه فوقاه الله • ووقاه الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وسيئات مفعول به ثان أو نصب بنزع الخافض وما مصدرية أو موصولة أي سيئات مكربهم به أو سيئات الذي مكروا به وحاق فعل ماض وبآل فرعون متعلقان بحاق وسوء العذاب فاعل • (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) النار خبر مبتدأ محذوف أي هو أي سوء العذاب ويجوز أن تعرب بدلاً من سوء العذاب ويجوز أن تعرب مبتدأ وجملة يعرضون خبر وعلى الوجهين الأولين تعرب جملة يعرضون حالاً وقرئ النار بالنصب على الاختصاص بفعل محذوف وعليها متعلقان بيعرضون وغدواً وعشياً ظرفان متعلقان بيعرضون أيضاً •

(ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) الظرف متعلق بقول محذوف أي يقال لهم يوم تقوم الساعة وجملة أدخلوا مقول القول ويجوز أن يتعلق بأدخلوا أي أدخلوا يوم تقوم الساعة وعلى هذين الوجهين يكون الوقف تاماً على قوله وعشياً ويجوز أن يكون معطوفاً على الظرفين قبله فيكون متعلقاً بيعرضون والوقف

على هذا الوجه على أقوله الساعة وادخلوا مقول قول مقدر أي يقال لهم كذا وكذا وأدخلوا فعل أمر من أدخل وآل فرعون مفعول به أول وأشد العذاب مفعول به ثان وقرىء أدخلوا بهمزة الوصل من دخل يدخل فآل فرعون حينئذ منادى حذف منه حرف النداء وأشد العذاب مفعول به .

البلاغة :

في تكرير نداء قومه مبالغة في التنبيه والتحدي وقرع العصا وإمحاض النصيحة والإيقاظ من سنة الغفلة ، كأنما عز عليه أن يستهدفوا للمصير المحزن الذي سيصيرون إليه وكأنه مترجح بين التلطف بهم الآن ما يحزنهم يحزنه وما يسوءهم يسوءه فهم قومه على كل حال ، وقد سدرُوا في متاهات الغفلة وقد سبق تقرير هذا الموقف في مناصحة إبراهيم لأبيه عندما كرر نصيحته إليه متلطفاً بقوله : يا أبت مكرراً .

هذا وقد جيء بالواو في النداء الثالث خلافاً لأن النداء الثاني بمثابة بيان للأول وتفسير له فأعطي حكمه في عدم دخول الواو عليه وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة .

الفوائد :

١ - في نصب قوله « فأطلع » ثلاثة أوجه :

أ - أنه جواب للأمر وهو قوله ابن لي فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه ومثاله في الشعر قول أبي النجم العجلي :
ياناق سيري عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا

ب - إنه جواب للترجي والى هذا نحا الزمخشري قال :
« وقرىء فأطلع بالنصب على أنه جواب الترجي تشبيهاً للترجي
بالتمني » •

ج - انه معطوف على التوهم لأن خبر لعل كثيراً ما جاء مقروناً
بأن في النظم والنثر فمن نصب توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبراً
منصوب بأن والعطف على التوهم كثير وان كان غير مقيس •

٢ - لا جرم :

بسطنا القول في هود حول « لا جرم » وأوردنا الأوجه
المستفيضة فيها وقد اخترنا في الإعراب ما ذهب إليه الخليل وسيبويه
وجمهور البصريين فتكون « لا » رداً لما دعاه إليه قومه و « جرم »
بمعنى كسب أي وكسب دعاؤهم إليه بطلان دعوته أي ما حصل من
ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ، ويجوز أن يكون « لا جرم » نظير
« لا بد » من الجرم وهو القطع فكما أنك تقول لا بد لك أن تفعل ،
والبد من التبديد الذي هو التفريق ومعناه لامفارقة لك من فعل كذا
فكذلك « لا جرم » معناه لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هي
باطلة أبداً •

وَإِذْ يَحْجَاجُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكَبرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا
فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكَبرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا
إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا

رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٦٠﴾
إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٦١﴾
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٦٢﴾

اللفة :

(يتحاجون) : يتخاصمون يقال : حاجته حجاجاً ومُحاجةً
ومُحاجة : خاصمه والمِحجاج الكثير الخصومة .

(تبعاً) : جمع تابع كخدم جمع خادم أو هو مصدر وصف به .
(جهنم) سيأتي القول فيها في باب البلاغة .

الاعراب :

(وإذا يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا)
الواو استئنافية وإذا ظرف لما مضى متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر
يا محمد لقومك وجملة يتحاجون في محل جر بإضافة الظرف إليها وفي
النار متعلقان بـ يتحاجون والفاء تفرعية لتفصيل التحاج والتخاصم
ويقول الضعفاء فعل مضارع وفاعل وللذين متعلقان بيقول وجملة
استكبروا صلة . (إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار)
إن واسمها وجملة كنا خبرها والجملة مقول القول وكان واسمها
ولكم متعلقان بمحذوف صفة لتبعاً أو متعلقان به إذا اعتبر مصدراً ،

فهل الفاء عاطفة وهل حرف استفهام وأتم مبتدأ ومغنون خبره وعنا متعلقان بمغنون ونصيياً مفعول لمغنون أي دافعون عنا نصيياً من النار، وعبارة أبي البقاء « نصيياً منصوب بفعل دل عليه مغنون تقديره : من أتم دافعون عنا أو مانعون ويجوز أن يكون في موضع المصدر كما كان شيء كذلك ألا ترى إلى قوله تعالى : « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » فشيئاً في موضع غنى فكذلك نصيياً » ومن النار صفة لنصيياً .

(قال الذين استكبروا إنا كلٌ فيها إن الله قد حكم بين العباد)
قال الذين فعل ماض وفاعل وجملة استكبروا صلة الذين وإنا إن واسمها وكلٌ مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم وفيها خبر كل والجملة خبر إن وان واسمها وجملة قد حكم خبر إن وبين العباد ظرف متعلق بحكم . (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) الواو عاطفة وقال الذين فعل ماض وفاعل وفي النار متعلقان بمحذوف صلة الذين ولخزنة جهنم متعلقان بقال ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب البلاغة وادعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وربكم مفعول به والجملة مقول القول ويخفف فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وعنا متعلقان بيخفف ويوماً ظرف متعلق بيخفف أيضاً ومن العذاب صفة لمحذوف هو مفعول يخفف أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم .

(قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟) قالوا فعل وفاعل والضمير يعود لخزنة جهنم والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي

والواو عاطفة على مقدر أي ألم تنتهوا عن هذا ولم تك تأتيكم ، ولم حرف تهي وقلب وجزم وتك فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر وجملة تأتيكم خبر ورسلكم فاعل تأتيكم وقد تنازعه كل من تك وتأتيكم فأعطى فاعلاً للثاني وأضمر في الأول ويجوز العكس وبالبيانات متعلقان بتأتيكم (قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) قالوا فعل وفاعل وبلى حرف جواب لإثبات النفي وقالوا فعل وفاعل أيضاً ، فادعوا الفاء الفصيحة وادعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والواو للحال وما نافية ودعاء مبتدأ والكافرين مضاف إليه وإلا أداة حصر وفي ضلال خبر دعاء .

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) تعليل لضياع دعائهم لأنه مسلوب الحجة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة تنصر رسلنا خبر إنا والذين عطف على رسلنا وجملة آمنوا صلة وفي الحياة الدنيا متعلقان بنصر ولا يقدر في هذا التأكيد ما يبدو أنهم يغلبون في بعض الأحيان ابتلاء وامتحاناً فإن العبرة بالعواقب والأمور بخواتيمها ، ويوم يقوم الاشهاد عطف على في الحياة الدنيا أي لننصرهم في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة وجملة يقوم الاشهاد في محل جر بإضافة الظرف إليها والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب . (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) يوم يدل من يوم قبله وجملة لا ينفع في محل جر بإضافة الظرف إليها والظالمين مفعول به ومعذرتهم فاعل والواو عاطفة ولهم خبر مقدم واللعنة مبتدأ مؤخر ولهم سوء الدار عطف على لهم اللعنة .

البلاغة :

في قوله « لخزنة جهنم » فيه — كما قلنا — وضع الظاهر موضع المضمحل للتهويل ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار غوراً من قولهم بشر جهنم أي بعيدة القعر ، وكان النابغة يسمي الجهنام لبعد غوره في الشعر ، والأول أظهر والتفخيم فيه من وجهين : أحدهما وضع الظاهر موضع المضمحل والثاني ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أقطع منه لأن جهنم أقطع من النار إذ النار مطلقة وجهنم أشدها ، هذا وقد جاء في القاموس ما نصه : « وركية جهنم مثلثة الجيم وجهنم كعملتس بعيدة القعر وبه سميت جهنم أعاذنا الله تعالى منها » قال شارحه : « قوله وبه سميت جهنم جرى على أنها عربية لم تجر للتأنيث والتعريف وجرى يونس وغيره على أنها أعجمية لا تجري للتعريف والعجمة » وقوله لم تجر بمعنى لم تنصرف وهي عبارة سيويه واصطلاح البصريين المنصرف وغير المنصرف واصطلاح الكوفيين المجري وغير المجري .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾
 هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
 وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
 بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
 هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ نَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ
لَأَيُّمٌ لَّارِيبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب)
كلام مستأنف مسوق لإيراد نموذج عظيم من نماذج النصر الذي
وعد الله به أنبياءه وأوليائه في الدنيا واللام جواب للقسم المحذوف
وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به والهدى مفعول
به ثان وأورثنا عطف على آتينا وهو فعل وفاعل وبني إسرائيل مفعول
به أول والكتاب مفعول به ثان . (هدى وذكرى الأولى الألباب)
هدى وذكرى نصب على أنهما مفعول من أجله أي لأجل الهدى
والذكرى أو على أنهما مصدران في موضع الحال ولأولى الألباب نعت
لذكرى أو هو متعلق بذكرى . (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر
لذنبك) الفاء الفصيحة أي إن عرفت هذه الحقيقة الثابتة وهي أن الله
ينصر رسله وأوليائه فاصبر يا محمد على أذى قومك وإن واسمها
وخبرها واستغفر لذنبك عطف على فاصبر أي واستدرك المفرطات
بذنبك وقيل الكلام على حذف مضاف أي لذنب أمتك .

(وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) عطف أيضاً وبحمد ربك
حال وبالعشي والإبكار متعلقان بسبح . (إن الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان آتاهم) إن واسمها وجملة يجادلون خبر إن وفي آيات

الله متعلقان بيجادلون وبغير سلطان حال أي حال كونهم غير مستندين في جدالهم إلى حجة إلا المكابرة واللجاج وهما سلاحان مغلولان وجملة أتاهم نعت لسلطان • (إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) إن نافية وفي صدورهم خبر مقدم وإلا أداة حصر وكبر مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن وما نافية حجازية وهم اسمها وببالغيه الباء حرف جر زائد وببالغيه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما والجملة نعت لكبر أي ببالغي مقتضى كبرهم وهو التعاضم • (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) الفاء الفصيحة واستعذ فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبالله متعلقان باستعذ وإن واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والسميع البصير خبر إن •

(لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) اللام لام الابتداء وخلق السموات والأرض مبتدأ وأكبر خبر ومن خلق الناس متعلقان بأكبر ولكن الواو للحال ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها وسيأتي سر تلاحم هذا القول مع ما قبله في باب البلاغة • (وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون) الواو عطف على ما تقدم وما نافية ويستوي الأعمى فعل مضارع وفاعل والبصير عطف على الأعمى والذين آمنوا عطف على الأعمى وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات جملة معطوفة داخلية في حيز الصلة ولا المسيء الواو عاطفة ولا زائدة للتوكيد والمسيء عطف على ما قبله وسيأتي ترتيب هذه المنسوقات في باب البلاغة وقليلاً مفعول مطلق أو ظرف زمان وما زائدة وتتذكرون فعل مضارع مرفوع وفاعله •

(إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)
 إن واسمها واللام المرحلة وآتية خبرها ولا نافية للجنس وريب اسمها
 وفيها خبرها والجملة خبر ثان لأن ولكن أكثر الناس لا يؤمنون تقدم
 إعراب هذه الجملة قبل قليل فجدد به عهداً .

البلاغة :

١ - فن الإلجاء :

في قوله « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس »
 فن رفيع من فنون البلاغة وهو فن الإلجاء وهو أن يبادر المتكلم
 خصمه بما يلجئه الى الاعتراف بصحته وبهذا صح التحامه مع ما قبله
 من الكلام فإن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على أمور كثيرة
 من الجدل والمغالطة واللجاج والسفسطة وفي مقدمتها إنكار البعث
 وهو في الواقع أصل المجادلة ومحورها الذي عليه تدور ، فبادر
 سبحانه الى مبادتهم بما يسقط في أيديهم ، ويقطع عليهم طرق
 المكابرة والمعاندة وهو خلق السموات والأرض وقد كانوا مقرين بأن
 الله خالقها وبأنها خلق عظيم فخلق الناس بالقياس شيء هين ومن قدر
 على خلقها مع عظمها كان ولا شك على خلق الإنسان الضعيف أقدر
 وبه أقمن . هذا والأولوية في هذا الاستشهاد على درجتين : إحداهما
 أن القادر على العظيم هو على الحقيق أقدر وثانيهما أن مجادلتهم
 كانت في البعث وهو الإعادة وما من ريب في أن الابتداء أعظم وأبهر
 من الإعادة .

٢ - فن حسن النسق :

وفي قوله « وما يستوي الأعمى والبصير » الآية فن حسن النسق وفي ترتيب النسق ثلاث طرق إحداها أن يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية فالأعمى يجاور البصير وهذان الوصفان مستعاران لمن غفل عن معرفة الحق في مبدئه ومعاده وقدم الأعمى في نقي تساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي المحسن يجاور المسيء وقدم الذين آمنوا لمجاورته للبصير وناهيك بهذه المجاورة شرفاً للمؤمن ، وثاني الطريقتين أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » وثالثتهما أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى : « وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور » وهذه الطرق الثلاث يتخير المتكلم في إيرادها حسب مقتضى الحال ووفق نوااميس البلاغة وطرائقها والله أعلم .

الفوائد :

لام الابتداء :

تفيد أمرين : أولهما تأكيد مضمون الجملة ولهذا زحلقوها في باب إن عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين ، وثانيهما تخليص المضارع للحال . وتدخل باتفاق في موضعين :

١ - على المبتدأ نحو : « لأتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » .

٢ - بعد إن وتدخل في هذا الباب على ثلاثة باتفاق : الاسم نحو « إن ربي لسميع الدعاء » والمضارع لشبهه به نحو « وإن ربك ليحكم بينهم » والظرف نحو « وإنك لعلی خلق عظیم » وعلى ثلاثة باختلاف : الماضي الجامد نحو (إن زيدا لعسى أن يقوم) والماضي المقرون بقد والماضي المتصرف المجرد من قد .

ومن لام الابتداء لام القسم نحو « لينبذن في الحطمة » ونحو « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾

اللفة :

(داخرين) : صاغرین وفي المصباح : « دخر الشخص يدخر بفتحتين دخوراً : ذل وهان وأدخرته بالألف للتعدية » .

الاعراب :

(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) كلام مستأنف مسوق

ليبان فضل الدعاء أي العبادة وسيرد في باب البلاغة المجاز في هذه الكلمة وقال ربكم فعل ماض وفاعل وادعوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة مقول القول ، واستجب فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ولكم متعلقان باستجب • (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) إن واسمها وجملة يستكبرون صلة الذين وعن عبادتي متعلقان يستكبرون وجملة سيدخلون خبر إن وجهن مفعول به على السعة وداخرين حال • (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً) الله مبتدأ والذي خبره وجملة جعل صلة ولكم متعلقان بجعل لأنه بمعنى خلق والليل مفعول به ولتسكنوا اللام للتعليل وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو فاعل وفيه متعلقان بتسكنوا والنهار عطف على الليل ومبصراً حال •

(إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) إن واسمها واللام المرحلة وذو فضل خبر إن وعلى الناس متعلقان بفضل ولكن الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة لا يشكرون خبر لكن • (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء) اسم الإشارة مبتدأ والإشارة الى المعلوم المتميز بالأفعال المقتضية لربوبيته والله خبر أول وربكم خبر ثان وخالق كل شيء خبر ثالث (لا إله إلا هو فأنتى تؤفكون) تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً فجدد به عهداً والجملة خبر رابع والفاء الفصيحة وأنتى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال وتؤفكون أي تصرفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل أي فكيف تصرفون عن الإيمان بعد ما قامت البراهين على ربوبيته ؟

(كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل إفك هؤلاء إفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ، والذين نائب فاعل وجملة كانوا صلة الموصول وكان واسمها وبآيات الله متعلقان بيجحدون وجملة يجحدون خبرها .

البلاغة :

١ - المجاز والمشاكلة :

في قوله « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » مجاز مرسل علاقته السببية لأن الدعاء سبب العبادة وفي قوله أستجب لكم مشاكلة لأن الإثابة مترتبة عليها وإنما جعلنا الكلام مجازاً بقرينة قوله بعد لذلك « إن الذين يستكبرون عن عبادتي » ويؤيد هذا المجاز حديث النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدعاء هو العبادة » وقرأ هذه الآية ، وقول ابن عباس : أفضل العبادة الدعاء ، على أن بعضهم حمل الآية على الظاهر وقال إن الدعاء هو السؤال والتضرع وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث في هذا الصدد .

٢ - الإسناد المجازي :

وفي قوله « الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً » إسناد مجازي فقد أسند الإبصار إلى النهار لأنه يبصر فيه ولأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار وقرن الليل بالمفعول لأجله والنهار بالحال لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدًى الآخر لأنه لو قيل

لتبصروا فيه فانت الفصاحة الكامنة في الإسناد المجازي ، ولو قيل ساكتاً - والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة - لم تتميز الحقيقة من المجاز .

٣ - وضع الظاهر موضع المضمرة :

وفي قوله « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » وضع الظاهر موضع المضمرة فقد كان السياق يقتضي أن يقول ولكن أكثرهم لا يشكرون فلا يتكرر ذكر الناس ولكن في هذا التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم وانهم هم المتميزون بهذه الصفة النبوة على الطباع تتوالى عليهم النعم وتترادف الآلاء ، ویتھیا لهم كل ما يصبون إليه من مناعم العيش وهم مصرون على الجحود والنكران ، أليست هذه سمة الناس في مختلف الظروف والأحوال ؟ وقد كرر سبحانه تقرير ذلك فقال : « إن الإنسان لربه كنود » وقال « إن الإنسان لظلوم كفار » .

الفوائد :

١ - قال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته « اختلف الناس في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا ؟ فمنهم من قال : الدعاء عبادة للحديث : « ان الدعاء هو العبادة » ولأن الدعاء إظهار الافتقار الى الله تعالى ، وقالت طائفة : السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم ، والرضا بما سبق به القدر أولى ، وقال قوم يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعاً » قال القشيري : « والأولى أن يقال الأوقات مختلفة ، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من

السكوت وهو الأدب ، وفي بعض الأحيان السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب وإنما يعرف ذلك بالوقت فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت أنم .

فإن قيل : كيف قال تعالى « ادعوني أستجب لكم » وقد يدعو الإنسان كثيراً فلا يستجاب له ؟ وقيل في الجواب : « الدعاء له شروط منها : الإخلاص في الدعاء ، وأن لا يدعو وقلبه لاه ومشغول بغير الدعاء ، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان ، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم ؛ فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقاً بالإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له ، يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا : يا رسول الله وكيف يستعجل ؟ قال : يقول : دعوت فما استجاب لي » .

وأورد الغزالي سؤالاً آخر قال : « فإن قيل : فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد ؟ فاعلم أن من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لردّ البلاء ووجود الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى : « وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » فقدّر الله تعالى الأمر وقدر سببه » .

وهذا سؤال قد تكون الإجابة متقدمة عليه وقد روي في كتاب الترمذي : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء » ومعنى سره : أعجبه وأوقعه في الفرح والسرور وأن يستجيب الله فاعل سره ومفعول يستجيب محذوف أي دعاءه وقوله عند الشدائد ظرف للاستجابة أي حصول الأمور الشديدة من المكروهات ، والكرب بضم ففتح جمع كربة وهي الغم يأخذ بالنفس ، وقوله فليكثر الدعاء إلخ جواب الشرط ، ولرخاء بفتح الراء سعة العيش وحسن الحال وإنما كان كذلك لأن إكثاره في وقت الرخاء يدل على صدق العبد في عبوديته والتجائه الى ربه في جميع أحواله وأنه يشكره في الرخاء كما يشكره في الشدة ويتوجه إليه بكلية ليكون له عدة .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في الاحياء : « آداب الدعاء عشرة : الأول أن يترصد الأزمان الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلاث الأخير من الليل ووقت الأسحار ، الثاني أن يفتنم الأحوال الشريفة كحالة السجود والتقاء الجيوش ونزول الغيث وإقامة الصلاة وبعدها ، الثالث استقبال القبلة ورفع اليدين ويمسح بهما وجهه في آخره ، الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر ، الخامس أن لا يتكلف السجع ، السادس التضرع والخشوع والرغبة ، السابع أن يجزم بالطلب ويوقن بالإجابة ، الثامن أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً ولا يستبطئ الإجابة ، التاسع أن يفتح الدعاء بذكر الله تعالى ، العاشر هو الأصل في الإجابة وهو التوبة ورد المظالم والإقبال على الله تعالى » .

٢ - لمحة عن القشيري :

اقتبسنا في هذا الفصل قبسة من الرسالة القشيرية ولإتمام الفائدة يحسن بنا أن نورد لمحة موجزة عنها وعن مؤلفها لأنها تمدنا

بصورة كاملة عن التصوف ورجاله منذ ظهر التصوف في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حتى عصر المؤلف ، وتعتبر على الرغم من صغر حجمها نسبياً أفضل وثيقة علمية وتاريخية في موضوعها ، وقبل تلخيص الرسالة لا بد من الإشارة الى صاحبها فهو الشيخ عبد الكريم بن هوازن المعروف بزين الاسلام أبي القاسم القشيري ولد سنة ٣٧٦ هـ ولد في بيت عربي قح فقد كان أبوه قشيراً من قبيلة قشير بن كعب التي وردت خراسان زمن الأمويين وكانت أمه ستمية وخاله أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين ناحية استوا قريباً من نيسابور وفي هذه المنطقة عاش أجداده الأقربون ، ونحن لا نعلم إلا القليل عن طفولته الأولى ولكننا نعلم أن أباه مات وهو صغير فعهد بأمه تربيته الى أبي القاسم الأليماني الذي كان صديقاً لأسرة القشيري فقرأ عليه الأدب والعربية ثم انتقل الى نيسابور حيث أخذ العلم عن بعض الأجلاء من علمائها وحضر مجلس الأستاذ الشهير أبي علي الحسن بن علي الدقاق الذي كان من كبار مشايخ الصوفية في عصره فأعجب القشيري به واستحسن كلامه وسلك طريقته فقبله الشيخ وأشار عليه بتعلم العلم فحضر دروس الشيخ أبي بكر محمد بن بكر الطوسي ثم الأستاذ أبي بكر بن نورك الذي توفي سنة ٤٠٦ هـ وكان أصولياً كبيراً وبعد وفاته اختلف الى الأستاذ أبي اسحق الأسفرايني وجمع بين طريقته وطريقة ابن نورك ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وهو مع كل هذا يداوم على حضور مجلس أبي علي الدقاق إلى أن اختاره لصحبته وزوجه من ابنته ولما مات الأستاذ أبو علي صحب الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي المؤرخ الصوفي الكبير وأصبح شيخ خراسان غير منازع في الفقه على مذهب الإمام الشافعي والكلام على مذهب الإمام أبي الحسن

الأشعري كما كانت له الصدارة في الحديث والأدب واللغة وقد وصف
الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ مقدرته على الوعظ المؤثر بقوله : « ولو
قُترع الصخر بسياط تحذيره لذاب ، ولو ربط إبليس في مجلس
تذكيره لتاب ، وله فصل الخطاب في فضل المنطق المستطاب » .

ويبدو أن الشهرة الواسعة التي تمتع بها القشيري في نيسابور
قد أثارت الحقد والحسد في نفوس فقهاء هذه المدينة فشرعوا يعدون
العدة للحطّ من قدره وذلك بتلفيق الاتهامات وإذاعة
الأكاذيب حوله وقد نجحوا في مسعاهم وحلت بالقشيري محنة شديدة
لقي فيها ألواناً من العنت والآلام والتشريد ونحيل القاريء الى طبقات
السبكي ليقراً تفاصيل تلك المحنة التي دامت خمس سنين إلى أن ردّ
عليه عضد الدولة شرفه والتأم شمل مجلسه كما كان .

خلاصة الرسالة القشيرية :

تتألف الرسالة من الأقسام الرئيسية الآتية :

١ - مقدمة يشرح فيها الباعث على تأليفه الرسالة فقد لاحظ
أن بعض صوفية عصره قد ضلوا سبل الرشاد فعقد النية على وضع
كتاب يرجع فيه بالتصوف الى سيرته الأولى ، ويخلصه من البدع التي
تسربت إليه وهذه هي عبارته نوردها بنصها لما فيها من روعة التصوير
لهذه المأساة ، يقول : « اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه
الطائفة انقضّ أكثرهم ، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا
أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

ويذكر القشيري في هذه المقدمة أيضاً بياضاً بأصول العقائد
الإيمانية التي دان بها أوائل الصوفية وبنوا قواعد أمرهم في الطريق
عليها ثم يلخص وجهة نظره في تسع مسائل يرجع إليها من يشاء
في رسالته .

٢ - وهو قسم يترجم فيه لطائفة من الصوفية مبتدئاً بإبراهيم
ابن أدهم ومنتهاً بأحمد بن عطاء .

٣ - وهو تفسير ألفاظ تدور بين الصوفية وبيان ما يشكل
منها .

٤ - وهو في أدب الطريق وما يعرض للسالك من عقبات في
سفره إلى الله .

٥ - خاتمة بها وصيته للمريدين .

هذا وقد كانت الرسالة موضع عناية الدارسين وقد وضعت
عليها عدة شروح أشهرها شرح الشيخ زكريا الأنصاري .

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ
صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾
هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾
* قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ
رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا
وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي
يُنْجِيءُ وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُكُمْ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

الاعراب :

(الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم) كلام مستأنف مسوق لبيان تفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان تفضله المتعلق بالزمان والله مبتدأ والذي خبره وجمله جعل صلة ولكم متعلقان بمحذوف حال والأرض مفعول به أول وقراراً مفعول به ثان لأن الجعل هنا بمعنى التصيير وإذا اعتبرت بمعنى الخلق كانت قراراً حالاً بمعنى مستقرة والسماء بناء عطف على ما تقدم وصوركم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، فأحسن عطف على صوركم وصوركم مفعول به ومعنى كون السماء بناء إنها مبنية كالقبة المضروبة في نظر العين . (ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم) ورزقكم عطف على ما تقدم ومن الطيبات متعلقان برزقكم وذلكم مبتدأ والله خبر وربكم خبر ثان .

(فتبارك الله رب العالمين) الفاء حرف عطف وتبارك فعل ماض والله فاعل ورب العالمين نعت الله . (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) هو مبتدأ والحي خبر وكلمة الشهادة التي تقدم اعرابها خبر ثان فادعوه الفاء الفصيحة وادعوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ومخلصين حال وله متعلقان بمخلصين والدين مفعول لمخلصين .

(الحمد لله رب العالمين) تقدم إعرابها في مستهل الكتاب والجملة مقول لقول محذوف هو حال من فاعل فادعوه أي قائلين الحمد لله الخ ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة على أنها من كلامه ذاته سبحانه .
 (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني بينات من ربي) إن واسمها وخبرها مقول القول وجملة نهيت خبر إن والتاء نائب فاعل وأن أعبد المصدر المؤول في محل نصب بنزع الخافض أي عن عبادة الذين تدعون وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة وجاءني البينات فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وجملة جاءني في محل جر بإضافة الظرف إليها .

(وأمرت أن أسلم لرب العالمين) عطف على نهيت وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي بالاسلام ولرب العالمين متعلقان بأسلم . (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه) هو مبتدأ والذي خبر وجملة خلقكم صلة ومن تراب متعلقان بخلقكم والكلام مستأنف مسوق لبيان كيفية تكون البدن وما بعده عطف عليه . (ثم يخرجكم طفلاً) عطف أيضاً ويخرجكم فعل مضارع وفاعل وطفلاً حال من الكاف في يخرجكم . (ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً) عطف أيضاً واللام للتعليل وتبلغوا منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره ثم يتيقنكم وكذلك لتكونوا شيوخاً وشيوخاً خبر كان وقرىء بضم الشين وكسرهما . (ومنكم من يتوفى من قبل) الجملة مستأنفة ومنكم متعلقان بمحذوف خبر لـ « من » ومن قبل متعلقان بيتوفى (ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون) الواو عاطفة

ولتبلغوا الجار والمجرور متعلقان بمحذوف أيضاً تقديره وتفعل ذلك ونحوه وأجلاً مفعول به ومسمى نعت اولعلمكم تعقلون عطف على قوله لتبلغوا أشدكم .

(هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) هو مبتدأ والذي خبره وجملة يحيي ويميت صلة ، فإذا الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قضى في محل جر بإضافة الظرف إليها وأمراً مفعول به ، فإنما الفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة ويقول فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره هو وله متعلقان يقول وكن فعل أمر تام وفاعل مستتر تقديره أنت والفاء استئنافية وجملة يكون خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يكون وقرئ فيكون بفتحها على أن الفاء سببية والفاعل ضمير مستتر تقديره هو .

الفوائد :

كائناً ما كان :

اختلف في كان وكائناً في قولك : لأضربه كائناً ما كان فقال الفارسي : هما تامان في الموضعين وما مصدرية وهي وما بعدها فاعل كائناً أي كونه وقيل هما ناقضان في الموضعين وفي كائناً ضمير هو اسمه وخبره ما وهي موصولة وصلتها كان واسمها وخبرها واسمها ضمير مستتر فيها وخبرها محذوف تقديره إياه واسم كائن المستتر فيه وخبر كان عائدان على الشخص المضروب وتقدير الكلام حينئذ لأضربه كائناً الذي كان إياه وكائناً حال من مفعول لأضربه وفيه اطلاق ما على العاقل وهو جائز ويجوز أن تكون ما نكرة موصوفة وقد يقال من كان فيكون الكلام جارياً على وجهه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا
 بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْصَانُ
 فِي أَغْنَقِيهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ
 ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْ بَلٍ
 لَمْ نَكُن نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ
 بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا
 أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

اللفظة :

(السلاسل) : جمع سلسلة وهي الدائرة من حديد ونحوه
 تتصل أجزاؤها أو حلقاتها بعضها ببعض ومنه سلاسل البرق أي
 ما استطال منه في عرض السحاب وسلاسل الكتاب : سطوره ، قال
 الراغب : وتسلسل الشيء اضطرب كأنه تصور منه تسلسل متردد
 فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه وماء سلسل أي متردد في مقره •

(يسجرون) : يوقدون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود •

الاعراب :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ) الهمزة
 للاستفهام التقريرية التعجبية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع

مجزوم يالى والفاعل مستتر تقديره أنت والى الذين متعلقان بتر أي تنظر. وجملة يجادلون بآيات الله صلة وأنى اسم استفهام في محل نصب حال. ويصرفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومتعلقه محذوف أي يصرفون عن الإيمان بالكلية . (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) الذين بدل من الذين الأولى وكذبوا صلة وبالكتاب متعلقان بكذبوا وبما عطف على بالكتاب وجملة أرسلنا صلة وبه متعلقان بأرسلنا ورسلنا مفعول به والفاء استئنافية وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع مرفوع والجملة مستأنفة مسوقة للتهديد ، هذا ويجوز أن تعرب الذين خبراً لمبتدأ محذوف فيكون محلها الرفع أو منصوباً على الذم ويجوز أن يكون مبتدأ خبره فسوف يعلمون والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط . (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق يعلمون أو هي في محل نصب مفعول به ليعلمون ولا يتنافى كون الظرف ماضياً وسوف يعلمون مستقبلاً ففي جعلها مفعولاً به تفاد من استحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي ، ولك أن تقول لا منافاة الآن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال .

وعبارة السمين « ولا حاجة لإخراج إذ عن موضوعها بل هي باقية على دلالتها على الماضي وهي منصوبة بقوله فسوف يعلمون ، نصب المفعول به أي فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الأغلال في أعناقهم أي وقت سبب الأغلال وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا كأنه قيل سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الأغلال في أعناقهم وهو وجه صحيح غاية ما فيه التصرف في

إِذْ تَجْعَلُهَا مَفْعُولًا بِهِ وَلَا يَضُرُّنَا ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَعْرِبِينَ غَالِبٌ أَوْقَاتِهِمْ يَقُولُونَ مَنْصُوبٌ بِأَذْكَرٍ مَقْدَرًا وَلَا تَكُونُ حِينَئِذٍ إِلَّا مَفْعُولًا بِهِ لِاسْتِحَالَةِ عَمَلِ الْمُسْتَقْبَلِ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي وَجُوزُوا أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً بِأَذْكَرٍ مَقْدَرٍ أَيْ أَذْكَرَ لَهُمْ وَقْتُ الْأَغْلَالِ لِيَخَافُوا وَيَنْزَجِرُوا فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجَهَ خَيْرَهَا أَوْسَطُهَا » .

وعبارة أبي البقاء : إِذْ ظَرَفَ زَمَانَ مَاضٍ وَالْمُرَادُ بِهَا الْاسْتِقْبَالُ هُنَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ، وَالْأَغْلَالُ مَبْتَدَأٌ وَفِي أَعْنَاقِهِمْ خَبَرٌ وَالسَّلَاسِلُ عَطْفٌ عَلَى الْأَغْلَالِ وَالظَّرْفُ فِي نِيَةِ التَّأْخِيرِ عَنْهُمَا فَهُوَ خَبَرٌ عَنْهُمَا مَعًا وَجُمْلَةٌ يَسْحَبُونَ حَالًا أَوْ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ جُمْلَةٌ يَسْحَبُونَ وَالرَّابِطُ مَقْدَرٌ تَقْدِيرُهُ بِهَا وَقَرِءْ بِنَصْبِ السَّلَاسِلِ وَيَسْحَبُونَ بَفَتْحِ الْيَاءِ فَهُوَ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ لِيَسْحَبُونَ .

وعبارة الزمخشري : « وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالسَّلَاسِلُ يَسْحَبُونَ بِالنَّصْبِ وَفَتْحِ الْيَاءِ عَلَى عَطْفِ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ عَلَى الْأَسْمِيَّةِ وَعَنْهُ وَالسَّلَاسِلُ يَسْحَبُونَ بِجَرِّ السَّلَاسِلِ وَوَجْهُهُ أَنَّهُ لَوْ قِيلَ إِذْ أَعْنَاقَهُمْ فِي الْأَغْلَالِ مَكَانَ قَوْلِهِ إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ لَكَانَ صَحِيحًا مُسْتَقِيمًا فَلَمَّا كَانَتَا عِبَارَتَيْنِ مُتَعَقِبَتَيْنِ حُمِلَ قَوْلُهُ وَالسَّلَاسِلُ عَلَى الْعِبَارَةِ الْأُخْرَى وَنَظِيرُهُ :

مَشَائِمُ لَيْسُوا بِمُصْلِحِينَ عَشِيرَةٌ وَلَا نَاعِبٌ إِلَّا بَيْنَ غَرَابِهَا

كَأَنَّهُ قِيلَ بِمُصْلِحِينَ وَقَرِءْ وَبِالسَّلَاسِلِ يَسْحَبُونَ » فَهُوَ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَرِّ مِنْ بَابِ عَطْفِ التَّوْهَمِ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَحْثُهُ . وَعِنْدَئِذٍ يَكُونُ فِيهِ فَنُ الْقَلْبِ وَهُوَ كَثِيرٌ شَائِعٌ فِي كَلَامِهِمْ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَحْثُهُ وَفِيهِ عَطْفُ التَّوْهَمِ بَعْدَ ذَلِكَ .

(في الحسيم ثم في النار يسجرون) في الحسيم متعلقان بيسحبون، ثم حرف عطف للتراخي وفي النار متعلقان بيسجرون والجملة عطف على ما قبلها • (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون) ثم قيل أي ثم يقال أو يقولون وصيغة الماضي لتحقيق وقوع القول ولهم متعلقان بقيل وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة كنتم صلة وجملة تشركون خبر كنتم • (من دون الله قالوا ضلوا عنا) من دون الله حال وقالوا فعل وفاعل وجملة ضلوا عنا مقول القول (بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين) بل حرف اضراب انتقالي ولم حرف نفي وقلب وجزم ونكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها مستتر تقديره نحن وجملة ندعو خبرها ومن قبل حال وشيئاً مفعول به وكذلك نعت لمصدر محذوف ويضل الله الكافرين فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) اسم الإشارة مبتدأ والإشارة للإضلال أو العذاب وبما خبر وجملة كنتم صلة وجملة تفرحون خبر كنتم وفي الأرض متعلقان بتفرحون وبغير الحق حال • (وبما كنتم تفرحون) عطف على قوله كنتم تفرحون والمرح هو الفرح أو أشده كما في المصباح • (أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أدخلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف وأبواب جهنم مفعول به على السعة وخالدين حال وفيها متعلقان بخالدين والفاء عاطفة وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ومثوى المتكبرين فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف أي هي ولم يقل مدخل المتكبرين لإفادة الديمومة والخلود بلفظ الثواء •

الفوائد :

رست « أين » مفصولة من « ما » في المصحف ووصلت في مواضع أخرى ، وعبارة ابن الجزري (« فأينما كالنحل صل » أي صل « أين » مع « ما » في قوله تعالى « أينما تولوا فثم وجه الله » بالبقرة كالنحل أي كما تصله بها في قوله « أينما يوجهه لا يأت بخير » بالنحل « ومختلف في الأحزاب والنساء وصف » أي والاختلاف في « أين ما كنتم تعبدون » في الشعراء و « أينما ثققوا » في الأحزاب و « أينما تكونوا يدرككم الموت » في النساء وصف أي ذكر أي ذكره أهل الرسم وما عدا الثلاثة نحو « فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا » و « أين ما كنتم تدعون من دون الله » في الأعراف و « أين ما كنتم تشركون » في غافر و « أين ما كانوا » في المجادلة مقطوع .

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَمَّا نُرِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْتَوَفَيْنَاكَ
فَالْبَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

الاعراب :

(فاصبر إن وعد الله حق) الفاء الفصيحة أي إن بدا لك منهم ما بدا من صد وإعراض فلا تبتئس واصبر فإننا سننتقم لك منهم .
واصبر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وإن واسمها وخبرها تعليل

للأمر بالصبر • (فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون) الفاء عاطفة وإن الشرطية مدغمة في ما الزائدة ونرينك فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وبعض الذي مفعول به ثان وجملة نعدهم صلة الذي ، أو نتوفينك عطف على نرينك والفاء رابطة ، وإلينا يرجعون : إلينا متعلقان يرجعون والجملة جواب للشرط الثاني وهو نتوفينك وجواب الشرط الأول والتقدير فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك أو أن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام •

وإنما حذف جواب الأول دون الثاني لأن الأول إن وقع فذاك غاية الأمل في إنكائهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على التمام وأما إن لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسلية وتطمين النفس على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو محتسب في الآخرة ولا بد منه • (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل وأرسلنا مفعول به ومن قبلك نعت لرسلك أو متعلقان بأرسلنا ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة قصصنا صلة وعليك متعلقان بقصصنا ومنهم من لم نقصص عليك عطف على الجملة الأولى وهي نعت لرسلاً أو مستأنفة •

(وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) الواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولرسول خبر كان المقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وبآية متعلقان بيأتي وإلا أداة حصر وإذن الله

استثناء من أعم الأحوال • (فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاء أمر الله في محل جر باضافة الظرف اليها وجملة قضي بالحق لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونائب فاعل قضي مستتر تقديره هو أي الأمر وبالحق حال أي ملتبساً بالحق وخسر فعل ماض وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بخسر والمبطلون فاعل خسر •

الفوائد :

ضمير النكرة نكرة أم معرفة ؟

تساءل بعضهم عن الضمير في قوله « منهم من قصصنا » والعائد على قوله « رسلاً » أهو نكرة أم معرفة ؟ وأجاب بأنه نكرة لأن مدلوله كمدلول المرجوع إليه وهو نكرة فوجب أيضاً أن يكون الراجع نكرة إذ التنكير والتعريف باعتبار المعنى والصحيح انه معرفة لأن الهاء في قولك : « جاءني رجل وضربته » ليست شائعة شياع رجل لأنها تدل على الرجل الجائي خاصة لا على رجل والذي يحقق ذلك أنك تقول جاءني رجل ثم تقول : أكرمني الرجل ولا تعني بالرجل سوى الجائي ولا خلاف في أن الرجل معرفة فوجب أن يكون الضمير معرفة أيضاً لأنه بمعناه •

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ

فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^{٨٢} كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً
وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ مِمَّا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا
بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي
قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ^{٨٦} وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

الاعراب :

(الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) كلام
مستأنف مسوق لتعديد بعض آلائه سبحانه ، والله مبتدأ والذي خبره
وجملة جعل صلة ولكم متعلقان بجعل لأنها بمعنى خلق والأنعام
مفعول به ، وقد تقدم تفسيرها في سورة الأنعام ولا معنى لتخصيص
الإبل وحدها ، ولتركبوا اللام للتعليل وتركبوا فعل مضارع منصوب
بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعل لأنها علة
الخلق او منها متعلقان بتركبوا أي من بعضها فمن للتبويض ولا معنى
لجعلها ابتدائية ومنها تأكلون عطف على ما تقدم (ولكم فيها منافع
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) الجملة معطوفة • (وعليها وعلى
الفلك يحملون) وعليها متعلقان بتحملون وعلى الفلك عطف على
وعليها • (ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون) ويريكم آياته عطف

على جعل لكم الأنعام وآياته مفعول به ثان ، فأى : الفاء عاطفة وأي مفعول مقدم لتذكرون وقدم وجوباً لأن لأسماء الاستفهام الصدارة وتذكرون فعل مضارع مرفوع والاستفهام للتوبيخ قال الزمخشري : « وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحماره غريب وهي في أي أغرب » قلت وقد ورد تأنيثها كثيراً ومنه قول الكميت :

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبه عاراً علي وتحسب

(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) كلام مستأنف مسوق للشروع في توبيخهم والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي والفاء عاطفة على مقدر أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض أي في نواحيها وأطرافها والفاء فاء السببية وينظروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والواو فاعل وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر اكان المقدم وعاقبة اسمها المؤخر ومن قبلهم متعلقان بسحنوف صلة الموصول . (كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض) كلام مستأنف مسوق لبيان مبدأ أحوالهم وعواقبها وكان واسمها وأكثر خبرها ومنهم متعلقان بأكثر وقوة تمييز وآثاراً عطف على قوة وفي الأرض نعت لآثاراً . (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) الفاء عاطفة وما نافية أو استفهامية في محل نصب مفعول أغنى المقدم وأغنى فعل ماض وعنهم متعلقان بأغنى وما الثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع على الفاعلية أي لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم .

(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)
 الفاء هذه هي الفاء الثانية من أربع فاءات متعاقبة فالأولى للعطف كما
 قلنا بيّنت عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم • والثانية عاطفة أيضاً تشير الى
 تفصيل ما أبهم من عدم الإغناء ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة
 وجاءتهم رسلهم فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل وبالبينات متعلقان
 بجاءتهم وجملة فرحوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعندهم
 ظرف متعلق بمحذوف صلة ما ومن العلم حال (وحق بهم ما كانوا
 به يستهزئون) وحق عطف على فرحوا وبهم متعلقان بحاق وما
 موصولة فاعل وجملة كانوا صلة وكان واسمها وبه متعلقان يستهزئون
 وجملة يستهزئون خبر كانوا وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة.
 (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) وهذه هي الفاء الثالثة وهي
 لمجرد العطف والتعقيب أي التي تجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعاً عقبه
 ولما حينية ورأوا فعل ماض وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف
 إليها وبأسنا مفعول به وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير
 جازم وجملة آمنا مقول القول وبالله متعلقان بآمنا ووحدته حال •

(وكفرنا بما كنّا به مشركين) وكفرنا عطف على آمنا وبما
 متعلقان بكفرنا وجملة كنا صلة ما وكان واسمها وبه متعلقان بمشركين
 ومشركين خبر كنا • (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) وهي
 الفاء الرابعة وهي للعطف وجملة يك معطوفة على آمنا كأنه قيل
 فآمنوا فلم ينفعهم إيمانهم وقد أفادت العطف مع التفسير ، ويك
 فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على
 النون المحذوفة للتخفيف واسمها مستتر تقديره هو أي الشأن وجملة
 ينفعهم خبرها وإيمانهم فاعل ينفعهم ويجوز رفع إيمانهم اسماً لكان وجملة

ينفعهم خبرها المقدم وليست المسألة من باب التنازع ولما حينية وجملة رأوا بأسنا في محل جر بإضافة الظرف اليها. ر سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) سنة الله مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه أي سن تعالى بهم سنة من قبلهم ويجوز أن يكون منصوباً على التحذير أي احذروا سنة الله في المكذبين والتي صفة لسنة وجملة قد خلت صلة وفي عباده متعلقان بخلت أي مضت في عباده والواو استئنافية وخسر فعل ماض وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بخسر والكافرون فاعل خسر وقد استعير ظرف المكان للزمان أي وخسروا وقت رؤية اليأس ويجوز ابقاؤه على أصله .

البلاغة :

فن التهكم :

في قوله « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم » الآية فن التهكم وهو في الأصل تهدم البناء ، يقال تهكمت البئر إذا انهدمت والغضب الشديد والتندم على الأمر الفائت وهو في اصطلاح البيانين الاستهزاء والسخرية من المتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشارة في موضع التحذير ، والوعد في موضع الوعيد ، والعلم في موضع الجهل ، تهاوفاً من القائل بالمقول له واستهزاءً به ، وقد تقدمت الإشارة الى هذا الفن كثيراً في كتابنا ، قال الزمخشري : « أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى : بل ادرك علمهم في الآخرة ، وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي إن لي

عنده للحسني ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ، وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به اليينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل : كل حزب بما لديهم فرحون « وما أجمل قول الحماسي :

أتاني من أبي أنس وعيد فتل تغيط الضحاك جسي
تل أهلك ، وانتغيط : الغيط ، وكني عن أبي أنس بالضحاك الذي
كان ملكاً قصداً للاستهزاء .

الفوائد :

حذف نون مضارع كان المجزوم :
تقدم القول في حذف نون مضارع كان المجزوم بشرط كونه
مجزوماً بالسكون غير متصل بضمير نصب ولا بساكن ، وقد وقع ذلك
في التنزيل في ثمانية عشر موضعاً ، وقد سمع في الشعر حذفها اذ وليها
ساكن ، قال الخنجر بن صخر الأسدي :

فإن لم تك المرأة أبدت وسامة فقد أبدت المرأة جبهة ضيغم

فحذف النون مع ملاقة الساكن ، والمرأة بكسر الميم ومدّ
الهمزة آلة الرؤية فكأنه نظر وجهه فيها فلم يره حسناً فتسلى بأنه يشبه
الضيغم وهو الأسد ، والوسامة بفتح الواو : الحسن والجمال وحمله
جمهور النحاة على الضرورة واستشهد بقول النجاشي :

فلست يأتيه ولا أستطيعه

ولاك اسقني إن كان مأوك ذا فضل

فحذف نون لكن ضرورة واستدل القراء بهذا البيت على أن
لكن المشددة مركبة وأصلها لكن ان فطرحت الهمزة للتخفيف ونون
لكن للساكين ومن طريف ما يروى عن هذا البيت أن النجاشي
الشاعر عرض له ذئب في سفره فحكى أنه دعا الذئب الى الطعام وقال
له : هل لك من أخ يعني نفسه يواسيك بطعامه بغير من ولا بخل
فقال له الذئب دعوتني الى شيء لم تفعله السباع قبلي من مؤاكلة
بني آدم ولست بآتيه ولا أستطيعه ولكن إن كان في مائك الذي معك
فضل عما تحتاج اليه فاسقني منه .

سورة فصلت
مكية وآياتها أربع وخمسون
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي
أُذَانِنَا وَقْرٌ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ
وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾

الاعراب :

(حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم) حم خبر لمبتدأ محذوف
وتنزيل خبر لمبتدأ محذوف أيضاً أي هو تنزيل ومن الرحمن الرحيم
متعلقان بتنزيل وأجاز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وقوله كتاب
الآتي خبره وساغ الابتداء بتنزيل لأنه اتخصص بالصفة وعليه درج

الجلال وشراحه وما ذكرناه أولاً أولى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) كتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر وجملة فصلت آياته صفة للكتاب أي ميزت وجعلت تفاصيل في شتى المعاني وآياته نائب فاعل وقرآناً حال من كتاب وعربياً نعت وأجاز الزمخشري إعراب قرآناً بالنصب على الاختصاص ولقوم متعلقان بفصلت وجملة يعلمون نعت لقوم وأعرب الزمخشري لقوم بقوله : « والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله » .

(بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) يجوز أن يكونا نعتين لقرآناً وأن يكونا حالين إما من كتاب وإما من آياته وإما من الضمير المنوي في قرآناً ، فأعرض الفاء عاطفة على فصلت وأكثرهم فاعل ، فهم الفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يسمعون خبر هم .

(وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) الواو عاطفة أو استئنافية وقالوا فعل ماض وفاعل وقلوبنا مبتدأ وفي أكنة خبر أي أغطية ومما متعلقان بمحذوف أي تمنعنا مما تدعونا وقال أبو البقاء : « هو محمول على المعنى إذ معنى في أكنة أنها محجوبة عن سماع ما تدعونا إليه ولا يجوز أن يكون نعتاً لأكنة لأن الأكنة الأغشية وليست الأغشية إنما يدعو إليه » . وهذا كلام شامل لا يعين الأعراب ولهذا جنحنا إلى تقدير تمنعنا وقريب من الوجه الذي اخترناه قول زاده في حاشيته على البيضاوي : « في الكلام حذف تقديره في أكنة تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه فحذف المضاف » فما يتعلق به مما هو النعت لأكنة . ولو او حرف عطف وفي آذاننا خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر .

(ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) الواو حرف عطف او من بيننا خبر مقدم وبينك معطوف على بيننا وحجاب مبتدأ مؤخر ، فاعمل الفاء الفصيحة أي إن عرفت ما قلناه لك ووعيته فاعمل ، وإننا إن واسمها وعاملون خبرها أي فاستمر على دعوتك فإننا مستمرون على ديننا وهو الإشراف وسيأتي مزيد بسط هذا الكلام في باب البلاغة . (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إليكم به واحد) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ وبشر خبر ومثلكم نعت وجملة يوحى نعت ثان لبشر ، وإلي متعلقان يوحى ونائب الفاعل أن وما بعدها وأنما كافة ومكفوفة وهي مع مدخولها نائب فاعل يوحى وإليكم مبتدأ وإليه خبر وواحد نعت . (فاستقيموا إليه واستغفروه ويويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) الفاء الفصيحة واستقيموا فعل أمر وفاعل وهو متضمن معنى توجهوا ولذلك عدي إلى واستغفروه عطف على فاستقيموا بوويل الواو عاطفة ويويل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء وللمشركين خبر والذين نعت وجملة لا يؤتون الزكاة صلة ولا يتنافى عطف الاسم على الفعلية لأن الأول متجدد وهو عدم إيتاء الزكاة والثاني مستمر وهو الكفر وهم بالآخرة هم كفرون) الواو عاطفة وهم مبتدأ وبالآخرة متعلقان بهم وهم الثانية تأكيد للأولى وكافرون خبر هم .

البلاغة :

اشتملت الآية « وقالوا قلوبنا في أكنة » الى قوله « عاملون » على نكت بلاغية تستحق أن تكتب بذوب التبر ففيها ثلاث استعارات تمثيلية لنبو قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومع أسماهم له وامتناع مواصلتهم وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول .

١ - فأولها الحجاب الحائل الخارج فقد شبهوا قلوبهم بالشيء المحوى المحاط بالغطاء المحيط له .

٢ - وثانيها حجاب الصمم فقد شبهوا أسماعهم بأذان بها صمم من حيث أنها اتمج الحق ولا تميل الى استماعه .

٣ - وثالثها وأقصاها الحجاب الذي أكن القلب والعياذ بالله فقد شبهوا حال أنفسهم مع الرسول بحال شيئين بينهما حجاب عظيم يسنع من وصول أحدهما الى الآخر فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتخياً إلا سدلته ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعا ولا صريخاً إلا استلبته .

هذا ولا بد من الإشارة الى ما تضمنته من إشارات فهي تفيد الابتداء والمعنى أن حجاباً ابتداءً منا وابتداءً منك . أما بين فقد تكررت ومعناها واحد وقد وهم الزمخشري فجعل بين الثانية غير الأولى لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هي الثانية بعينها وهي عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمّر محفوظ فوجب تكرار حافظه وهو بين والدليل على هذا أنه لا تفاوت بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وإنما كان ذكرها مع الظاهر جوازاً ومع المضمّر وجوباً لما بيناه فإذا وضع ذلك فموقع من هاهنا كموقعها في قوله تعالى : « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً » وذلك للإشعار بأن الجهة المتوسطة مثلاً بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ الحجاب .

الفوائد :

منع الزكاة وسرها :

تساءل المفسرون جميعاً : لم خص تعالى من أوصاف المشركين منع الزكاة مقروفاً بالكفر بالآخرة ، وأجابوا بأسئلة متشابهة فحواها أن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو تحقيق روجه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ، ونص عبارة الزمخشري في هذا الصدد : « ألا ترى الى قوله عز وجل : « مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم » أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإتفاق الأموال » هذا ولو استعرضنا معنى اسم الزكاة لوجدناه يرمز الى أسمى الخصائص وأعلاها فهي تطهر المال من الخبث وتنقيه من الآفات وتبعد النفس عن رذيلة البخل ، وتنميها على فضيلة الكرم وتستجلب بها البركة ، وتزيد المتصدق ثناء ومدحاً ويكفر جاحدها ويقاثل المتنعون من أدائها وتؤخذ منهم وإن لم يقاتلوا قهراً ، وعن أنس بن مالك قال : « أتى رجل من تميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل ومال وحاضرة فأخبرني كيف أصنع وكيف أنفق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتصرف حق المسكين والجار والسائل » .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ
إِنِّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۥٓأَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا
 فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
 لَهَا وَالْأَرْضِ انثَبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ فَقَضَاهُنَّ
 سَبْعَ مَمْنَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) كلام
 مستأنف مسوق لذكر ما أعد للصالحين بعد ما ذكر ما أعد للجاهلین ،
 وإن واسمها وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف على آمنوا والصالحات
 مفعول به منصوب بالكسرة ولهم خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وغير
 ممنون نعت والجملة الاسمية خبر إن ومعنى غير ممنون : غير مقطوع
 وقيل غير ممنون به عليهم • (قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض
 في يومين) الهمزة للاستفهام الإنكاري وإن واسمها واللام المرحلة
 وجملة تكفرون خبر إن وبالذي متعلقان بتكفرون وجملة خلق الأرض
 صلة وفي يومين متعلقان بخلق والمراد مقدار يومين أو في نوبتين كل
 نوبة أسرع مما يكون في يوم • (وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين)
 الواو عاطفة وتجعلون عطف على تكفرون وله في محل نصب مفعول
 تجعلون الثاني وأنداداً مفعوله الأول وذلك مبتدأ والإشارة إلى الذي
 باعتبار اتصافه بما دلت عليه الصلة ورب العالمين خبره •

(وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) الواو عاطفة على الأصح فقد منع أبو البقاء وغيره العطف قال : « وجعل فيها هو مستأنف غير معطوف على خلق لأنه لو كان معطوفاً عليه لكان داخلاً في الصلة ولا يجوز ذلك لأنه فصل بينهما بقوله تعالى : وتجعلون الى آخر الآية وليس من الصلة في شيء » ويمكن أن يرد على ذلك بأن قوله وتجعلون وإن كان معطوفاً على تكفرون فهو بمثابة الاعتراض بين المتعاطفين والاعتراض كثيراً ما يأتي بينهما فالحق الذي لا مرية فيه أنه معطوف على خلق الأرض فهو من جملة الصلة وفيها في محل المفعول الثاني ورواسي مفعول جعل الأول ، ولك أن تعلق الجار والمجرور بجعل على أنه بمعنى خلق فهو ينصب مفعولاً واحداً ومن فوقها نعت لرواسي وما أجمل وقع هذا النعت لئلا يتوهم أنها من تحتها فتكون ممسكة لها ومانعة من الميدان ثم لتكون الجبال معروضة للناظرين بحيث تحتاج هي والأرض الى ممسك لها وبارك فيها عطف على جعل فيها .

(وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) وقدر فيها عطف على ما تقدم أي أرزاق أهلها ومعاشهم وفي أربعة أيام متعلقان بقدر أي في تمام ومقدار أربعة أيام وسواء نصب على المصدر أي استوت الأيام الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص وقرىء بالجر على الوصف وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وللسائلين متعلقان بسواء بمعنى مستويات للسائلين أو بمحذوف كأنه قيل : هذا الحصر لأجل من سأل في كم يوم خلقت الأرض وما فيها أو متعلقان بمقدر أي قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين والمحتاجين إليها من المقتاتين . وأجاز أبو البقاء إعراب سواء حلاً بعد أن ذكر الأوجه المتقدمة وهو جائز على أنه حال من الضمير في أقواتها أو فيها أو من الأرض .

(ثم استوى الى السماء وهي دخان) ثم حرف عطف للترتيب الإخباري لا الزماني واستوى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وإلى السماء متعلقان باستوى من قولك استوى الى مكان كذا إذا قصدته وتوجه إليه توجهاً مستقيماً لا يلوي على شيء والواو للحال وهي مبتدأ ودخان خبر وسيأتي معنى هذا التشبيه في باب البلاغة . (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى ولها متعلقان يقال وللأرض عطف على لها وائتيا فعل أمر مبني على حذف النون وألف الاثنين فاعل وطوعاً وكرهاً مصدران في موضع الحال أي طائعتين أو كارهتين وسيأتي مزيد بحث عن هذه الآية في باب البلاغة . (فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها) الفاء عاطفة وقضاهن فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وسبع سموات مفعول ثانٍ لقضاهن لأنه ضمن معنى صير ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من مفعول قضاهن فتكون قضى بمعنى صنع أي معدودة ويجوز أن يكون منصوباً على البدلية من الضمير ويجوز أن يكون تمييزاً وإليه جنح الزمخشري قال « ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً لسبع سموات على التمييز » ويعني الزمخشري بقوله مبهماً أنه لا يعود على السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بخلاف كونه حالاً أو مفعولاً ثانياً ، وأوحى عطف على فقضاهن وفي كل سماء متعلقان بأوحى وأمرها مفعول به .

(وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)
وزينا عطف على ما تقدم على طريق الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة وزينا فعل وفاعل والسماء مفعول به والدنيا نعت وبمصابيح متعلقان بزينا أي بنجوم وحفظاً مفعول مطلق لفعل محذوف أي وحفظناها

حفظاً من استراق الشياطين السمع للشهب وأجاز الزمخشري أن يكون مفعولاً لأجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصاييح زينة وحفظاً وذلك مبتدأ والاشارة الى ما ذكر كله بتفاصيله وتقدير العزيز العليم مضاف إليه .

البلاغة :

١ - التشبيه البليغ الصوري :

في قوله « ثم استوى الى السماء وهي دخان » تشبيه بليغ صوري لأن صورتها صورة الدخان في رأي العين والمراد بالدخان البخار الذي تتشكل منه الطبقات الهوائية فلا منافاة مع أحدث نظريات العلم .

٢ - الاستعارة المكنية :

وفي قوله استوى الى السماء استعارة مكنية فالمستعار الاستواء والمستعار منه كل جسم مستو والمستعار له هو الحق عز وجل وقد تقدم تفصيل هذه الاستعارة كثيراً فتدبره .

٣ - وفي قوله « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » فنون شتى فجملها بما يلي :

أ - إسناد القول للأرض والسماء وتوجيه الخطاب لهما من باب المجاز العقلي والقصد من هذا المجاز تصوير قدرته سبحانه واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات للطوع والكره لهما ، ويجوز أن يكون هذا من باب الاستعارة المكنية فقد شبههما بكائنتين حين عاقلين ثم

حذف المشبه به وأثبت شيئاً من لوازمه لتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة الطائع كما تقول نطق الحال بكذا بدل دلت فيجعل الحال كالإنسان الذي يتكلم في الدلالة والبرهان ثم يتخيل له النطق الذي هو من لازم المشبه به وينسب إليه .

ب - الطباق بين طوعاً وكرهاً .

ج - تغليب المذكر العاقل على المؤنث أو التنزيل منزلته في قوله « قالتا أتينا طائعين » .

د - الالتفات :

وفي قوله « وزينا السماء الدنيا بمصابيح الآية » الالتفات من الغيبة الى التكلم فقد أسند التزيين الى ذاته سبحانه لإبراز مزيد العناية بالتزيين المذكور .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٢﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٣﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْ قُوَّةٍ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايُنِنَا يُجْحَدُونَ ﴿١٤﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَثَرٌ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٥﴾

اللفظة :

(صرراً) : قال الزمخشري : « الصرصر : العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل : الباردة التي تحرق بشدة بردها ، تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض » وفي القاموس « الصرة بالكسر شدة البرد أو البرد كالصر فيهما وأشد الصياح وبالفتح الشدة من الكرب والحرب والحر ... وصر يصر من باب ضرب صراً وصريراً صوت وصاح شديداً » وقال ابن قتيبة صرصر يجوز أن يكون من الصر وهو البرد ويجوز أن يكون من صر الباب وأن يكون من الصرة وهي الصيحة ومنه فأقبلت امرأته في صره » وقال الراغب : « صرصر لفظه من الصر وذلك يرجع الى الشد لما في البرودة من التعقد » .

وللصاد مع الراء فاء وعيناً للكلمة معنى الشدة والظهور النصوع ، فصرب : اجاء بضربة تزري الوجه وتقول : جزى الله بضربة ، من جاءنا بضربة ، وصرح بما في نفسه وبني صرحاً وصروحاً وقعد في صرحة داره أي في ساحتها وصرحت الخمرة : ذهب عنها الزبد ، والصراخ : صوت المستغيث وصوت المغيث إذا خرج بقومه للإغاثة قال سلامة :

إفا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنايب

أي كان الغياث له ، وهذا يوم صردٍ وصرَدٍ ويوم صردٍ وقد صرد يومنا وليلة صردة ورجل صردٍ وريح مصراد باردة شديدة البرد، وصرعته تركته صريعاً وتركته صرعى وصرعهم ريب المنون

وليس أشد من ذلك وبات صريع الكأس ، قال مسلم بن الوليد صريع
الغواني :

هل العيش إلا أن أروح مع الصبا
وأغلب صريع الراح والأعين النجل

وحفظك الله من صرف الزمان وصروفه وتصاريفه ، وزرع صريع
ومصروم مجزوز وصرم النخل واصطرمه ، وماء صريّ مجموع •
ولا يجتمع إلا ليظهر ، قال ذو الرمة :

صَريّ آجنّ يزوي له المرء وجهه
ولو ذاقه ظمآن في شهر ناجر

وهذا من الغريب الذي يبرز اللغات •

(نحسات) : بكسر الحاء وسكونها وهما قراءتان سبعيتان أي
مشثومات عليهم فأما الكسر فهو صفة على فعل وفعله فعل بكسر العين
أيضاً يقال نحس فهو نحس كفرح فهو فرح وأشر فهو أشر وأما
السكون فهو مصدر وصف به كرجل عدل ولكن يشكل على هذه
القراءة جمعه فإن الفصيح في المصدر الموصوف به أن يوحد وكان
المسوغ له اختلاف أنواعه في الأصل •

الاعراب :

(فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)
كلام مستأنف على طريق الالتفات ، مسوق لتحذيرهم بعد إعراضهم ،
وللالتفات سر بليغ نوره في باب البلاغة ، وإن شرطية وأعرضوا فعل

ماض والواو فاعل والفعل في محل جزم فعل الشرط ، فقل الفاء رابطة
وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأنذرتكم فعل ماض وفاعل
ومفعول به ، وعبر بالماضي وسياق الكلام يقتضي الاستقبال للدلالة
على تحقق الإنذار ، وصاعقة مفعول به ثان ومثل نعت لصاعقة .
(إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) الظرف متعلق بصاعقة
لأنها بمعنى العذاب وجملة جاءتهم الرسل في محل جر بإضافة الظرف
إليها ومن بين أيديهم متعلقان بجاءتهم ومن خلفهم عطف عليه أي من
جميع جوانبهم أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار ومن جهة المستقبل
بالتحذير وأعربه بعضهم متعلقاً بمحذوف حال من الرسل أي حال كون
الرسل من بين أيدي عاد وثمود ومن خلفهم ورجح الزمخشري الأول
في تفسيره لمعناه قال : « أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا
فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي
فيه حيلة » .

(أن لا تعبدوا إلا الله) يجوز في أن هذه ثلاثة أوجه : أحدها
أن تكون مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تعبدوا أي بأن الشأن
والحديث قولنا لكم لا تعبدوا وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض
والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره قائلين وهو حال من الرسل
ولا ناهية وتعبدوا فعل مضارع مجزوم بلا وإلا أداة حصر ولفظ
الجلالة مفعول به ، والوجه الثاني أن تكون مصدرية تنصب الفعل
المضارع ولا نافية وتعبدوا فعل مضارع منصوب بأن بعد لا النافية
فإن لا النافية لا تمنع عمل العامل فيما بعدها ، والوجه الثالث أن
تكون مفسرة لأن مجيء الرسل يحمل القول وتكون الجملة لا محل
لها لأنها مفسرة . (قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم
به كافرون) قالوا فعل ماض وفاعل ولو حرف شرط غير جازم وشاء

ربنا فعل وفاعل والمفعول به محذوف تقديره إرسال الرسل والأحسن أن يقدر من جنس جوابها أي لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسالة إلى الإنس لأنزل إليهم بها ملائكة والفاء الفصيحة وإن واسمها وبما متعلقان بكافرون وجملة أرسلتم به صلة وكافرون خبر إن والمعنى فإذا أنتم بشر ولستم ملائكة فإننا لا نؤمن بكم .

(فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق) الفاء استئنافية والكلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية ما يختص به كل واحد منهما وأما حرف شرط وتفصيل وعاد مبتدأ والفاء رابطة لجواب أما وجملة استكبروا خبر عاد وفي الأرض متعلقان باستكبروا وبغير الحق حال . (وقالوا من أشدّ منا قوة) وقالوا عطف على فاستكبروا . ومن اسم استفهام مبتدأ وأشدّ خبر والجملة مقول القول ومنا متعلقان بأشدّ وقوة تمييز . (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوة) الهزة للاستفهام الإنكاري والواو حرف عطف وجملة لم يروا معطوفة على مقدر يقتضيه السياق أي اغفلوا وضلوا ولم يروا وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا لأنها بمعنى العلم وأن واسمها والذي نعت وجملة خلقهم صلة وهو مبتدأ وأشدّ خبر ومنهم متعلقان بأشدّ وقوة تمييز والجملة خبر أن .

(وكانوا بآياتنا يجحدون) عطف على قوله فاستكبروا أيضاً والجملة المعطوفة والمعطوف عليه المقدر اعتراض وبآياتنا متعلقان يجحدون لأنه متضمن معنى يكفرون . (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) الفاء عاطفة وأرسلنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بأرسلنا وريحاً مفعول به وصرصراً نعت وفي أيام نعت ثان أو حال ونحسات نعت لأيام ، ولنذيقهم اللام

للتعليل ونذيقهم فعل مضارع منصوب بأن بعد لام التعليل والهاء مفعول به والجار والمجرور متعلقان بأرسلنا وعذاب الخزي مفعول به ثان لنذيقهم وهو من إضافة الموصوف الى صفته وسيأتي تفصيله في باب البلاغة وفي الحياة متعلقان بنذيقهم والدنيا نعت للحياة . (ولعذاب الآخرة أشدّ وأذى وهم لا ينصرون) الواو استئنافية واللام للابتداء وعذاب الآخرة مبتدأ وأذى خبر والواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا ينصرون خبر وينصرون فعل مضارع مبني للسجود والواو نائب فاعل .

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على أفانين متعددة من البلاغة نوردها فيما يلي :

١ - الالتفات في قوله : « فإن أعرضوا » الآية فقد خاطبهم أولاً بقوله : « أنكم » بيد أنهم لم يأنهوا لخطابه ولم يستوعبوا نصحه فالتفت من الخطاب إلى الغيبة لأنهم فعلوا الإعراض فليس له إلا أن يعرض عن خطابهم ليصح التلاؤم ، ويناسب اللفظ المعنى ، وهذا من أرفع أنواع البلاغة وأرقاها وكم للالتفات من أسرار .

٢ - العدول عن المضارع المستقبل إلى الماضي بقوله « فقد أنذرتكم » للدلالة على أن ما ينذرهم به أمر متحقق لا مندوحة عنه .

٣ - الاسناد المجازي في قوله « عذاب الخزي » فإنه أضاف العذاب إلى الخزي الذي هو الذل ، والخزي الذي هو الذل

والاستكانة في الأصل صفة المعذب ولكنه جنح الى وصف العذاب به للمبالغة فهو كما قلنا في الاعراب من اضافة الموصوف الى صفته .

٤ - المشاركة في قوله « ولعذاب الآخرة أجزى » وجعل الخزي هذه المرة خبراً للمشاكلة على حد قول الشاعر :

« قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً »

وقد تقدم بحث هذا الفن .

٥ - في قوله « فاستحبوا العمى على الهدى » استعارة تصريحية فقد شبه الكفر بالعمى لأن الكافر ضال عن القصد ، متعسف الطريق كالأعمى ، وشبه الإيمان بالهدى لأن المؤمن مهتد الى محجة القصد وسواء السبيل ثم حذف المشبه في كليهما وأثبت المشبه به .

٦ - الطباق بين العمى الهدى وقد تقدم .

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ

خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا مِنْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

اللفظة :

(يوزعون) : يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وتشير الى معنى الكثرة وفي معاجم اللفظة : « وزع يزع من باب فتح ووزع يزع من باب ضرب فلان وبفلان : كفه ومنعه ووزع الجيش حبس أولهم على آخرهم يقال رأته يزع الجيش أي يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب » وقد تقدم ذكر هذه المادة .

(يستعتبوا) : يطلبوا العتبي أي الرضا والرجوع لهم إلى ما يحبون جزأ مما هم فيه .

(قبضنا) : هيأنا ، وأصل التقييض التيسير والتهيئة ، والمقايضة المعاوضة .

الاعراب :

(وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) عطف على قوله فأما عاد وأما حرف شرط وتفصيل وثمود مبتدأ وجملة فهديناهم الخبر والفاء عاطفة واستحبوا عطف على هديناهم والعمى مفعول به وعلى الهدى متعلقان باستحبوا لأنه متضمن معنى آثروا (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) الفاء عاطفة وأخذتهم فعل ماض ومفعول به مقدم وصاعقة العذاب فاعل مؤخر والهون نعت للعذاب أو بدل منه وبما متعلقان بأخذتهم والباء معناها السببية وما موصولة وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يكسبون خبرها والعائد محذوف أي بالذي كانوا يكسبونه من شركهم وتكذيبهم نبيهم صالحاً .

(ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الواو حرف عطف ونجيننا فعل وفاعل والذين مفعول به وجملة آمنوا صلة وكانوا عطف على آمنوا وكان واسمها وجملة يتقون خبرها . (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) الواو استئنافية ويوم مفعول لفعل محذوف تقديره اذكر يوم وجعله أبو البقاء ظرفاً لما دل عليه بعده وهو قوله تعالى « فهم يوزعون » كأنه قال يمنعون يوم نحشر ، وليس ببعيد ، وجملة يحشر في محل جر بالإضافة وأعداء الله نائب فاعل وإلى النار متعلقان بيحشر والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يوزعون خبر . (حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) حتى حرف غاية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه وهو شهد وما زائدة لتأكيد

الشهادة وما الزيدة تؤكد معنى ما اتصلت به في النسبة التي تعلق به
وهنا أكدت ظرفية الوقت المحدد للشهادة وجملة جاءوها في محل جر
بإضافة الظرف اليها وجملة شهد لا محل لها وعليهم متعلقان بشهد
وسمعهم فاعل وأبصارهم وجلودهم معطوفان على سمعهم وربما متعلقان
بشهد أيضاً وجملة كانوا صلة ما وجملة يعملون خبر كان .

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) الواو عاطفة وقالوا فعل
وفاعل وجلودهم متعلقان بقالوا واللام حرف جر وما اسم استفهام
مجرور بما ولذلك حذفت ألفها والجار والمجرور متعلقان بشهدتم
وعلينا متعلقان بشهدتم والجملة مقول القول والاستفهام هنا للتوبيخ والتعجب
من هذا الأمر (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) قالوا فاعل وفاعل وأنطقنا الله
فعل ماض ومفعول به وفاعل والجملة مقول القول والذي صفة لله
وجملة أنطق كل شيء صلة الذي . (وهو خلقكم أول مرة
وإليه ترجعون) الواو عاطفة وهو مبتدأ وجملة خلقكم خبر وأول مرة
ظرف متعلق بخلقكم وإليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع
مبني للمجهول والواو نائب فاعل . (وما كنتم تستترون أن يشهد
عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) عطف على ما تقدم وما
نافية وكنتم كان واسمها وجملة تستترون خبرها وأن وما في حيزها
نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتستترون أي من أن
يشهد عليكم لأن تستترون لا يتعدى بنفسه وقيل هو مفعول لأجله
أي لأجل أن يشهد عليكم سمعكم وعليكم متعلقان بيشهد وسمعكم
فاعل ولا أبصاركم ولا جلودكم عطف على سمعكم أي ما كان استتاركم
خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم لم تكونوا تتصورون شهادتها
بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً .

(ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل وظننتم فعل وفاعل وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظننتم وان واسمها وجملة لا يعلم خبرها وكثيراً مفعول به ومما نعت لكثير وجملة تعملون صلة والعائد محذوف أي تعملونه .

(وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) الواو عاطفة وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذي ظننتم نعت أو بدل وربكم متعلقان بظننتم وجملة أرداكم خبر ثان ويجوز إعراب ظنكم بدلاً من ذلكم أو ظنكم خبر وجملة أرداكم حال فأصبحتم عطف على أرداكم وأصبح واسمها ومن الخاسرين خبرها . (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) الفاء استئنافية وإن شرطية ويصبروا فعل الشرط والفاء رابطة والنار مبتدأ ومثوى خبر ولهم نعت لمثوى . (وإن يستعقبوا فما هم من المعتبين) عطف على الجملة السابقة وما نافية حجازية وهم اسمها ومن المعتبين خبرها . (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) فعل وفاعل ولهم متعلقان بقيضنا وقرناء مفعول به أي يلزمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيقض على البيض ، والقيقض قشر البيض الأعلى اليابس على البيضة أو هي التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء وموضعهما المقيض ، فزينوا فعل وفاعل ولهم متعلقان بزينوا وما مفعول به والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وأيديهم مضاف إليه وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم .

(وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) الواو عاطفة وحق فعل ماض وعليهم متعلقان بحق والقول فاعل وفي أمم متعلقان بمحذوف حال أي كائنين في جملة أمم

أو مندرجين وهو حال من الضمير في عليهم ومثل هذا التعبير قول عروة بن أذينة :

إن تك عن أحسن الضيعة مأفوكاً ففي آخرين قد أفكوا

يقول : إن تكن مأفوكاً أي مصروفاً ومنقلباً عن أحسن العطاء فلا عجب فانت في جملة أناس آخرين قد أفكوا وصرفوا عن الاحسان . وجملة قد خلت صفة الأمم ومن قبلهم متعلقان بخلت ومن الجن والانس نعت ثان للأمم أو حال لأنها وصفت وان واسمها وجملة كانوا خبرها وكان واسمها وخاسرين خبر كان وجملة إن وما بعدها تعليلية لاستحقاقهم العذاب .

البلاغة :

الكناية :

في قوله « شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم » كناية عن موصوب فقد كنى عن الفروج بالجلود وقيل أراد بالجلود الجوارح عامة والعطف من عطف العام على الخاص فيس في الكلام كناية إذن ، فالجلود هنا تفسر حقيقة ومجازاً ، أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقاً ، وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا هو الجانب البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِمَا عَدَّاهُ اللَّهُ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا

كَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَلَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

اللفظة :

(الغوا فيه) : فعل أمر من لغى بالكسر يلغى بالفتح وفيها معنيان أحدهما أنه من لغى إذا تكلم باللغو وهو مالا فائدة فيه والثاني انه من لغى بكذا إذا رمى به فتكون في بمعنى الباء أي ارموا به وانبذوه ، وإما أن يكون من لغى بالفتح يلغى بالفتح أيضاً ، حكاه الأخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لأجل حرف الحلق وقرئ بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ، هذا ماقرره السمين ، وعبارة الزمخشري « والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته » .

الاعراب :

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) كلام مستأنف مسوق لتقرير حالهم ومكابرتهم عند قراءة القرآن وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة ولا ناهية وتسمعوا فعل مضارع مجزوم بلا والجملة مقول القول ولهذا متعلقان بتسمعوا والقرآن بدل والغوا فعل أمر وفاعل وفيه متعلقان بالغوا ولعل واسمها وجملة تغلبون خبرها والمراد بالغلبة حمله على السكوت عن القراءة لئلا يستهوي القلوب ويستميلها بقراءة ما لم يعهده من بيان . (فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً) الفاء الفصيحة أي إن استمرعوا ذلك

واستمروا فيه فلنديقن ، واللام موطئة للقسم وننديقن فعل مضارع مبني على الفتح واجب التأكيد والفاعل مستتر تقديره نحن والذين مفعول به وجملة كهروا صلة وعذاباً مفعول به وشديداً نعت .
(ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) عطف على ما تقدم وأسوأ الذي كانوا يعملون مفعول ثان لنجزينهم .

(ذلك جزاء أعداء الله النار) ذلك مبتدأ والإشارة الى المذكور من الأمرين وهما قوله فلنديقن وقوله ولنجزينهم وجزاء أعداء الله خبر والنار بدل أو عطف بيان من جزاء ، واعترض بعضهم على هذا الإعراب بأن علامة البدل صحة حلوله محل المبدل منه فيصير التقدير ذلك النار وهذا لا يصح ولذلك ينبغي العدول عن الإعراب الأرجح الى المرجوح وهو أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره سيأتي فيما بعد .
(لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون) لهم خبر مقدم وفيها حال ودار الخلد مبتدأ مؤخر والجملة إما خبر النار بناء على إعرابها مبتدأ أو في محل نصب حال أو مستأنفة مستقلة مقررة لما قبلها وهذا أقعد بمكان البلاغة كما سيأتي ، وجزاء مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر وهو مصدر مؤكد أي يجزون جزاء أو منصوب بالمصدر المذكور قبله والمصدر ينصب بمصدر مثله وقد تقدمت له ظائر ولك أن تجعل جزاء مصدراً واقعاً موقع الحال وبما متعلقان بجزاء الثاني أو الأول وجملة كانوا صلة وجملة يجحدون خبر كانوا وبآياتنا متعلقان بجحدون لتضمنه معنى يكفرون وذلك خير من جعلها زائدة .

(وقال الذين كهروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس)
الواو استئنافية وقال الذين فعل وفاعل وجملة كهروا صلة وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأرنا فعل أمر مبني على حذف حرف

العلة ونا مفعول به أول واللذين مفعول به ثان لأن الرؤية بصرية وقد عدت الى اثنين بالهمزة وجملة أضلافا صلة ومن الجن والإنس حال قيل هما إبليس وقايل الأول سن الكفر والثاني سن القتل بغير حق لأنه قتل أخاه كما تقدم . (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) نجعلهما فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به أول وتحت أقدامنا الظرف في موضع المفعول الثاني ، ليكونا اللام للتعليل ويكونا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والألف اسمها ومن الأسفلين خبرها والجار والمجرور متعلقان بفعل الرؤية لأنه تعليل لها .

البلاغة :

١ - في قوله « فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً » استعارة مكنية وقد تقدم اجراؤها كثيراً .

٢ - وفي قوله « لهم فيها دار الخلد » تجريد ، وهو أن ينتزع من أمر ذي بال صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكمالها فيها ، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد .

أقسام التجريد :

واعلم أن للتجريد أقسام ذكرها علماء البيان ، وسنحاول أن نورد ما قالوه فيها على سبيل الإيجاز :

١ - فمنه ما يكون بمن التجريدية كقولهم لي من فلان صديق حميم أي قد بلغ فلان حداً من الصداقة يصح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها ، ومثاله من الشعر قول القاضي الفاضل :

تمد الى الأعداء منها معاصماً

فترجع من مساء الكلى بأساور

٢ - ومنه ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم : لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر ، بالسغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحراً في السماحة .

٣ - ومنه ما يكون بدخول باء المعية والمصاحبة في المنتزع كقول ابن هانئ :

وضربتم همام الكماة ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر

وقول أبي تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بغرة فتحت لنا باب الرجاء المقبل
بأتم من قمر السماء إذا بدا بدرأ وأحسن في العيون وأجمل
وأجل من قيس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

هذا والمراد بأتم من قمر السماء نفس أبي الوليد كما لا يخفى .

٤ - ومنه أن يكون بدخول في على المنتزع منه أو مدخول ضميره كآية التي نحن بصددِها « لهم فيها دار الخلد » أي في جهنم وهي دار الخلد لكنه انتزع منها داراً أخرى مبالغة ، وقول المتنبي :

تمضي المواكب والأبصار شاخصة

منها الى الملك الميمون طائر

قد حرن في بشر في تاجه قمر
في درعه أسد تدمي أظافره

فإن الأسد هو نفس الممدوح لكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً
لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة .

٥ - ومنه أن يكون بدخول بين كقول ابن النيه :

يهتز بين وشاحيهما قضيب نقا
حمائم الحلي في أفنانه صدحت

٦ - ومنه أن يكون بدون توسط شيء كقول قتادة بن سلمة
الحنفي :

فلئن بقيت لأرحلن بعزة تحوي الغنائم أو يموت كريم
يعني بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه
ولذا لم يقل أو أموت ، وقول أبي تمام :

ولو تراههم وإيانا وموقفنا
في مآثم البين لاستهلا كنا زجل

من حرقة أطلقتها فرقة أسرت
قلباً ومن غزل في نحره عذل

وقد طوى الشوق في أحشائنا بقرأ
عيناً طوتهن في أحشائها الكلل

ومراده بالبقر العين الذين أخبر عنهم أولاً بقوله ولو تراهم
فكأنه انتزع منهم موصوفين بهذه الصفة مبالغة فيها .

٧ - ومنه أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخر مثله في
الصفة التي سيق لها الكلام ثم يخاطبه كقول أبي الطيب المتنبى :

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

أراد بالحال الغنى فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في
فقد الخيل والمال والحال ، ومنه قول الأعشى :

ودّع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقول أبي نواس الممتع :

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

سنة العشاق واحدة فإذا أحبت فاستن

ومراده الخطاب مع نفسه ولذلك قال بعده :

ظنّ بي من قد كلفت به فهو يجفوني على الظنّ

بات لا يعنيه ما لقيت عين ممنوع من الوسن

رشاً لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتن

تقسيم آخر للتجريد :

وقسمه آخرون الى قسمين فقط وهما : تجريد محض وتجريد غير محض فالأول ، وهو المحض ، أن يأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك كقول الحيص بيص في مطلع قصيدة له :

إلام يراك المجسد في زيّ شاعر

وقد بخت شوقاً فروع المنابر

كتمت بعب الشعر حلاً وحكمة

بعضهما ينقاد صعب الفاخر

أما وأبيك الخير انك فارس

المقال ومحبي الدارسات الغواير

وأنت أعييت المسامع والنهي

بقولك عما في بطون الدفاتر

فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي يتسكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة وعدّه ما عدّه من الفضائل التائهة ، وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض .

وأما القسم الثاني ، وهو غير المحض ، فإنه خطاب لنفسك لا لغيرك ، وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذاك أولى بأن

يسمى تجريداً لأن التجريد لائق به وهذا هو نصف تجريد لأنك لم
تجرد به عن نفسك شيئاً وإنما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها
عنك وهي منك ، ومما جاء منه قول عمرو بن الاطنابة :

أقول لها وقد جشأت وجاشت

مكافك تحمدي أو تستريحي

وقول الآخر وقد قتل أخواه ابناً له فقدم إليه أخوه ليقتاد منه
فألقى السيف من يده وأنشأ يقول :

أقول للنفس تأساء وتعزيسة

إحدى يدي أصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه

هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وذكر أبو علي الفارسي كلاماً جميلاً بصدد التجريد فقال :
« إن العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته
ومحصله فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الانسان كأنه غيره
وهو هو بعينه نحو قولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سألته
لتسألن به البحر وهو عينه الأسد والبحر لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه
أو متميزاً منه » ثم قال « وعلى هذا النمط كون الانسان يخاطب نفسه
حتى كأنه يقاوم غيره كما قال الأعشى :

ودّع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وهو الرجل نفسه لا غيره .

وقد عقب ابن الأثير على ما ذكره أبو علي فقال : « والذي عندي أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الأول لأن الثاني هو التجريد ، ألا ترى أن الأعشى جرد الخطاب عن نفسه وهو يريد ما وأما الأول وهو قوله لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سألته لتسألن به البحر فإن هذا تشبيه مضمّر الأداة إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه » إلى أن يقول : « ويبطل على أبي علي قوله أيضاً من وجه آخر وذلك أنه قال : إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقة ومحصوله فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان كأنه غيره وهو هو ، وهذا ينتقض بقولنا لئن رأيت الأسد لترين منه هضبتة . ولئن لقيته لتلقين منه الموت فإن الصورة التي أوردناها في الإنسان وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كامن فيه قد أوردنا مثلها في الأسد فتخصيصه بالإنسان باطل وكلا الصورتين ليس بتجريد وإنما هو تشبيه مضمّر الأداة » .

والذي نراه أن ابن الأثير تعامل على أبي علي لأن كون هذا المثال من التشبيه المضمّر الأداة لا يمنع كونه تجريداً في وقت واحد . وحسبنا ما تقدم .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ لَنْحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ

﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أذْوَ حُطٍّ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾
وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

اللفظة :

(ينزغتك) : النزغ والنسخ بمعنى وهو شبه النخس والشیطان
ينزغ الإنسان كأنه ينخسه بيعته على ما لا ينبغي والمراد الوسوسة وفي
معاجم اللغة : نزغ ينزغ من باب ضرب نزغاً بين القوم أفسد ويقال
نزغ الشيطان بينهم أي أغرى بعضهم ببعض ونزغه الشيطان الى
المعاصي أي حثه ونزغ الشيطان وساوسه وما يحمل الانسان على
المعاصي .

الاعراب :

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) تنزل عليهم الملائكة (كلام
مستأنف مسوق للشروع في بيان حال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد
بيان حال الكافرين . وان واسمها وجملة قالوا صلة وربنا مبتدأ والله
خبر والجملة مقول القول وثم حرف عطف للتراخي في الزمان
واستقاموا فعل ماض وفاعل وجملة تنزل عليهم الملائكة خبر إن .

(ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) أن مصدرية أو مخففة فعلى الأول يصح أن تكون لا ناهية وأن تكون نافية وتخافوا منصوب بأن وعلى الثاني لا يصح إلا أن تكون مخففة ولا ناهية وعلى كل حال هي ومدخولها منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في موضع الحال أي قائلين ، وعلى هذا لا يبعد احتمال كونها مفسرة لأن التنزيل فيه معنى القول ولا تحزنوا عطف على لا تخافوا وأبشروا فعل أمر معطوف على ما قبله وبالجنة متعلقان بأبشروا والتي نعت وجملة كنتم صلة وكان واسمها وجملة توعدون خبر كنتم .

(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تنمة مقول قول الملائكة ونحن مبتدأ وأولياؤكم خبر وفي الحياة الدنيا متعلقان بأولياؤكم لأنه جمع ولي من الولاية وهي الحفظ أي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وفي الآخرة ويجوز تعليقه بمحذوف حال وفي الآخرة عطف . (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) الواو عاطفة ولكم خبر مقدم وفيها متعلقان بمحذوف حال والضمير يعود على الجنة وما مبتدأ مؤخر وجملة تشتهي أنفسكم صلة ولكم فيها ما تدعون عطف على الجملة السابقة وتدعون من الدعاء بمعنى الطلب والتمني وفي المصباح : « ادعيت الشيء تمنيته وادعيته طلبته » (نزلاً من غفور رحيم) نزلاً حال مما تدعون والنزل تقدم شرحه وهو القرى الذي يهيا لأكرامه وسمي به المكان مجاز فهو مصدر وقال أبو البقاء : « نزلاً فيه وجهان أحدهما هو مصدر في موضع الحال من الهاء المحذوفة أو من ما أي لكم الذي تدعونه معداً وما أشبهه ومن نعت له والثاني هو جمع نازل مثل صار وصبر فيكون حالاً من الواو في تدعون أو من الكاف في لكم فعلى هذا يتعلق من

بتدعون أي يطلبونه من غفور أو بالظرف أي استقر ذلك من غفور
فيكون حالاً من ما « هذا وقد نصبه الجلال بجعله مقدراً » .

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني
من المسلمين) الواو عاطفة ومن اسم استفهام مبتدأ ومعناه النفي أي
لا أحد أحسن وأحسن خبر وقولاً تمييز ومن متعلقان بأحسن
وجملة دعا إلى الله صلة من وجملة وعمل صالحاً عطف على دعا إلى الله ،
وجعلها أبو حيان حالية وليس ثمة ما يمنع ذلك ، وصالحاً مفعول به
أو نعت لمصدر محذوف أي عمل عملاً صالحاً وقال عطف على ما قبله
وإنني من المسلمين إن واسمها وخبرها في موضع نصب لأنها مقول
القول . (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن)
كلام مستأنف مسوق لتشريع المعاملة بين البشر بعد بيان حسن المعاملة
بين العبد وبين ربه ولا نافية وتستوي الحسنة فعل مضارع وفاعل
ولا السيئة عطف على الحسنة وادفع فعل أمر وبالتي متعلقان بادفع
والتي صفة لموصوف محذوف أي بالخصلة وهي مبتدأ وأحسن خبر
والجملة صلة وفي هذا الكلام تأويلان ألمع إليهما البيضاوي تبعاً للكشاف
قال : « أي ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي
الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقاً أو ادفع بالتي هي أحسن
ما يمكن دفعها به من الحسنات » واختار الجلال الأول ومثل له بقوله :
« كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو » .

(فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) قالوا إن الفاء
هي التعليلية الدالة على أن ما بعدها علة ما قبلها وأرى أن الفصيحة
هنا أولى لأنها جواب شرط مقدر والتقدير أي إذا دفعت بالتي هي
أحسن فإذا الذي ، وإذا للمفاجأة ولا بد من جعلها ظرفاً للمكان بمعنى

التشبيه وهذا مبني على القول باسميته وجاز تقدم هذا الظرف على عامله المعنوي لأنه يتسع في الظروف مالا يتسع في غيرها والذي مبتدأ وبينك ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة ، وكأنه كان واسمها وولي حميم خبران كأن والجملة التشبيهية في رفع خبر الذي وعبرة أبي البقاء « كأنه ولي فيه وجهان أحدهما حال من الذي بصلته والذي مبتدأ وإذا للمفاجأة وهي خبر المبتدأ أي فبالحضة المعادي مشبهاً للولي الحميم والفائدة تحصل من الحال والثاني أن يكون خبر المبتدأ وإذا ظرف لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على العامل المعنوي » •

(وما يلقاها إلا الذين صبروا) الواو حرف عطف وما نافية ويلقاها فعل مضارع مبني للمجهول والهاء مفعول به ثان والضمير يعود على الخصلة الحسنة وهي مقابلة السيئة بالحسنة وإلا أداة حصر والذين نائب فاعل يلقاها وجملة صبروا لا محل لها لأنها صلة • (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) عطف على سابقتها مماثلة لها في اعرابها • (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) الواو عاطفة وإن شرطية أدغمت نونها في ما الزائدة وينزغنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط والكاف مفعول به مقدم ومن الشيطان حال لأنه كان في الأصل صفة لنزغ ونزغ فاعل مؤخر ، فاستعذ الفاء رابطة واستعذ فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت وبالله متعلقان باستعذ وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والسميع العليم خبران لإن أو لهو والجملة خبر إن •

البلاغة :

في قوله « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » إيجاز بليغ لأن الاستقامة كلمة شملت جميع صفات التقوى ؛ قال عمر : الاستقامة : أن تستقم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وأنت تعلم ما ينطوي تحت الأمر والنهي من أوامر ومناه . وأقل انحراف عن الطريق المستقيم يخرجك عن استقامته ، ذلك لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين فهو لا يحتمل الانحراف ولو كان أدنى من اليسير .

وفي الآيات من الطباق وجناس الاشتقاق مالا يخفى فذلك اكتفينا بالإشارة إليها .

وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

اللفظة :

(رب) : انتفخت وعلت قبل أن تنبت ويقال للموضع المرتفع ربوة وراية وسيأتي مزيد من شرحه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) كلام مستأنف مسوق لإيراد أربع آيات من آياته تعالى ومن آياته خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر وما بعده عطف عليه . (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) لا ناهية وتسجدوا فعل مضارع مجزوم بلا وللشمس متعلقان بتسجدوا ولا للقمر عطف ، واسجدوا لله عطف آخر والذي نعت الله وجملة خلقهن صلة والضمير يعود الى الآيات ولذلك عبّر عن الأربع بضمير الإناث مع أن فيها ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لأنه لما قال ومن آياته فنظم الأربع في سلك الآيات صار كل واحد منها آية فعبّر عنها بضمير الإناث ، وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وهو فعل الشرط وإياه مفعول مقدم لتعبدون وجملة تعبدون خبر كنتم وجواب الشرط محذوف تقديره فاسجدوا له .

(فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) الفاء عاطفة وإن شرطية واستكبروا فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط ، فالذين الفاء تعليل لجواب الشرط المحذوف وتقديره فدعهم وشأنهم والذين مبتدأ وعند ربك الظرف متعلق بمحذوف صلة الذين والظرفية هنا مكانة وتشريف وهي تعبير عن الزلفى والكرامة وجملة يسبحون خبر الذين وله متعلقان يسبحون والليل والنهار متعلقان بيسبحون أيضاً والواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يسأمون خبر . (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) الواو عاطفة على

ما سبق ومن آياته خبر مقدم وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر وانك ان واسمها وجملة ترى الأرض خبر وخاشعة حال أي يابسة لا نبات فيها ، وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب البلاغة ، ولك أن تجعل الرؤية علمية فتكون خاشعة مفعولاً به ثانياً ، فإذا الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أنزلنا في محل جر بإضافة الظرف إليها وعليها متعلقان بأنزلنا والماء مفعول به وجملة اهتزت لا محل لها وربت عطف على اهتزت .

(إن الذي أحيانا لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير) تحليل
لا اهتزاز الأرض اليابسة وربوها وإن واسمها وجملة أحيانا صلة واللام
المزحقة ومحيي الموتى خبر إن وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان
بقدير وقدير خبرها .

البلاغة :

في قوله « أنك ترى الأرض خاشعة » استعارة مكنية فقد استعير
الخشوع وهو التذلل والتقاصر لحال الأرض عند قحطها وجفافها كما
استعير الهمود لها في قوله « وترى الأرض هامدة » وكذلك يسري
القول على الاهتزاز والربو ، يقال اهتز الانسان أي تحرك ، وربت أي
انتفخت وعلت قبل أن تنبت وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم
وتأخير وتقديره ربت واهتزت ، والاهتزاز والربو قد يكونان قبل
الخروج من الأرض وقد يكونان بعد خروج النبات الى وجه الأرض
فربوها ارتفاعها ، وقيل : اهتزت أي تحركت حركة عظيمة فكان كمن
يعالج ذلك بنفسه وربت أي تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات
وسما في الجو مغطياً لوجهها وتزخرفت بذلك النبات كأنها بمنزلة
المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل .

الفوائد :

١ - تأثير القرآن في نفس عتبة :

أدركت قريش أن أساليبها في صد الدعوة الإسلامية عن المضي في طريقها لم تنجح وأنه لا بد من اللجوء إلى عمل آخر فتشاوروا على عادتهم واتدبوا عتبة بن ربيعة لكي يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يفاوضه في ترك الدعوة على أن يجمعوا له الأموال حتى يصير أغنى قريش ثم يجعلوا له الرياسات التي يصبح بها أرفعهم مقاماً وأعزهم ملكاً أو يلتمسوا له الطب حتى يبرأ من هذا الذي يأتيه فينطقه بكلام عجيب ، وقد استمع النبي إلى عتبة صابراً ، فلما انتهى قال له : أفرغت يا أبا الوليد ؟ فقال : نعم ، قال له النبي : فاستمع مني ، ثم أخذ يتلو عليه قوله تعالى : « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » ومضى رسول الله يتلو على زائره سورة فصلت حتى انتهى إلى قوله تعالى : « ومن آياته الليل والنهار » الآية ولما تلا هذه الآية سجد لربه سجوداً طويلاً ثم رفع رأسه واستوى في مجلسه وأخذ يكمل السورة حتى إذا فرغ منها نظر إلى عتبة فإذا هو ملق يديه خلف ظهره يصغي في هدوء وقد بلغت الآيات منه مبلغاً عظيماً ، قال له النبي :

— قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فلم يعقب عتبة بكلمة وانصرف مهموماً يفكر أعظم تفكير في هذا

الذي سمع ، فما أن رأت قريش صاحبها حتى قال بعضهم لبعض :

— فحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس اليهم قالوا له :

— ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال :

— ورأيتني سمعت قولاً^١ والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واخلتوا
بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله
الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم
وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد
الناس .

فقلت قريش :

— سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! فأشاح عنهم وقال :

— هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم .

٢ — موضع السجدة :

اختلف في موضع السجدة ، فهو عند الشافعي « تعبدون »
لذكر لفظة السجدة قبلها وعند أبي حنيفة « يسأمون » لأنها تمام
المعنى .

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ
مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَهُمْ يُعِندُونَ لَكِ تَبْعٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ

قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ
 قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فِصْلَتْ أَيْتَاتُهَا أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ
 آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى
 أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٥﴾

اللفظة :

(يلحدون) : بضم الياء مضارع ألحد في دين الله أي جار وعدل
 وقرئ بفتح الياء مضارع لحد من باب قطع لغة فيه وقال في الكشف :
 « يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير
 للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة . ولم
 يصب الزمخشري في تقييد المستعار له بقوله في آيات القرآن ، فإنها
 في الآية الكريمة مستعارة للانحراف من جهة الصحة والاستقامة مطلقاً
 لا للانحراف عنها في آيات الله وإلا لما احتيج الى قوله في آياتنا ، ومن
 هنا يبدو الفرق بين الملحد والزنديق والدهري والمنافق . »

(أَعْجَمِيًّا) : تقدم بحث هذه الكلمة ونضيف هنا ما قالوه في
 يائه قال أبو حيان : « الياء للمبالغة في الوصف وليس النسب فيه
 حقيقياً » وقال الرازي في لواحه : « فهي كياء كرسي » والأعجمي هو
 الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه . »

الاعراب :

(إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الملحدين وإن واسمها وجملة يلحدون صلة الموصول وفي آياتنا متعلقان يلحدون وجملة لا يخفون علينا خبر إن •

(أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة) الهزة للاستفهام التقريري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ومن اسم موصول مبتدأ وجملة يلقي في النار صلة من وخبر خبرها وأم حرف عطف ومن عطف على من الأولى وجملة يأتي صلة وآمناً حال وكان السياق يقتضي أن يقول أم من يدخل الجنة ولكن عدل عن مقتضى السياق ليصرح بأمنهم وانتفاء الخوف عنهم وذلك أثلج لصدورهم وأقر لعيونهم ويوم القيامة متعلق بيأتي أو بآمناً •

(اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) اعملوا فعل أمر والمراد به التهديد لهم والواو فاعل وما مفعول به وجملة شئتم صلة ما وجملة إنه تعليل للأمر وان واسمها وبما تعملون متعلقان ببصير وبصير خبر إن •

(إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز) الجملة بدل من جملة إن السابقة وان واسمها وجملة كفروا بالذكر صلة ولما حينية أو رابطة وجاءهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وفي خبر إن وجوه أظهرها أنه محذوف تقديره لا يخفون علينا ويؤيد هذا الوجه كون إن الثانية بدلاً من إن الأولى فيسري عليها ما يسري على الأولى والقاعدة أن المحكوم به على البديل محكوم به على المبدل منه وذكر العربون أوجهاً أخرى نورد خلاصتها فيما يلي :

١ - انه محذوف لفهم المعنى وتقديره معذبون أو مهلكون وهو وجه شديد أيضاً •

٢ - انه محذوف قدره الجلال بقوله : نجزيهم •

٣ - انه موجود مذكور وهو قوله فيما بعد «أولئك ينادون» •

٤ - انه موجود مذكور وهو قوله : « لا يأتيه الباطل » والعائد محذوف أي لا يأتيه الباطل منهم نحو الشمس منوان بدرهم أي منون منه وتكون أل عوضاً من الضمير في رأي الكوفيين تقديره إن الذين كفروا بالذكر لا يأتيه باطلهم •

٥ - ان الخبر قوله ما يقال لك والعائد محذوف تقديره : إن الذين كفروا بالذكر ما يقال لك في شأنهم الا ما قد قيل للرسل من قبلك •

وانه الواو حالية وان واسمها واللام المرحلة وكتاب خبرها وعزيز نعت والجملة نصب على الحال أي ممتنع عن ان ينال منه أحد بحماية الله وكلاءته ويؤيده قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فلا يستطيع أحد أن يبطله أو يخرمه ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) الجملة نعت ثان للكتاب ولا نافية ويأتيه الباطل فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومن بين يديه متعلقان بيأتيه ولا من خلفه عطف على من بين يديه وتنزيل خبر رابع ومن حكيم متعلقان بتنزيل وحميد نعت لحكيم •

(ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) كلام مستأنف مسوق لتسليته ﷺ على ما يناله من أذاهم وما نافية ويقال فعل مضارع مبني للمجهول ولك متعلق يقال وإلا أداة حصر وما نائب

فاعل أي إلا مثل الذي وقد حرف تحقيق وقيل للرسل صلة ومن قبلك حال .

(إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) إن واسمها واللام المرحلة وذو مغفرة خبرها وعقاب أليم عطف على ما تقدم .

(ولو جعلناه قرآناً أعجيباً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) كلام مستأنف مسوق للرد على تساؤلهم : هلا أنزل القرآن بلغة العجم ولو شرطية وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به وقرآناً مفعول به ثان وأعجيباً نعت واللام واقعة في جواب الشرط وجملة قالوا لا محل لها ولولا حرف تحضيض أي هلا وفصلت فعل ماض مبني للمجهول وآياته نائب فاعل والمعنى بنيت بلسان تفهمه وتفقهه ، أعجمي الهمزة للاستفهام الانكاري وأعجمي خبر لمبتدأ محذوف أي أهو أي القرآن أعجمي والمرسل به عربي وفيه قراءات بتحقيق الهمزة الثانية وقبلها ألفاً ممدودة ويقرأ بهمزة واحدة وفتح العين على النسب إلى عجم ويجوز أن يعرب أعجمي مبتدأ والخبر محذوف تقديره أعجمي وعربي يستويان .

(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) قل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت أي قل في الرد عليهم وهو مبتدأ وللذين آمنوا حال لأنه كان نعتاً وتقدم ، وهدى وشفاء خبر هو أي انه هاد لهم وشاف لما في صدورهم وكاف في درء الشبه ولهذا ورد معجزاً بلسانهم وسيأتي تفصيل واف لهذا الموضوع في باب البلاغة .

(والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) والذين الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة لا يؤمنون صلة والعائد محذوف أي به وفي آذانهم خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر

ولا بد من تقدير رابط أي منه والجملة خبر الذين وهو مبتدأ وعليهم متعلقان بمحذوف حال ولا يتعلق بالمصدر لتقدمه عليه وعمى مبتدأ مؤخر وأولئك مبتدأ وجملة ينادون خبر ومن مكان متعلقان بينادون وبعيد نعت لمكان وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة .

البلاغة :

١ - الطباق :

« أعجمي وعربي » طباق بديع يحتمل معنيين أولهما أن الانكار واقع على كون القرآن أعجمي والرسول عربي وثانيهما أن القرآن أعجمي والمرسل اليهم أو إليه عربي وإنما جاء مفرداً والمرسل اليهم هم أمة العرب لأن مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرّد لما سبق إليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل غرضاً آخر ، ألا تراك تقول وقد رأيت لباساً طويلاً على امرأة قصيرة : اللباس طويل واللبس قصير ، ولو قلت واللبسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام يقع في ذكورة اللبس وأنوثته وإنما وقع في غرض وراءهما فصح الطباق .

٢ - التشبيه البليغ :

وفي قوله « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » تشبيه بليغ ، جعل القرآن نفس الهدى ونفس الشفاء يهديهم الى سبل الرشاد ويشفيهم من أوصاب الجنون والالتيات .

٣ - الاستعارة التمثيلية :

وفي قوله « أولئك ينادون من مكان بعيد » استعارة تمثيلية شبت حالهم في النبوة عن قبول مواظ القرآن ودلائله بحال من ينادى من مكان بعيد فكما انه لا يفهم ولا يقبل قول المنادي فكذلك هؤلاء لا يقبلون دعوة من دعاهم الى الرشيد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنْكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا هُمْ مِنْ مَّجِصٍ ﴿٤٨﴾

اللفظة :

(أكمامها) : جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الشر أو ما يسي فنياً الكأس ، وفي الكشف « الكم بكسر الكاف وعاء الشر » ولكن قال الراغب في مفرداته : « الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة وجمعه أكمام » فكلام الراغب يدل على مضموم الكاف إذ جعله مشتركاً بين كم القميص وكم الثمرة ، ولا جدال في كم القميص أنه بالضم فلعل في وعاء الثمرة لغتين دون كم القميص جمعاً بين قول

الزمخشري وقول الراغب ، أما معاجم اللغة فتتفرق بين كم الثوب وكم الثمر فنصوا على ضم الأول وكسر الثاني قال في القاموس : « الكم بالضم مدخل اليد ومخرجها من الثوب والجمع أكام وكمة وبالكسر وعاء الطلع وغطاء النور كالكمامة والكمة بالكسر فيهما والجمع أكمة وأكام وكمام » ويؤخذ من الأساس وغيره من المعاجم الكبرى ما يلي لتدبره :

الكم بضم الكاف مدخل اليد ومخرجها من الثوب جمعه أكام وكمة بكسر الكاف ، والكمة بضم الكاف القلنسوة المدورة وكل ظرف غطيت به شيئاً وألبسته إياه فصار له كالغلاف .

والكم بكسر الكاف الغلاف الذي يحيط بالزهر أو الثمر أو الطلع فيستره ثم ينشق عنه جمعه أكمة وأكام وكمام وأكاميم ومن ذلك أكام الزرع أي غلفها التي يخرج منها .

وأكمة الخيل : مخاليتها المعلقة على رؤوسها الواحد منها كمام والكمامة بكسر الكاف غطاء الزهر ووعاء الطلع ، والكمامة أيضاً بالكسر والكمال ما يكتم به فم الحيوان لئلا يعرض أو يأكل الى آخر هذه المادة المطولة .

(محيص) : مهرب من حاص يحبس حيصاً إذا هرب .

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في أمر الكتب المنزلة ليس بدعاً فهو قديم في الأمم ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل

وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان والفاء عاطفة واختلف فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر وفيه متعلقان باختلاف . (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر وجملة سبقت نعت لكلمة ومن ربك متعلقان بسبقت واللام واقعة في جواب لولا وقضي فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر يعود على المصدر المفهوم من قضي أي القضاء وبينهم ظرف متعلق بقضي والضمير في بينهم يعود على كفار قومه ، وانهم الواو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وفي شك خبر إن ومنه متعلقان بمحذوف نعت ومريب نعت ثان .

(من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) من اسم شرط جازم مبتدأ وعمل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وصالحاً مفعول به أو نعت لمصدر محذوف وقد تقدمت له ظائر والفاء رابطة لجواب الشرط ولنفسه متعلقان بفعل محذوف تقديره ففع أو عمل ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي فالعمل الصالح لنفسه ، ومن أساء فعليها عطف على ما تقدم واعرابه مماثل له والواو يصح أن تكون حالية أو عاطفة وما نافية حجازية وربك اسمها وبظلام الباء حرف جر زائد وظلام مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما وللعبيد متعلقان بظلام ، ويصح أن تكون ظلام صيغة نسب كتمار وبقال وخباز كما سيأتي تفصيها في باب الفوائد ويصح أن تكون صيغة مبالغة وعلى الأول يكون معناه ليس بذئ ظلم وقد رجحه غير واحد من المعربين . (إليه يرد علم الساعة) إليه جار ومجرور متعلقان بيرد ويرد فعل مضارع مبني للمجهول وعلم الساعة نائب فاعل .

(وما تخرج من ثمرة من أكمامها وما تحمل من أثى ولا تضع
 إلا بعلمه) الواو عاطفة وما نافية وتخرج فعل مضارع مرفوع ومن
 حرف جر زائد وثمره مجرور بمن لفظاً في محل رفع فاعل تخرج ومن
 أكمامها متعلقان بتخرج وقرىء من ثمرات • وقيل ما موصولة في محل
 جر عطف على الساعة أي علم الساعة وعلم التي تخرج ، ومن الأولى
 للاستغراق ومن الثانية لابتداء الغاية والواو حرف عطف وما نافية
 وتضع فعل مضارع مرفوع ومن حرف جر زائدة وأثى مجرور لفظاً
 في محل رفع فاعل وإلا أداة حصر وبعلمه استثناء مفرغ من أعم
 الأحوال أي إلا مقروناً بعلمه • (ويوم يناديهم أين شركائي قالوا
 آذناك ما منا من شهيد) الظرف متعلق باذكر محذوفاً فهو مفعول به
 أو انه ظرف لمضمر يقصر البيان عنه وجملة يناديهم في محل جر بإضافة
 الظرف إليها وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية
 وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وشركائي مبتدأ مؤخر وقالوا فعل
 وفاعل وآذناك فعل ماض وفاعل ومفعول به أي أعلمناك الآن وعبرة
 أبي البقاء : « هذا الفعل يتعدى الى مفعول بنفسه والى آخر بحرف
 جر وقد وقع النفي وما في خبره موقع الجار والمجرور وقال أبو حاتم
 يوقف على آذناك ثم يبتدأ فلا موضع للنفي » • وما نافية ومنا خبر
 مقدم ومن حرف جر زائد وشهيد مجرور لفظاً في محل رفع
 مبتدأ مؤخر •

(وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) الواو عاطفة وضل فعل
 ماض وبعنهم متعلقان بضل وما فاعل وجملة كانوا صلة وكان واسمها
 وجملة يدعون خبر كانوا ومن قبل حال • (وظنوا ما لهم من محيص)
 الواو عاطفة وظنوا فعل ماض وفاعل وما نافية ولهم خبر مقدم ومن

حرف جر زائد ومحيص مجرور لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر والنفي معلق للظن عن العمل لفظاً مع بقاءه محلاً وجملة النفي سدت مسد المفعولين لآذناك لأنها بمعنى أعلمناك كما سدت جملة النفي السابقة مسد المفعول الثاني لآذناك وعبارة أبي البقاء : « وأما قوله تعالى : وظنوا فمفعولاهما قد أغنى عنهما ما لهم من محيص وقال أبو حاتم يوقف على ظنوا ثم أخبر عنهم بالنفي » .

الفوائد :

النسبة على وزن فعّال وفاعل :

اعلم أن العرب نسبوا على غير المنهاج المعروف في النسبة وذلك لأنهم لم يأتوا بياء النسبة ولكنهم يبنون بناء يدل على نحو ما دلت عليه بياء النسبة كقولهم لصاحب البتوت وهي الأكسية وواحدها بت : بتات ، ولصاحب الثياب : ثواب ، ولصاحب البرز : برزاز ، ولصاحب العاج عوّاج ، ولصاحب الجمال التي ينقل عليها : جمّال ، ولصاحب الحمير التي ينقل عليها : حمّار ، وللصيرفي : صراف ، وهو أكثر من أن يحصى كالعطّار والنقاش ، وهذا النحو إنما يعملون فيما كان صنعة ومعالجة للتكثير إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعه فجعل له البناء الدّال على التكثير وهو فعّال بتضعيف العين لأن التضعيف للتكثير . وما كان من هذا ذا شيء وليس بصنعة يعالجها أتوا بها على صيغة فاعل وذلك لأن فاعلاً هو الأصل وإنما يعدل عنه إلى فعال للمبالغة فإذا لم ترد المبالغة جيء به على الأصل لأنه ليس فيه تكثير ،

قالوا لذي الدرع : دارع ، ولذي النبل : نابل ، ولذي الشاب :
 ناشب ، ولذي اللبن : لابن ، ولذي التمر : تامر • وقال الحطيئة :

وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

أي ذو لبن وذو تمر ، وإن كان شيء من هذه الأشياء صنعة
 وماشأ يداومها صاحبها نسب على فعال فيقال لمن يبيع اللبن والتمر :
 لبّان وتَمَّار ، ولمن يرمي بالنبل : نبال • قال امرؤ القيس :

وليس بذى رمح فيطعنني به وليس بذى سيف وليس بنبال

وربما جمعوا بين اللفظين في شيء واحد ، قال الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

والمراد المطعوم المكسوة ، وهذا القيل وإن كان كثيراً واسعاً
 ليس بالقياس بل هو مقتصر على السماع فلا يقال لبائع البر : برار :
 ولا لصاحب الفاكهة : فكاه ، وحمل عليه كثير من المحققين كما قال
 ابن مالك « وما ربك بظلام للعبيد » أي بذى ظلم والذي حملهم على
 ذلك أن النفي منصب على المبالغة فيثبت أصل الفعل والله تعالى منزه
 عن ذلك •

فهرس المجلد الثامن

٥	تتمة اعراب سورة الاحزاب الآية ٢٨
٦٠	اعراب سورة سبأ
١١٨	اعراب سورة فاطر
١٧٢	اعراب سورة يس
٢٣٨	اعراب سورة الصافات
٣٢٦	اعراب سورة ص
٣٨٧	اعراب سورة الزمر
٤٥٤	اعراب سورة غافر
٥٢٩	اعراب سورة فصلت

اتتهى المجلد الثامن ويليه المجلد التاسع

بدءاً من الآية ٤٩ من سورة فصلت